صِيَانَةُ الإِنْسَان
عَنْ وَسْوَسَةِ الشَّيْخِ دَحْلاَن

تأليف
الشيخ العلامة
محمد بشير السَّهسواني الهندي
1252 ـ 1326

www.ahlalhdeeth.com

التعريف بكتاب صيانة الإنسان

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وقُلْ جاءَ الحَقُّ وَزَهَقَ الباطِلُ، إنَّ البَاطِلَ كانَ زَهُوقَا ﴾

تمهيد في معنى السنة والجماعة والبدع

لما حدثت البدع في الأمة وصار لها شيع وأنصار، جعل لكل شيعة منها اسم، وأطلق على المحافظين على ما كان عليه السواد الأعظم من الصحابة والتابعين المجتنبين للمحدثات والبدع لقب "أهل السنة والجماعة".

والمراد بالسنة هنا معناها اللغوي، وهي الطريقة المخصوصة المسلوكة المتبعة بالفعل في أمر الدين – فعلاً وتركاً – من عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، فالتعريف فيها للعهد، وليس المراد بها ما اصطلح علماء الحديث من إطلاقها على أقوال النبي صلى الله عليه وسلم وأفعاله وتقريراته وشمائله، ولا ما اصطلح عليه الفقهاء من إطلاقها على ما واظب عليه صلى الله عليه وسلم غالباً على غير سبيل الوجوب، فإن جميع فرق المبتدعة في الإسلام يأخذون بالسنة بمعنييها الأخيرين على اصطلاحات لهم وقواعد في إثباتها ونفيها وتأويلها وتعارضها، كما أن للفقهاء والمتكلمين المنسوبين إلى السنة والجماعة بالمعنى الأصلي قواعد في ذلك.

والتحقيق أن ما كان عليه السلف في الصدر الأول لم يكن يسمى مذهباً، ولا يصح أن يسمى مذهباً في الإسلام، لأنه هو الإسلام كله، وهو وحدة لا تفرق فيها ولا اختلاف، والله يقول لرسوله: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴾. ويقول: ﴿ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلاَ تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾. وإنما صار يسمى مذهباً بالإضافة إلى ما حدث من البدع التي تتعصب لها الشيع.

ولو أن الأشاعرة جروا في تقرير العقائد للمسلمين في التعليم والتصنيف على صراط القرآن في إثبات ما أثبته ونفي ما نفاه والاستدلال بما استدل به من آيات الله في الأنفس والآفاق، والتزموا في ذلك هدي

السلف من غير تعطيل ولا تمثيل ولا تأويل، ثم جروا في الرد على المخالفين على قاعدة الغزالي من كونه ضرورة تقدَّر بقدرها في كل زمن بحسنه بإدحاض شبهاتهم، والتفرقة بينا ما لا يتفق مع أصول الملة القطعية وما يتفق معها ولو بضرب من تأويل بعض الظواهر غير القطعية – لو أنهم فعلوا هذا وذاك – لما كان ثمَّ وجه لتقسيم أهل السنة والجماعة إلى مذهبين مختلفين: سلفية، وخلفية. حتى أفضى ذلك إلى رد بعض متكلمي الخلف على متبعي السلف من أهل الحديث ورد هؤلاء عليهم، كما يردُّ الفريقان على المعتزلة وغيرهم من الذين خرجوا عن صراط الجماعة الذي كان عليه أهل الصدر الأول المتفق بينهما على هَدْيهم وهداهم.

وهذا ما جرينا عليه في مجلة المنار وفي تفسير المنار: نقرر مذهب السلف بالحجة وندافع عنه وندعو إليه، وقد نورد ما نراه ضرورياً من تأويل لغير القطعي المجمع عليه لبيان سعة الإسلام، وكون من لم يطمئن قلبه لبعض الظواهر على مذهبهم، فإن تأوله لها مع الإيمان بكل ما هو قطعي مجمع عليه لا يخرجه من حظيرة الحنيفية السمحة، ولكن لا يقتدى به في تأويله، وهذا هو الموافق لقول أئمة السنة والجماعة لا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب ولا بدعة عملية، وإن المتأول المخطئ غير كافر.

ولكن الأشاعرة جروا على طريقة متكلمي المعتزلة في بناء العقائد على النظريات العقلية، وتأويل النصوص المخالفة لها، إلا قليلاً مما خالفهم فيه أبو الحسن وغيره من كبار نظارهم كمسألة الرؤية فصاروا فرقة غير أهل الحديث المتبعين للسلف من كل وجه.

لما حدثت البدع كان الأئمة يحتجون على أهلها بأنهم خالفوا السنة – أي الطريقة المتبعة – وفارقوا الجماعة والسواد الأعظم، واتبعوا غير سبيل المؤمنين، ويطبقون عليهم ما ورد في الكتاب والسنة من النصوص في وجوب الاتباع، وحظر الابتداع، والتفرق في الدين، حتى كانت حجة الإمام

أحمد بن حنبل رحمه الله على بدعة القول بخلق القرآن أن هذا قول لم يقله رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا خلفاؤه ولا أصحابه، ولا علماء التابعين، أفلا يسعنا ما وسعهم؟ أي أن فرضنا أنه في نفسه صحيح، فكيف إذا كان رأياً باطلاً في كتاب الله عز وجل فتح باب فتنة في الإسلام فرقت أهله شيعاً يسفك بعضهم دماء بعض ويكفر بعضهم بعضاً؟

وقد قال قبله إمام دار الهجرة مالك بن أنس رضي الله عنه: أكلما جاءنا رجل ذكي فصيح برأي في دين الله زينه بخلابته اللسانية ونظرياته الفكرية نترك ما نزل به جبريل من عند الله تعالى على محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ونتبعه فيه، حتى إذا جاء ذكي آخر بما ينقضه بقول أفصح منه اتبعناه فيه، وهكذا دواليك لا يسفر لنا في ديننا حال؟ ا هـ مبسوطاً بمعناه، وكان يقول: كل ما لم يكن في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ديناً لا يكون بعده ديناً، فإن الله تعالى أكمل لنا الدين بنص كتابه قبل أن يقبضه إليه.

وقد قيل له: إن أناساً من أهل المدينة يقفون عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيسلمون ويدعون ساعة، فقال: لم يبلغني هذا عن أحد من أهل الفقه ببلدنا وتركه واسع، ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها، ولم يبلغني عن أول هذه الأمة وصدرها أنهم كانوا يفعلون ذلك، ويكره إلا لمن جاء من سفر أو أراده. اهـ. ذكر هذا في المبسوط.

وإنما استثنى مالك من أراد سفراً أو قدم منه لأنه صح عن عبدالله بن عمر أنه كان يفعل ذلك أي يأتي القبر فيقول: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا أبا برك، السلام عليك يا أبت، وينصرف كما في صحيح البخاري، ولم يرو هذا عن غيره من الصحابة، وكان عبدالله بن عمر رضي الله عنه أشدهم عناية بمثل هذا، فقد روى عنه أنه كان يتحرى في نسكه تتبع خطوات النبي صلى الله عليه وسلم ومواقفه وأمكنة طهارته، وصلاته

ومنحره، وإن صح أن هذا غير مسنون، ولم يكن يفعله أبوه ولا غيره من الخلفاء الأربعة وعلماء الصحابة، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال كما في صحيح مسلم وغيره: "وقفت هنا وعرفه كلها موقف". وقال مثل ذلك في المزدلفة وقال في منى: "نحرت هاهنا ومنى كلها منحر لئلا يتحرى الناس موقفه و منحره ويجعلوه مشروعاً فيزدحموا عليه، وهذا زيادة في الشرع وهي كالنقص منه.

ثم إن البدع فشت بضعف العلم والعمل بالكتاب والسنة ونصر الملوك والحكام لأهلها كما فعل بعض العباسيين في عصر دولة العلم، وتفاقم في عصور من بعدهم من دول الأعاجم، حتى صار لفظ "السنة والجماعة" لقباً مذهبياً انتحله بعض علماء الكلام المبتدع – وكادوا يحتكرونه دون متبعي السلف، وهم الحنابلة وأهل الحديث – ومن هؤلاء المتكلمين المقلدون في الفروع لأبي حنيفة ومالك والشافعي وكذا أحمد ابن حنبل وإن خالفوا أئمتهم فيما كانوا عليه من اتباع السلف، واجتناب البدع، وعدهم علم الكلام منها، فتى المتأخرين منهم يشاركون العوام في بدعهم، ويتأولونها لهم، وابتدعوا لهم قاعدة في إقرار البدع والإنكار على منكريها، وهي تقسيم البدعة إلى حسنة وسيئة! واختراع محسان لما فشا منها، ككونها من حب الأنبياء و الصالحين وتعظيمهم والتبرك بهم، وهذا عين الغلو الذي فعله أهل الكتاب وقوم نوح من قبلهم، وحذرنا الله ورسوله من فعلهم.

ومقتضى هذه القاعدة أن لكل أحد أن يبتدع في دين الله تعالى كل ما يستحسنه كما فعل أهل الملل السابقة بعد أبنيائهم، حتى إذا فشت البدع وكثر أهلها أيدها الحكام الجاهلون المستبدون إرضاء للعامة، وأيدها المعممون المقلدون إرضاء للفريقين، وأعقب ذلك إنكار الثلاثة على أنصار السنة، وتسميتهم مبتدعة مخالفين للجماعة، وهكذا انعكست القضية، وانقلبت البدعة سنة والسنة بدعة، وتحول المعروف منكراً والمنكر معروفاً،

وصار أهل البدع يحتجون على دعاة الكتاب والسنة بمخالفة الجماعة، والخروج على السواد الأعظم من الأمة، وتبديعهم، وتضليلهم بدعوى أن الأكثر هم المسلمون لا سواهم، ولا يقتصروا في ذلك على البدع الإضافية العملية كالأوراد المخالفة للمأثور في صفتها وتوقيتها، وجعلها كالشعائر في الاجتماع لها ورفع الأصوات بها، وبدعة محمل الحج، بل أدخلوا فيها البدع الوثنية بعبادة الصالحين بالدعاء وغيره، والعوام يتبعون من يدافع عنهم، ويدعي اتباع أئمتهم، وتؤيده حكوماتهم، ونبز داعي السنة بلقب المجتهد المحاول لهدم المذاهب المحتقر للأئمة، وباب الجدل واسع لا نهاية له، والعمدة في اتباع السنة والجماعة ما كان علي أهل الصدر الأول في أمر الدين – ومنهم أئمة الحديث والفقه المعروفون – ولا سيما العبادات والقربات ومنها تعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم وآل بيته وأصحابه والمهتدين بهديهم من غير غلو ولا ابتداع.

الشيخ محمد بن عبدالوهاب :

لم يخل قرن من القرون التي كثرت فيها البدع من علماء ربانيين يجددون لهذه الأمة أمر دينها، بالدعوة والتعليم وحسن القدوة، وعدول ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، كما ورد في الأحاديث، ولقد كان الشيخ محمد بن عبدالوهاب النجدي من هؤلاء العدول المجددين، قام يدعو إلى تجريد التوحيد وإخلاص العبادة لله وحده، بما شرعه في كتابه وعلى لسان رسوله خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم ، وترك البدع والمعاصي وإقامة شعائر الإسلام المتروكة، وتعظيم حرماته المنتهكة المنهوكة، فنهدت لمناهضته واضطهاده القوى الثلاث: قوة الدولة والحكام، وقوة أنصارها من علماء النفاق، وقوة العوام الطغام، وكان أقوى سلاحهم في الرد عليه أنه خالف جمهور المسلمين.

من هؤلاء المسلمين الذين خالفهم الشيخ محمد بن عبدالوهاب في دعوته؟ هم أعراب البوادي شر من أهل الجاهلية، يعيشون بالسلب والنهب، ويستحلون قتل المسلم وغيره لأجل الكسب، ويتحاكمون إلى طواغيتهم في كل أمر، ويجحون كثيراص من أمور الإسلام المجمع عليها التي لا يسع مسلماً جهلها،ولا يقيمون ما حفظوا اسمه منها، ولكنهم قد يسمون أنفسهم مسلمين، وأهل حضر، فشت فيهم البدع الوثنية والمعاصي وأضاعوا هدي الشرع في العمل والحكم، فضاع جل ملكهم، وذهب سابق عزهم، وعرف هذا عالمهم وجاهلهم، وصرنا نسمع خطباءهم على منابر الجمعة يقولون: "لم يبق من الإسلام إلا اسمه، ولا من القرآن إلا رسمه، على ما في كثير من هذه الخطب من تأييد البدع والكذب على الله ورسوله، والتعاليم التي تزيد الأمة جهلاً وضعفاً وفقراً، وهم لها مقترفون، وعليها مصرون، حتى إذا ما ارتفع صوت مصلح بالأمر بالمعروف والهي عن المنكر الذي يشكون منه بالإجمال، مبيناً لهم أسبابه وسوء عاقبته بالتفصيل، هبوا لمعارضته، واستعدوا عليه الظالمين المستبدين للانتقام منه، إذا لم يجد هؤلاء الظالمون باعثاً سياسياً للإيقاع به.

ولا حج ابن جبير الأندلسي في القرن السادس ورأى ما رأى من المنركات في مصر والحجاز حكم بأن الإسلام قد ذهب من المشرق ولم يحفظ إلا في المغرب.

رسالة الشيخ أحمد زيني دحلان في الرد على الوهابية:

تصدى للطعن في الشيخ محمد بن عبدالوهاب والرد عليه أفرادٌ من أهل الأمصار المختلفة، منهم رجل من أحد بيوت العلم في بغداد، قد عهدناه يفتخر بأنه من دعاة التعطيل والإلحاد[1]. وكان أشهر هؤلاء الطاعنين مفتي مكة المكرمة الشيخ أحمد زيني دحلان المتوفى سنة 1304 ألَّف رسالة في

---

[1] () **هو جميل الزهاوي.**

ذلك تدور جميع مسائلها على قطبين اثنين: قطب الكذب والافتراء على الشيخ، وقطب الجهل بتخطيئه فيما هو مصيب فيه.

أنشئت أول مطبعة في مكة المكرمة في زمن هذا الرجل فطبع رسالته وغيرها من مصنفاته فيها، وكانت توزع بمساعدة أمراء مكة ورجال الدولة على حجاج الآفاق نعم نشرها، وتناقل الناس مفترياته وبهاءته في كل قطر، وصدقها العوام وكثير من الخواص، كما اتخذ المبتدعة الحشوية والخرافيون رواياته نقوله الموضوعة والواهية والمنكرة، وتحريفاته للروايات الصحيحة، حججاً يعتمدون عليها في الرد على دعاة السنة المصلحين، وقد فنيت نسخ رسالته تلك ولم يبق منها شيء بين الأيدي، ولكن الألسن والأقلام لا تزال تتناقل كل ما فيها من غير عزو إليها، ودأب البشر العناية بنقل ما يوافق أهواءهم، فكيف إذا وافقت هوى ملوكهم وحكامهم.

كنا نسمع في صغرنا أخبار الوهابية المستمدة من رسالة دحلان هذا ورسائل أمثاله فنصدقها بالتبع لمشايخنا وآبائنا، ونصدق أن الدولة العثمانية هي حامية الدين ولأجله حاربتهم وخضدت شوكتهم، وأنا لم أعلم حقيقة هذه الطائفة إلا بعد الهجرة إلى مصر والإطلاع على تاريخ الجبرتي وتاريخ الاستقصا في أخبار المغرب الأقصى، فعلمت منهما أنهم هم الذين كانوا على هداية الإسلام دون مقاتليهم، وأكده الاجتماع بالمطلعين على التاريخ من أهلها ولا سيما تواريخ الإفرنج الذين بحثوا عن حقيقة الأمر فعلموها وصرحوا أن هؤلاء الناس أرادوا تجديد الإسلام وإعادته إلى ما كان عليه في الصدر الأول، وإذاً لتجدد مجده، وعادت إليه قوته وحضارته، وأن الدولة العثمانية ما حاربتهم إلا خوفاً من تجديد ملك العرب، وإعادة الخلافة الإسلامية سيرتها الاولى.

على أن العلامة الشيخ عبدالباسط الفاخوري مفتي بيروت كان ألف كتاباً في تاريخ الإسلام ذكر فيه الدعوة التي دعا إليها الشيخ محمد بن

عبدالوهاب وقال إنها عين ما دعا إليه النبيون والمرسلون، ولكنه قال إن الوهابيين في عهده متشددون في الدين، وقد عجبنا له كيف تجرأ على مدحهم في عهد السلطان عبدالحميد، ورأيت شيخنا الشيخ محمد عبده في مصر على رأيه في هداية سلفهم، وتشدد خلفهم، وأنه لولا ذلك لكان إصلاحهم عظيماً ورجى أن يكون عاماً، وقد ربى الملك عبدالعزيز الفيصل أيده الله غلاتهم المتشددين منذ سنتين بالسيف تربية يرجى أن تكون تمهيداً لإصلاح عظيم[2].

ثم أطلعت على أكثر كتب الشيخ محمد بن عبدالوهاب ورسائله وفتاويه وكتب أولاده وأحفاده ورسائلهم ورسائل غيرهم من علماء نجد في عهد هذه النهضة التجديدية فرأيت أنه لم يصل إليهم اعتراض ولا طعن فيهم إلا وأجابوا عنه، فما كان كذباً عليهم قالوا: "سبحانك هذا بهتان عظيم" وما كان صحيحاً أو له أصل بينوا حقيقته وردوا عليه وقد طبعت أكثر كتبهم، وعرف الألوف من الناس أصل تلك المفتريات عنهم.

ومن المستبعد جداً أن يكون الشيخ أحمد دحلان لم يطلع على شيء من تلك الكتب والرسائل وهو في مركزه بمكة المكرمة على مقربة منهم، فإن كان قد اطلع عليها ثم أصر على ما عزاه إليهم من الكذب والبهتان – ولا سيما ما نفوه صريحاً وتبرؤا منه – فأي قيمة لنقله ولدينه وأمانته ؟ وهل هو إلا ممن باعوا دينهم بدنياهم ؟

ولقد نقل عنه بعض علماء الهند ما يؤيد مثل هذا فيه، فقد قال صاحب كتاب (البراهين القاطعة على ظلام الأنوار الساطعة) المطبوع بالهند: إن شيخ علماء مكة في زماننا (قريب من سنة 1303هـ) قد حكم – أي أفتى – بإيمان أبي طالب وخالف الأحاديث الصحيحة لأنه أخذ الرشوة الربابي القليلة من الرافضي البغدادي اهـ. وشيخ مكة في ذلك العهد هو الشيخ أحمد دحلان

---

[2] () **يشير إلى فتنة فيصل الديش الذي سجن بالرياض ومات سنة 1351.**

الذي توفي سنة 1304هـ، وصاحب الكتاب المذكور هو العلامة الشيخ رشيد أحمد الكتكوتي مؤلف (كتاب بذل المجهود شرح سنن أبي داود) والخبر مذكور فيه، وهو قد نسب إلى أحد تلاميذ مؤلفه الشيخ خليل أحمد والصحيح أنه هو الذي أملاه عليه، وهو كبير علماء ديوبند في عصره رحمه الله.

وإذا فرضنا أن الشيخ أحمد دحلان لم ير شيئاً من تلك الكتب والرسائل، ولم يسمع بخبر عن تلك المناظرات والدلائل، وأن كل ما كتبه في رسالته قد سمعه من الناس وصدقه، أفلم يكن من الواجب عليه أن يتثبت فيه، ويبحث ويسأل عن كتب الشيخ محمد بن عبدالوهاب ورسائله ويجعل رده عليها، ويقول في الأخبار اللسانية قال لنا فلان أو قيل عنه كذا، فإن صح فحكمه كذا ؟

إن علماء السنة في الهند واليمن قد بلغهم كل ما قيل في هذا الرجل فبحثوا وتثبتوا وتبينوا كما أمر الله تعالى، فظهر لهم أن الطاعنين فيه مفترون لا أمانة لهم، وأثنى عليه فحولهم في عصره وبعد عصره، وعدُّوه من أئمة المصلحين المجدّدين للإسلام، ومن فقهاء الحديث كما نراه في كتبهم، ولا تتسع هذه المقدمة لنقل شيء من ذلك، وإنما هي تمهيد للتعريف بهذا الكتاب في الرد عليه.

كتاب (صيانة الإنسان ومؤلفه)

كان الشيخ محمد بشير السهسواني رحمه الله تعالى من فحول علماء الهند وكبار رجال الحديث فيهم، ومن النظار الجامعين بين العلوم الشرعية والعقلية مع العمل بالعلم والتقوى والصلاح، وهو قد اجتمع بالشيخ أحمد دحلان في مكة المكرمة، وناظره في التوحيد الذي هو أساس دعوة الوهابية وأقام عليه الحجة، ولما عاد إلى الهند ألف كتابه هذا، ولكنه طبع في عهده منسوباً إلى العلامة الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن بن عبدالرحيم السندي كما حصل في كتاب (بذل المجهود)، والعلماء كثيراً ما يفعلون هذا في عصورهم، وهذا كتاب (نيل الأماني في الرد على النبهاني) هو من تأليف علامة العراق السيد محمود شكري الألوسي رحمه الله تعالى وعزى إلى الشيخ أبي المعالي الشافعي السلامي.

جرى الشيخ في رده على منهاج المحدّثين في التثبيت في النقل بتحرير الروايات وعزو الأحاديث والأخبار إلى مخرجيها، وبيان علل اسانيدها، وتحكيم قواعد الجرح والتعديل في رجالها، بنقل ما قاله كبار المصنفين في نقد الرجال في أشهر كتبهم، فاضطر إلى التكرار الممل فيها، ولعل سببه اتقاء تهمة كتمان بعض ما قيل في جرح المجروح منهم، كما يفعله أولو العصبيان المذهبية في محاولة تضعيف ما يخالف مذاهبهم وتقوية ما يؤيدها، وقد فضح بهذا جهل دحلان بعلم الحديث وأثبت أنه غير ثقة ولا صادق في النقل.

وجرى في تفنيد مطاعنه على طريقة الاستقلال الاجتهادي في الاستدلال وتحرير ما هو من دين الإسلام وما ليس منه، والاعتماد فيما هو سنة وما هو بدعة على نصوص الكتاب المعصوم، والسنن الصحيحة المأثورة، وما كان عليه أهل الصدر الأول من الصحابة والتابعين، وأئمة الأمصار المجتهدين، في مقابلة احتجاج دحلان بالآثار الموضوعة والمنكرة،

وبأقوال لبعض علماء التقليد المعروفين الذين أجمع أئمتهم على أن أقوالهم لا يعتدُّ بها، وبنقول لا يعرف لها قائل، وبتحريف بعض النصوص الثابتة عن مواضعها، وجعلها مثبتة للبدع المحدثة الموروده بالنصوص القطعية، وسيرة السلف العملية، كحديث استسقاء عمر بالعباس رضي الله عنهما، وهو صحيح، ولكنه حجة على القبوريين لا لهم، وحديث توسل الأعمى بالنبي صلى الله عليه وسلم، وهو على كونه غير صحيح يدل على توسله بدعائه صلى الله عليه وسلم في حياته لا بشخصه، وهو حجة على توسل القبوريين المخالف لأصول الدين ونصوص القرآن والسنن الصحيحة.

علم مما أجملناه أن قواعد الجهل التي بنى عليها الشيخ أحمد دحلان رده على الوهابية، وإباحة دعاء غير الله تعالى من الأنبياء والصالحين الميتين، والاستغاثة بهم وشد الرحال إلى قبورهم لدعائهم عندها وطلب قضاء الحوائج منهم – ثلاث قواعد:

(1) الروايات الباطلة وما في معناها من الحكايات والمنامات والأشعار، وهي لا قيمة لها عند أحد من علماء الملة، وإنما تروج بضاعتها في سوق العوام.

(2) الاستدلال بالنصوص على ما لا تدل عليه شرعاً كاستدلاله بالسلام على أهل القبور، وبخطاب النبي صلى الله عليه وسلم لقتلى المشركين ببدر وأمثال ذلك على حياة الموتى وجواز دعائهم ومطالبتهم بقضاء الحوائج ودفع المصائب، ووجه الجهل في هذا أنه يقيس حياة البرزخ على حياة الدنيا، وعالم الغيب على عالم الشهادة، وهو قياس باطل عند علماء أصول الشرع وعند جميع العقلاء، ويترتب عليه عقائد وأحكام تعبدية لا تثبت إلا بنص الشارع، مع كون الذي يثبتها مقلداً ليس من أهل الاجتهاد باعترافه واعتراف متبعيه في جهله هذا.

(3) قلب الحقيقة وعكس القضية فيما ورد من الترغيب في اتباع جماعة المسلمين والترهيب من مفارقة الجماعة، فالجماعة بزعمه ومقتضى جهله هم الأكثرون في العدد في كل عصر، وهذه الدعوى مخالفة لنصوص القرآن والأحاديث الصحيحة وآثار السلف والواقع ونفس الأمر في كثير من البلاد والأزمنة، وقد فند المؤلف هذه الدعوى بما أوتي من سعة الإطلاع على كتب الحديث والآثار، فبين ما ورد من الآيات والروايات فيها، وما قاله أئمة العلماء في تفسيرها، وما في معناها من فشو البدع والضلالات بعد خير القرون، وكون كل زمان يأتي شراً مما بعده، ومن بقاء طائفة على الحق في كل زمان هم الأقلون، حتى تقوم الساعة، فعلم من هذا التفصيل المؤيد بالنقل ما هو الحق في هذه المسألة المهمة التي بينا في التمهيد سبب ضلال المتأخرين فيها.

ومن فضائل هذا الكتاب ومؤلفه علو أدبه في عبارته، وتحاميه المبالغة في ذم المذموم، ومدح الممدوح، فهو لا يطري الإمام المجدد الذي يدافع عنه، ولا يهجو المتجرم الذي يرد عليه هجواً شعرياً يدخل في مفهوم السباب المذموم وإن كان جزاء وفاقاً، ومقابلة للسيئة بمثلها، فتراه يقول في كل فرية من مفترياته على الشيخ نفسه أو نقوله غير المسندة: هذا قول لم تصح به رواية، فليأتنا بروايته وما قيل في تعديل رواتها لنجيب عنها.

وجملة ما يقال في هذا الكتاب أنه ليس رداً على الشيخ دحلان وحده، ولا على من احتج بما نقله عنهم من الفقهاء مما لا حجة فيه كالشيخ تقي الدين السبكي والشيخ أحمد بن حجر الهيثمي المكي، بل هو رد على جميع القبوريين والمبتدعين حتى الذين جاءوا بعده إلى زماننا هذا.

ومما ينتقد على كتاب (صيانة الإنسان) هذا من ناحية صناعة التصنيف أنه لم يجعله أبواباً مقسمة، ولا فصولاً مفصلة، ذات عناوين تسهّل المراجعة، وقد تلافينا هذا في طبعتنا هذه فجعلنا لكل صفحة عنواناً في أعلاها لأهم ما فيها، وأحصينا في الفهرس جميع المسائل المهمة فيها، فبهذا سهل سبيل المراجعة لها كلها.

وقد طبع من نسخة الطبعة الهندية الأولى، وهي طبعة حجرية كثيرة الغلط والتحريف، فمنه ما هو معروف بالبداهة، ومنه ما هو منقول عن كتب موجودة راجعناها عند التصحيح، ومنه ما وضعنا له حواشي بينا رأيه فيه، وما عدا هذا قليل يمكن فهم المراد منه بالقرينة غالباً، ونسأل الله تعالى أن يثبتنا على ما أنفقناه من وقت طويل في العناية بهذا الكتاب المفيد، والحمد لله على ما من به من التوفيق .

وكتب في صفر سنة 1352

محمد رشيد رضا

منشئ مجلة المنار الإسلامية بمصر

ترجمة المؤلف

معربة من كتاب (الياقوت والمرجان، في ذكر علماء سهسوان)

للعلامة محمد عبدالباقي السهسواني

هو العلامة المحدّث النحرير مولانا الشيخ محمد بشير الفاروقي، ابن الحكيم محمد بدر الدين، بقية السلف الصالحين في الفضائل والكمالات، وأعظم مفخرة في العلم والحكمة، كان من المجددين للدين، وأد المحققين المتأخرين، بلغ درجة الاجتهاد المطلق في عصره، ولد في أواسط القرن الثالث عشر الهجري، وتوفي أبوه وهو ابن تسع سنين، وكان له أخوان أكبر منه وثالث أصغر.

قضى زمن طفولته في لكنو، وبدأ فيها تعلمه بالقراءة على الشيخ محمد واجد علي، وعلى بعض أفاضل فرنجي محل، قرأ فنون المعقولات والمنقولات المتداولة، ثم ذهب إلى دهلي لتكميل علوم التفسير والحديث والفقه والأصول، فقرأ على السيد أمير حسن بعض الكتب الدينية، وأخذ عن مولانا سيد حسين كتب الصحيح والسنن الستة وغيرها سماعاً وقراءة، واستجاز من الشيخ حسين بن محسن الأنصاري اليمني والشيخ أحمد بن إبراهيم بن عيسى النجدي نزيل مكة، والشيخ محمد السهارنبوري المهاجر بمكة.

وبعد فراغه من الطلب استغل أولاً بتدريس العلوم العقلية من المنطق والفلسفة، ثم حصل له انهماك كثير من الفقه والأصول والأدب، وكان يفتي في الفقه موافقاً لمذهب الحنفية، ثم صاحب السيد أمير حسن فغلب عليه ذوق التحقيق في الدينيات، وتقدم في تحقيق اتباع القرآن والحديث، ومن ذلك حين رجع في تحقيق جميع المسائل الجزئية والفرعية إلى الكتاب والسنة، وشرع في العمل بالحديث على طريقة المجتهدين، وصار يفتي بوجوب ترك الآراء والتقليد الشخصي، وكل مسألة وقع فيها اختلاف بين

الأئمة الأربعة كان يرجع فيها مسلك المحدثين بأقوال السلف وآثار الصحابة، وكان يستدل لكل مطلب بالحجج القوية، ويستنبط شواهده من الكتاب والسنة.

وكان رحمه الله وحيد عصره في سعة المعلومات والإطلاع على مذاهب السلف، يصرف أكثر أوقاته في التدريس والتصنيف والوعظ والإرشاد، ثم صار مدرساً للغة الفارسية والعربية في كلية سنت جونس بمدينة آكره، وزيادة على هذا كان يدرس للطلبة الذين يجيئون إلى داره فنون المعقول والمنقول، فقرأ عليه الحكيم مبارك علي والحكيم معصوم على كتاب (الأفق المبين) واشترك في هذا الدرس السيد أمير أحمد السهسواني.

وقد خرج حاجاً من آكره ولما رجع من الحج – أي بلا زيارة لقبر الرسول صلى الله عليه وسلم فاعترضوا عليه – صنف كتب (القول المحقق المحكم، في حكم زيارة قبر الحبيب الأكرم)، فرد عليه الشيخ عبدالحي اللكنوي بكتاب أسماه (الكلام المبرور) فرد عليه الشيخ بكتابه (القول المنصور)، فكتب جوابه الشيخ عبدالحي اللكنوي (المذهب المأثور)، فكتب الشيخ جوابه وجمع فيه جميع الاعتراضات على هذه المسألة من قديم وحديث وأجاب عنها كلها بجواب جامع سماه (إتمام الحجة، على من أوجب الزيارة كالحجة)، والمعارضون له وإن كانوا قد كتبوا في جوابه لم يلتفت أهل التحقيق إلى جوابهم، ومع ذلك فقد كتب الشيخ جواباً على ذلك لكنه لم يطبع، وكان ابتداء هذا البحث من السيد إمداد على الذي كان من أكابر تلاميذ الشيخ بشير الدين القنوجي، لكن الشيخ إمداد على لما أحس بضعفه عن مقابلة الشيخ بشير دعا الشيخ عبدالحي لهذا الميدان وفوض إليه الأمر، وأعطاه جميع ما كتب، وإمداد على هذا كان نائب مدير المقاطعة، وكان الشيخ بشير المترجم مع ذلك كلما ذهب إلى لكنو نزل ضيفاً على الشيخ

عبدالحي، فيستقبله بالاحترام والبشاشة، ويمسكه في ضيافته أياماً كثيرة أزيد مما يريد الشيخ، ويجلس في درس وعظه مستمعاً مع الأدب والتوقير للشيخ، وفي أيام مقامه بآكره حصل للشيخ أمير أحمد السهسواني مع الشيخ بشير اختلاف في بعض المسائل الفرعية، وكان الشيخ أمير أحمد يدفع فيها بلين والشيخ بشير يخالفه بالشدة، ثم انتهى الأمر إلى الاعتراف بالحق والمصالحة بينهما.

كان الشيخ بشير على جانب عظيم من الورع والتقوى والعبادة وقيام الليل، وكان يغلب عليه في وعظه رقة القلب والخشية حتى تدمع عيناه.

وفي 5 المحرم سنة 1295 استدعاه النواب صديق حسن خان بهادر من (آكره) إلى (بهوبال) وفوض إليه رياسة المدارس الدينية في إمارة بهوبال، فكان يتبرع لتدريس التفسير والحديث، وكان يجيب عن المسائل ويكتب الفتاوى بطريق الاجتهاد، وفي كل جمعة يجلس لدرس الوعظ في جامع القاضي ويصرح برأيه ولو خالف الحكومة بلا مبالاة، ويقيم حجته على المخالفين تقريراً وتحريراً مع التواضع وحسن الخلق.

وكان يخالط أحبابه بلا تكلف ولا احتشام، وكان ديدنه إكرام الضيوف وإمداد الغرباء بلا رياء ولا عجب ولا سمعة، وكان نصب عينيه اتباع آداب الكتاب والسنة، حتى كان يثقل على طبعه ترك المستحبات، وقد أقر له أهل الهند كافة بقوة الاجتهاد والفضيلة العملية واعترفوا له بها.

تناظر الشيخ أحمد دحلان مفتي مكة في زمانه[3]، و الشيخ بشير في مسألة التوحيد، فكتب الشيخ رداً عليه كتابه المسمى (صيانة الإنسان، عن وسوسة الشيخ دحلان)، واشتهر الكتاب وطبعه علماء نجد ولم يرد عليه أحد من المخالفين.

---

3 () **لعل المناظرة كانت لما حج واجتمع بدحلان بمكة فنظره شفوياً، ثم لما رجع رد عليه بكتابه (صيانة الإنسان).**

ولما حصل النزاع بين النوّاب صديق حسن خان والشيخ عبدالحي اللكنوي وكتبت كتب من الطرفين وقع في نفس الشيخ عبدالحي أن بعض رسائل الرد من تصنيف الشيخ، وصرح بذلك في كتابه (إبراز الغي)، فسعى الشيخ لدفع هذا الوهم عن فكر الشيخ عبدالحي وتصالحا بعد هذا.

ولما توفي النواب رحمه الله في جمادى الأولى سنة 1307هـ أراد الشيخ مفارقة بهوبال ولكن بيكم بهوبال[4] تعلقت به وعطفت عليه واستبقته، فكان يذهب في كل يوم اثنين من الأسبوع إلى تاج محل (قصر الأميرة بيكم) فيجلس للوعظ، ويجتمع عليه النساء المتصلات ببيكم لسماع وعظه وطلب الدعوات الصالحة منه، وكان يتكلم في وعظه هذا بالترغيب والترهيب والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بلا مداهنة ولا مبالاة، حتى توفيت بيكم رحمها الله في سنة 1319، ولما جلست بعدها على عرش ولايتها بنتها سلطان جيهان بيكم وأخذت في نشر العلوم العصرية والفنون الأوربية وتقليل شأن العلوم الدينية وا لقائمين بها ارتحل الشيخ عن بهوبال إلى دهلي بعد ما أقام فيها خمساً وعشرين سنة.

وكان الشيخ قد دعي لمنظرة مرزا غلام أحمد القادياني في دهلي فجاءها بأمر حكومة بهوبال، فأقبل عليه أهل العلم والدين والتجار وغيرهم ممن لهم تعلق بالشيخ نذير حسين كبير علمائها ورغبوا إليه أن يقيم بدهلي بسبب ضعف الشيخ نذير حسين وكبر سنه للقيام مقامه، ولكن لما كانت حكومة بهوبال لا تزال تعظم الشيخ وتسند إليه رياسة الأمور الدينية لم يستطع إجابتهم إلى رغبتهم حينئذ، فلما تغيرت الأحوال في بهوبال استأنفوا الطلب فأجابهم إلى ذلك، وتحول إليهم، ثم جلس في مقام شيخه يدرس ويفتي ويعظ.

---

4 () **هي زوجة النواب صديق حسن خان أمير بهوبال الشهيرة، و (بيكم) مؤنث بك، كما أن (خانم) وتنطق في مصر (هانم) مؤنث خان، وبك وخان – ومؤنثهما بيكم وخانم – من ألقاب التعظيم.**

وكان مرزا غلام أحمد ادعى أنه المهدي المنتظر، ثم ترقى عن دعوى المهدوية لنفسه إلى دعوى المسحية، وتحول عن اشتغاله بمناظرة المسيحيين وأرياسماج من الهندوس إلى مناظرة علماء المسلمين، وكان لا يناظر إلا بالقرآن معرضاً عن الأحاديث وأقوال الصحابة، واشتهر أمره حتى صرح بطلب المناظرة، حينئذ أمرت بيكم بهوبال الشيخ محمد بشير أن يتوجه إلى دهلي لمناظرة المرزا، ولما لم يرض مرزا بالمناظرة الشفوية تناظرا كتابة وهما في دهلي وكل منهما في محله.

كان مرزا يصرّح بموت المسيح مستدلاً بقوله تعالى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾. فعارضه الشيخ مثبتاً حياة المسيح بقوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾. ثم أخذ مرزا على عادته يجادل بالتأويلات، وينتقد القواعد النحوية والصرفية ليستدل على أن الآية لا تثبت حياة المسيح، فرد عليه الشيخ بأجوبة لم يستطع ردها، فانقطع عن المناظرة معتذراً بأن أحد أقاربه بقاديان مريض، وأنه سيسافر لعيادته. وجميع المكاتبات التي دارت في هذه المناظرة حتى انقطع المرزا مدونة في كتاب (الحق الصريح، في إثبات حياة المسيح) وهو مطبوع، وكانت تلك المناظرة في سنة 1312هـ.

وفي مدة إقامته في دهلي كتب رسالة سماها (القول المحمود، في رد السود)[5]. وكان أصل تلك المسألة من الشيخ نذير أحمد الدهلوي.

ومن مفردات الشيخ أنه كان يجيز الأضحية إلى آخر ذي الحجة، وخالفه أهل العلم في ذلك، فجمع كتاباً استدل فيه على رأيه بأقوال أهل العلم، فجاء كتاباً ضخماً ولكنه لم يطبع.

وصنف كتاباً مبسوطاً في مسألة القراءة خلف الإمام سماه (البرهان العجاب، في مسألة فرضية أم الكتاب) طبع بعد وفاته.

وله غير ذلك رسائل دينية منسوبة إلى بعض تلاميذه.

---

5 () **أي الربا، والسود لغة أوردية.**

وكانت عادة الشيخ مدة مقامه في دهلي أن يعقد مجالس للتدريس في جميع العلوم، ومن ذلك ساعتان بعد صلاة الصبح لتفسير القرآن بالحديث، وكان الناس يحضرون من أماكن بعيدة لاستماع هذا الدرس بشوق عظيم.

توفي رحمه الله في دهلي سنة 1326هـ، وكان عمره حينئذ أربعاً وسبعين سنة (إنا لله وإنا إليه راجعون) طيب الله ثراه، وجعل الجنة مثواه، وقد جمع الشيخ (نظر أحمد) تاريخ وفاته بحسب الجمل الحرفية فكانت (قد دخل الجنة بلا حساب) والشيخ إعجاز أحمد قد أخرج من لفظ (مغفور) تاريخ وافته، وأنشد في ذلك قصيدة عربية فصيحة بليغة لا بأس بإيراد شيء منها قال:

خطب أباد نفوسنا لكبيرُ وكذا الزمان على
أما الهدى فتضعضعت النفوس يجور
أركانه والدين أسقمه ضنىً
شمس الضحى أفلت وفتور
وغاب شروقها فإذا النهار كليلنا ديجور

وقال بعد هذا ولله دره:

تبكي عليه مساجد ومنابر ولأهل علم رنة وزفير
قد كان مجتهداً مصيباً يحمي الشرائع سعيه
ناسكا المشكور
متخاشعاً لله منقاداً له متلألئاً من وجهه التنوير
نقاد إسناد الحديث متنه كشاف أسرار الكتاب
لما سألت القلب عام بصير
وفاته فأجابني تاريخه (مغفور)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي تعالى عن الشريك والمثل والكفؤ والنديد، والحمد لله الذي لا ملجأ ولا منجى منه إلا إليه، وهو فعال لما يريد، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، كلمة خلقت لأجلها الجن والإنس من إماء وعبيد ، ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله المبعوث بالملة الحنيفية القيمة وخالص التوحيد، اللهم فصلِّ وسلم على سيدنا محمد قاطع ذرائع الكفر وحبائل التقليد، وعلى آله وصحبه الآخذين بسنته والمقتدين بأمره في المدن والقرى والبيد، وعلى العدول الحاملين لهذا العلم النافين عنه تحريف كل غالٍ عنيد، وانتحال كل مبطل مريد، وتأويل كل جاهل ضديد[6].

أما بعد فإن وقفت على الرسالة التي جمعها الشيخ أحمد بن زيني دحلان، أنقذه الله من دحلان الخذلان، وسماها (الدرر السنية، في الرد على الوهابية) ورأيت مؤلفها يدَّعي في ديباجة رسالته الباطلة الساقطة الدنية الردية، أنه جمع فيها ما تمسك به أهل السنة في زيارة النبي صلى الله عليه وسلم والتوسل به من الدلائل والحجج القوية، من الآيات والأحاديث النبوية، فتعجبت منه التعجب الصراح، كيف وليس في الباب حديث واحد حسن فضلاً عن الصحاح، فتأملت فيها تأمل الناقد البصير، لكي أعلم أنه هل صدق في تلك الدعوى أم كذب كذب المجادل الضرير، فوجدت دعواها عارية من لباس الصدق والحق المبين، محلاة بحلية الزور والكذب والباطل المهين، فإنه ليس فيها من الأحاديث إلا ما أورده التقي السبكي (في شفاء الأسقام)[7] وهي دائرة بين الاحتمالات الثلاثة السقام: غما موضوعة عملتها أيدي الوضاع اللئام، أو ضعاف واهية رواها من وسم بمثل كثرة الغلط والخطأ والأوهام، أو شيء يسير من الصحيح والحسن في زعمه قاصر عن إفادة المرام،كما بين

---

6 () **مبالغة من الضد.**

7 () **سماه في (الصارم) شفاء السقام، وذكر في هذا الكتاب بالاسمين، فتركناه على أصله في كل موضع فليعلم.**

ذلك كله الإمام أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عبدالهادي في (الصارم المنكى)، وليس فيها من الآيات والأحاديث الصحيح والحسان ما يدل على المطلوب المحكي، وكان حقاً على المؤلف تعاطي واحدد مما يذكر، لئلا يعد كلامه مما يهجر وينكر: إما إيراده لأحاديث صحيحة أو حسن دالة على المطلوب غير ما أورده في الشفاء[8]، أو الإجابة عما تكلم به عليها صاحب الصارم وغيره من الأئمة الأذكياء. وإذ لم يفعل هذا ولا ذاك فليس لها فائدة، ولا يؤول هذا الطول إلى منفعة وعائدة.

ومن عجائب صنيعه أن المؤلف مع زعمه أنه من جملة المقلدين، يستدل بالأدلة الشرعية وهو منصب المجتهدين، فعنَّ لي أن أنبه على ما وقع فيه من مساوئ المفاهيم وزخارف الأقوال، وأراجيف الاستدلال، لئلا يغتر بها من يقف عليها ممن لا خبرة له بحقائق علم السنة من المتون والرجال، فالله أستعين وأقول، وبه أحول وبه أصول.

قوله: "اعلم رحمك الله تعالى أن زيارة قبر نبينا صلى الله عليه وسلم مشروعة".

أقول لا نزاع لنا في نفس مشروعية زيارة قبر نبينا صلى الله عليه وسلم، وأما ما نسب إلى شيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله من القول بعدم مشروعية زيارة قبر نبينا صلى الله عليه وسلم فافتراء بحت[9]، قال الإمام العلامة أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عبدالهادي المقدسي الحنبلي في (الصارم المنكى): وليعلم قبل الشروع في الكلام مع هذا المعترض أن شيخ الإسلام رحمه الله لم يحرم زيارة القبور على الوجه المشروع في شيء من كتبه، ولم ينه عنها، ولم يكرهها، بل استحبها وحض عليها، ومصنفاته

---

8 () **يعني شفاء الأسقام الذي مر ذكره آنفاً.**

9 () **كما علم ذلك يقيناً كل من اطلع على كتابيه (الجواب الباهر) و (الرد على الأخنائي).**

ومناسكه طافحة بذكر استحباب زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم وسائر القبور، قال رحمه الله في بعض مناسكه:

باب زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم:

"إذا أشرف على مدينة النبي صلى الله عليه وسلم قبل الحج أو بعده فليقل ما تقدم، فإذا دخل استحب له أن يغتسل، نص عليه الإمام أحمد، فإذا دخل المسجد بدأ برجله اليمنى وقال: بسم الله، والصلاة على رسول الله، اللهم اغفر لي ذنوبي، وافتح لي أبواب رحمتك، ثم يأتي الروضة بين القبر والمنبر فيصلي بها ويدعو بما شاء، ثم يأتي قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيستقبل جدار القبر لا يسمه ولا يقبله، ويجعل القنديل الذي في القبلة عند القبر على رأسه ليكون قائماً وجاه النبي صلى الله عليه وسلم، ويقف متباعداً كما يقف لو ظهر في حياته بخشوع وسكون منكس الرأس وغاض الطرف، مستحضراً بقلبه جلالة موقفه، ثم يقول: السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته، السلام عليك يا نبي الله وخيرته من خلقه، السلام عليك يا سيد المرسلين، وخاتم النبيين، وقائد الغر المحجلين، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أنك رسول الله، أشهد أنك قد بلغت رسالات ربك، ونصحت لأمتك، ودعوت إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة، وعبدت الله حتى أتاك اليقين، فجزاك الله أفضل ما جزى نبياً ورسولاً عن أمته، اللهم آته الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته، ليغبطه به الأولون والآخرون. اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد: اللهم احشرنا في زمرته، وتوفنا على سنته، وأوردنا حوضه، واسقنا بكأسه شرباً[10] لا نظمأ بعده أبداً.

---

[10] () **الذي في كتاب الصارم المنكى المطبوع "مشرباً روياً".**

"ثم يأتي أبا بكر وعمر رضي الله عنهما فيقول: السلام عليك يا أبا بكر الصديق، السلام عليك يا عمر الفاروق، السلام عليكما يا صاحبي رسول الله صلى الله عليه وسلم وضجيعيه ورحمة الله وبركاته، جزاكما الله عن صحبة نبيكما وعن الإسلام خيراً (سلامٌ عليكم بما صبرتم فنعم عُقبى الدار). قال ويزور قبور أهل البقيع وقبور الشهداء إن أمكن".

هذا كلام الشيخ رحمه الله بحروفه، انتهى ما في الصارم.

وقال في موضع آخر: وقد قال الشيخ رحمه الله في منسك له صنفه في أواخر عمره[11]:

فصل

وإذا دخل المدينة – قبل الحج أو بعده – فإنه يأتي مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ويصلي فيه، والصلاة فيه خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام، ولا تشد الرحال إلا إليه وإلى المسجد الحرام والمسجد الأقصى، هكذا ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة وأبي سعيد وهو مرويٌ من طرق أخرى، ومسجده كان أصغر مما هو اليوم، وكذلك المسجد الحرام، لكن زاد فيهما الخلفاء الراشدون ومن بعدهم، وحكم الزيادة حكم المزيد في جميع الأحكام، ثم يسلم على النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبيه فإنه قد قال:" ما من أحد يسلم عليَّ إلا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام". رواه أبو داود وغيره.

وكان عبدالله بن عمر إذا دخل المسجد قال: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا أبا بكر، السلام عليك يا أبت، ثم ينصرف. وهكذا كان الصحابة يسلمون عليه. وإذا قال في سلامه: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا نبي الله، السلام عليك يا خيرة الله من خلقه، السلام عليك

---

[11] () **في عبارته مخالفة قليلة لهذا المنسك المطبوع بمصر سنة 1324.**

يا أكرم الخلق على ربه يا إمام المتقين، فهذا كله من صفاته بأبي هو وأمي صلى الله عليه وسلم. وإذا صلى عليه مع السلام عليه فهذا مما أمر الله تعالى به، ويسلم مستقبل الحجرة مستدبر القبلة، فمن أصحابه من قال يستدبر الحجرة، ومنهم من قال يجعلها عن يساره، واتفقوا على أنه لا يستلم الحجرة ولا يقبلها ولا يطوف بها ولا يصلي إليها ولا يدعو هناك مستقبلاً الحجرة، فإن هذا كله منهي عنه باتفاق الأئمة، ومالك من أعظم الأئمة كراهية لذلك.

وقوله: "أما الكتاب فقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ ﴾. الخ.

أقول: في هذا الاستدلال فساد من وجوه:

(الأول): إن قوله دلت الآية على حث الأمة على المجيء إليه صلى الله عليه وسلم، ماذا أراد به ؟ إن أراد حث جميع الأمة فغير مسلم، فإن الآية وردت في قوم معينين كما سيأتي، وليس هناك لفظ عام حتى يقال العبرة لعموم اللفظ لا لخصوص المورد، بل الألفاظ الدالة على الأمة الواقعة في هذه الآية كلها ضمائر، وقد ثبت في مقره أن الضمائر لا عموم لها، ولذا لم يتشبث أحد من المستدلين بهذه الآية على القربة من التقي السبكي والقسطلاني وابن حجر المكي بعموم اللفظ، حتى إن صاحب الرسالة[12] أيضاً لم يذكره. وأما ما قال صاحب الرسالة تبعاً للتقي السبكي والقسطلاني وابن حجر المكي من أن الآية تعم بعموم العلة ففيه أنه على هذا التقدير لا يكون الدليل كتاب الله بل القياس، وقد فرض أن الدليل كتاب الله، على أن المعتبر عند من يقول بحجة القياس قياس المجتهد الذي سلم اجتهاده الجامع للشروط المعتبرة فيه المذكورة في علم الأصول، وتحقق كلا الأمرين فيما نحن فيه ممنوع، كيف وصاحب الرسالة من المقلدين، والمقلد

---

[12] () **أي رسالة دحلان المردود عليها.**

لا يكون من أهل الاجتهاد، مع أن الاجتهاد عند المقلدين قد انقطع بعد الأئمة الأربعة، بل المقلد لا يصلح لأن يستدل بواحد من الأدلة الشرعية، وما له وللدليل ؟ فإن منصبه قبول قول الغير بلا دليل، فذكرُ صاحب الرسالة الأدلة الشرعية هناك خلاف منصبه، وإن أراد حث بعض الامة فلا يتم التقريب.

و(الثاني): أن صاحب الرسالة جعل المجيء إليه صلى الله عليه وسلم الوارد في الآية عاماً شاملاً للمجيء إليه صلى الله عليه وسلم في حياته وللمجيء إلى قبره صلى الله عليه وسلم بعد مماته، ولم يدر أن اللفظ العام لا يتناول إلا ما كان من أفراده، والمجيء إلى قبر الرجل ليس من أفراد المجيء إلى عين الرجل، ولا يفهم منه أصلاً أمر زائد على هذا، فإن ادعى مدع فهم ذلك الأمر الزائد من هذا اللفظ فنقول له: هل يفهم منه كل أمر زائد، أو كل أمر زائد يصح إضافته إلى الرجل، أو الأمر الخاص أي القبر ؟ والشق الأول مما لا يقول به أحد من العقلاء.

فإن اختير الشق الثاني يقال: يلزم على قولك الفاسد أن يطلق المجيء إلى الرجل على المجيء إلى بيت الرجل وإلى أزواجه وإلى أولاده وإلى أصحابه وإلى عشيرته وإلى أقاربه وإلى قومه وإلى أتباعه وإلى أمته وإلى مولده وإلى مجالسه، وإلى آباره وإلى بساتينه، وإلى مسجده وإلى بلده وإلى سككه وإلى دياره، وإلى مهجره، وهذا لا يلتزمه إلا جاهل غبي، وإن التزمه أحد فيلزمه أن يلتزم أن الآية دالة على قربة المجيء إلى الأشياء المذكورة كلها، وهذا من أبطل الأباطيل.

وإن اختير الشق الثالث فيقال: ما الدليل على هذا الفهم ؟ ولن تجد عليه دليلاً من اللغة والعرف والشرع، أما ترى أن أحداً من الموافقين والمخالفين لا يقول في قبر غير قبر النبي صلى الله عليه وسلم إذا جاءه أحد أنه جاء ذلك الرجل، ولا يفهم أحد من العقلاء من هذا القول أنه جاء قبر ذلك الرجل.

فتحصل من هذا أن المجيء إلى الرجل أمر، والمجيء إلى قبر الرجل أمر آخر، كما أن المجيء إلى الرجل أمر، والمجيء إلى الأمور المذكورة أمور أخر، ليس أحدها فرداً للآخر.

إذا تقرر هذا فالقول بشمول المجيء إلى الرسول: المجيء إلى الرسول والمجيء إلى قبر الرسول، كالقول بشمول الإنسان الإنسان والفرس، وهذا هو تقسيم الشيء إلى نفسه وإلى غيره، وهو باطل بإجماع العقلاء، وهكذا جعل الاستغفار عنده عاماً شاملاًللاستغفار عند القبر بعد مماته، مع أن الاستغفار عند قبره ليس من أفراد الاستغفار عنده.

فإن قلت لا نقول إن المجيء إليه صلى الله عليه وسلم شامل للمجيء إليه في حياته وللمجيء إلى قبره بعد مماته حتى يرد ما أوردتم، بل نقول إن المجيء إليه شامل للمجيء إليه في حياته الدنيوية المعهودة والمجيء إليه في حياته البرزخية، ولما كان المجيء إليه في حياته البرزخية مستلزماً للمجيء إلى قبره ثبت من الآية المجيء إلى قبره صلى الله عليه وسلم الذي هو المسمى بزيارة القبر.

قلنا لا سبيل إلى إثبات الحياة البرزخية من لغة ولا عرف، فلا يفهم من هذا اللفظ – بحروف اللغة والعرف – إلا المجيء إليه في حياته الدنيوية المعهودة، فلا يكون المجيء إليه في حياته البرزخية فرداً للمجيء إليه بحسب اللغة والعرف، إنما تثبت الحياة البرزخية ببيان الشرع، لكن يبقى الكلام في أن كون المجيء إليه في حياته البرزخية فرداً من المجيء إليه هل يثبت من الشرع أم لا ؟ وعلى مدعي الثبوت البيان، وفي أن المجيء إلى قبره هو عين المجيء إليه في حياته البرزخية أو مستلزم له أم لا ؟ وعلى المدعي الدليل، لم لا يحوز أن لا يكون المجيء إلى قبره عين المجيء إليه في حياته البرزخية ولا مستلزماً له بل يتوقف المجيء إليه في حياته البرزخية على أن يموت الجائي وينتقل إلى عالم البرزخ، فلابد من نفي هذا

الاحتمال بدليل من الشرع، ويؤدي هذا أنا إذا قلنا جئنا زيداً، إنما نريد به أنا جئنا إلى مكان يُرى منه زيد ويسمع كلامه بحسب العادة، والمجيء إلى القبر ليس مجيئاً إلى مكان يُرى منه المقبور ويسمع كلامه، ويسمع المقبور كلام الجائي، أما تعلم أن الحي لو دفن في القبر كما يدفن الميت لن يرى أصلاً ولن يسمع كلامه، ولا هو يسمع كلام الجائي، وأما سماع الموتى خفق نعالنا وغير ذلك مما ثبت في الأحاديث فليس بحسب العادة، إنما هو بإسماع الله تعالى، يخلق قوة فيه هي خارجة عن العادة، أو بطريق آخر لا علم لنا بتعيينه، إنما نجزم أنه بطرق غير عادي.

يرشدك إلى هذا أن الزوار لا يرون المقبور ولا يسمعون كلامه، والمقبور يرى الزائر ويسمع كلامه، وهذا أدل دليل وأوضح برهان على أن رؤية المقبور وسماعه ليس بطريق عادي بل بطريق غير عادي، وإلا لسمع الزائر أيضاً كلام المقبور ورآه، على أن المجيء إليه قد انقطع بعد موته كما انقطع سائر الأحكام التي سيأتي ذكرها في الوجه الثالث، والفرق بين المجيء إليه وسائر الأحكام لا يقبل بغير بيان فارق شرعي، وأنى لك ذلك ! وأما ما قال السبكي في تعليله وتبعه القسطلاني تعظيماً له فيرد عليه أنه على هذا يلزم أن لا تنقطع جميع الأحكام المذكورة أيضاً تعظيماً له، على أنه ما الدليل على أن التعظيم يوجب عدم انقطاع هذا الحكم بالموت من كتاب وسنة ؟!

و(الثالث): أن قوله "وهذا لا ينقطع بموته" قول لا دليل عليه، فإن انقطاع هذا الحكم لا استبعاد فيه، كما أن سائر الأحكام – من الإمامة الصغرى والكبرى، والجهاد، والصلاة، والصيام، والحج، والزكاة، وصلة الأرحام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتحريض المؤمنين على القتال، والمشاورة،وتجهيز الجيوش، وحفظ الثغور – قد انقطعت بعد موته، فإن زعم زاعم أن النبي صلى الله عليه وسلم حي في قبره فما معنى

انقطاعه بعد الموت ؟ إن الحياة البرزخية هل هي مساوية للحياة الدنيوية في كل الأحكام عندكم أم لا ؟ والأول بديهي البطلان لإطباق الأمة على انقطاع الأحكام المذكورة من الإمامة الصغرى وغيرها، وعلى الثاني فلا استبعاد في انقطاع حكم المجيء إليه بعد موته صلى الله عليه وسلم.

(الرابع) قوله: "فأما استغفاره صلى الله عليه وسلم فهو حاصل لجميع المؤمنين بنص قوله تعالى: وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴿. فاسد.

بيانه أن المراد باستغفار الرسول الواقع في آية: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ ﴾. الاستغفار بعد وقوع الظلم استغفاراً مستأنفاً، فإن "استغفر" [في قوله] ﴿وَاسْتَغْفَرَ لَهُـمُ الرَّسُولُ ﴾. معطوف على ﴿فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ ﴾. وهو الظاهر، أو على ﴿جَاءُوكَ ﴾. كما زعم السبكي في شفاء السقام، وعلى كلا التقديرين يكون بعد وقوع الظلم، أما على المعطوف عليه، فيكون استغفر لهم الرسول متأخراً عن جاءوك، وجاءوك متأخراً عن الظلم، والمتأخر عن المتأخر عن الشيء متأخر عن ذلك الشيء، وأما على الثاني فلأن استغفر لهم الرسول على هذا التقدير معطوف على جاءوك والمعطوف في حكم المعطوف عليه، وجاءوك متأخر عن الظلم فاستغفار الرسول متأخر عن الظلم، فعلم بذلك أن الاستغفار العام المأمور به صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴿ لا يكفي فيما هنالك، وتدل عليه الآية الأخرى والسنة:

أما الآية فقوله تعالى في سورة الممتحنة: ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَن لَّايُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئاً وَلاَ يَسْرِقْنَ وَلاَ يَزْنِينَ وَلاَ يَقْتُلْنَ أَوْلادَهُنَّ وَلاَ يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلاَ يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾. فعلم أن الاستغفار العام المأمور به صلى الله عليه وسلم لا يكفي بل كان صلي الله عليه وسلم مأموراً باستغفار آخر وقت أخذ البيعة والتوبة من الشرك والمعاصي.

وقوله تعالى في سورة الفتح: ﴿سَيَقُولُ لَكَ المُخَلَّفُونَ مِنَ الأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا ﴾. وقوله تعالى في سورة المنافقين: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴾.

فإن هاتين الآيتين تدلان على أن المسلمين كانت عادتهم أن أحدهم متى صدر منه ما يقتضي التوبة جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فيقول: يا رسول الله فعلتُ كذا وكذا فاستغفر لي، وكان هذا فرقاً بينهم وبين المنافقين، وهذا الاستغفار كان غير ما أُمر به صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾.

وأما السنة فما روى عن كعب بن مالك حين تخلف عن غزوة تبوك في حديث طويل فيه: فلما قيل إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أظل قادماً زاح عني الباطل، وعرفت أني لن أخرج منه أبداً بشيء فيه كذب، فأجمعت صدقه، وأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم قادماً – وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فيركع فيه ركعتين، ثم جلس للناس – فلما فعل ذلك جاءه المخلفون فطفقوا يعتذرون إليه ويحلفون له، وكانوا بضعة وثمانين رجلاً، فقبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم ووكل سرائرهم إلى الله، وفي ذلك الحديث: وسار رجال من بني سلمة فاتبعوني فقالوا لي: والله ما علمناك كنت أذنبت ذنباً قبل هذا، ولقد عجزت أن لا تكون اعتذرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي ذلك الحديث قال كعب: وكنا تخلفنا أيها الثلاثة عن أمر أولئك الذين قبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حلفوا له فبايعهم واستغفر لهم، وأرجأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنا حتى قضى الله فيه. رواه البخاري ومسلم وغيرهما واللفظ للبخاري، فعلم من هناك أنه كان من عادته صلى

الله عليه وسلم أنه إذا جاءه مذنب وتاب واستغفر يستغفر له النبي صلى الله عليه وسلم استغفاراً مستأنفاً، ولا يقنع بالاستغفار العام.

على أن الله تعالى أمر رسوله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾. بالاستغفار لأهل الإيمان، وآية أخرى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ ﴾. الآية. وردت في شأن المنافقين، فالاستغفار الذي فعله صلى الله عليه وسلم بامتثال قوله تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ لا يكون شاملاً للاستغفار لأهل النفاق، بل قد نهى الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم عنالاستغفار للمنافقين فقال تعالى: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاَ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴾. وقال تعالى: ﴿ وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَداً وَلاَ تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ ﴾. وقال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُوْلِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الجَحِيمِ ﴾. فلابد من أن يراد باستغفار الرسول – الذي ورد في شأن المنافقين – غير ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾. فإن المنافقين داخلون في آية: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ ﴾. دخولاً أولياً، وإن سلم دخول غيرهم فيها بعموم العلة وما ضاهاه دخولاً ثانوياً.

وههنا نظر وعنه جواب فتأمل. وهكذا فهم جمهور أهل التفسير من الاستغفار الاستغفار الخاص ولم يقل أحد منهم إن الاستغفار العام يكفي هاهنا، قال الشنوكاني رحمه الله في فتح القدير: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ ﴾. بترك طاعتك والتحاكم إلى غيرك ﴿جاءوك ﴾ متوسلين إليك متنصلين عن جناياتهم ومخالفاتهم ﴿ فاستغفروا الله ﴾. لذنوبهم وتضرعوا إليك حتى قمت شفيعاً فاستغفرت لهم.

وقال الإمام الرازي في مفاتيح الغيب: يعني أنهم عندما ظلموا أنفسهم بالتحاكم إلى الطاغوت والفرار من التحاكم إلى الرسول جاءوا الرسول

وأظهروا الندم على ما فعلوه وتابوا عنه واستغفروا منه واستغفر لهم الرسول بأن يسال الله أن يغفر لهم عند توبتهم: ﴿لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَّحِيماً ﴾. انتهى.

وقال أيضاً (المسألة الثانية) لقائل أن يقول: أليس لو استغفروا الله وتابوا على وجه صحيح لكانت توبتهم مقبولة ؟ فما الفائدة في ضم استغفار الرسول إلى استغفارهم ؟

(قلنا) الجواب عنه من وجوه: (الأول) أن ذلك التحاكم إلى الطاغوت كان مخالفة لحكم الله، وكان أيضاً إساءة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وإدخالاً للغم في قلبه، ومن كان ذنبه كذلك وجب عليه الاعتذار عن ذلك الذنب كغيره، فلهذا المعنى وجب عليهم أن يطلبوا من الرسول أن يستغفر لهم. (الثاني): أن القوم لما لم يرضوا بحكم الرسول ظهر منهم ذلك التمرد، فإذا تابوا وجب عليهم أن يفعوا ما يزيل عنهم ذلك التمرد، وما ذاك إلا بأن يذهبوا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ويطلبوا منه الاستغفار.اهـ.

وقال أبو السعود: جاءوك من غير تأخير، كما يفصح عنه تقديم الظرف متوسلين بك في التنصل عن جناياتهم القديمة والحادثة، ولم يزدادوا جناية على جناية بالقصد إلى سترها بالاعتذار الباطل، والأيمان الفاجرة، فاستغفروا الله بالتوبة والإخلاص، وبالغوا في التضرع إليك حتى انتصبت شفيعاً لهم إلى الله تعالى واستغفرت لهم. اهـ.

وقال في المدارك[13]: ولو وقع مجيئهم في وقت ظلمهم مع استغفارهم واستغفار الرسول لوجدوا الله تواباً. اهـ. وقال البيضاوي: فاستغفروا الله بالتوبة والإخلاص، واستغفر لهم الرسول واعتذروا إليك حتى انتصبت لهم شفيعاً. اهـ.

---

13 () **هو تفسير النسفي.**

وقد علم من تلك العبارات أن عامة أهل التفسير قد فهموا من الآية أن استغفار الرسول يكون بعد استغفارهم. وأما ما قال السبكي في شفاء الأسقام: وليس في الآية ما يعين أن يكون استغفار الرسول بعد استغفارهم بل هي محتلمة والمعنى يقتضي بالنسبة إلى استغفار الرسول أنه سواء تقدم أم تأخر فإن المقصود إدخالهم بمجيئهم واستغفارهم تحت من يشمله استغفار الرسول صلى الله عليه وسلم، وإنما يحتاج إلى المعنى المذكور، إذا جعلنا واستغفر لهم الرسول . معطوفً على فاستغفروا الله أما إن جعلناه معطوفاً على جاءوك لم يحتج إليه. هذا آخر ما في الشفاء[14]، ففيه نظر من وجوه:

(الأول) أن عامة المفسرين قد فهموا من الآية أن يكون استغفار الرسول بعد استغفارهم، فالقول بأن ليس في الآية ما يعين أن يكون استغفار الرسول بعد استغفارهم تخطئة للجمهور ومخالفة لهم.

(الثاني) أن تقديم استغفارهم على استغفار الرسول في الآية يستدعي أن يكون استغفارهم قبل استغفار الرسول صلى الله عليه وسلم، كما أن الشافعية استدلوا على وجوب الترتيب في الوضوء بالترتيب المذكور في الآية والسبكي أيضاً منهم، ويقويه ما ورد عن جابر بن عبدالله في صفة حج النبي صلى الله عليه وسلم: "ابدءوا بما بدأ الله به". أخرجه النسائي.

و (الثالث) أنه لو سلم أنه ليس في الآية ما يعين أن يكون استغفار الرسول بعد استغفارهم، فلا شك أن في الآية ما يعين أن يكون استغفار الرسول بعد وقوع الظلم منهم، وهذا القدر يكفي لإثبات مرامنا، فإنه يدل دلالة واضحة على أن الاستغفار العام غير كاف فيما هنالك.

و (الرابع) أن في قوله [15]أما إن جعلناه معطوفاً على جاءوك لم يحتج إليه اه فإن ذا العطف لا يضرنا أصلاً، فإنه يدل على أن استغفار

---

14 () **أي شفاء السقام للسبكي.**

15 () **أي السبكي في شفائه.**

الرسول بعد وقوع الظلم منهم إذا المعطوف في حكم المعطوف عليه، ولا شك أن جاءوك بعد وقوع الظلم منهم.

(الخامس) من وجوه: الأصل أن قوله[16] "فإذا وجد مجيئهم واستغفارهم فقد تكملت الأمور الثلاثة الموجبة لتوبة الله ورحمته". مردود بأنا لا نسلم أنه إذا وجد المجيء إلى القبر واستغفارهم عنده وجدت الأمور الثلاثة الموجبة لتوبة الله ورحمته، فإن الأمور الثلاثة الموجبة لتوبة الله ورحمته هي المذكورة في الآية، وإنما هي المجيء إليه صلى الله عليه وسلم في الحياة بعد الظلم، واستغفارهم عنده في الحياة بعد الظلم، واستغفار الرسول صلى الله عليه وسلم لهم في الحياة بعد الظلم، وفي زيارة القبر لا يوجد واحد منها.

(السابع) قوله: "وقد علم من كمال شفقته صلى الله عليه وسلم أنه لا يترك ذلك لمن جاءه مستغفراً ربه، ظن محض وتخمين صرف ليس عليه أثارة من كتاب ولا سنة فلا يسمع، على أن لنا أن نعارض فنقول: إنه لو كان استغفاره لمن جاءه مستغفراً بعد موته ممكناً أو مشروعاً لكان كمال شفقته ورحمته يقتضي ترغيبهم في ذلك وحضهم عليه، ومبادرة خير القرون إليه، لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يرغب في ذلك، ولم يبادر خيرُ القرون إليه، فتبين أن الاستغفار بعد موته صلى الله عليه وسلم ليس ممكناً أو مشروعاً، وهذا التقرير مستفاد من الصارم[17].

(الثامن) قوله: "والآية الكريمة وإن وردت في قوم معينين في حال الحياة تعم بعموم العلة كل من وجد فيه ذلك الوصف في حال الحياة وبعد الممات.

قلت: الأمر كما أقر به الخصم في هذا المقام من أن الآية وردت في قوم معينين من أهل النفاق، يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى

---

16 () **أي المردود عليه دحلان تبعاً للسبكي في شفائه.**

17 () **يعني الصارم المنكى في الرد على السبكي للحافظ ابن عبدالهادي رحمه الله.**

مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُوداً ﴾. وورد نظر ذلك في حقهم في سورة المنافقين: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴾. ولكن عمومها بعموم العلة قد تقدم ما فيه في الوجه الأول، وبعد تسليم ذلك العموم يقال: إن الآية تعم ما وردت فيه وما كان مثله، فهي عامة في كل منافق قيل له تعالى إلى ما أنزل الله وإلى الرسول فصد عن الرسول صدوداً، وتحاكم إلى الطاغوت، ثم جاء الرسول في حياته فاستغفر الله واستغفر له والرسول في حياته وأما المؤمن الذي عصى فجاء قبر الرسول صلى الله عليه وسلم فليس مثله.

(التاسع) قوله: "ولذلك فهم العلماء منها العموم للجائين واستحبوا لمن أتى قبره صلى الله عليه وسلم أن يقرأها مستغفراً الله تعالى، واستحبوها للزائر ورأوها من آدابه التي ليس[18] له فعلها، وذكرها المصنفون في المناسك من أهل المذاهب الأربعة.

قلت: هذا مما أورده السبكي في الشفاء ورد عليه العلامة ابن عبدالهادي رحمه الله ف الصارم، فلنذكر هنا عبارة الصارم بلفظها، قال في الصارم "وقوله: ولذلك فهم العلماء من الآية العموم في الحالتين" فيقال له: من فهم هذا من سلف الأمة وأئمة الإسلام ؟ فاذكر لنا عن رجل واحد من الصحابة أو التابعين أو تابعي التابعين أو الأئمة الأربعة أو غيرهم من الأئمة أو أهل الحديث والتفسير أنه فهم العموم بالمعنى الذي ذكرته أو عمل به أو أشد إليه، فدعواك على العلماء بطريق العموم هذا الفهم دعوى باطلة ظاهرة البطلان. اهـ.

ومن عجائب فهم صاحب الرسالة[19] أنه زعم أن ضمير "حكاها" في الشفاء راجع إلى الآية فقال: وذكر المصنفون. مع أن مرجعه حكاية العتبى،

---

18 () **كذا، وصوا به ينبغي بالإثبات لا بالنفي.**

19 () **أي الشيخ دحلان المردود عليه.**

ولفظ الشفاء هكذا: ولذلك فهم العلماء من الآية العموم في الحالتين، واستحبوا لمن أتى إلى قبره صلى الله عليه وسلم أن يتلوا هذه الآية ويستغفر الله تعالى. وحكاية العتبى في ذلك مشهورة، وقد حكاها المنصفون في المناسك من جميع المذاهب. اهـ.

لا يقال إن الغمام مالكاً من الأئمة الأربعة فهم العموم كما سيأتي في حكاية مناظرة الخليفة المنصور والإمام مالك، لأنا نقول: هذه الرواية ليست مما يعتمد عليه كما سيأتي، على أن من فهم العموم فمناطه حكاية الأعرابي وهي ليست بثابتة، كما ستطلع عليه عن قريب[20].

(العاشر) قوله: "ودلت الآية أيضاً على أنه لا فرق في الجائي بين أن يكن مجيئه بسفر أو غير سفر، لوقوع "جاءوك" في حيز الشرط الدال على العموم.

قلت: هذا ذكره ابن حجر المكي في الجوهر المنظم، وهو فاسد. بيانه أن عموم الفل الواقع في حيز الشرط ليس إلا عموم النكرة في موضع الشرط. قال الإمام المحلى في شرحه على جمع الجوامع: لتضمن الفعل المنفي لمصدر منكر. وقال السعد في حاشيته على العضدي: والمحققون من النحاة على أن المراد بتنكير الجملة أن المفرد الذي يسبك منها نكرة، وعموم الفعل المنفي ليس من جهة تنكيره بل من جهة ما يتضمنه من المصدر نكرة، فمعنى "لا يستوي زيد وعمرو" لا يثبت استواء بينهما. اهـ.

وعموم النكرة في موضع الشرط ليس إلا عموم النكرة في موضع النفي، قال السعد في التلويح: يريد أن الشرط في مثل "إن فعلت فعبده حر أو امرأته طالق، لليمين على تحقق نقيض الشرط إن كان الشرط فيها مثل "إن ضربت رجلاً فكذا" فهو يمين للمنع، بمنزلة قولك "والله لأضربن رجلاً"، وإن كان منفياً مثل "إن لم أضرب رجلاً فكذا" فهو يمين للحمل بمنزلة قولك

---

[20] () **وانظر (التوسل والوسيلة) لابن تيميه طبع السلفية ص 67-82 و 154 الخ.**

"والله لأضربن رجلاً"، ولا شك أن النكرة في الشرك المثبت خاص يفيد الإيجاب الجزئي فيجب أن يكون في جانب النقيض للعموم والسلب الكلي، والنكرة المنفية عام يفيد السلب الكلي فيجب أن يكون في جانب النقيض للخصوص والإيجاب الجزئي، فظهر أن عموم النكرة في موضع الشرط ليس إلا عموم النكرة في موضع النفي. اهـ.

فتحصل من هذا أن عموم الفعل في سياق الشرط لا يكون إلا في موضع يحصل فيه نكرة في سياق النفي، وهذا لا يحصل إلا في مثل شرط يكون لليمين التي للمنع، ولذا قال السعد في حاشيته على العضدي: قوله "أو في معناه" يعني النكرة الواقعة في الشرط المستعمل موضع اليمين التي للمنع، مثل "إن أكلت فأنت طالق" فإنه للمنع عن الأكل، إذ انتفاء الطلاق مطلوب وذلك بانتفاء الأكل، فهو في معنى لا آكل البتة، وهذا معنى قوله: "إذا ينتفي الطلاق بأن لا يأكل". اهـ.

وقال في التوضيح: والنكرة في موضع الشرط إذا كان مثبتاً عام في طرف النفي، وإنما قيد بقوله إذا كان الشرط مثبتاً، حتى لو كان الشرط منفياً لا يكون عاماً كقوله إن لم أضرب رجلاً فعبدي حر، فمعناه أضرب رجلاً، فشرط البر ضرب واحد من الرجال، فيكون للإيجاب الجزئي. اهـ.

وفي الآية الكريمة كون الشرط لليمين التي للمنع غير مسلم، وأيضاً قد علم أن في قوله "إن لم أضرب رجلاً فعبدي حر" الفعل واقع في سياق الشرط مع أنه ليس عاماً، فالقول بعموم الفعل الواقع ف سياق الشرط عموماً فاسد.

(الحادي عشر): أن جميع الأمة عصاة مذنبون، وخطّاء ظالمون، ورد في الحديث القدسي "يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار"ز رواه مسلم من حديث أبي ذر، وفيه "يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته". وعن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :كل بني آدم خطّاء وخير الخطائين

التوابون" رواه الترمذي وابن ماجه والدارمي، وعن ابن عباس في قوله تعالى: إلا اللمم . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"إن تغفر اللهم تغفر جما وأي عبد لك لا ألما " ؟

رواه الترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب، وفي حديث أبي ذر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كلكم مذنب إلا من عافيت". رواه أحمد والترمذي وابن ماجه، وفي حديث ابن مسعود قال: "لما نزلت: الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم . شق ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا: يا رسول الله، أينا لم يظلم نفسه ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ليس ذاك، إنما هو الشرك". رواه البخاري ومسلم.

فلو كانت الآية تعم كل ظالم سواء كان مؤمناً أو كافراً أو منافقاً، وسواء كانت بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم مدة سفر أو لم تكن، وسواء كان يدعي أو لا يدع، وسواء كان مجيئه إلى النبي صلى الله عليه وسلم في حياته أو إلى قبره بعد وافته كما زعم صاحب الرسالة[21] يلزم أن يكون مجيء كل أحد من أمته بعد كل ظلم ومعصية صغيرة كانت أو كبيرة إليه صلى الله عليه وسلم والاستغفار عنده قربة مطلوبة بالكتاب، وهذا مما لم يقل به أحد من المسلمين، ولا يطيقه أحد، وأيضاً يلزم أن يكون جميع مسلمي زمانه صلى الله عليه وسلم الذين لم يجيئوا إليه صلى الله عليه وسلم بعد كل ظلم تاركين لهذه القربة، وأيضاً يلزم أن لا يكون المجيء إلى القبر مرة كافياً، بل يكون المجيء بمرات غير محصورة على قدر ذنوبهم قربة مطلوبة، كيف وذنوبنا غير محصورة ولا واقفة عند حد، وأيضاً يلزم مزية زيارة القبر على الحج، فإن حج بيت الله فرض في العمر مرة وتكون زيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم قربة في كل سنة بل في كل شهر بل في

[21] () **أي المردود عليها وهو دحلان.**

كل أسبوع بل في كل ساعة بل في كل لمحة، فإنا لا نخلو في لمحة من اللمحات من الذنوب، بل يلزم سكنى المدينة فيلزم أن يكون جميع الأكابر الذين لم يقيموا في المدينة من السلف والخلف تاركين لهذه القربة، وأيضاً يلزم أن يكون الزاد والراحلة غير مشروط في الزيارة مع أنهما شرطان في الحج، وهذه المفاسد مما لا يلتزمها إلا جاهل غبي.

(الثاني عشر) أن في الآية تقبيحاً لضرب من المجيء، أي إتيانهم حالفين بالله حلفاً كاذباً كما جاء المنافقون، وتحسيناً لضرب آخر منه وهو أن يجيء مستغفراً فالمقصود الحث على تقدير المجيء على المجيء مستغفراً، فالثابت منها أنه على تقدير المجيء الإتيان مستغفراً قربة، لا أن نفس المجيء مع الاستغفار قربة، والمطلوب الثاني لا الأول فلا يتم التقريب.

(الثالث عشر) أنه لو صح الاستدلال المذكور بالآية المذكورة لصح بالأولى الاستدلال بالآية الواقعة في سورة الحجرات: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لاَيَعْقِلُونَ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾. على عدم كون زيارة القبر المعهودة في زماننا قربة الذي هو نقيض مطلوب صاحب الرسالة[22] فإن الآية دلت على ذم نداء النبي صلى الله عليه وسلم من وراء الحجرات، وهذا لا ينقطع بموته صلى الله عليه وسلم تعظيماً له كما قال الخصم في تقرير الآية بل هو أولى، فإن النداء من وراء الحجرات بعد الموت بيارسول الله وغيره من الألفاظ فرد من أفراد نداء النبي صلى الله عليه وسلم من وراء الحجرات بلا ريب ولا شبهة، بخلاف المجيء إلى قبره صلى الله عليه وسلم، فإن كونه فرداً من أفراد المجيء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فاسد كما تقدم، ودلت أيضاً على تعليق ثبوت الخيرية لهم بالصبر على النداء من وراء الحجرات، والآية

---

[22] () **أي دحلان.**

الكريمة وإن وردت في قوم معينين ف حال الحياة تعم بعموم العلة كل من وجد فيه ذلك الوصف في حال الحياة وبعد الممات كما قرر الخصم في الآية، بل عمومه أولى بالنسبة إلى الآية التي استدل بها الخصم فإن في هذه الآية الذين لفظ موصول وهو من الألفاظ العامة، بخلاف الآية المتقدمة فإن فيها ضميراً وهو ليس من العموم في شيء، ولذلك فهم العلماء منها العموم للمنادين.

قال القاضي عياض في الشفا: ناظر أبو جعفر أمير المؤمنين مالكاً في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له مالك: يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد فإن الله تعالى أدب قوماً فقال: لَاتَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ . ومدح قوماً فقال: إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ الآية، وذم قوماً فقال: إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الحُجُرَاتِ . وبأن حرمته ميتاً كحرمته حياً، فاستكان له أبو جعفر اهـ. وهذه الرواية وإن كان فيها مقال كثير ولكنها من مسلمات الخصم.

وأيضاً قال القاضي فيه: ولما كثر على مالك الناس قيل له: لو جعلت مستملياً يسمعهم، فقال: قال الله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَاتَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ . وحرمته حياً وميتاً سواء. اهـ.

وقال القطسلاني في المواهب: روى عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: إنه لا ينبغي رفع الصوت على نبي حياً ولا ميتاً، وروي عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تسمع صوت الوتد يوتد والمسمار يضرب في بعض الدور المطيفة بمسجد النبي صلى الله عليه وسلم، فترسل إليهم لا تؤذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، قالوا: وما عمل علي بن أبي طالب رضي الله عنه مصراعي داره إلا بالمناصع توقياً لذلك، نقله ابن زبالة. اهـ.

ودلت الآية أيضاً على أنه لا فرق في الصابر بين أن يكون صبره بحيث تكون بينه وبين قبر النبي صلى الله عليه وسلم مدة سفر أو لا لوقوع

"صبروا" في حيز الشرط الدال على العموم كما قرر الخصم، على أن زيارة قبره صلى الله عليه وسلم المعهودة في زماننا هل يرفع فيها الصوت ويجهر له بالقول أم لا ؟ والأول منهي عنه لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَاتَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَاتَشْعُرُونَ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾. وعن أبي هريرة قال: لما نزلت: ﴿إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله﴾. قال أبو بكر: والذي أنزل عليك الكتاب يا رسول الله لا أكلمك إلا كأخي السرار[23] حتى ألقى الله، أخرجه عبد بن حميد والحاكم وصححه، وفي صحيح البخاري: قال ابن الزبير فما كان عمر يُسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يستفهمه، ولم يذكر ذلك عن أبيه يعني أبا بكر. قال القسطلاني: وإن أكابر الصحب ما كانوا يخاطبونه إلا كأخي السرار. اهـ.

وبما جاء في صحيح البخاري عن السائب بن يزيد قال: كنت نائماً في المسجد فحصبني رجل، فنظرت فإذا هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال: اذهب فائتني بهذين، فجئته بهما فقال: ممن أنتما، ومن أنتما؟ قالا: من أهل الطائف، قال: لو كنتما من أهل المدينة لأوجعتكما، ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وعن مالك قال: بنى عمر رحبة في ناحية المسجد تسمى البطحاء وقال: من كان يريد أن يلغط أو ينشد شعراً أو يرفع صوته فليخرج إلى هذه الرحبة. رواه في الموطأ، كذا في المشكاة، وعن أبي هريرة في حديث مرفوع في أشراط الساعة فيه "وظهرت الأصوات في المساجد"، وفي رواية "وارتفعت الأصوات في المساجد". وعن مكحول في حديث في أشراط الساعة "وأن تعلو أصوات الفسقة في المساجد". رواه ابن أبي الدنيا

---

[23] () **هي المسارَّ، أي كصاحب السرار أو كمثل المساررة، لخفض صوته، والكاف صفة مصدر محذوف. اهـ مجمع البحار.**

مرسلاً، هكذا في الترغيب والترهيب للمنذري. ففي هذا الشق يلزم ثلاث محذورات: (الأول) رفع الصوت في المسجد، و(الثاني) رفع الصوت في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، و(الثالث) رفع الصوت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال القسطلاني في المواهب: ومنها أنه حرم على الأمة نداءه باسمه، قال تعالى: ﴿ ﴾. أي لا تجعلوا دعاءه وتسميته كدعاء بعضكم بعضاً باسمه ورفع الصوت به، والنداء وراء الحجرات، ولكن قولوا: يا رسول الله، يا نبي الله، مع التوقير والتواضع وخفض الصوت. اهـ. قال الزرقاني بحرمة رفعه عليه، والظرف أي "بينكم" متعلق بتجعلوا لا حال من الرسول، لأنه يوهم أنه لا يحرم نداؤه باسمه بعد وفاته مع أن الحرمة ثابتة مطلقاً. اهـ.

وقال القسطلاني في المواهب أيضاً: ومنها أنه يحرم الجهر له بالقول، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَاتَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَاتَشْعُرُونَ﴾. اهـ، قال الزرقاني: أي خشية ذلك بالرفع والجهر المذكورين، روى البخاري عن ابن أبي مليكة قال: كاد الخيران أن يهلكا: أبو بكر وعمر. لما قدم وفد بني تميم قال أبو بكر: أمر القعقاع بن معبد، وقال عمر: أمر الأقرع بن حابس. فقال أبو بكر لعمر: إنما أردت خلافي. فقال عمر: ما أردت خلافك. فارتفعت أصواتهما عند النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَاتَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ – قول قوله – عَظِيمٌ﴾. قال ابن أبي مليكة عن ابن الزبير: فكان عمر بعد إذا حدث النبي صلى الله عليه وسلم بحديث حدثه كأخي السرار لم يسمعه حتى يستفهمه. ولم يذكر ذلك عن أبيه، يعني أبا بكر اهـ.

وقال القسطلاني في المواهب: وقال ابن عباس لما نزل قوله تعالى: ﴿ لَاتَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ ﴾. كان أبو بكر لا يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا كأخي السرار. اهـ.

وقال في المواهب: وينبغي للزائر أن يستحضر من الخشوع ما أمكنه، وليكن مقتصداً في سلامه بين الجهر والإسرار اهـ. وأيضاً في المواهب: ثم يقول الزائر بحضور قلب وغض طرف وسكون جوارح وإطراق: السلام عليك يا رسول الله .. الخ.

وقال ابن حجر في الجوهر المنظم: إذا وقت أو جلس ثم سلم لا يرفع صوته، بل يقتصد فيقول: السلام عليكم أيها النبي ورحمة الله وبركاته .. الخ. وقال السيوطي في (موجز اللبيب في خصائص الحبيب): ويحرم التقدم بين يديه، ورفع الصوت فوق صوته،والجهر له بالقول، ونداؤه من وراء الحجرات، والصياح به من بعيد اهـ.

والشق الثاني أيضاً باطل، فإن السلام المشروع عند القبر سلام تحية لا سلام دعاء، وسلام التحية لابد فيه من أن يفعل بحيث يسمعه المسلم عليه حتى يرده على المسلم.

قال في المواهب وشرحه للزرقاني: ويكثر من الصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم بحضرته الشريفة حيث يسمعه ويرد عليه، بان يقف بمكان قريب منه ويرفع صوته إلى حد لو كان حياً مخاطباً لسمعه عادة اهـ. وقال الزرقاني: والظاهر أن المراد بالعندية قرب القبر بحيث يصدق عليه عرفاً أنه عنده، وبالبعد ما عداه وإن كان بالمسجد اهـ. ولما سدت حجرة عائشة رضي الله عنها التي هي مدفن رسول الله صلى الله عليه وسلم وبنيت على القبر حيطان مرتفعة مستديرة حوله ثم بنى عليه جدران من ركني القبر الشماليين تعذر الوصول إلى قرب القبر، فالزائرون اليوم إنما يسلمون من مسافة لو سلم على حي من تلك المسافة لما سمعه، فكيف

يسمعه النبي صلى الله عليه وسلم ويرد عليه ولو سلم حياته صلى الله عليه وسلم في القبر ؟ فإن قيل: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الممات يمكن أن يزداد قوة سمعه فيسمع من تلك المسافة ؟ فيقال: أي دليل على هذا من كتاب وسنة ؟ ومجرد الإمكان العقلي لا يغني من شيء، على أنه هل لذلك تحديد أم لا ؟ على الثاني يستوي المسلم من بعيد والمسلم عند القبر، وهذا باطل عند من يقول بقربة الزيارة فإنهم فضلوا السلام عند القبر على السلام من بعيد كالسبكي وابن حجر المكي، وعلى الأول فلابد من بيانه بدليل شرعي، وأنى له ذلك ؟

(الرابع عشر) أنه لو صح الاستدلال بالآية المذكورة لجاز أن يستدل على جواز بيعة الرسول صلى الله عليه وسلم بعد الموت، لقوله تعالى في سورة الممتحنة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ المُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَن لاَّ يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئاً وَلاَ يَسْرِقْنَ وَلاَ يَزْنِينَ وَلاَ يَقْتُلْنَ أَوْلادَهُنَّ وَلاَ يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلاَ يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾. وبقوله تعالى في سورة الفتح: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً﴾. وهذا لا ينقطع بموته صلى الله عليه وسلم تعظيماً له صلى الله عليه وسلم كما قال الخصم، ودلت الآية على أنه لا فرق في الجائية بين أن يكون مجيئها بسفر أو غير سفر، لوقوع "جاءوك" في حيز الشرط الدال على العموم كما قال الخصم، ولكون "الذين" من الأسماء الموصولة وهي من ألفاظ العموم، مع أن أحداً من الأمة لم يقل بجواز بيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الموت، ولم يفعلها أحد من السلف والخلف.

(الخامس عشر) أنه لو دلت الآية على كون زيارة القبر قربة، وعلى أنه شرع لكل مذهب أن يأتي إلى قبره ليستغفر له، لكان القبر أعظم أعياد

المذنبين وأجلها، وهذه مضادة صريحة لما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجعلوا قبري عيداً".

(السادس عشر) أن أعلم الأمة بالقرآن ومعانيه وهم سلف الأمة لم يفهم منهم أحد إلا المجيء إليه في حياته ليستغفر لهم، ولم يكن أحد منهم قط يأتي إلى قبره ويقثول يا رسول الله فعلت كذا وكذا فاستغفر لي، ومن نقل هذا عن أحد منهم فقد جاهر بالكذب والبهت، أفترى عطل الصحابة والتابعون – وهم خير القرون على الإطلاق – هذا الواجب الفرية التي ذم الله سبحانه من تخلف عنها وجعل التخلف عنه من أمارات النفاق، ووفق له من لا يؤبه له من الناس، ولا يعد في أهل العلم[24]. ويالله العجب ! أكان ظلم الأمة لأنفسها – ونبيها حي بين أظهرها – موجوداً وقد دعيت فيه إلى المجيء إليه ليستغفر لها وذم من تخلف عن المجيء، فلما توفي صلى الله عليه وسلم ارتفع ظلمها لأنفسها بحيث لا يحتاج أحد منهم إلى المجيء إليه ليستغفر له، وهذا يبين أن هذا التأويل الذي تأول عليه المعترض هذه الآية تأويل باطل قطعاً، ولو كان حقاً لسبقونا إليه علماً وعملاً وإرشاداً ونصيحة، ولا يجوز إحداث تأويل في آية أو سنة لم يكن على عهد السلف ولا عرفوه ولا بينوه للأمة[25]. وهذان الوجهان الأخيران مأخوذان من الصارم.

---

24 () زاد في الصارم المنكى هنا ما نصه: وكيف أغفل هذا الأمر أئمة الإسلام، وهداة الأنام، من أهل الحديث والفقه و التفسير ومن لهم لسان صدق في الأمة، فلم يدعوا إليه، ولم يحضوا عليه، ولم يرشدوا إليه، ولم يفعله أحد منهم البتة، بل المنقول الثابت عنهم ما قد عرف مما يسوء الغلاة فيما يكرهه وينهى عنه من الغلو والشرك، الجفاة عما يحبه ويأمر به من التوحيد والعبودية، ولما كان هذا المنقول شجي في حلوق البغاة، وقذى في عيونهم وريبة في قلوبهم، قابلوه بالتكذيب والطعن في الناقل، ومن استحيى منهم من أهل العلم بالآثار قابله بالتحريف والتبديل، ويأبى الله إلا أن يعلي منار الحق ويظهر أدلته ليهتدي المسترشد وتقوم الحجة على المعاند، فيعلي الله بالحق من يشاء، ويضع برده وبطره وغمص أهله من يشاء. اهـ.

25 () يعني أن أحكام العبادات العملية المنصوصة في القرآن لا يعقل أن يجهلها أو يترك العمل بها الصحابة والتابعون وسائر علماء السلف، ثم ينفرد بعملها وفهمها مثل السبكي وابنحجر المكي بعدهم ببضعة قرون، وليس معناه أنه ليس لأحد بعد الصدر الأول أن يفهم من علوم القرآن وحكمه ما لم ينقل عنهم، فإن هذا باطل لم يقل به أحد، فعلوم القرآن وحكمه كدرر البحار لا تنفد، ولا تفتأ تتجدد، وكتبه محمد رشيد رضا.

قوله: وقد قال تعالى: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ المَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾. ولا شك عند من له أدنى مسكة من ذوق العلم أن من خرج لزيارة رسول الله صلى الله عليه وسلم يصدق عليه أنه خرج مهاجراً إلى الله ورسوله، لما يأتي من الأحاديث الدالة على أن زيارته صلى الله عليه وسلم بعد وفاته كزيارته في حياته، وزيارته في حياته داخلة في الآية الكريمة قطعاً، فكذا بعد وفاته بنص الأحاديث الشريفة الآتية.

أقول: هذا كله مأخوذ من كلام ابن حجر المكي في الجوهر المنظم، وهو مردود من وجوه:

(الأول) أن الآية واردة في الهجرة من دار الشرك إلى دار الاسلام، يدل عليه سياق الآية وسباقها[26]، فإن أولها: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ المَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيراً إِلاَّ المُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لاَيَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلاَ يَهْتَدُونَ سَبِيلاً فَأُوْلَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُواً غَفُوراً وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَماً كَثِيراً وَسَعَةً﴾. ويدل عليه أيضاً شأن نزولها: أخرج أبو يعلى وابن أبي حاتم والطبراني – قال السيوطي[27] بسند رجاله ثقات – عن ابن عباس قال: خرج ضمرة بن جندب من بيته مهاجراً، فقال لقومه: احملوني فأخرجوني من أرض الشرك إلى أرض رسول الله صلى الله عليه وسلم، فمات في الطريق قبل أن يصل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فنزل الوحي: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللَّهِ﴾ الآية. كذا في فتح القدير للإمام الشوكاني رحمه الله،ويدل عليه أيضاً معنى الهجرة: قال في المصباح والهجرة – بالكسرة – مفارقة بلد إلى غيره، فإن كانت قربة لله فهي الهجرة الشرعية اهـ. وفي الصحاح: والمهاجرة من أرض إلى

---

26 () **أي الآيات السابقة عليها .**

27 () **أي في الدر المنثور.**

أرض ترك الأولى للثانية اهـ. وفي القاموس: والهجرة – بالكسر والضم – الخروج من أرض إلى أخرى اهـ. وفي النهاية: الهجرة في الأصل الاسم من الهجر ضد الوصل، وقد هجره هجراً وهجراناً، ثم غلب على الخروج من أرض إلى أرض وترك الأولى للثانية، وفي مجمع البحار: الهجرة في الأصل الاسم من الهجر ضد الوصل، ثم غلب على الخروج من أرض إلى أرض.

فقد علم من ههنا أنه لابد في معنى الهجرة من أمرين: (الأول) الخروج من ارض إلى أرض (والثاني) ترك الأولى للثانية، والخروج لزيارة النبي صلى الله عليه وسلم في حياته يتحقق فيه الأمر الأول لا الثاني، ويدل على كون الأمرين معتبرين في معنى الهجرة أحاديث:

منها ما روى الشيخان عن جابر بن عبدالله أن أعرابياً بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأصاب الأعرابي وعك بالمدينة، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد أقلني بيعتي، فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم. ثم جاءه فقال: أقلني بيعتي، فأبى، ثم جاءه فقال: أقلني بيعتي، فأبى. فخرج الأعرابي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إنما المدينة كالكير تنفي خبثها وتنصع طيبها".

ومنها ما روى مسلم عن جابر قال: جاء عبد فبايع النبي صلى الله عليه وسلم على الهجرة، ولم يشعر أنه عبد، فجاء سيده يريده، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم "بعنيه" فاشتراه بعبدين أسودين، ولم يبايع أحداً بعده حتى يسأله: أعبد هو أو حر ؟

ومنها ما رواه البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عن الهجرة فقال: "ويحك إن الهجرة شأنها شديد، فهل لك من إبل" ؟ قال: نعم، قال "فتعطي صدقتها" ؟ قال: نعم. قال "فهل تمنح منها" ؟ قال: نعم. قال "فتحلبها يوم

وردها " ؟ قال: نعم. قال" فعامل من وراء البحار فإن الله لن يترك من عملك شيئاً"[28].

ومنها ما روى البخاري ومسلم عن العلاء بن الحضرمي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "ثلاث للمهاجر بعد الصدر"[29].

ومنها ما رواه البخاري عن سعد بن أبي وقاص قلت: يا رسول الله أخلف[30] بعد أصحابي ؟ قال: "إنك لن تخلف فتعمل عملاً تبتغي به وجه الله إلا ازددت به درجة ورفعة، ولعلك تخلف حتى ينتفع بك أقوام، ويضر بك آخرون. اللهم أمض لأصحابي هجرتهم، ولا تردهم على أعقابهم". لكن البائس سعد بن خولة يرثى له رسول الله صلى الله عليه وسلم أن توفي بمكة[31].

ومنها ما رواه البخاري عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وعك أبو بكر، فكان أبو بكر إذا أخذته الحمى يقول:

كل امرئ مصبح في أهله والموت أدنى من شراك نعله

وكان بلال إذا أقلع عنه الحمى يرفع عقيرته ويقول:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة بواد وحولي إذخر وجليل؟

وهل أردن يوماً مياه مجنة وهل يبدون لي شامة

---

28 () **يترك بكسر التاء أي لن ينقصك.**

29 () **الصدر بفتحتين: الرجوع، أي أن المهاجر بعد الرجوع من منى وانتهاء حجه له أن يلبث في مكة ثلاث ليال.**

30 () **بتشديد اللام، أصله أأخلف أي أتأخر ؟**

31 () **جملة الاستدراك هذه مدرجة في الحديث من رواية الزهري عن إبراهيم بن سعد، وليست من كلامه صلى الله عليه وسلم.**

اللهم العن شيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة وأمية بن خلف كما أخرجونا من أرضنا إلى أرض الوباء. قم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد، اللهم بارك لنا في صاعنا وفي مدنا وصححها لنا وانقل حماها إلى الجحفة". قال القاضي في الحديث الأول: إنما استقاله على الهجرة ولم يرد الارتداد عن الإسلام[32]، قال ابن بطال: بدليل أنه لم يرد حل ما عقده إلا بموافقة النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك، ولو أراد الردة ووقع فيها لقتله إذ ذاك، وإنما لم يقله بيعته لأنها إن كانت بعد الفتح فهي على الإسلام فلم يقله إذ لا يحل الرجوع إلى الكفر، وإن كانت قبله فهي على الهجرة والمقام معه بالمدينة، ولا يحل للمهاجر أن يرجع إلى وطنه، كذا قال القسطلاني.

قال النووي: قال العلماء إنما لم يقله النبي صلى الله عليه وسلم بيعته لأنه لا يجوز لمن أسلم أن يترك الإسلام، ولا لمن هاجر إلى النبي صلى الله عليه وسلم للمقام عنده أن يترك الهجرة ويذهب إلى وطنه أو غيره. اهـ.

وقال النووي في الحديث الثاني: وفيه ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم من مكارم الأخلاق والإحسان العام، فإنه كره أن يرد ذلك العبد خائباً مما قصده من الهجرة وملازمة الصحبة، فاشتراه ليتم له ما أراده اهـ.

وقال القطسلاني في الحديث الثالث "فسأله عن الهجرة": أي أن يبايعه على أن يقيم بالمدينة "ويحك إن الهجرة شأنها " أي القيام بحقها "شديد "لا تستطيع القيام بحقها "فاعمل من وراء البحر" فلا تبال أن تقيم في بلدك ولو كنت في أقصى بلاد الإسلام اهـ.

---

[32] () **يعني أن الأعرابي إنما طلب من النبي صلى الله عليه وسلم أن يقيله بيعته على الهجرة ليخرج من المدينة فراراً من الحمى، ولم يطلب إقالته من الإسلام نفسه، أي لأنه لو أراد هذا لفر من المدينة ولم يقل يا رسول الله أقلني بيعتي.**

وقال القسطلاني في الحديث الرابع: وهو بعد الرجوع من منى من غير زيادة، وجوز بعضهم الإقامة بعد الفتح. قال النووي: معنى الحديث: إن الذين هاجروا من مكة قبل الفتح إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حرم عليهم استيطان مكة والإقامة بها، ثم أبيح لهم إذا وصلوها بحج أو عمرة أو غيرهما أن يقيموا بعد فراغهم ثلاثة أيام ولا يزيدوا عن الثلاثة. وقال القاضي عياض: في هذه الحديث حجة لمن منع المهاجر قبل الفتح م المقام بمكة بعد الفتح، قال: هو قول الجمهور، وأجاز لهم جماعة بعد الفتح مع الاتفاق على وجوب الهجرة عليهم قبل الفتح ووجوب سكنى المدينة لنصرة النبي صلى الله عليه وسلم ومواساتهم له بأنفسهم، وأما غير المهاجر ومن آمن بعد ذلك فيجوز له سكنى أي بلد أراد سواء مكة وغيرها بالاتفاق. هذا كلام القاضي اهـ.

وقال القطسلاني في الحديث الخامس "ولا تردهم على أعقابهم" : بترك هجرتهم ورجوعهم عن استقامتهم. "أن توفى" أي لأجل وفاته "بمكة" التي هاجر منها اهـ.

وقال القسطلاني في الحديث السادس: وتأمل كيف تعزى أبو بكر رضي الله عنه عند أخذ الحمى بما ينزل به من الموت الشامل للأصيل والغريب، وبلال رضي الله عنه تمنى الرجوع إلى وطنه على عادة الغرباء، يظهر لك فضل أبي بكر على غيره من الصحابة رضي الله عنهم اهـ.

ومنها ما روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كلا إني عبد الله ورسوله، هاجرت إلى الله وإليكم، والمحيا محياكم والممات مماتكم". قال النووي: معنى هذه الجملة أنهم رأوا رأفة النبي صلى الله عليه وسلم بأهل مكة وكف القتل عنهم فظنوا أنه يرجع إلى سكنى مكة والمقام فيها دائماً ويرحل عنهم ويهجر المدينة، فشق ذلك عليهم، فأوحى الله تعالى إليه صلى الله عليه وسلم فأعلمهم بذلك اهـ. وأيضاً قال: فمعناه إني هاجرت إلى الله وإلى دياركم

لاستيطانها، فلا أتركها ولا أرجع عن هجرتي الواقعة لله تعالى، بل أنا ملازم لكم، المحيا محياكم، والممات مماتكم، إني لا أحيا إلا عندكم، ولا أموت إلا عندكم. اه

ومنها ما روى الترمذي عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمكة: "ما أطيبك من بلد وأحبك إلىّ، ولولا أن قومي أخرجوني منك ما سكنت غيرك".

ومنها ما رومسلم عن سلمة بن الأكوع أنه دخل على الحجاج فقال: يا ابن الأكوع ارتددت على عقبيك، تعربت، قال لا ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم أذن لي في البدو.

قال النووي: قال القاضي عياض أجمعت الأمة على تحريم ترك المهاجر هجرته ورجوعه إلى وطنه، وعلى أن ارتداد المهاجر أعرابياً من الكبائر، ولهذا أشار الحجاج، إلى أن أعلمه سلمة أن خروجه إلى البادية إنما هو بإذن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: ولعله رجع إلى غير وطنه، أو لأن الغرض في ملازمة المهاجر أرضه التي هاجر إليها وفرض ذلك إنما كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم لنصرته، أو ليكون معه، أو لأن ذلك إنما كان قبل فتح مكة لمواساة النبي صلى الله عليه وسلم ومؤازرته ونصرة دينه وضبط شريعته اه

ومن ثم قال عثمان رضي الله عنه لما قال له الصحابة رضي الله عنهم – وقد حوصر- الحق بالشام: لن أفارق هجرتي، ومجاورة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها. كذا في الجوهر المنظم لابن حجر المكي. فقد علم من تلك الأحاديث أن الأمرين المذكورين معتبران في معنى الهجرة.

وجملة القول في هذا المقال أن ليست الهجرة عين الخروج لزيارته صلى الله عليه وسلم، بل بينهما عموم وخصوص من وجه يجتمعان في مادة كمن هاجر في حياته صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وزار النبي صلى الله

عليه وسلم، ويفترقان كمن هاجر بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم من دار حرب إلى دار الإسلام فيصدق عليه أنه خرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله، فإن معنى "إلى الله وإلى رسوله" حيث أمر الله ورسوله، كذا في المدارك، ولا يصدق عليه أنه زار ولا يصدق عليه أنه هاجر، فدخول زيارته صلى الله عليه وسلم في حياته في الآية الكريمة ممنوع فضلاً عن دخول الزيارة فيها بعد مماته.

(والثاني) أن مثل من يستدل بهذه الآية على كون الزيارة قربة كمثل من يستدل على كون الزيارة قربة بحديث: "انتدب الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا إيمان بي وتصديق برسلي أن أرجعه بما نال من أجر أو غنيمة أو أدخله الجنة" متفق عليه، وحديث: "لغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها" متفق عليه، وحديث: "ما أغبرَّت قدما عبد في سبيل الله فتمسه النار" رواه البخاري، وحديث: "من فصل في سبيل الله فمات أو قتل أو وقصه فرسه أو بعيره أو لدغته هامة أو مات على فراشه بأي حتف شاء فإنه شهيد وإن له الجنة". رواه أبو داود، وحديث: "إن الهجرة تهدم ما كان قبلها "، وحديث: "فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله" وجميع الآيات التي ورد فيها ذكر الهجرة كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾. وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الفَائِزُونَ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾. وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقاً حَسَناً وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلاً يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴾. وغير ذلك من الآيات، مع أن أحداً من أهل العلم والدين لم يستدل بهذه الأحاديث والآيات على كون الزيارة قربة.

(والثالث) أنه لو سلم دخول زيارته صلى الله عليه وسلم في الآية الكريمة في الحياة فلا نسلم دخول زيارته صلى الله عليه وسلم بعد الممات فيها، والأحاديث الدالة على أن زيارته صلى الله عليه وسلم بعد وفاته كزيارته في حياته لم يثبت واحد منها كما سيأتي:

قوله: أما السنة فما يأتي من الأحاديث.

أقول: تلك الأحاديث ليس بشيء منها قابلاً لأن يحتج به، كما ستطلع عليه من قريب.

قوله: وأما القياس فقد جاء أيضاً في السنة الصحيحة المتفق عليها الأمر بزيارة القبور .. الخ.

أقول: الاستدلال بالسنة التي فيها الأمر بزيارة القبور استدلال بالسنة لا بالقياس، ولذا ذكر السبكي هذا الاستدلال في الاستدلال بالسنة في شفاء الأسقام ونصه هذا: وأما السنة فما ذكرناه في الباب الأول والثاني من الأحاديث وهي أدلة على زيارة قبره صلى الله عليه وسلم بخصوصه، وفي السنة الصحيحة المتفق عليها الأمر بزيارة القبور، فقبر النبي صلى الله عليه وسلم سيد القبور داخل في عموم القبور المأمور بزيارتها اه ملخصاً، وهذا الغلط قد صدر من المؤلف تقليداً لابن حجر المكي في الجوهر المنظم، وعبارته هكذا: وأما القياس فقد جاء أيضاً في السنة الصحيحة المتفق عليها الأمر بزيارة القبور، فقبر نبينا منها أولى وأحرى، وأحق وأعلى، بل لا نسبة بينه وبين غيره.

قوله: وأما إجماع المسلمين فقد قال العلامة ابن حجر في الجوهر المنظم في زيارة قبر النبي المكرم صلى الله عليه وسلم: قد نقل جماعة من الأئمة حملة الشرع الشريف الذين عليهم المدار والمعول الإجماع.

أقول ليس في المسألة إجماع، لتحقق ثبوت الخلاف فيها عن بعض المجتهدين، وإن كان قوله ضعيفاً من حيث الدليل.قال شيخ الإسلام في أثناء

كلمه: مع أن نفس زيارة القبور مختلف في جوازها، قال ابن بطال في شرح البخاري: كره قوم زيارة القبور لأنه روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث في النهي عنها، وقال الشعبي: لولا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن زيارة القبور لزرت قبر النبي صلى الله عليه وسلم. وقال إبراهيم النخعي: كانوا يكرهون زيارة القبور. وعن ابن سيرين مثله. قال: وفي مجموعه قال علي بن زياد: سئل مالك عن زيارة القبور فقال: قد نهى عنه عليه الصلاة والسلام ثم أذن فيه، فلو فعل ذلك إنسان ولم يقل إلا خيراً لم أر بذلك بأساً، وليس من عمل الناس، وروي عنه أنه كان يضعف زيارتها، فهذا قول طائفة من السلف، ومالك في القول الذي رخص فيه يقول: ليس من عمل الناس، وفي الآخر ضعفها فلم يستحبها لا في هذا ولا في هذا، اه ما حكاه الشيخ، كذا في الصارم، وأما ما قال ابن حجر المكي في الجوهر المنظم "شاذ لا يلتفت إليه لمخالفة إجماع غيرهما" فهو مردود من وجهين: (الأول) أن قوله "لمخالفة إجماع غيرهما" غير صحيح، فإن ابن سيرين ومالكاً في قول موافق لهما. (والثاني) سلمنا أنه شاذ لكن كاف لنقض الإجماع كما تقرر في الأصول، وما قال ابن حجر المكي من أنه مؤول بفرض تسليمه الاعتداد به فهو لا يأتي في قبر نبينا صلى الله عليه وسلم الله عليه وسلم لا يخفى سخافته.

قوله: واحتج القائلون بوجوب الزيارة بقوله صلى الله عليه وسلم: "من حج البيت ولم يزرني فقد جفاني" رواه ابن عدي بسند يحتج به.

أقول: في سند ابن عدي نعمان بن شبل ومحمد بن محمد بن النعمان بن شبل، وهما ضعيفان جداً، أما النعمان فقد قال الحافظ ابن حجر في تلخيص الحبير: النعمان ضعيف جداً، وقال الذهبي في الميزان: النعمان بن شبل الباهلي البصري عن أبي عوانة ومالك، قال موسى بن هارون: كان متهماً. وقال ابن حبان: يأتي بالطامات. وقال في تنزيه الشريعة: النعمان بن

شبل الباهلي البصري عن أبي عوانة ومالك قال موسى بن هارون: كان متهماً. وقال ابن حبان: يأتي بالطامات، وعن الأثبات بالمقلوبات، وقال في الصارم: قد اتهمه موسى بن هارون الحمال. وقال أبو حاتم البستي: يأتي عن الثقات بالطامات، وعن الاثبات بالمقلوبات.

وأما محمد بن محمد بن النعمان فقال الحافظ في اللسان: محمد بن محمد بن النعمان ابن شبل الباهلي عن مالك روى عنه الوراق وقد طعن فيه الدارقطني واتهمه، وقال في الصارم: والطعن فيه على ابنه محمد بن محمد بن النعمان كما ذكر ذلك شيخ الصنعة إمام عصره وفريد دهره ونسيج وحده الحافظ الكبير أبو الحسن الدارقطني ولم يخالفه أحد يعتمد على قوله اه .وقال الحافظ في التقريب: محمد بن محمد بن النعمان بن شبل الباهلي البصري متروك اه

فقولك "بسند يحتج به" باطل قطعاً، ومن ثم صرح جماعة من أهل النقد بضعف الحديث وجماعة بوضعه، ولم يذهب أحد إلى صحته أو حسنه، إنما تفرد به ابن حجر المكي وقلده على القارئ ولا عبرة بتحسينهما فإنهما ليسا بأهل لذلك ومن يدعي فعليه الإثبات.

قوله: ويدل لذلك أحاديث كثيرة صحيحة صريحة لا يشك فيها إلا من انطمس نور بصيرته.

اقول: ليس في الباب حديث واحد صحيح فضلاً عن الأحاديث الكثيرة الصحيحة، ولا أراك شاكاً في أن هذا القول غلط واضح وخطأ بين، فإن السبكي مع شدة سعيه في هذا الباب لم يثبت في زعمه إلا حسن حديثين أو صحتهما، الأول "من زار قبري وجبت له شفاعتي" والثاني "من جاءني زائراً لا تعمله حاجة إلا زيارتي كان حقاً عليّ أن أكون له شفيعاً يوم القيامة" هذان الحديثان فيهما أيضاً كلام شديد كما سيأتي، وبالجملة ادعاء صحة الأحاديث الكثيرة في زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم باطل بالبداهة.

قوله: منها صلى الله عليه وسلم "من زار قبري وجبت له شفاعتي".

أقول في هذا الحديث كلام من وجهين: (الأول) أن في سنده موسى بن هلال العبدي وهو ضعيف، قال الحافظ ابن حجر في لسان الميزان قال أبو حاتم: مجهور، وقال العقيلي لا يتابع على حديثه، ثم ذكر أي ابن القطان[33] كلامهم عفي موسى بن هلال وقال: الحق أنه لم تثبت عدالته، وفي أسئلة البرقاني أنه سأل الدارقطني عن موسى ابن هلال فقال: هو مجهول، وقد أورد شيخنا في الذيل وهو المذكور فيه وأطلق عليه ذلك أبو حاتم اه ملخصاً.

فإن قلت: قال الحافظ ابن حجر فيه قال ابن عدي: أرجو أنه لا بأس به، قلت هو صالح الحديث فقد حصل التوثيق.

(قلت): هاتان الكلمتان للتوثيق مما يكتب حديث صاحبها للاعتبار لا للاحتجاج، قال السيوطي في التدريب: الرابعة وهي سادسة بحسب ما ذكرنا "صالح" فإنه يكتب حديثه للاعتبار، وزاد العراقي فيها: صدوق إن شاء الله تعالى، أرجو أن لا بأس به، صويلح اه.

وبالجملة فموسى بن هلال في عدد من ينجبر ضعفه بالمتابعة وتعدد الطرق، فلينظر هل تابع أحد موسى بن هلال في رواية هذا الحديث أم لا ؟ وعلى الأول فهل ذلك المتابع صالح للمتابعة أم لا ؟ فأقول: قد تابعه مسلم بن سالم الجهني وهو لا يصلح للمتابعة، فإن أبا داود السجستاني قال في حقه: إنه ليس بثقة، نص عليه الحافظ في اللسان.

ومن يكتب في حقه هذا اللفظ فهو لا يصلح للمتابعة.

قال السيوطي في التدريب: وإذا قالوا متروك الحديث أو ذاهبه أو كذاب فهو ساقط لا يكتب حديثه ولا يعتبر به ولا يستشهد، إلا أن هاتين مرتبتان وقبلهما مرتبة أخرى ولا يعتبر بحديثها أيضاً، وقد أوضح ذلك العراقي،

---

[33] () **ابن القطان لم يسبق له ذكر يصحح عود الضمير إليه كما في لسان الميزان فكان ينبغي للمؤلف أن يقول ثم ذكر الحافظ عن ابن القطان كذا.**

فالمرتبة التي قبل وهي الرابة رد حديثه، ردوا حديثه، مردود الحديث، ضعيف جداً، واه بمرة، طرحوا حديثه، مطرح، مطرح الحديث، ارم به، ليس بشيء، لا يساوي شيئاً، يليها متروك حديثه، تركوه، ذاهب، ذاهب الحديث، ساقط، هالك، فيه نظر، سكتوا عنه، لا يعتبر به، لا يعتبر بحديثه، ليس بالثقة، ليس بثقة، غير ثقة اه

(الثاني) أن في سنده عبدالله بن عمر العمري، وهو ضعيف، قال أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عبدالهادي في الصارم: وقد تكلم في عبدالله العمري جماعة من أئمة الجرح والتعديل ونسبوه إلى سوء الحفظ والمخالفة للثقات في الروايات.

قال أبو حاتم محمد بن حبان البستي في كتاب المجروحين من المحدثين: عبدالله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب العمري أخو عبيد الله بن عمر من أهل المدينة يروى عن نافع، روى عنه العراقيون وأهل المدينة، كان ممن غلب عليه الصلاح والعبادة حتى غفل عن حفظ الأخبرا، وجودة الحفظ للآثار، فوقع المناكير في روايته، فلما فحش خطؤه استحق الترك، ومات سنة ثلاث وأربعين ومائة، حدثنا الهمداني حدثنا عمرو بن علي قال: كان يحيى بن سعيد لا يحدث عن عبدالله بن عمر. قال أبو حاتم: وهو الذي روى عن نافع عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا توضأ خلل لحيته. وروى عن نافع عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من أتى عرافاً يسأله لم تقبل له صلاة أربعين يوماً". وروى عن نافع عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم أسهم للفارس سهمين وللراجل سهماً – فيما يشبه هذا من المقلوبات والملزوقات التي ينكرها من أمعن في العلم وطلبه من مظانه. وقال أبو عيسى والترمذي في جامعه: وعبدالله بن عمر بن حفص العمري المدني القرشي كان يحيى بن سعيد يضعفه. وقال النسائي في كتاب الكنى: أبو عبدالرحمن عبدالله بن عمر بن

حفص بن عاصم بن عمر ضعيف. وقال العقيلي: حدثنا عبدالله بن أحمد بن حنبل قال: سألت يحيى بن معين عن عبدالله بن عمر العمري فقال ضعيف. حدثنا عبدالله قال: سألت أبي عن عبدالله بن عمر فقال كذا وكذا. وقال أبو زرعة الدمشقي قيل لأحمد بن حنبل: كيف حديث عبدالله بن عمر ؟ فقال: كان يزيد في الأسانيد ويخالف، وكان رجل صالحاً، وقد ذكر العقيلي هذا القول عن الإمام أحمد بن حنبل من رواية أبي بكر الأثرم عنه، وروى إسحاق بن منصور عن يحيى ابن معين قال: عبدالله بن عمر صويلح. وقال عبدالله بن علي بن المديني عن أبيه: ضعيف، وقال أبو حاتم الرازي: يكتب حديثه ولا يحتج به، وقال يعقوب بن شيبة: صدوق، في حديثه اضطراب. وقل صالح بن محمد البغدادي: لين، مختلط الحديث، وقال الحاكم أبو أحمد: ليس بالقوي عندهم اهـ. قال الحافظ في التقريب: عبدالله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب أبو عبدالرحمن المدني ضعيف عابد اهـ.

فإن قلت: قد ورد عن أئمة الجرح والتعديل في حقه ما يدل على حسن روايته وتقويته كما في الكاشف وتهذيب التهذيب، قلت: تلك الألفاظ إنما هي صويلح، لا بأس به، صدوق، ليس به بأس، يكتب حديثه، ثقة في حديثه اضطراب، صالح ثقة، فمنها ما يكتب حديثه للاعتبار والاستشهاد لا للاحتجاج، ومنها ما يكتب حديثه وينظر فيه. وطريق النظر أن يقابل حديثه بحديث الضابطين فإن كان أكثره موافقاً فهو ضابط يحتج بحديثه ولا تضره مخالفته النادرة، وإن كانت المخالفة أكثر والموافقة نادرة ففي ضبطه خلل لا يحتج به. وعبدالله بن عمر العمري كثير المخالفة، قال أبو حاتم محمد بن حبان البستي في كتاب المجروحين: كان ممن غلب عليه الصلاة والعبادة حتى غفل عن حفظ الأخبار وجودة الحفظ للآثار فوقع المناكير في روايته، فلما فحش خطؤه استحق الترك اهـ. ومنها ما يدل على أن حديثه بانفراده لائق للاحتجاج وهو لفظ ثقة، وهذا مما كتبه يعقوب بن شيبة وابن عين، ولكن

يعلم بعد البحث والنظر أن هذه اللفظة ليست نصاً على كونه قابلاًللاحتجاج عموماً، فإن لفظة "ثقة" تطلق على معاني: (الأول) العدل المطلق، (والثاني) العدل الضابط، (والثالث) رجل لم يرد في حقه جرح ولا تعديل، وشيخه والذي يروي عنه ثقتان، ولم يأت بحديث منكر، فيحتمل أن يكون المراد في كلامهما بالثقة العدل المطلق، وحديث العدل المطلق لا يصح الاحتجاج به حتى يكون ضابطاً، ومما يعين ذلك الاحتمال أن يعقوب بن شيبة قال مع ذلك: في حديثه اضطراب، ويحيى بن معين قال مع ذلك : ضعيف.

قوله: وفي رواية "حلت له شفاعتي" رواه الدراقطني وكثير من أئمة الحديث.

أقول: هذا اللفظ رواه البزار في مسنده وإسناده هكذا: حدثنا قتيبة حدثنا عبدالله بن إبراهيم حدثنا عبدالرحمن بن زيد عن أبيه عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من زار قبري حلت له شفاعتي". وفي هذا السند ضعيفان: (أحدهما) عبدالله بن إبراهيم الغفاري، (والآخر) عبدالرحمن بن زيد بن أسلم.

قال ابن عبدالهادي في الصارم المنكى: واعلم أن هذا الحديث الذي ذكره من رواية البزار حديث ضعيف منكر ساقط الإسناد لا يجوز الاحتجاج بمثله عند أحد من أئمة الحديث وحفاظ الأثر كما سنبين ذلك إن شاء الله تعالى. وقتيبة شيخ البزار هو ابن المرزبان روى عنه غير هذا الحديث، وأما عبدالله بن إبراهيم فهو ابن أبي عمرو الغفاري أبو محمد المدني، يقال إنه من ولد أبي ذر الغفاري، وهو شيخ ضعيف الحديث جداً منكر الحديث، وقد نسبه بعض الأئمة إلى الكذب ووضع الحديث نعوذ بالله من الخذلان.قال أبو داود: وهو شيخ منكر الحديث. وقال الدراقطني: حديثه منكر. وقال الحاكم أبو عبدالله: يروي عن جماعة من الثقات أحاديث موضوعة لا يرويها عنهم غيره. وقال البزار عقب رواية حديثه: وعبدالله بن إبراهيم حدّث بأحاديث لا

يتابع عليها. وقال أبو حاتم بن حبان البستي: عبدالله بن عمرو الغفاري شيخ يروي عن عبدالرحمن بن زيد بن أسلم وأهل المدينة. واسم أبيه إبراهيم، روى عنه سلمة بن شبيب والناس، كان ممن يأتي عن الثقات بالمقلوبات، وعن الضعفاء بالملزوقات، روى عن عبدالرحمن بن زيد بن اسلم عن أبيه عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ما جزت ليلة أسري بي من سماء إلى سماء إلا رأيت اسمي مكتوباً محمد رسول الله أبو بكر الصديق" وهذا خبر باطل، فلست أدري البلية منه أو من عبدالرحمن بن زيد بن أسلم، على أن عبدالرحمن بن زيد ليس هذا من حديثه بمشهور، فكان القلب إلى أنه من عمل عبدالله بن أبي عمرو[34] أميل اهـ. وأيضاً قال في الصارم: وذكر ابن عدي لعبدالله بن إبراهيم أحاديث كثيرة منكرة بل موضوعة، ثم قال: وعامة ما يرويه لا يتابعه عليه الثقات، وقال العقيلي: عبدالله بن إبراهيم الغفاري كان يغلب على حديثه الوهم.

وأما عبدالرحمن بن زيد بن أسلم فضعيف غير محتج به عند أهل الحديث، قال الفلاس: لم أسمع عبدالرحمن بن مهدي يحدث عنه، وقال أبو طالب عن أحمد بن حنبل: ضعيف،وقال عباس الدوري عن يحيى بن معين: ليس حديثه بشيء وقال البخاري وأبو حاتم الرازي: ضعفه علي بن المديني جداً، وقال أبو داود وأبو زرعة والنسائي والدراقطني: ضعيف. وقال ابن حبان: كان يقلب الأخبار وهو لا يعلم، حتى أكثر من ذلك في روايته من رفع المراسيل وإسناد الموقوف فاستحق الترك.

وقال الحاكم أبو عبدالله: روى عن أبيه أحاديث موضوعة لا يخفى على من تأملها من أهل الصنعة أن الحمل عليها عليه، وقال ابن خزيمة: عبدالرحمن بن زيد ليس ممن يحتج أهل الحديث بحديثه، وقال الحافظ أبو نعيم الأصبهاني: حدث عن أبيه لا شيءً، وقال محمد بن عبدالله بن الحكم:

---

34 () **في الصارم المنكى ابن إبراهيم بدل ابن أبي عمرو، وهو هو.**

سمعت الشافعي يقول: ذكر رجل لمالك حديثاً فقال: من حدثك ؟ فذكر إسناداً منقطعاً، فقال: اذهب إلى عبدالرحمن بن زيد يحدثك عن أبيه عن نوح. وقال الربيع بن سليمان سمعت الشافعي يقول: سال رجل عبدالرحمن بن زيد بن أسلم: حدثك أبوك عن أبيه عنجده أن سفينة نوح طافت بالبيت وصلت ركعتين ؟ قال: نعم اهـ. وقال في الخلاصة: عبدالرحمن بن زيد بن أسلم المدني عن أبيه، وعنه وكيع وابن وهب وقتيبة وخلق، ضعفه أحمد وابن المديني والنسائي وغيرهم، مات سنة اثنتين وثمانين ومائة، وقال الذهبي في الميزان: عبدالرحمن بن زيد بن أسلم العمري مولاهم المدني أخو عبدالله وأسامه، قال أبو يعلى الموصلي سمعت يحيى بن معين يقول: بنو زيد بن أسلم ليسوا بشيء، وروى عثمان الدرامي أن يحيى بن معين يقول: بنو زيد ضعفاء. وقال البخاري: عبدالرحمن ضعفه علي جداً. وقال النسائي: ضعيف. وقال أحمد: عبدالله ثقة والآخروان ضعيفان اهـ. وقال الترمذي في جامعه: وعبدالرحمن بن زيد بن أسلم ضعيف في الحديث، ضعفه أحمد بن حنبل وعلي بن المديني وغيرهما من أهل الحديث، وهو كثير الغلط اهـ. وقال الحفاظ ابن حجر في اللسان وذكر – يعني عبدالحق – أن البزار رواه أيضاً، وإنما رواه البزار من طريق عبدالرحمن بن زيد بن أسلم وهو ضعيف أيضاً. وفيه أيضاً عبدالله بن إبراهيم الغفاري وقد تكلموا فيه أيضاً اهـ. وقال في تنزيه الشريعة: عبدالله بن إبراهيم الغفاري ويقال ابن أبي عمرو نسبه ابن حبان إلى وضع الحديث. وقال الذهبي في الميزان: نسبه ابن حبان إلى أن يضع الحديث. وقال ابن عدي: عامة ما يرويه لا يتابع عليه. وقال الدراقطني: حديثه منكر. وذكر له ابن عدي الحديثين اللذين في جزء ابن عرفة في فضل أبي بكر وعمر وهما باطلان. وقال الحاكم: عبدالله يروي عنجماعة من الضعفاء أحاديث موضوعة اهـ ملخصاً. وقال في تهذيب التهذيب قال أبو داود: منكر الحديث. وقال ابن حبان: يضع الحديث. وقال ابن عدي: عامة ما يرويه

لا يتابع عليه اهـ. وقال الحفاظ في التقريب: عبدالله بن إبراهيم بن أبي عمرو الغفاري أبو محمد المدني متروك، ونسبه ابن حبان إلى الوضع،من العاشرة اهـ. وقال الذهبي في الكاشف: عبدالله بن إبراهيم الغفاري المدني، عن إبراهيم بن مهاجر ومالك، وعنه الكديمي وأبو قلابة، متهم. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من زار قبري حلت له شفاعتي" رواه البراز، وفيه عبدالله بن إبراهيم الغفاري وهو ضعيف اهـ، وقال في تنزيه الشريعة في حق عبدالرحمن بن زيد بن أسلم قال الحاكم: روى عن أبيه أحاديث موضوعة لا يخفى على من تأملها من أهل الصنعة أن الحمل فيه عليه، وقال الذهبي في التذهيب: ضعفه أحمد وأبو داود والنسائي وغيرهم. وقال أبو حاتم: كان في نفسه صالحاً وفي الحديث واه، وضعفه ابن المديني جداً. وقال الحافظ في التقريب: عبدالرحمن بن زيد بن أسلم العدوي مولاهم ضعيف اهـ. وقال الذهبي في الكاشف: عبدالرحمن بن زيد بن أسلم المدني عن أبيه وابن المنكدر وعنه أصبغ وقتيبة وهشام، ضعفوه اهـ. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من زار قبري حلت له شفاعتي". رواه البزار، وفيه عبدالله بن إبراهيم الغفاري وهو ضعيف اهـ، وقال الحافظ في التلخيص: ورواه البزار من حديث زيد بن أسلم عن ابن عمر، وفي إسناده عبدالله بن إبراهيم الغفاري وهو ضعيف اهـ. وقال الإمام الحافظ صفي الدين أحمد بن عبدالله الخزرجي الأنصاري في الخلاصة: عبدالله بن إبراهيم بن عمر الغفاري أبو محمد المدني عن أبيه وإبراهيم بن مهاجر، وعنه الحسن بن عرفة وسلمة بن شبيب: قال ابن حبان: يضع اهـ. وقال افي التهذيب: قال ابن عدي عامة ما يرويه لا يتابعه عليه الثقات. وقال الدراقطني: حديثه منكر اهـ.

قوله: وقد أطال الإمام ابن عبدالهادي على السبكي رداً شنيعاً في كتابه المسمى (الصارم المنكى) وقد بين من ضعفه من الأئمة.

قوله: منها رواية "من زارني بعد موتي فكأنما زارني في حياتي".

أقول: هذا الحديث رواه الدراقطني في سننه وإسناده هكذا: حدثنا أبو عبيد والقاضي أبو عبدالله وابن مخلد قالوا حدثنا محمد بن الوليد البسري حدثنا وكيع حدثنا خالد بن أبي خالد وأبو عون عن الشعبي والأسود بن ميمون عن هارون بن أبي قزعة عن رجل من آل حاطب عن حاطب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من زارني بعد موتي فكأنما زارني في حياتي، ومن مات بأحد الحرمين بعث من الآمنين يوم القيامة".

قال في الصارم والجواب أن يقال: هذا الحديث الذي جعله ثامناً هو بعينه الحديث السادس والسابع، فهو حديث واحد ضعيف مضطرب الإسناد، وهذه الرواية التي ذكرها لم تزده إلا اضطراباً في الإسناد، وفي المتن أيضاً، وقد أخرجها البهقي في كتاب شعب الإيمان من طريق الدارقطني ثم قال: كذا وجدته في كتابه، وقال غيره سوار بن ميمون وقيل ميمون بن سوار، ووكيع هو الذي يروي عنه أيضاً. وفي تاريخ البخاري: ميمون بن سوار العبدي عن هارون بن أبي قزعة عن رجل من ولد حاطب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من مات في أحد الحرمين". قال يوسف بن راشد حدثنا وكيع حدثنا ميمون. والحاصل أن هذه الرواية المذكورة عن محمد بن الوليد عن وكيع لم تزد الحديث إلا ضعفاً واضطراباً في إسناده وفي لفظه، فالحديث حديث واحد مجهول الإسناد مضطرب اضطراباً شديداً، ومداره على هارون أبي قزعة، وقيل ابن قزعة، وقيل ابن أبي قزعة، وبعض الرواة يذكره وبعضهم يسقطه، وشيخه بعضهم يذكره وبعضهم يسقطه، وبعضهم يقول فيه عن رجل من آل عمر، وبعضهم يقول عن رجل من آل الخطاب، وبعضهم يقول عن رجل من ولد حاطب، ثمل الرجل المبهم بعضهم يسنده عن عمر، وبعضهم يسنده عن حاطب، وبعضهم يرسله ولا يسنده لا عن حاطب ولا عن عمر، وهو الذي ذكره البخاري وغير واحد، ثم الراوي عن هارون يسميه بعض الرواة سوار بن ميمون ويقلبه بعضهم فيقول ميمون ابن يوار، ويسميه بعضهم

الأسود بن ميمون، ولا يرتاب من عنده أدنى معرفة بعلم المنقولات أن مثل هذا الاضطراب الشديد من أقوى الحجج وأبين الأدلة على ضعف الخبر، وسقوطه وردّه، وعدم قبوله وترك الاحتجاج به، ومع هذا الاضطراب الشديد في الإسناد، فاللفظ مضطرب أيضاً اضطراباً شديداً مشعراً بالضعف وعدم الضبط.

وأما ما وقع من الزيادة في الإسناد عن وكيع عن خالد بن أبي خالد وأبي عون أو ابن عون عن الشعبي أو بإسقاط الشعبي فإنها زيادة منكرة غير محفوظة، وليس للشعبي مدخل في إسناد هذا الحديث، وخالد بن أبي خالد وأبو عون أو ابن عون قد ذكر في الرواية الأولى أنهما يرويان عن الشعبي وفي الأخرى أنهما يرويان عن هارون بن أبي قزعة، ولم يذكر في الأولى عمن أسند الشعبي الحديث، وأسقط في الأخرى ذكره بالكية، وذكر الرجل الذي يروي عنه هارون الحديث، وكل ذلك مشعر بشدة الضعف وعدم الضبط.

وقوله عن خالد بن أبي خالد وهم، وإنما هو ابن أبي خلدة، قال البخاري في تاريخه: خالد بن أبي خلدة الحنفي الأعور، سمع الشعبي وإبراهيم، روىعنه الثوري ومروان ابن معاوية منقطع، وقال ابن أبي حاتم: خالد بن أبي خلدة الحنفي الأعور روى عن الشعبي وإبراهيم وروى عنه الثوري وابن عيينة ومروان بن معاوية سمعت أبي يقول.

والحاصل أن ذكر هذه الزيادة المظلمة في الإسناد لم يزد في الحديث قوة بل لم يزده إلا ضعفاً واضطراباً، فقد تبين أن هذا الحديث الذي احتج به المعترض على شيخ الإسلام وجعله ثلاثة أحاديث هو حديث واحد غير صحيح اهـ.

وقال في الصارم تحت حديث: "من زار قبري – أو من زارني – كنت له شفيعاً أو شهيداً". ومدار الحديث على هارون، وهو شيخ مجهول لا يعرف له ذكر إلا في هذا الحديث، وقد ذكره أبو الفتح الازدي وقال: هو متروك الحديث لا يحتج به، وقال أبو بشر محمد بن أحمد بن حماد الدولابي في كتاب الضعفاء والمتروكين له: هارون أبو قزعة روى عنه ميمون بن سوار لا يتابع عليه، قاله البخاري، وقال أبو

أحمد ابن عدي في كتاب الكامل في معرفة الضعفاء وعلل الأحاديث: هارون أبو قزعة، سمعت ابن حماد يقول قال البخاري: هارون أبو قزعة روى عنه ميمون بن سوار لا يتابع عليه، قال ابن عدي: وهارون أبو قزعة لم ينسب، وإنما روى الشيء الذي أشار إليه البخاري.

هذا جميع ما ذكره ابن عدي في ترجمة هارون، ولو كان عنده شيء عن أمره غير ما قاله البخاري لذكره كما هي عادته. فقد تبين أن مدار هذا الحديث على هارون بن قزعة، وهو شيخ لا يعرف إلا بهذا الحديث الضعيف، ولم يشتهر من حاله ما يوجب قبول خبره،ولم يذكره ابن أبي حاتم في كتاب الجرح والتعديل، ولا ذكره الحاكم أبو أحمد في كتاب الكنى، ولم يذكر النسائي في كتاب الكنى أيضاً اهـ. قال الحافظ في اللسان: هارون بن قزعة عن رجل في زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم قال البخاري :لا يتابع عليه. قال الأزدي: هارون أبو قزعة يروي عن رجل من آل حاطب المراسيل.

قلت: فتعين أنه الذي أراد الأزدي، وقد ضعفه أيضاً يعقوب بن شيبة، وذكره العقيلي والساجي وابن الجارود في الضعفاء، وأورد العقيلي حديثه من طريق الجندي اهـ ملخصاً. وقال الحافظ أيضاً في اللسان: هارون بن قزعة لا يعرف، قال الأزدي: متروك اهـ. وقال البخاري روى عنه ميمون بن سوار لا يتابع عليه. قلت: ما يبعد أن الأزدي أراد من فوقه الذي تقدم. اهـ

قوله: وفي رواية "من جاءني زائراً لا تعمله حاجة إلا زيارتي كان حقاً ليّ أن أكون له شفيعاً يوم القيامة".

أقول: رواه الطبراني، وفي سنده مسلمة بن سالم الجهني. قال في اللسان: مسلم بن سالم الجهني البصري كان يكون بمكة، قال أبو داود السجستاني: ليس بثقة اهـ. وقال في التقريب: مسلم بن سالم الجهني بصري، كان يكون بمكة،ضعيف. ويقال فيه مسلمة بزيادة هاء اهـ. قال الهيثمي في مجمع الزوائد: وعن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من جاءني

زائراً لا عمله حاجة إلا زيارتي كان حقاً عليّ أن أكون له شفيعاً يوم القيامة" رواه الطبراني في الأوسط والكبير، وفيه مسلمة بن سالم وهو ضعيف. قال الإمام ابن عبدالهادي في الصارم: هذا الحديث ليس فيه ذكر زيارة القبر ولا ذكر الزيارة بعد الموت مع أنه حديث ضعيف الإسناد، منكر المتن، لا يصلح الاحتجاج به ولا يجوز الاعتماد على مثله، ويم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة، ولا رواه الإمام أحمد في مسنده ولا أحد من الأئمة المعتمد على ما أطلقوه من روايتهم، ولا صححه إمام يعتمد على تصحيحه، وقد تفرد به هذا الشيخ الذي لم يعرف بنقل العلم ولم يشتهر بحمله ولم يعرف من حاله ما يوجب قبول خبره وهو مسلمة بن سالم الجهني الذي لم يشتهر إلا برواية هذا الحديث المنكر وحديث آخر موضوع ذكره الطبراني بالإسناد المتقدم ومتنه "الحجامة في الرأس أمان من الجنون والجذام والبرص والضرس" وروى عنه حديث آخر منكر من رواية غير العبادي، وإذا انفرد مثل هذا الشيخ المجهول الحال القليل الرواية بمثل هذين الحديثين المنكرين عن عبيد الله بن عمر أثبت آل عمر بن الخطاب رضي الله عنه في زمانه وأحفظهم عن نافع عن سالم عن أبيه عبدالله بن عمر من بين سائر أصحاب عبيد الله الثقات المشهورين، والأثبات المتقنين، علم أنه شيخ لا يحل الاحتجاج بخبره، ولا يجوز الاعتماد على روايته.

هذا مع أن الراوي عنه وهو عبدالله بن محمد العبادي أحد الشيوخ الذين لا يحتج بما تفردوا به، وقد اختلف عليه في إسناد الحديث فقيل عنه عن نافع عن سالم كما تقدم، وقيل عنه عن نافع وسالم، وقد خالفه من هو أمثل منه وهو مسلم بن حاتم الأنصاري وهو شيخ صدوق فرواه عن مسلمة بن سالم عن عبدالله – يعني العمري- عن نافع عن سالم عن ابن عمر قال: قال رسول اله صلى الله عليه وسلم: "من جاءني زائراً لم ينزعه حاجة إلا زيارتي كان حقاً عليّ أن أكون له شفيعاً يوم القيامة". هكذا رواه الحافظ أبو نعيم عن أبي محمد بن حبان عن محمد بن أحمد بن سليمان الهروي عن مسلم بن حاتم الأنصاري، وهذه الرواية رواية

مسلم بن حاتم التي قال فيها عن عبدالله وهو العمري الصغير المكبر[35] الضعيف أولى من رواية العبادي التي اضطرب فيها وقال عن عبيدالله يعني العمري الكبير المصغر الثقة الثبت، وكلا الروايتين لا يجوز الاعتماد عليهما لمدارهما على شيخ واحد غير مقبول الرواية وهو مسلمة بن سالم،وهو شيبة بموسى بن هلال صاحب الحديث المتقدم الذي يرويه عن عبدالله العمري أو عن أخيه عبيد الله وقد أختلف عليه في ذلك كما اختلف على مسلمة. اهـ

قوله: وفي رواية "من جاءني زائراً كان له حقاً على الله أن أكون له شفيعاً يوم القيامة".

أقول: قد روى[36] أبو بكر بن المقري في معجمه بهذه اللفظة، وفي سنده أيضاً مسلمة بن سالم الجهني.

قوله: وفي رواية لأبي يعيى والدراقطني والطبراني والبيهقي وابن عساكر "من حج فزار قبري – وفي رواية فزارني – بعد وفاتي عند قبري كان كمن زارني في حياتي".

أقول: في سنده حفص بن أبي داود وليث بن أبي سليم، وفي بعض طرقه الحسن ابن طيب وأحمد بن رشدين، وكلهم ضعفاء مجروحون، قال الإمام ابن عبدالهادي في الصارم: واعلم أن هذا الحديث لا يجوز الاحتجاج به ولا يصلح الاعتماد على مثله، فإنه حديث منكر المتن، ساقط الإسناد، لم يصححه أحد من الحفاظ، ولا احتج به أحد من الأئمة، بل ضعفوه وطعنوا فيه، وذكر بعضهم أنه من الأحاديث الموضوعة والأخبار المكذوبة، ولا ريب في كذب هذه الزيادة فيه، وأما الحديث بدونها فهو منكر جداً، وراويه حفص بن أبي داود هو حفص بن سليمان أبو عمر الأسدي الكوفي البزار القاري الغاضري، وهو صاحب عاصم بن أبي النجود في القراءة وابن امرأته، وكان مشهوراً بمعرفة القراءة ونقلها، وأما الحديث فإنه

---

35 () **قوله"المكبر" يعني به المسمى عبدالله، وعن أخيه "المصغر" يعني المسمى عبيدالله.**

36 () **الظاهر أن يقول: قد رواه.**

لم يكن من أهله ولا ممن يعتمد عليه في نقله، ولهذا جرحه الأئمة وضعفوه وتركوه، و اتهمه بعضهم، قال عثمان بن سعيد الدارمي وغيره عن يحيى بن معين: ليس بثقة. وذكر العقيلي عن يحيى أنه سئل عنه فقال: ليس بشيء، وقال عبدالله بن الإمام أحمد سمعت أبي يقول: حفص بن سليمان أبو عمر القاري متروك الحديث. وقال البخاري: تركوه.

وقال إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني قد فرغ منه من دهر، وقال مسلم بن الحجاج: متروك. وقال علي بن المديني: ضعيف الحديث وتركته عن عمد. وقال النسائي: ليس بثقة ولا يكتب حديثه. وقال مرة: متروك الحديث. وقال صالح بن محمد البغدادي :لا يكتب حديثه، وأحاديثه كلها مناكير. وقال زكريا الباجي: يحدث عن سماك وعلقمة بن مرثد وقيس بن مسلم وعاصم أحاديث بواطيل. وقال أبو زرعة: ضعيف الحديث. وقال ابن أبي حاتم سألت أبي عنه فقال :لا يكتب حديثه وهو ضعيف الحديث لا يصدق متروك. قال ما حاله في الحروف ؟ قال: أبو بكر بن عياش اثبت منه. وقال عبدالرحمن بن يوسف بن خراش: كذاب متروك يضع الحديث. وقال الحاكم أبو أحمد: ذاهب الحديث. وقال الدارقطني: ضعيفه. وقال أبو حاتم بن حبان: كان يقلب الأسانيد، ويرفع المراسيل. وكان يأخذ كتب الناس فينسخها ويرويها من غير سماع، وقال ابن عدي أخبرنا الباجي حدثنا أحمد بن محمد البغدادي قال سمعت يحيى بن معين يقول: "كان حفص بن سليمان وأبو بكر بن عياش من اعلم الناس بقراءة عاصم، وكان حفص أقرأ من أبي بكر، وكان أبو بكر صدوقاً، وكان حفص كذاباً. وروى ابن عدي لحفص أحاديث منكرة غير محفوظة منها هذا الحديث الذي رواه في الزيارة،قال: وهذه الأحاديث يرويها حفص بن سليمان، ولحفص غير ما ذكرت، وعامة حديثه عمن روى عنهم غير محفوظ.

وقال العقيلي حدثنا عبدالله بن أحمد قال حدثني أبي قال حدثنا يحيى القطان قال ذكر شعبة حفص بن سليمان وقال: كان يأخذ كتب الناس وينسخها،

وقال شعبة: أخذ مني حفص بن سليمان كتاباً فلم يرده، وقال العقيلي أيضاً: حدثنا محمد بن إسماعيل حدثنا الحسن بن علي حدثنا شبابة قال: قلت لأبي بكر بن عياش: أبو عمر رأيته عند عاصم ؟ قال: قد سألني عن هذا غير واحد ولم يقرأ على عاصم أحد إلا وأنا أعرفه، ولم أر هذا عند عاصم قط.

وقال أبو بشر الدولابي في كتاب الضعفاء والمتروكين: حفص بن سليمان متروك الحديث. وقد روى البيهقي في السنن الكبير حديث حفص الذي رواه في الزيارة وقالك تفرد به حفص وهو ضعيف. وقال في شعب الإيمان: وروى حفص بن أبي داود – وهو ضعيف – عن ليث بن أبي سليم عن مجاهد عن ابن عمر مرفوعاً: "من حج فزار قبري بعد موتي كان كمن زارني في حياتي". أخبرنا أبو سعد الماليني أنبأنا أبو أحمد ابن عدي حدثنا عبدالله بن أحمد البغوي حدثنا أبو الربيع الزهراني حدثنا حفص بهذا الحديث، وأخبرنا علي بن أحمد بن عبدان أنبأنا أحمد بن عبيد حدثني محمد بن إسحاق الصفار حدثنا بكار حدثنا حفص بن سليمان فذكره وقال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال البيهقي: تفرد به حفص وهو ضعيف في رواية الحديث. هكذا ضعف البيهقي حفصاً في كتاب السنن الكبير وفي كتاب شعب الإيمان وذكر أنه تفرد برواية هذا الحديث. فإذا كانت هذه حال حفص عند أئمة هذا الشأن فكيف يحتج بحديث رواه أو يعتمد على خبر نقله ؟ م ع أنه قد اختلف عليه في رواية هذا الحديث فقيل عنه عن ليث بن أبي سليم كما تقدم مع أن ليثاً مضطرب الحديث عندهم، وقيل عنه عن كثير ابن شنظير عن ليث، قال أبو يعلى احمد بن علي بن المثنى الموصلي: حدثنا يحيى بن أيوب المقابري حدثنا حسان بن إبراهيم حدثنا حفص بن سليمان عن كثير بن شنظير عن ليث ابن أبي سليم عن مجاهد عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"من حج فزارني بعد وفاتي عند قبري فكأنما زارني في حياتي". اه وأيضاً قال في الصارم: وليث بن أبي سليم مضطرب الحديث قاله الإمام أحمد بن حنبل.

وقال أبو معمر القطيعي: كان ابن عيينة يضعف ليث بن أبي سليم، وقال يحيى بن معين والنسائي: ضعيف، وقال السعدي: يضعف حديثه.

وقال إبراهيم بن سعيد الجوهري حدثنا يحيى بن معين عن يحيى بن سعيد القطان أنه كان لا يحدث عن ليث بن أبي سليم، وقال أحمد بن سليمان الرُّهاوي عن مؤمل بن المفضل قلنا لعيسى بن يونس: ألم تسمع من ليث بن أبي سليم ؟ قال: قد رأيته وكان قد اختلط، وكان يصعد المنارة بارتفاع النهار فيؤذن.

وقال ابن أبي حاتم سمعت أبي وأبا زرعة يقولان: ليث لا يشتغل به، و مضطرب الحديث. وقال أيضاً سمعت أبا زرعة يقول: ليث بن أبي سليم لين الحديث، لا تقوم به الحجة عند أهل العلم بالحديث. اه

وقال الذهبي في الميزان في ترجمة حفص بن سليمان: وكان ثبتاً في القراءة، واهياً في الحديث، فإنه كان لا يتقن الحديث ويتقن القرآن ويجودّه، وإلا فهو في نفسه صادق اه. وأيضاً فيه قال حنبل بن إسحاق عن أحمد: ما به بأس، وروى الحسين بن حبان عن ابن معين قال: هو أصح قراءة من أبي بكر وأبو بكر أوثق منه. وقال عبدالله بن أحمد عن أبيه: متروك الحديث. فهذه رواية ابن أبي حاتم عن عبدالله، وأما رواية أبي علي الصواف عن عبدالله عن أبيه فقال: صالح. وقال ابن معين أيضاً: ليس بثقة. وقال البخاري: تركوه، وقال أبو حاتم: متروك، وقال ابن خراش: كذاب يضع الحديث. وقال ابن عدي لا يصدق، عامة أحاديثه غير محفوظة، وقال ابن حبان يقلب الأسانيد ويرفع المراسيل، وكان يأخذ كتب الناس فينسخها ويرويها من غير سماع.

وقال أحمد بن حنبل أخبرنا يحيى القطان قال: ذكر شعبة حفص بن سليمان فقال: كان يأخذ كتب الناس وينسخها، أخذ مني كتاباً فلم يرده، وقال أحمد بن محمد الحضرمي: سألت يحيى بن معين عن حفص بن سليمان أبي عمرو البزار فقال: ليس بشيء اه، وقال الذهبي في الكاشف: ثبت في القراءة لا الحديث. قال البخاري: تركوه. انتهى. وقال الحافظ ابن حجر في التقريب: حفص بن سليمان

الأسدي أبو عمرو البزاز الغاضري بمجمعتين وهو حفص بن أبي داود القارئ صاحب عاصم ويقال له حفيص متروك الحديث مع إمامته في القراءة. اهـ. وقال الحافظ في التلخيص: أما حفص فهو ابن سليمان ضعيف الحديث، وإن كان أحمد قال فيه صالح اهـ. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: وفيه حفص بن أبي داود القارئ وثقه أحمد وضعفه جماعة اهـ.

وقال في الخلاصة: حفص بن سليمان الأسدي الغاضري بمعجمتين ثم مهملة أبو عمرو البزاز ابن امرأة عاصم ويقال له حفيص بن أبي داود الكوفي المقرئ عن علقمة ابن مرثد ومحارب بن دثار، وعنه آدم بن أبي إياس، ومحمد بن سليمان لوين وعلى بن حجر وخلق، قال البخاري: تركوه في رواية الحديث، وأما القراءة فهو فيها ثبت بإجماع اهـ.

وقال في تنزيه الشريعة: حفص بن أبي داود، وهو حفص بن سليمان صاحب القراءة، قال ابن خراش: كذاب يضع الحديث، اهـ وقال الحافظ زكي الدين عبدالعظيم المنذري في ترجمة ليث بن أبي سلم: فيه خلاف، وقد حدث عنه الناس وضعفه يحيى والنسائي، وقال ابن حبان: اختلط في آخر عمره.

وقال مؤمل بن الفضل سألت عيسى بن يونس عن ليس فقال: رأيته وكان قد اختلط، وكنت ربما مررت به ارتفاع النهار وهو على المنارة يؤذّن، وقال الدارقطني: كان صاحب سنة، إنما أنكروا عليه الجمع بين عطاء وطاوس ومجاهد حسبُ، ووثقه ابن معين في رواية. اهـ.

وقال النووي في شرح صحيح مسلم: وأما ليث بن سليم فضعفه الجماهير، قالوا: واختلط واضطربت أحاديثه، قالوا:وهو ممن يكتب حديثه، قال أحمد بن حنبل: هو مضطرب الحديث ولكن حدَّث الناس عنه، وقال الدارقطني وابن عدي: يكتب حديثه، وقل كثيرون :لا يكتب حديثه، وامتنع كثيرون من السلف من كتابة حديثه اهـ، وقال في تهذيب الأسماء: اتفق العلماء على ضعفه، وقال ابن جملة في

فوائده: وأكثر المحدثين على تضعيفه في الحديث، وصرح جماعة من أئمتهم بتركه. اهـ.

وفي الأنساب للسمعاني: ليث بن أبي سليم بن زُنيم الليثي من الأبناء، وأصله من أبناء فارس، واسم أبي سليم انس، كان مولده بالكوفة فكان معلماً بها يروي عن مجاهد وطاوس وروى عنه الثوري وأهل الكوفة، وكان من العباد، ولكن اختلط في آخر عمره حتى لا يدري ما كان يحدث به، وكان يقلب الأسانيد، ويرفع المراسيل، ويأتي عن الثقات بما ليس من أحاديثهم، كل كان منه من اختلاط، تركه يحيى بن القطان وابن مهدي وأحمد بن حنبل ويحيى بن معين، ومات ليث سنة ثلاث وأربعين ومائة، قال عيسى بن يونس: ليث بن أبي سليم كان قد اختلط،ربما مررت به ارتفاع النهار وهو على المنارة يؤذن.

وذكر محمد بن خلف العسقلاني أنه رأى مجاهداً في النوم فقال له: يا أبا الحجاج أي شيء حال ليث بن أبي سليم عندكم ؟ قال: مثل حاله عندكم، هكذا في تراجم الحفاظ للبدخشى، وقال الحافظ في التقريب: الليث بن أبي سليم بن زُنيم بالزاى والنون مصغراً، واسم أبيه أيمن، وقيل أنس، وقيل غير ذلك صدوق، اختلط أخيراً ولم يتميز حديثه فترك اهـ. وقال الحافظ في الفتح: قوله ولم يصح وذلك لضعف إسناده واضطرابه، تفرد به ليث بن أبي سليم وهو ضعيف. اهـ

وقال الذهبي في الميزان في ترجمة الحسن بن الطيب: الحسن بن الطيب البلخي عن قتيبة، قال ابن عدي: كان له عم يقال له الحسن بن شجاع فادعى كتبه حيث وافق اسمه اسمه، أخبرني بهذا عبدان، وكان عبدان يروي عن عمه، وقل ابن عدي: وقد حدث أيضاً بأحاديث سرقها، وكان قد حمل إلى بغدادوقرئ عليه، وقال الخطيب: حدث عن هدبة وقتيبة وأبي كامل الجحدري، روى عنه ابن المظفر والزيات وطائفة، قال البرقاني: إنه ذاهب الحديث، وقال الدارقطني :لا يساوي شيئاً، يحدث بما لا يسمع، وعن مطين: إنه كذاب. اهـ.

وقال في الميزان في ترجمة أحمد بن رشدين قال ابن عدي: كذبوه وأنكرت عليه أشياء، قلت: فمن أباطيله رواية الطبراني وغيره عنه قال: حدثنا حميد بن علي البجلي الكوفي حدثنا ابن أبي لهيعة عن أبي عثانة عن عقبة بن عامر مرفوعاً "قالت الجنة يا رب، أليس وعدتني أن تزينني بركنين ؟ قال: ألم أزينك بالحسن والحسين ؟ فماست الجنة كما تميس العروس" اهـ.

وقال في تنزيه الشريعة: أحمد بن محمد بن الحجاج بن رشدين بن سعد أبو جعفر المصري، قال ابن عدي: كذبوه، اهـ. وقال السوطي في التدريب: وأوهي أسانيد المصريين أحمد بن محمد بن الحجاج بن رشدين بن سعد عن أبيه عن جده عن قرة بن عبدالرحمن عن كل من روى عنه فإنها نسخة كبيرة اهـ. وقل الحافظ في اللسان: محمد بن حجاج بن رشدين المهري عن أبيه عن جده قال العقيلي: في حديثه نظر، روى عنه ابنه أحمد بن محمد، ويروى أيضاً عن ابن وهب. توفي سنة 231. اهـ.

وقال ابن عدي: كأن بيت رشدين خصوا بالضعف، رشدين ضعيف، وابنه حجاج ضعيف، وللحجاج ابن يقال له محمد ضعيف. قلت: وابن محمد أحمد ضعيف، وقد تقدم، ويقال له أحمد بن رشدين ينسب إلى جده الأعلى. اهـ

قوله: وفي رواية "من حج فزارني في مسجدي بعد وفاتي كان كمن زارني في حياتي".

أقول: رواه بهذا اللفظ بعض الحفاظ في زمن عبدالله بن منده، وفي سنده حفص بن سليمان وليث بن أبي سليم وقد تقدم الكلام فيهما، قال في الصارم: وقال بض الحفاظ في زمن عبدالله بن منده: حدثنا أبو الحسن حامد بن حماد بن المبارك السر من رأى[37] بنصيبين حدثنا أبو يعقوب إسحاق بن سيار بن محد النصيبي حدثنا عمر بن سيار بمصر حدثنا حفص بن سليمان، عن ليث بن أبي سليم

---

[37] () **سر من رأى اسم مدينة بين بغداد وتكريت استحدثه المعتصم، قال أبو عثمان المازني: سألني الخليفة الواثق: كيف ينسب رجل إلى سر من رأى ؟ فقلت: سرى، بضم السين وتشديد الراء كالنسبة إلى تابط شراً: تأبطى.**

عن مجاهد عن عبدالله بن عمر قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم:"من حج فزارني في مسجدي بعد وفاتي كان كمن زارني في حياتي" هكذا رواه بهذا اللفظ اهـ.

قوله: وفي رواية "من زارني إلى المدينة كنت له شفيعاً وشهيداً".

أقول: قال في (الصارم) والجواب أن يقال: هذا اللفظ المذكور غلط في هذا الحديث – حديث نافع عن ابن عمر – ولفظ الزيارة فيه غير محفوظ، ولو كان محفوظاً لم يكن فيه حجة على محل النزاع، والمحفوظ في هذا عن أيوب السختياني ما رواه هشام الدستوائي وسفيان بن موسى عنه عن نافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" من استطاع منكم أن يموت بالمدينة فليمت فنه من مات بها كنت له شفيعاً أو شهيداً". هذا هو حديث أيوب عن نافع، ليس فيه ذكر الزيارة أصلاً، وكذلك رواه الحسن بن أبي جعفر الجعفري – وهو ضعيف – عن أيوب عن نافع عن ابن عمر، ورواه وهيب عن أيوب عن نافع مرسلاً عن النبي صلى الله عليه وسلم، ورواه إسماعيل بن علية عن أيوب قال نبئت عن نافع قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال موسى بن هارون: ووهيب وابن علية اثبت من الدستوائي ومن الجعفري ومن سفيان بن موسى، وقد ذكرنا ألفاظ هذا الحديث فيما تقدم، وذكرنا من رواته نافعاً من أصحابه، وحكينا ما ذكره الدارقطني وغيره في ذلك، وقد وقف هذا المعترض على ما ذكره في كتاب العلل من الاختلاف في إسناد الحديث ومتنه ولم ينقل منه إلا طريقاً واحدة أخطأ فيها، ولفظاً واحداً وهم فيه الناقل، وأعرض عن ذكر الطرق الواضحة والألفاظ الصحيحة، وهل هذا إلا عين الخذلان أن ينظر الرجل في ألفاظ الحديث وطرقه في موضع واحد فينقل منها الضعيف والسقيم، ويدع القوي الصحيح من غير بيان لذلك، ثم يعتل بأن النسخة التي نقل منها سقيمة.

وهذا الحديث الذي نقله المعترض من كتاب العلل للدارقطني أخطأ راويه في إسناده، ووهم في متنه، أما خطؤه في إسناده فقوله: "عن عون بن موسى"

وإنما هو سفيان بن موسى، وهو شيخ من أهل البصرة روى له مسلم في صحيحه حديثاً واحداً متابعة يرويه عن أيوب عن نافع عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إذا أقيمت الصلاة ووضع العشاء فابدءوا بالعشاء" وقد ذكر ابن أبي حاتم أنه سئل عنه فقال مجهول، وذكره ابن حبان في آفات الثقات.

وأما وهمه في متنه فقوله صلى الله عليه وسلم: "من زارني إلى المدينة" ولفظ الزيارة في حديث أيوب عن نافع ليس بصحيح، والمعروف من حديثه عنه "من استطاع منكم أن يموت بالمدينة فليفعل، وأوضح منه الفظ الذي رواه مسلم في صحيحه من حديث ابن عمر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :لا يصبر عن لأوائها وشدتها أحد إلا كنت له شهيداً أو شفيعاً يوم القيامة". اهـ.

قوله: وفي رواية: "من زارني إلى المدينة كنت له شفيعاً وشهيداً، ومن مات بأحد الخرمين بعثه الله من الآمنين يوم القيامة". رواه بهذه الزيدة أبو داود الطيالسي.

أقول: قال في (الصارم) والجواب أن يقال: هذا الحديث ليس بصحيح لانقطاعه وجهالة إسناده واضطرابه، ولأجل اختلاف الرواة في إسناده واضطرابهم فيه جعله المتعرض ثلاثة أحاديث، وهو حديث واحد ساقط الإسناد لا يجوز الاحتجاج به ولا يصلح الاعتماد على مثله كما سنبين ذلك إن شاء الله تعالى، وقد خرجه البيهقي في كتاب شعب الإيمان وفي كتاب السنن الكبير،وقال في كتاب السنن بعد تخريجه، هذا إسناد مجهول. (قلت): وقد خالف أبو داود غيره في إسناده ولفظه، وسوار بن ميمون شيخه يقلبه بعض الرواة ويقول ميمون بن سوار، وهو شيخ مجهول، لا يعرف بعدالة ولا ضبط، ولم يشتهر بحمل الديث ونقله. وأما شيخ سوار في هذه الرواية رواية أبي داود فإنه شيخ مبهم، وهو أسوأ حالاًمن المجهول، وبعض الرواة يقول فيه" عن رجل من آل عمر" كما في هذه الرواية، وبعضهم يقول: "عن رجل من ولد حاطب"، وبعضهم يقول: "عن رجل من آل الخطاب".

وقد قال البخاري في تاريخه: ميمون بن سوار العبدي عن هارون أبي قزعة عن رجل من ولد حاطب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من مات في أحد الحرمين" قاله يوسف بن راشد حدثنا وكيع حدثنا ميمون، هكذا سماه البخاري ميموناً من رواية وكيع عنه، ولم يذكر فيه عمر، وزاد فيه ذكر هارون، وقال: "عن رجل من ولد حاطب". وفي هذا مخالفة لرواية أبي داود من وجوه.

وقال في حرف الهاء من التاريخ هارون أبو قزعة عن رجل من ولد حاطب عن النبي صلى الله عليه وسلم: "من مات في أحد الحرمين" روى عنه ميمون بن سوار لا يتابع عليه، وقال العقيلي في كتاب الضعفاء: هارون بن قزعة مدني، روى عنه سوار بن ميمون حدثني آدم قال سمعت البخاري يقول: هارون بن قزعة مدني لا يتابع عليه، هكذا ذكر العقيلي هارون بن قزعة، والذي في تاريخ البخاري: هارون أبو قزعة، وقد يكون اسم أبي هارون قزعة وهارون يكنى بأبي قزعة.

ثم قال العقيلي: حدثنا محمد بن موسى حدثنا أحمد بن الحسن الترمذي حدثنا عبدالملك بن إبراهيم الجدي حدثنا شعبة عن سوار بن ميمون عن هارون بن قزعة عن رجل من آل الخطاب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من زارني متعمداً كان في جواري يوم القيامة، ومن مات في أحد الحرمين بعثه الله من الآمنين يوم القيامة". قال العقيلي بعد ذكر هذا الحديث: الرواية في هذا لينة. (قلت): هكذا في هذه الرواية: "عن رجل من آل الخطاب" وهو يوافق رواية الطيالسي "عن رجل من بل عمر"، وكأنه تصحيف من حاطب، والذي في تاريخ البخاري "عن رجل من ولد حاطب" وليس في هذه الرواية التي ذكرها العقيلي ذكر عمر كما في رواية الطيالسي، وكذلك رواية وكيع الذي ذكرها البخاري، وليس فيها ذكر عمر أيضاً، فالظاهر أن ذكره وهم من الطيالسي، وكذلك إسقاطه هارون من روايته وهم أيضاً. اهـ.

قوله: ثم ذكر أحاديث كلها تدل على مشروعية الزيارة.

أقول: قد رد على كلها صاحب الصارم، فلم يبق واحد منها قابلاً لأن يحتج به على مشروعية الزيارة.

قوله: فتلك الأحاديث كلها مع ما ذكرنا صريحة في ندب بل تأكد زيارته صلى الله عليه وسلم حياً وميتاً للذكر والأنثى.

أقول: قد عرفت فيما تقدم أن تلك الأحاديث ليست قابلة لأن يحتج بها على حكم من الأحكام الشرعية، على أن بعضها فيها غير دال على المطلوب، فإنه ليس فيه ذكر القبر ولا ذكر الوفاة.

قوله: والزيارة شاملة للسفر، لأنها تستدعي الانتقال من مكان الزائر إلى مكان المزور كلفظ المجيء الذي نصت عليه الآية الكريمة.

أقول: هب أن الزيارة مطلقة شاملة للسفر، ولكن قوله صلى الله عليه وسلم : لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى". مقيد لذلك الإطلاق، والتأويل الذي ذكره صاحب الرسالة ستطلع على فساده، على أن لفظ الزيارة مجمل كالصلاة والزكاة والربا فإن كل زيارة قبر ليست قربة بالإجماع للقطع بأن الزيارة الشركية والبدعية غير جائزة، فلما زار النبي صلى الله عليه وسلم القبور وقع ذلك الفعل بياناً لمجمل الزيارة، ولا يثبت السفر من فعله صلى الله عليه وسلم مع أن الخروج إلى مطلق المسد أيضاً شامل للسفر وهو قربة كما سيأتي بيانه، فيكون السفر إلى مسجد غير المساجد الثلاثة أيضاً قربة والخصم أيضاً لا يقول به، وكذلك الصلاة والذكر شاملان لجميع الصلوات المبتدعة والأذكار المحدثة، فلو سوغ الاستدلال بمثل تلك الإطلاقات للزم جواز تلك الصلوات المبتدعة والأذكار المحدثة.

قوله: وإذا كانت كل زيارة قربة كان كل سفر إليها قربة.

أقول: هذا إما مبنى على القاعدة الآتية وهي فاسدة كما سيأتي بيانه، والمبني على الفاسد فاسد، أو مبني على أن الزيارة شاملة للسفر فالجواب ما تقدم آنفاً من كون لفظ الزيارة مجملاً ووقوع فعل النبي صلى الله عليه وسلم بياناً

لإجماله وكون حديث : لا تشد الرحال" الحديث مقيداً لإطلاق الزيارة على تقدير تسليم شمول الزيارة للسفر.

قوله: وقد صح خروجه صلى الله عليه وسلم لزيارة قبور أصحابه بالبقيع وبأحد، فإذا ثبت مشروعية الانتقال لزيارة قبر غير قبره صلى الله عليه وسلم فقبره الشريف أولى.

أقول: الثابت بالحديث المذكور إنما هو مشروعية الانتقال الذي هو دون السفر للزيارة، ولا ينكره أحد، والانتقال الذي تنكر مشروعيته هو السفر وهو ليس بثابت.

قوله: والقاعدة المتفق عليها أن وسيلة القربة المتوقفة عليها قربة – إلى قوله -: صريحة في أن السفر للزيارة قربة مثلها.

أقول: فيه كلام من وجوه:

(الأول) أن هذه القاعدة في أي كتاب من كتب الأصول والفقه ؟ وما الدليل عليها من الكتاب والسنة ؟ ولابد من نقل الإجماع عليها.

و(الثاني) أن هذه القاعدة منقوضة بأن إتيان مسجد قباء والصلاة فيه ركعتين قربة لما روى الشيخان عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يأتي مسجد قباء كل سبت ماشياً وراكباً ويصلي فيه ركعتين، وعن أسيد بن ظهير الأنصاري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "صلة في مسجد قباء كعمرة" رواه الترمذي وابن ماجه والبيهقي، وعن سهل بن حنيف قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من توضأ فأحسن الوضوء ثم دخل مسجد قباء فركع فيه أربع ركعات كان ذلك عدل رقبة" رواه الطبراني في الكبير. مع أن السفر إلى قباء ليس بقربة، فإنه سفر إلى مسجد غير المساجد الثلاثة التي تشد إليها الرحال، وكذلك تحية المسجد في غير المساجد الثلاثة قربة، لحديث أبي قتادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إذا دخل أحدكم المسجد فليركع ركعتين قبل أن يجلس" متفق عليه. وكذلك الغدوّ إلى مسجد غير

المساجد الثلاثة لتعليم الآيتين إذ قراءتهما قربة لحديث عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد فيعلم أو يقرأ آيتين من كتاب الله". الحديث رواه مسلم. وكذلك الخروج إلى مسجد غير المساجد الثلاثة قربة لحديث أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من إذا إلى المسجد أو راح أعدّ الله له نزله من الجنة كلما غدا أو راح" متفق عليه. ولحديث أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من أعظم الناس أجراً في الصلاة أبعدهم ممشى". متفق عليه. ولحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "وذلك أنه إذا توضأ فأحسن الوضوء ثم خرج إلى المسجد لا يخرجه إلى الصلاة لم يخط خطوة إلا رفعت له بها درجة وحط عنه بها خطيئة". متفق عليه. وعن بريدة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "بشر المشائين في الظلم بالنور التام يوم القيامة". رواه أبو داود والترمذي. وعن أبي أمامة رضي الله عنه: "من خرج إلى المسجد فهو ضامن على الله". رواه أبو داود وابن حبان في صحيحه، مع أن السفر إلى مسجد غير المساجد الثلاثة ليس بقربة، وكذلك دخول بيت الله قربة مع أن وسيلته في بعض الأحيان – أي دفع الرشوة التي يأخذها الحجبة – ليس بقربة، كذا في كتب الفقه، وكذلك الحج قربة مع أن وسيلته في بعض الأزمنة والأمكنة دفع الرشوة وإعطاء المكس والخفارة، وهي ليست من القربة في شيء.

و(الثالث) أن القربة على نوعين: نوع ورد الترغيب فيه من الشارع بخصوصه كصلاة الليل والضحى وغيرهما، ونوع لم يرد الترغيب فيه من الشارع بخصوصه بل وقع الترغيب في عام وهي من أفراده، كالنفل الذي يؤدي بعد الظهر عقب الراتبة فإنه لم يرد في حقه ترغيب في حديث بل إنما ورد الترغيب في مطلق التطوع وهو من أفراده، والقربة التي هي من النوع الأول قربة بالذات، وأما

القربة التي هي من النوع الثاني فإنها داخلة في عموم الأمر بزيارة القبور[38]، ولم يثبت حديث في خصوص كون زيارة قبره صلى الله عليه وسلم قربة كما عرفت فيما تقدم، فالقربة حقيقة فيما هنالك مطلق الزيارة وهو لا يتوقف على السفر بل تحصل هذه القربة بزيارة قبر من قبور بلد الزائر وقريته، وإن كان فرده الكامل هو زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم.

و(الرابع) أنا لا نسلم أن مطلق زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم قربة، بل القربة هي الزيارة التي لا يقع فيها شد رحل بدليل حديث لا تشد الرحال".

و(الخامس) أنه لو سلم كون مطلق زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم قربة فلا نسلم كونها متوقفة على السفر للزيارة، لجواز أن يسافر لزيارة المسجد النبوي أو أمر آخر من التجارة وغيرها، ثم بعد وصول المدينة الطيبة يزور قبر النبي صلى الله عليه وسلم، فحينئذ تكون الزيارة متوقفة على مطلق السفر لا على سفر الزيارة[39]، فيكون مطلق السفر قربة لا سفر الزيارة، ومطلوب الخصم هذا دون ذاك فلا يتم التقريب.

(السادس) أنه لو سلمت هذه القاعدة فهي إنما هي وسيلة لم ينه الشارع عنها، والسفر للزيارة قد نهى الشارع عنه بدليل حديث لا تشد الرحال".

قوله: ومن زعم أن الزيارة قربة في حق القريب فقط فقد افترى على الشريعة الغراء فلا يعول عليه.

أقول: هذا ليس من الافتراء على الشريعة في شيء بل هو الحق والصواب، فإن لفظ الزيارة الواقعة في الأحاديث مجمل يشمل الزيارة البدعية والشركية وهما غير مرادتين بالإجماع ولم يعلم أن المراد أي الزيارة، فبين النبي صلى الله عليه وسلم المراد منها بفعله، والثابت من قوله صلى الله عليه وسلم ليس إلا زيارة القبور القريبة التي ليست بينه صلى الله عليه وسلم وبينها مسافة

---

38 () **لعله سقط من هنا بيان أن عموم الأمر بصلاة التطوع من هذا النوع، وأن زيارة قبره صلى الله عليه وسلم تدخل في عموم الأمر بزيارة القبور.**

39 () **إنما يجيء هذا في غير المقيم بالمدينة وجوارها.**

سفر، ولو سلم أن المراد بالزيارة في الأحاديث مطلقها فحديث لا تشد الرحال" يكون مقيداً لها، على أن لو كانت الزيارة قربة في حق البعيد لفعلها النبي صلى الله عليه وسلم أو واحد من أصحابه في زمنه صلى الله عليه وسلم أو بعده، ولما لم يفعلها النبي صلى الله عليه ولا أحد من أصحابه في زمنه صلى الله عليه وسلم ولا بعده، بل ولا فعلها واحد من التابعين وتبع التابعين علم أن السفر لزيارة القبور ليس من القربة في شيء.

قوله: وأما تخيل بعض المحرومين أن منع الزيارة أو السفر إليها من باب المحافظة على التوحيد، وأن ذلك مما يؤدي إلى الشرك، فهو تخيل باطل.

أقول: لعل المراد ببعض المحرومين شيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله وأتباعه، ولكن لم أجد[40] بعد ذلك التخيل في كلام الشيخ المذكور ولا في كلام أحد من أتباعه، بل قد وجد في غير ما موضع من كلامه ما يدل صراحة على مشروعية زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم، وقد تقدم نقل بعض عباراته في هذا الباب فتذكر، فعل هذا افتراء على الشيخ رحمه الله، نعم قد منع شيخ الإسلام الإفراط في تعظيم قبره صلى الله عليه وسلم معللاً بالعلة المذكورة، وعليه اعترض السبكي في شفاء الأسقام حيث قال: فإن قلت: الفرق أيضاً أن غيره لا يخشى فيه محذور، وقبره صلى الله عليه وسلم يخشى الإفراط في تعظيمه أن يعبد. قلت: هذا كلام تقشعر منه الجلود، ولولا خشية اغترار الجهال به لما ذكرنه، فإن فيه تركاً لما دلت عليه الأدلة الشرعية بالآراء الفاسدة الخيالية، وكيف يقدم على تخصيص قوله صلى الله عليه وسلم "زوروا القبور" وعلى ترك قوله "من زار قبري وجبت له شفاعتي" وعلى مخالفة إجماع السلف والخلف بمثل هذا الخيال الذي لم يشهد به كتاب ولا سنة، وهذا بخلاف النهي عن اتخاذه مسجداً وكون الصحابة احترزوا عن ذلك للمعنى المذكور، لأن ذلك قدور ..... أن نشرع أحكاماً من قبلنا

---

40 () **لعل كلمة "بعد": هنا من سبق القلم أو غلط الطبع، لأنها تدل على أنه يتوقع أن يجد ذلك بعد الآن، وكيف وقد وجد ما يخالفه ؟ وهو ما ذكره بعده من تصريح شيخ الإسلام بأن زيارة قبره صلى الله عليه وسلم قربة، وهو ما تقدم في أول الكتاب.**

[illegible]

41 () أي السبكي في شفائه.

42 () ص 332-238.

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[43] () يعني السبكي.
[44] () هذا خبر "قوله".
[45] () أي السبكي.

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[46] () قد قابلنا ما نقله المؤلف من (تطهير الاعتقاد) عند التصحيح بالأصل المطبوع، فوجدنا فيه زيادة سقطت ن مؤلفنا فلم نثبتها، لأن الظاهر أنه قد تركها اختصاراً.

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

"

"

.

"

"

"

"

"

.

"

:

.

[47] () هذا خطأ من وجهين: أحدهما أن توسل الإنسان بعمل غيره ومزاياه غير مشروع ولا معقول، وإنما توسل أصحاب الغار بعملهم. والثاني سيأتي الرد عليه: وكتبه محمد رشيد رضا.

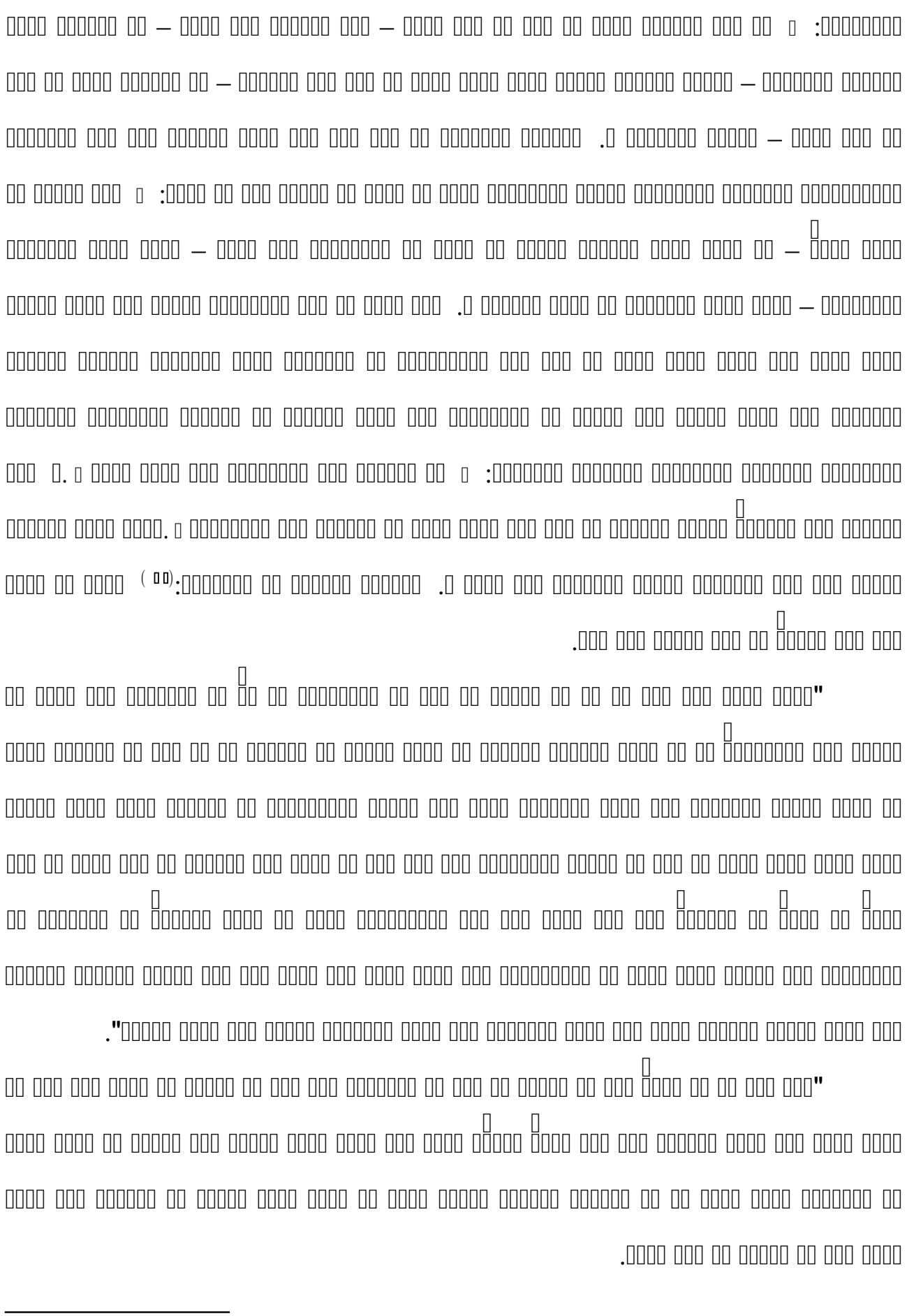

[49] () كما في صحيح البخاري.

[50] () لعله سقط من هنا خبر المبتدأ الذي عطف عليه الاضطراب بعده، والمعنى أن مجرد التسمية لا تقتضي التفرقة في الحكم بين المتفقين في الاعتقاد.

[illegible]

[illegible]

[51] ()

[illegible]

52 () **أي الشوكاني.**

53 () **فيه نظر، وهو أن توسل الإنسان بعبادة غيره غير مشروع ولا مأثور ولا معقول، فالتوسل تقرب شرعي، وإنما يتقرب العباد إلى ربهم بما شرعه لهم من الإيمان والعمل الصالح كما فعل أصحاب الغار الثلاثة، وتقدمت الإشارة إليه. وكتبه محمد رشيد رضا.**

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾. وقد جعل الأنبياء أو غيرهم كان عبدالمطلب طلب[54] وسائط ويتوكل بمعنى الخلق حوائج الله، أدباً إلى هذا صلى.

(): : زلفى.

: تعظيم ملك[55] وإفطنة[56]. ؟ .

: .

.

.

---

[54] () مع أن أبا طالب اختار أن يموت على ملة عبدالمطلب في الجاهلية، وأبى أن ينطق بكلمة التوحيد التي دعاه صلى الله عليه وسلم إلى النطق بها ساعة الاحتضار، ونزلت فيه الآية: إنك لا تهدي أحببت ولكن يشاء .

[55] () تخليقها تضميخها بالخلوق، وهو بالفتح نوع من الطيب، ومثله كل تعطير وتطييب.

[56] () هو اقتداء بهم وإن لم يقصد فاعله الاقتداء ولا علم بحالهم، والحكم منوط بهذا العمل الوثني لا بقصد الاقتداء بالمشركين، وكتبه وما قبله محمد رشيد.

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

57 () **هو الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن في كتاب (منهاج التأسيس في الرد على داود بن جرجيس) البغدادي.**

[illegible]

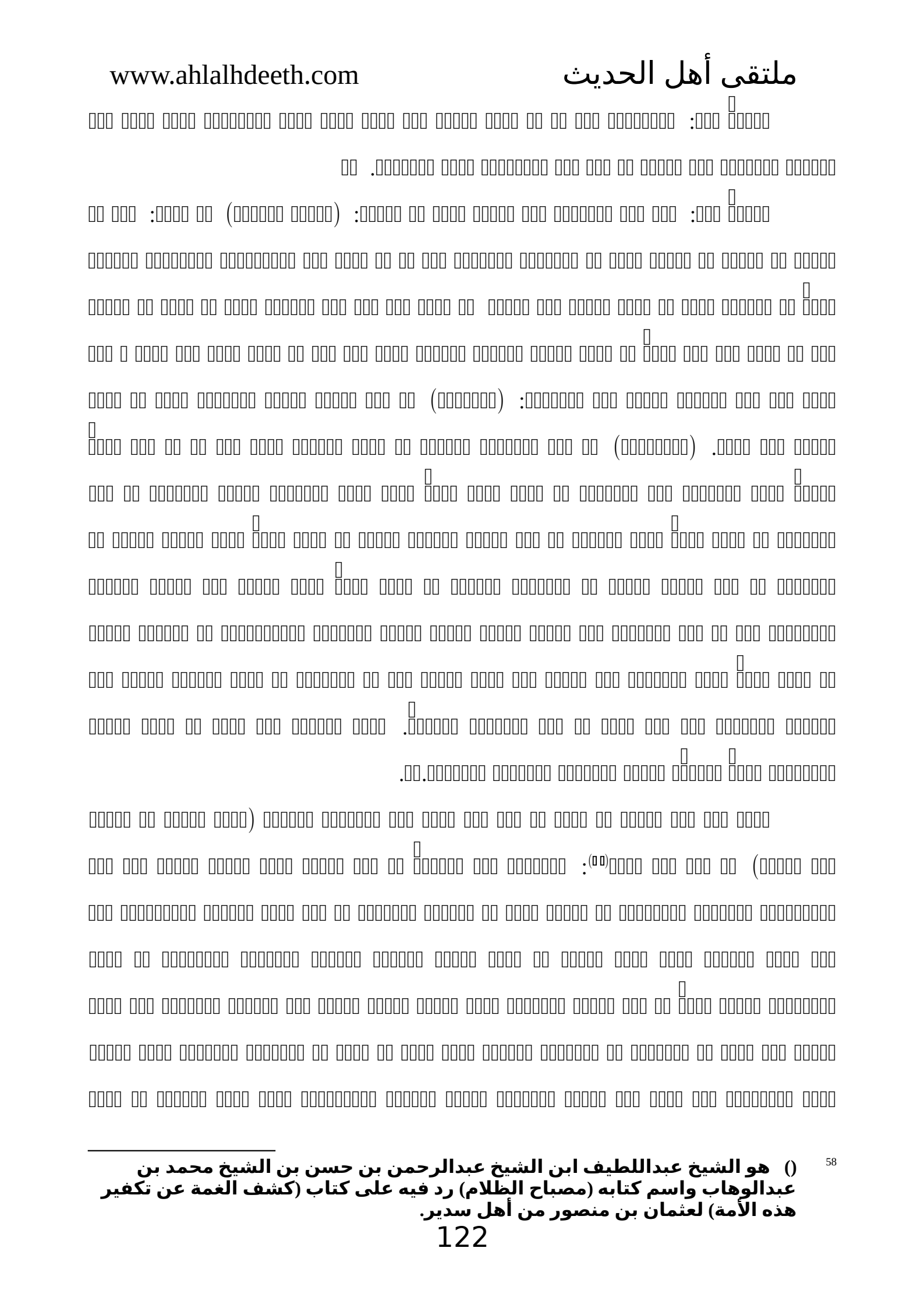

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

(59) **أي فعليكم بأصحاب القبور، وتقدم قريباً في ص 185.**

(60) **سيأتي رده.**

[62] () أي ما نقله صاحب (جلاء العينين) من تفسير والده المسمى بروح المعاني.

63 () يشير بلقب الباز إلى الشيخ عبدالقادر الجيلاني القطب الشهير الذي يعبده الملايين في العراق والهند وغيرهما، وهو مدفون في بغداد، ومن صور استغاثته المشهورة أن من كان له حاجة وصلى ركعتين في الليل ثم استقبل بغداد وتوجه إلى الشيخ عبدالقادر واستغاثه بهذين البيتين:

أيدركني ضيم وأنت ذخيرتي ؟
وعار على راعي الحمى وهو في الحمى
وأظلم في الدنيا وأنت نصيري ؟
إذا ضاع في الهجا عقال بعير

وناداه باسمه وذكر حاجته فإنها تقضى !

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

تحقيق المؤلف لمسألة التوسل[64]

إنه لابد هناك أولاً من بيان معنى التوسل لغة وشرعاً ثم بيان حكمه قسماً قسماً.

قال العلامة أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي في المصباح المنير: وسلت إلى الله بالعمل أسل – من باب وعد – رغبت وتقرب، ومنه اشتقاق الوسيلة، وهي ما يتقرب به إلى الشيء، والجمع الوسائل، والوسيل قيل جمع وسيلة وقيل لغة فيها، وتوسل إلى ربه بوسيلة تقرب إليه بعمل.اه

وقال في النهاية: وفي حديث الأذان "آت محمداً الوسيلة". هي في الأصل ما توسل به إلى الشيء ويتقرب به، وجمعها وسائل، يقال وسل إليه وسيلة وتوسل، والمراد به في الحديث القرب من الله تعالى، وقيل هي الشفاعة يوم القيامة، وقيل هي منزل من منازل الجنة، كذا جاء في الحديث. اه

وقال في مجمع البحار: أن الواصل إليها يكون قريباً من الله، ومنه "سلوا الله لي الوسيلة". طلب من أمته الدعاء له افتقاراً إلى الله هضماً لنفسه لتنتفع به أمته ويثاب عليه، أو للإرشاد ليسأل كل صاحبه الدعاء له. اه

وقال الجوهري في الصحاح: الوسيلة ما يتقرب به إلى الغير، والجمع الوسيل والوسائل والتوسيل والتوسل واحد، يقال وسل فلان إلى ربه وسيلة

---

64 () **العنوان للمصحح.**

وتوسل إليه بوسيلة أي تقرب إليه بعمل، والواسل الراغب إلى الله، قال لبيد:

بلى كل ذي دين إلى الله واسل انتهى ملخصاً.

وقال في القاموس: الوسيلة والواسلة المنزلة عند الملك والدرجة والقربة، ووسل إلى الله تعالى عمل عملاً تقرب به إليه كتوسل، والواسل الواجب والراغب إلى الله تعالى. اهـ. وهذا الذي ذكرنا يعلم منه معنى التوسل اللغوي.

وأما معناه الشرعي فتحقيقه متوقف على استقراء مواقع هذا اللفظ في الكتاب والسنة، فليعلم أن هذا اللفظ قد جاء في سورة المائدة قال الله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة، وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون ﴾.

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره: يقول الله تعالى آمراً عباده المؤمنين بتقواه، وهي إذا قرنت بطاعته كان المراد بها الانكفاف عن المحارم وترك المنهيات، وقد قال بعدها: ﴿ ابتغوا إليه الوسيلة ﴾ قال سفيان الثوري عن طلحة عن عطاء عن ابن عباس: أي القربة، وكذا قال مجاهد وابو وائل والحسن وابن زيد وغير واحد، وقال قتادة: أي تقربوا إليه بطاعته والعمل بما يرضيه، وقرأ ابن زيد: ﴿ أولئك الذين يدعون إلى ربهم الوسيلة ﴾. وهذا الذي قاله هؤلاء الأئمة لا خلاف بين المفسرين فيه، وأنشد عليه ابن جرير قال الشاعر:

إذا غفل الواشون عدنا لوصلها وعاد التصافي بيننا والوسائل

والوسيلة هي التي يتوصل بها إلى تحصيل المقصود. والوسيلة أيضاً علم لأعلى منزلة في الجنة، وهي منزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم وداره في الجنة، وهي أقرب أمكنة الجنة إلى العرش اهـ. وهكذا في سائر التفاسير، وقال تعالى في سورة بني إسرائيل ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن

دُونِهِ فَلاَيَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلاَ تَحْوِيلاً، أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُوراً . قال الحافظ ابن كثير: الوسيلة هي القربة كما قال قتادة،ولهذا قال: أيهم أقرب .

وعن جابر بن عبدالله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته، حلت له شفاعتي يوم القيامة" رواه البخاري.

قال الحافظ في الفتح: قوله: "رب هذه الدعوة" بفتح الدال، زاد البيهقي من طريق محمد بن عون عن علي بن عياش "اللهم إني أسألك بحق هذه الدعوة التامة". قوله "الوسيلة" هي ما يتقرب به إلى الكبير، يقال توسلت أي تقربت، وتطلق على المنزلة العلية، وقع ذلك في حديث عبدالله بن عمر، وعند مسلم بلفظ "فإنها منزلة في الجنة لا ينبغي إلا لعبد من عباد الله" الحديث، ونحوه للبزار عن أبي هريرة، ويمكن رده إلى الأول بأن الواصل إلى تلك المنزلة قريب من الله فتكون كالقربة التي يتوسل بها. اه

قال المؤلف: محمد بنعون الخراساني عن عكرمة، قال النسائي: متروك، وقال البخاري: منكر الحديث، وقال عباس عن ابن معين: ليس بشيء، كذا في الميزان فلا تصلح روايته لأن يحتج بها على مسألة من مسائل الشرع، فليعلم.

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا عليّ فإنه من صلى عليّ صلاة صلى الله عليه بها عشراً، ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة". رواه مسلم. قال النووي: وأما لغاته ففيه

الوسيلة، وقد فسرها قوله صلى الله عليه وسلم: "فإنها منزلة من الجنة" قال أهل اللغة: الوسيلة المنزلة عند الملك.اهـ.

وعن أنس أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبدالمطلب، فقال: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا صلى الله عليه وسلم فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا، قال فيسقون. رواه البخاري، وقد نقلنا فيما تقدم رواية الزبير بن بكار التي فيها صفة ما دعا به العباس في هذه الواقعة والوقت الذي وقع فيه ذلك من الفتح، فتذكر فإنها تفيد أن التوسل بالعباس رضي الله عنه إنما كان بدعائه لا بذاته.

وأيضاً قال في الفتح: وأخرج – يعني ابن الزبير بن بكار – أيضاً من طريق داود عن عطاء بن زيد بن أسلم عن ابن عمر قال: استسقى عمر بن الخطاب عام الرمادة بالعباس ابن عبدالمطلب فذكر الحديث وفيه فخطب الناس عمر رضي الله عنه فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرى للعباس ما يرى الولد للوالد، فاقتدوا أيها الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم في عمه العباس واتخذوه وسيلة إلى الله. وفيه فما برحوا حتى سقاهم الله. اهـ

فتحصل من هذا كله أن التوسل في اللغة التقربن والوسيلة هي ما يتقرب به إلى الشيء، ولم يجعل الشرع للتوسل حقيقة غير الحقيقة اللغوية، نعم جعل للوسيلة حقيقة حيث استعمل في الآيتين بمعنى القربة باتفاق المفسرين، وفي الحديثين بمعنى أعلى منزلة في الجنة، ولا مرية في كون المعنى الأخير حقيقة شرعية، وأما كون المعنى الأول أي القربة حقيقة شرعية ففيه تأمل لا يخفى على من له أدى تأمل، وبعد اللتيا والتي فالتوسل إلى الله تعالى على أنواع:

(أحدهما) التوسل بأسمائه تعالى وصفاته، وهو ثابت بالكتاب والسنة، قال الله تعالى: ﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها﴾. وعن عبدالله بن بريدة عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلاً يقول: اللهم إني أسألك بأنك أن الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، فقال "دعا الله باسمه الأعظم الذي إذا سئل به أعطى، وإذا دُعي به أجاب". رواه الترمذي وأبو داود كذا في المشكاة.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: مرَّ النبي صلى الله عليه وسلم بأبي عياش زيد بن الصامت الزرقي وهو يصلي وهو يقول: اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت يا منان يا بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لقد سألت الله باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى". رواه أحمد واللفظ له وابن ماجه. ورواه أبو داود والنسائي وابن حبان في صحيحه والحاكم، وزاد هؤلاء الأربعة: "يا حي يا قيوم". وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم. كذا في الترغيب والترهيب للمنذري.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "اللهم إني أسألك باسمك الطاهر الطيب المبارك الأحب إليك الذي إذا دعيت به أجبت، وإذا سئلت به أعطيت وإذا استرحمت به رحمت وإذا استفرجت به فرجت" قال فقال يوماً: ياعائشة: "هل علمت أن الله قد دلني على الاسم الذي إذا دعي به أجاب". قالت فقلت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله فعلمنيه، قال "إنه لا ينبغي لك يا عائشة". قالت فتنحيت وجلست ساعة ثم قمت فقبلت رأسه ثم قلت: يا رسول الله علمنيه، قال: "إنه لا ينبغي لك يا عائشة أن أعلمك، إنه لا ينبغي لك أن تسألي به شيئاً للدنيا" قالت فقمت فتوضأت ثم صليت ركعتين، ثم قلت: اللهم إني أدعوك الله وأدعوك الرحمن وأدعوك البر الرحيم، وأدعوك بأسمائك الحسنى كلها ما

علمت منها وما لم أعلم أن تغفر لي وترحمني. قالت: فاستضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال: "إنه لفي الأسماء التي دعوت بها" رواه ابن ماجه.

و(الثاني) التوسل بالأعمال الصالحة، وهذا أيضاً ثابت بالكتاب والسنة الصحيحة، أما الكتاب فما تقدم ذكره من الآيتين اللتين فيهما ذكر الوسيلة، فإن المراد بها بإجماع المفسرين هي القربة، وفي قوله تعالى: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين ﴾. إشارة إلى ذلك، فإن العبادة قدمت على الاستعانة لكون الأولى وسيلة إلى الثانية، وتقديم الوسائل سبب لتحصيل المطالب وأدعى إلى الإجابة، كذا في البيضاوي وغيره يدل عليه قول الله تعالى: ﴿ واستعينوا بالصبر والصلاة ﴾. والمعنى: استعينوا على حوائجكم وما تؤملون من خير الدنيا والآخرة إلى الله تعالى بالصبر والصلاة، حتى تجابوا إلى تحصيل المآرب وجبر المصائب، كذا في البيضاوي وغيره، وأخرج أحمد وأبو داود وابن جرير عن حذيفة قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة.

وأما السنة فما روي عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "بينما ثلاثة نفر يتماشون أخذهم المطر، فمالوا إلى غاز في الجبل، فانحت على فم غارهم صخرة من الجبل فأطبقت عليهم، فقال بعضهم لبعض: انظروا أعمالاً عملتموها لله صالحة فادعوا الله بها لعله يفرجها". الحديث متفق عليه، والحديث دال على أنه يستحب للإنسان أن يتوسل بصالح أعماله إلى الله تعالى، فإن هؤلاء فعلوه واستجيب لهم، وذكره النبي صلى الله عليه وسلم في معرض الثناء عليهم، وجميل فضائلهم، لكن الثابت منه إنما هو توسل الشخص بأعمال نفسه لا بأعمال غيره من الأنبياء والصالحين، كما زعم الإمام الشوكاني رحمه الله.

و(الثالث) أن يتوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم بتصديقه على الرسالة، والإيمان بماجاء به، طاعته في أمره ونهيه، ونصرته حياً وميتاً، ومعاداة من عاداه، ومولاة من ولاه، وإعظام حقه وتوقيره،وإحياء طريقته وسنته، وبث دعوته، ونشر شريعته، ونفي التهمة عنها واستشارة علومها، والتفقه في معانيها والدعاء إليها، والتلطف في تعلمها، وتعليمها وإعظامها وإجلالها، والتأدب عند قراءتها، والإمساك عن الكلام فيها بغير علم، وإجلال أهلها لانتسابهم إليها، والتخلق بأخلاقه والتأدب بآدابه، ومحبته ومحبة أهل بيته وأصحابه ومجانبة من ابتدع في سنته أو تعرض لأحد من عترته وصحبه ودعاء الوسيلة له، والصبر على لأواء مهجره وشدته ونحو ذلك، وكذلك التوسل بالصالحين بمحبتهم وتوقيرهم وإجلالهم، وما يحذو حذوه.

وهذا التوسل هو عين دين الإسلام لا يجحده أحد من المسلمين، لكن هذا التوسل في الحقيقة هو التوسل بالأعمال الصالحة، وإن سماه أحد توسلاً بالأنبياء والصالحين فلا يتغير حكمه بهذه التسمية، فإن العبرة للمسمى والمعنون لا للاسم والعنوان.

(الرابع) التوسل بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم في حياته كفاحاً، وكذلك التوسل بدعاء الصالحين، ومه قول عمر رضي الله عنه: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا صلى الله عليه وسلم فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا. ومنه قول أعرابي حين أصابت الناس سنة على عهد النبي صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله هلك المال وجاع العيال، فادع الله لنا،ومنها ما كانت الصحابة رضي الله عنهم من أن أحدهم متى صدر منه ما يقتضي التوبة جاء إليه، فقال: يا رسول الله فعلت كذا وكذا فاستغفر لي، وإليه الإشارة في قوله تعالى: ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً . وهذا أيضاً مما لا نزاع فيه لأحد، وعليه يحمل حديث الضرير "اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد

نبي الرحمة" على تقدير ثبوته، أي بدعاء نبيك، ويدل عليه لفظ فقال "ادع الله" وقوله "اللهم شفعه فيّ".

(الخامس) أن يدعو الرب سبحانه بإضافته إلى عباده الصالحين، كما في حديث عائشة رضي الله عنها "اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل" المروي في صحيح مسلم. فلو قال أحد في دعائه: اللهم رب إبراهيم وموسى وعيسى وداود ومحمد – أو قال – اللهم رب أبي بكر وعمر وعثمان وعلي – أو قال – اللهم رب فاطمة والحسن والحسين – أو قال – اللهم رب أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد – أو قال – اللهم رب البخاري ومسلم والترمذي وأبي داود وابن ماجه – أو قال – اللهم رب معروف الكرخي وأبي يزيد البسطامي والشيخ عبدالقادر الجيلاني وجنيد، فلا أرى به بأساً.

(السادس) التوسل بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، كما روى عن عبدالله بن أبي أوفى رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من كانت له إلى الله حاجة أو إلى أحد من بني آدم فليتوضأ وليحسن الوضوء، وليصل ركعتين، ثم ليثن على الله وليصل على النبي ثم ليقل لا إله إلا الله الحليم الكريم" الحديث رواه الترمذي وابن ماجه، وفي سنده فائد بن عبدالرحمن بن أبي الورقاء، وهو وإن كان عند الجمهور ضعيفاً لكن قال الحاكم إنه مستقيم الحديث[65]، ولهذا شاهد من حديث أنس فكان صالحاً لا يحتج به. وقد ورد في حديث أبي بن كعب في فضل الصلاة قال: "إذاً تكفي همك، ويكفر لك ذنبك" رواه الترمذي.

وعن فضالة بن عبيد قال: بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد إذ دخل رجل فصلى فقال: اللهم اغفر لي وارحمني، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "عجلت أيها المصلي، إذا صليت فقعدت فاحمد الله بما هو

---

65 () **فائد بن أبي الورقاء هذا قال الحافظ في التقريب: متروك اتهموه، فالعجب من المصنف كيف يعتد بشهادة الحاكم له مع علمه تضعيف الجمهور له، وطالما قرر وكرر القول بعدم الاعتماد على توثيق الحاكم لمثله ولمن هو أمثل منه. وكتبه محمد رشيد.**

أهله وصل عليّ ثم ادعه" قال ثم صلى رجل آخر بعد ذلك فحمد الله وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي "أيها المصلي ادع تجب". رواه الترمذي، وروى أبو داود والنسائي نحوه.

وعن عبدالرحمن بن مسعود قال: كنت أصلي والنبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر معه، فلما جلست بدأت بالثناء على الله تعالى ثم الصلاة على نبي صلى الله عليه وسلم ثم دعوت لنفسي فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "سل تعطه" رواه الترمذي، وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: إن الدعاء موقوف بين السماء والأرض، لا يصعد منها شيء حتى تصلي على نبيك، رواه الترمذي. وعنعلي رضي الله عنه قال: كل دعاء محجوب حتى يصلى على محمد صلى الله عليه وسلم. رواه الطبراني في الأوسط موقوفاً ورواته ثقات.

و(السابع) أن يقول: اللهم أسألك بحق فلان عبدك أو بجاهه أو حرمته أو نحو ذلك، فعن العز بن عبدالسلام ومن تابعه عدم الجواز إلا بالنبي صلى الله عليه وسلم. وعند الحنفية في أصح القولين أنه مكروه كراهة تحريم. ونقل القدوري وغيره من الحنفية عن أبي يوسف أنه قال قال أبو حنيفة رحمه الله لا ينبغي لأحد أن يدعو الله إلا به. وذكر العلائي في شرح التنوير عن التتار خانية عن أبي حنيفة أنه قال لا ينبغي لأحد أن يدعو الله سبحانه إلا به. وفي جميع متونهم أن قول الداعي المتوسل بحق الأنبياء والأولياء وبحق البيت والمشعر الحرام مكروه كراهة تحريم، وهي كالحرام في العقوبة بالنار عند محمد، وعللوا ذلك كلهم بقولهم: لأنه لا حق للمخلوق على الخالق.

قلت: قد ورد في حديث معاذ المتفق عليه قال: كنت ردف النبي صلى الله عليه وسلم على حمار ليس بني وبينه إلا مؤخرة الرحل فقال: "يا معاذ هل تدري ما حق الله على عباده وما حق العباد على الله ؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال "فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً،

وحق العباد على الله أن يعذب من لا يشرك به شيئاً". فقد ثبت بهذا الحديث أن للمخلوق أيضاً حقاً على الله، فالتعليل المذكور فاسد، فإن أُوّلَ الحديث فليؤول بمثله قول الداعي المتوسل بحق الأنبياء والأولياء، ولكن مجرد ثبوت الحق للمخلوق على الخالق لا يقتضي جواز السؤال به، فالقول الفصل في ذلك الفصل أن السؤال بحق فلان إن ثبت بحديث صحيح أو حسن فلا وجه للمنع، وإن لم يثبت فهي بدعة، وقد عرفت فيما سلف أن كل حديث ورد في هذا الباب لا يخلو من مقال ووهن، فالأحوط ترك هذه الألفاظ، وقد جعل الله في الأمر سعة، وعلمنا النبي صلى الله عليه وسلم التوسل المشروع على هيئات متعددة كما تقدم، فلا ملجئ إلى الوقوع في مضيق الشبهات، فقد ورد في حديث نعمان بن بشير قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "الحلال بين والحرام بين، وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام: كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه". الحديث متفق عليه.

وأما ما قال الإمام الشوكاني من أن التوسل إلى الله بأهل الفضل والعلم هو في التحقيق توسل بأعمالهم الصالحة، ومزاياهم الفاضلة، إذ لا يكون الفاضل فاضلاً إلا بأعماله، فإذا قال القائل: اللهم إني أتوسل إليك بالعالم الفلاني فهو باعتبار ما قام به من العلم، وقد ثبت في الصحيحين وغيرهما أن النبي صلى الله عليه وسلم حكى عن الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة أن كل واحد منهم توسل إلى الله بأعظم عمل عمله فارتفعت الصخرة. اهـ

ففيه نظر من وجوه:

(الأول) أن قوله في دليل الدعوى: إذ لا يكون فاضلاً إلا بأعماله، دعوى مجرد لم يذكر عليه دليلاً فلا تقبل[66]. ألا ترى أن أمته خير أمة بدليل قوله

---

66 () في هذا النظر من المؤلف نظر، فليته تركه، فكون الفاضل لا يكون فاضلاً إلا بعمله بديهي لا يحتاج إلى دليل، وهل الفضل إلا لزيادة على غيره بالعمل الذي

تعالى: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾. مع أن من خلا من الأمم أكثر عملاً منهم، فيجوز أن يكون الفاضل فاضلاً بفضل الله تعالى لا بمجرد العمل.

(الثاني) أنا لا نسلم أن الفاضل إذا كان فضله بالأعمال كان التوسل به توسلاً بالأعمال الصالحة، لم لا يجوز أن يكون التوسل به توسلاً بذاته ؟ بل هو الظاهر[67]، فإن حقيقة التوسل بالشيء التوسل بذاته، والتوسل بالأعمال أمر خارج زائد عن الحقيقة، ولا يصرف عن الحقيقة إلى المجاز إلا لمانع.

(الثالث) أن الثابت بحديث الصخرة إنما هو توسل شخص بأعمال نفسه، لا بأعمال غيره، فلا يتم التقريب، بل التوسل بأعمال الغير مما يستنكف عنه العقل السليم، ولا يدل عليه دليل من الكتاب والسنة.

فإن قلت: قد ورد في حديث جابر في باب دعاء الأذان من طريق محمد بن عون "اللهم إني أسألك بحق هذه الدعوة التامة" فهذا القول من غير المؤذن توسل بعمل الغير، قلت: جوابه من وجهين: (الأول) ما تقدم من الكلام في محمد بن عون فلا يصلح لأن يستدل به على شيء من مسائل الدين. (والثاني) أن المراد بهذه الدعوة التامة نوع الأذان لا أذان مؤذن مخصوص، كما أن المراد مطلق الصلاة لا صلاة مصل معين، فغاية ما يثبت منه التوسل بمطلق الأعمال الصالحة، من غير إضافتها إلى أشخاص معينين، وهو بمعزل عن المطلوب.

(الرابع) أنه لو سلم أن مراد القائل: اللهم إني أتوسل إليك بأبي بكر رضي الله عنه مثلاً هو التوسل بأعمال أبي بكر رضي الله عنه لا التوسل بذاته، فاللفظ محتمل للتوسل بالذات أيضاً، وهذا مما لا شك فيه، وقد نهانا

يشمل عمل النفس والجوارح، وما كانت شهادة الله لهذه الأمة بالخيرية إلا مقرونة بذكر العمل الذي به الخيرية، وهو قوله تعالى بعدها: ﴿ ﴾.

67 () **إن المعلوم من حال هؤلاء المتوسلين بالأشخاص أنهم يتوسلون بذواتهم الممتازة بصفاتهم وأعمالهم المعروفة عنهم لاعتقاد أن لهم تأثير في حصول المطلوب بالتوسل، إما بفعل الله تعالى لأجلهم وإما بفعلهم أنفسهم مما يعدونه كرامة لهم وقد سمعنا الأمرين منهم وممن يدافع عنهم، وكل من الأمرين باطل. وكتبه محمد رشيد رضا.**

الله تعالى عن استعمال لفظ موهم لأمر غير جائز فقال في سورة البقرة: يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين عذاب أليم . قال الإمام العلامة أبو الطيب صديق بن حسن القنوجي دام فيضه في تفسيره (فتح البيان): وفي ذلك دليل على أنه ينبغي تجنب الألفاظ المحتملة للسب والنقص، وإن لم يقصد المتكلم بها هذا المعنى المفيد للشتم، سداً للذريعة، وقطعاً لمادة المفسدة والتطرق إليه. اهـ.

وكذلك ما قال والد صاحب (جلاء العينين) مجوزاً قول القائل: اللهم إني أسألك بحق النبي صلى الله عليه وسلم وجاهه، من أن المراد من الحق والجاه معنى يرجع إلى صفة من صفات الله تعالى، مثل أن يراد المحبة التامة المستدعية عدم رده وقبول شفاعته محل نظر، فإن إرجاع لفظ الحق والجاه إلى صفة من صفاته تعالى لا يخلو من تعسف، ولو سلم فاللفظ محتمل للتوسل بالذات أيضاً، واستعمال الألفاظ المحتملة للأمر غير الجائز منهي عنه بدليل الآية المتقدمة، وكذلك ما قيل إنه إذا جاز التوسل بالأعمال الصالحة فالتوسل به صلى الله عليه وسلم أحق وأولى لما فيه من النبوة والفضائل فاسد، فإن بينهما من الفرق ما لا يخفى، إذ التوسل بالأعمال الصالحة ثابت بالكتاب والسنة الصحيحة، بخلاف التوسل بالذوات الفاضلة فإن أمثل ما يستدل به على هذا المطلب هو حديث عثمان بن حنيف، وهو غير ثابت لأن في سنده أبا جعفر الرازي وهو سيئ الحفظ يهم كثيراً فلا يحتج بما ينفرد به، وعلى تقدير ثبوته فالمراد بقوله "بنبيك" بدعاء نبيك وشفاعته، بل هذا متعين بدليل قول الضرير ادع الله أن يعافيني، وقوله صلى الله عليه وسلم "إن شئت دعوت". وقوله في الدعاء "فشفعه في". وبدليل قول عمر رضي الله عنه: كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا، فإن المراد بالتوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم وبعم النبي صلى الله عليه وسلم في هذا القول هو التوسل بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم

وبدعاء عمه صلى الله عليه وسلم لا غير، كما يدل عليه صفة ما استسقى به النبي صلى الله عليه وسلم وعمه العباس رضي الله عنه، فقد علم بذلك أن المراد بالتوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم في عرف الصحابة هو التوسل بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا القسم من التوسل لم يقل أحد من العلماء إنه شرك، فإن أشدهم في المنع شيخ الإسلام ابن تيميه وتلامذته وتبعهم في ذلك الشيخ محمد بن عبدالوهاب النجدي رحمهم الله تعالى وهؤلاء العلماء يصرحون بأنه ليس بشرك.

قال في (تبعيد الشيطان بتقريب إغاثة اللهفان) قال شيخنا قدس الله روحه: وهذه الأمور المبتدعة عند القبور مراتب، أبعدها عن الشرع أن يسأل الميت حاجته ويستغيث به فيما كما يفعله كثير من الناس. قال: وهؤلاء من جنس عباد الأصنام، ولهذا قل يتمثل لهم الشطان في صورة الميت الغائب كما يتمثل لعباد الأصنام، وهذا يحصل للكفار من المشركين وأهل الكتاب، يدعو أحدهم من يعظمه فيتمثل لهم الشيطان أحياناً، وقد يخاطبهم ببعض الأمور الغائبة، وكذلك السجود للقبر وتقبيله. (المرتبة الثانية) أن يسأل الله به، وهذا يفعله كثير من المتأخرين، وهو بدعة باتفاق المسلمين. (الثالثة) أن يسأله نفسه. (الرابعة) أن يظن أن الدعاء عند قبره مستجاب وأنه أفضل من المسجد فيقصد زيارته والصلاة عنده لأجل طلب حوائجه، وهذا أيضاً من المنكرات المبتدعة باتفاق المسلمين، وهي محرمة، وما علمت في ذلك نزاعاً بين أئمة الدين وإن كان كثير من المتأخرين يفعل ذلك ويقول بعضهم: قبر فلان ترياق مجرب ! والحكاية المنقولة عن الشافعي أنه كان يقصد الدعاء عند قبر أبي حنيفة من الكذب الظاهر. اهـ.

وأيضاً قال فيه: والشيطان له تلطف في الدعوة، فيدعوه أولاً إلى الدعاء عنده، فيدعو العبد عنده بحرقة وانكسار وذلة، فيجب الله دعوته لما قام بقلب لا لأجل القبر، فيظن الجاهل أن للقبر، فيظن الجاهل أن للقبر

تأثيراً – إلى أن قال – فإذا وقع ما يريده الشطان من الإنسان من استحسان الدعاء عند القبر وأنه أرجح من دعائه في بيته ومسجده نقله درجة أخرى من الدعاء عنده إلى الدعاء به والإقسام على الله به، وهذا أعظم من الذي قبله، فإن شاء الله تعالى أعظم من أن يقسم عليه أو يسأل بأحد من خلقه، وقد أنكر أئمة الإسلام ذلك.

قال أبو الحسن القدوري في شرح كتاب الكرخي: قال بشر بن الوليد سمعت أبا يوسف يقول قال أبو حنيفة لا ينبغي لأجد أن يدعو الله إلا به، وأكره أن يقول أسألك بمعاقد العز من عرشك، وأن يقول بحق فلان وبحق أنبيائك ورسلك وبحق البيت الحرام.

وقال أبو الحسن: أما المسألة بغير الله فمنكرة لأنه لا حق لغير الله عليه، وإنما الحق له على خلقه، وأما قوله بمعقد العز من عرشك فكرهه أبو حنيفة ورخص فيه أبو يوسف، وروى أنه صلى الله عليه وسلم دا بذلك، قال : ولأن معقد العز يراد به القدرة التي خلق الله بها العرش مع عظمته،وكأن سأله بأوصافه، وقال ابن بلدجي في شرخ المختار: ويكره أن يدعو الله إلا به، ولا يقول أسألك بملائكتك أو بأنبيائك أو نحو ذلك لأنه لا حق للمخلوق على خالقه، أو يقول في دعائه: أسألك بمعقد العز من عرشك، وعن أبي يوسف جوازه، وما يقوله فيه أبو حنيفة وأصحابه: أكره كذا، هو عند محمد حرام، وعند أبي حنيفة وأبي يوسف إلى الحرام أقرب، وجانب التحريم عليه أغلب، وفي فتاوى ابن عبدالسلام نحو ذلك، وتوقف في نبينا صلى الله عليه وسلم لاعتقاده أن ذلك جاء في حديث وأنه لم يعرف صحة الحديث.

فإذا قرر الشيطان عنده أن الإقسام على الله به والدعاء أبلغ في تعظيمه واحترامه وأنجح في قضاء الحاجة نقله إلى درجة أعلى من تلك وهي دعاؤه نفسه من دون الله، ثم إلى درجة فوق تلك هي اتخاذه وثناً يعكف عليه ويوقد عليه القناديل، ويعلق عليه الستور ويبني عليه المسجد

ويعبده بالسجود له و الطواف عليه وتقبيله واستلامه والحج إليه والذبح عنده، ثم ينقله إلى دعاء الناس وعبادته واتخاذه عيداً ومنسكاً، وأن ذلك أنفع لهم في دنياهم وآخرتهم. اه

وقد نقلنا عبارة محمد بن عبدالوهاب في ذلك فيما تقدم، فتذكر.

(الثامن) أن يسال الله ويدعوه عند قبور الصالحين معتقداً أن الدعاء عند القبر مستجاب.

و(التاسع) أن يقول عند قبر نبي أو صالح: يا سيدي فلان ادع الله تعالى أو نحو ذلك، فهذا القسمان مما لا يتسريب عالم أنهما غير جائزين وأنهما من البدع التي لم يفعلها السلف، وإن كان السلام على القبور جائزاً.

(العاشر) أن يقول عند قبر نبي أو صالح: يا سيدي فلان اشف مريضي واكشف عني كربتي وغير ذلك، وهذا شرك جلي، إذ نداء غير الله طالباً بذلك دفع شر أو جلب منفعة فيما لا يقدر عليه الغير دعاء، والدعاء عبادة، وعبادة غير الله شرك، وهذا أعم من أن يعتقد فيهم أنهم مؤثرون بالذات، أو أعطاهم الله تعالى التصرفات في تلك الأمور، أو أنهم أبواب الحاجة إلى الله تعالى وشفعاؤه ووسائله، وفي هذا الحكم التوسل بسائر العبادات من الذبح لهم والنذر لهم والتوكل عليهم والالتجاء إلهيهم والخوف والرجاء منم والسجود لهم والطواف لهم.

(الحادي عشر) أن يدعو غائباً أو ميتاً عند غير القبور: يا سيدي فلان ادع الله تعالى في حاجتي فلانة، زاعماً أنه يعلم الغيب ويسمع كلامه في كل زمان ومكان ويشفع له في كل حين وأوان، فهذا شرك صريح، فإن علم الغيب من الصفات المختصة بالله تعالى.

(الثاني عشر) أن يدعو غائباً أو ميتاً عند غير القبر: يا سيدي فلان اشف مريضي واقض عن الدين وهب لي ولداً وارزقني واغفر لي وأمثال ذلك، وهذا أيضاً شرك من وجهين: الأول انه يعتقد علم الغيب لذلك المدعو وهو

شرك، والثاني أنه ينادي ويدعو غير الله تعالى طالباً بذلك دفع شر أو جلب منفعة فيما لا يقدر ذلك الغير عليه، وهذا الدعاء عبادة، وعبادة غير الله شرك، ومن قال من العلماء بكون التوسل شركاً فإنما أراد به أحد الأقسام الثلاثة الأخيرة.

قوله: وإنما استسقى عمر رضي الله عنه بالعباس رضي الله عنه ولم يستسق بالنبي صلى الله عليه وسلم ليبين للناس جواز الاستسقاء بالنبي صلى الله عليه وسلم فكان معلوماً عندهم فلربما أن بعض الناس يتوهم أنه لا يجوز الاستسقاء بغير النبي صلى الله عليه وسلم فبين لهم عمر باستسقائه بالعباس الجواز، ولو استسقى بالنبي صلى الله عليه وسلم لربما يفهم منه بعض الناس أنه لا يجوز الاستسقاء بغيره صلى الله عليه وسلم.

اقول فيه كلام من وجهين:

(الأول) أن المراد بالاستسقاء بالعباس والتوسل به الوارد في حديث أنس رضي الله عنه هو الاستسقاء بدعاء العباس على طريقة معهودة في الشرع، وهي أن يخرج من يستسقي به إلى المصلى فيستسقي ويستقبل القبلة داعياً ويحول رداءه ويصلي ركعتين أو نحوه من هيئات الاستسقاء التي وردت في الصحاح، والدليل عليه قول عمر رضي الله عنه: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا صلى الله عليه وسلم فتسقينا، وإن نتوسل إليك بعم مبينا فاسقنا، ففي هذا القول دلالة واضحة على أن التوسل بالعباس كان مثل توسلهم بالنبي صلى الله عليه وسلم، والتوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم لم يكن إلا بأن يخرج صلى الله عليه وسلم ويستقبل القبلة ويحول رداءه ويصلي ركعتين أو نحوه من الهيئات الثابتة للاستسقاء،ولم يرد في حديث ضعيف فضلاً عن الحسن أو الصحيح أن الناس طلبوا السقيا من الله في حياته متوسلين به صلى الله عليه وسلم من غير أن يفعل صلى الله عليه

وسلم ما يفعل في الاستسقاء المشروع من طلب السقيا والدعاء والصلاة وغيرهما مما ثبت بالأحاديث الصحيحة،ومن يدعي وروده فعليه الإثبات.

إذا تمهد هذا فاعلم أن الاستسقاء والتوسل على الهيئة التي وردت في الصحيح للاستسقاء لا يمكن إلا بالحي لا بالميت، فالقول بإمكان هذا الاستسقاء بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاته من أبطل الأباطيل،وكان القول بأنه لوس استسقى بالنبي صلى الله عليه وسلم لربما يفهم منه بعض الناس أنه لا يجوز الاستسقاء بغيره صلى الله عليه وسلم بديهي البطلان، فإن ما ثبت بفعله صلى الله عليه وسلم هو مشروع لنا لقوله تعالى: ما آتاكم الرسول فخذوه . وقوله تعالى: لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة . ما لم يدل دليل على كونه مخصوصاً بالنبي صلى الله عليه وسلم فلا مجال لهذا التوهم حتى يحتاج إلى دفعه.

و(الثاني) أن المقصود لو كان دفع التوهم المذكور لكان أولى أن يتوسل بحي غير النبي صلى الله عليه وسلم في حياته صلى الله عليه وسلم أو بميت غير النبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاته صلى الله عليه وسلم أو بميت غير النبي صلى الله عليه وسلم في حياته صلى الله عليه وسلم، فإن هاتيك الصور الثلاث أبعد من أن يبدأ فيها الاحتمال الآتي من أنه إنما استسقى بالعباس لأنه حي والنبي صلى الله عليه وسلم قد مات، وأن الاستسقاء بغير الحي لا يجوز، فلما ترك عمر رضي الله عنه تلك الصور واختار الصورة التي يتأتى فيها الاحتمال المذكور دل هذا الصنيع على أن مقصوده رضي الله عنه ليس دفع التوهم المذكور.

و(الثالث) أن توهم عدم جواز الاستسقاء بغير النبي صلى الله عليه وسلم أخف من وهم عدم جواز الاستسقاب بالميت، سيما إذا كا ذلك الميت غير النبي صلى الله عليه وسلم، فكان هذا التوهم أولى بالدفع، فكان الأنسب حينئذ أن يستسقي بميت غير النبي صلى الله عليه وسلم.

و(الرابع) أن هذا التعليل فاسد، لان المعلل لم يقم عليه برهاناً ولا دليلاً فلا يصغى إليه.

قوله:وليس لقائل أن يقول إنما استسقى بالعباس لأنه حي والنبي صلى الله عليه وسلم قد مات وأن الاستسقاء بغير الحي لا يجوز، لأنا نقول إن هذا الوهم باطل ومردود بأدلة كثرة.

أقول: هذه الأدلة ليست صالحة لأن يستدل بها على المطلوب كما تقدم، فتذكر.

قوله: ومع أنه صلى الله عليه وسلم حي في قبره.

أقول: بعد التسليم هذه الحياة حياة برزخية، وتساوي الحياة البرزخية والدنيوية في جميع الأحكام لا يقول له أحد من العقلاء، إذ هو يستلزم مفاسد غير محصورة كما لا يخفى على من له أدنى فهم.

قوله: قال بعض العارفين: وفي توسل عمر بالعباس رضي الله عنه دون النبي صلى الله عليه وسلم نكتة أخرى زيادة على ما تقدم، وهي شفقة عمر رضي الله عنه على ضعفاء المؤمنين، فإنه لو استسقى بالنبي صلى الله عليه وسلم لربما استأخرت الإجابة، لأنها معلقة بإرادة الله تعالى ومشيئته، فلو تأخرت الإجابة ربما تقع وسوسة فاضطراب لمن كان ضعيف الإيمان بسبب تأخر الإجابة.

أقول: هذه النكتة أحق أن يقال إنها نكتة سوداء، أو وسوسة دهماء، أو فتنة صماء، أو شبهة عمياء، فإنها تقتضي ترك الاستسقاء بالنبي صلى الله عليه وسلم في حياته صلى الله عليه وسلم أيضاً، فإنه لو استسقى بالنبي صلى الله عليه وسلم لربما استأخرت الإجابة لأنها معلقة بإرادة الله تعالى في حياته وبعد وفاته، فلو تأخرت الإجابة لربما تقع وسوسة فاضطراب، ولا يقول به أحد من المسلمين.

وبالجملة فالذي ألجأ هؤلاء إلى إبداء أمثال هذه النكتة السخيفة الساقطة الردية، والتعليلات الباردة الفاسدة المرمية، هو أن عمر رضي الله عنه وسائر الصحابة مع أنهم السابقون الأولون عدلوا بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم عن التوسل بسيد الناس إلى التوسل بعمه العباس، وهذا العدول أوضح دليل وأبهر برهان على أن التوسل بالأموات غير جائز، فهؤلاء المجوّزون للتوسل بالأموات احتاجوا إلى توجيه هذا العدول وتأويله، فعموا وصموا وقالوا ما قالوا، فخبطوا خبط عشواء، وركبوا متن عمياء، وإلى الله المشتكى من أمثال هذه التوجيهات، فإنها تحريفات واضحات.

قوله: والحاصل أن مذهب أهل السنة والجماعة صحة التوسل وجوازه بالنبي صلى الله عليه وسلم في حياته وبعد وفاته، وكذا بغيره من الأنبياء والمرسلين، صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعيه، وكذا بالأولياء والصالحين، لما دلت عليه الأحاديث السابقة.

أقول: إن أراد أن مذهب أهل السنة والجماعة صحة جميع أقسام التوسل التي ذكرناها آنفاً ففاسد، فإن كثيراً من أهل السنة صرحوا بكون بعض الأقسام غير جائز أو مكروهاً، بل بكون بعضها كفراً وشركاً، وإن أراد أن مذهب أهل السنة والجماعة صحة بعض أقسام التوسل فنحن لا ننكره ولا أحد من العلماء الذين رُموا بإنكار التوسل.

قوله: لأنا معشر أهل السنة لا نعتقد تأثيراً ولا خلقاً ولا إيجاداً ولا إعداماً ولا نفعاً ولا ضراً إلا لله وحده لا شريك له، ولا نعتقد تأثيراً ولا نفعاً ولا ضراً للنبي صلى الله عليه وسلم ولا لغيره من الأموات، فلا فرق في التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم وغيره من الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وكذا بالأولياء والصالحين، لا فرق بين كونهم أحياء وأمواتاً، لأنهم لا يخلقون شيئاً، وليس لهم تأثير في شيء، وإنما يتبرك بهم

لكونهم أحباء الله تعالى، وأما الخلق والإيجاد والإعدام والنفع والضر فإنه لله وحده لا شريك له.

أقول: فيه كلام من وجوه:

(الأول) أنه يعتقد كثير من العوام وبعض الخواص في أهل القبور وفي المعروفين بالصلاح من الأحياء أنهم يقدرون على ما لا يقدر عليه إلا الله جل جلاله، ويفعلون ما لا يفعله إلا الله عز وجل، حتى نطقت ألسنتهم بما انطوت عليه قلوبهم، فصاروا يدعونهم تارة مع الله وتارة استقلالاً، ويصرخون بأسمائهم، ويعظمونهم تعظيم من يملك الضر والنفع، ويخضعون لهم خضوعاً زائداً على خضوعهم عند وقوفهم بين يدي ربهم في الصلاة والدعاء، كما تقدم ذلك في كلام الشوكاني.

و(الثاني) أن مجرد عدم اعتقاد التأثير والخلق، والإيجاد والإعدام،والنفع والضر إلا لله لا يبرئ من الشرك، فإن المشركين الذين بعث الله الرسل إليهم أيضاً كانوا مقرين بأن الله هو الخالق الرازق، بل لابد فيه من إخلاص توحيده وإفراده، وإخلاص التوحيد لا يتم إلا بأن يكون الدعاء كله لله، والنداء والاستغاثة والرجاء واستجلاب الخير واستدفاع الشر له ومنه لا بغيره ولا من غيره، وكذلك النذر والذبح والسجدة كلها تكون لله، وهذا قد ظهر من العبارات التي نقلناها سابقاً ظهوراً بيناً لا خفاء فيه.

و(الثالث) أن مجرد كون الأحياء والأموات شركاء في أنهم لا يخلقون شيئاً وليس لهم تأثير في شيء لا يقتضي أن يكون الأحياء والأموات متساوين في جميع الأحكام حتى يلزم من جواز التوسل بالأحياء جواز التوسل بالأموات، وكيف وليس معنى التوسل بالأحياء إلا التوسل بدعائهم وهو ثابت بالأحاديث الصحيحة، وأما التوسل بدعاء الأموات فلم يثبت بحديث صحيح ولا حسن.

قوله: وأما الذين يفرقون بين الأحياء والأموات فإنهم بذلك الفرق يتوهم منهم أنهم يعتقدون التأثير للأحياء دون الأموات، ونحن نقول: الله خالق كل شيء والله خلقكم وما تعملون. فهؤلاء المجوزون التوسل بالأحياء دون الأموات أو المعتقدون تأثير غير الله تعالى وهم الذين دخل الشرك في توحيدهم لكونهم اعتقدوا تأثير الأحياء دون الأموات.

أقول: هذا كلام تقشعر منه الجلود، أما يعلم هذا القائل الصنديد، والمتفوه العنيد، أن الفارقين بين الأحياء والأموات هم الذين يمنعون مما هو دون اعتقاد تأثير الله بمراحل ويصرحون بكونه شركاً ؟ فكيف يتوهم منهم أنهم يعتقدون تأثير غير الله ؟ سبحانك هذا بهتان عظيم، على أن مناط الفرق بين الأحياء والأموات ليس اعتقاد التأثير للأحياء دون الأموات كما زعم هذا المتقول على الموحدين، إنما مناطه ثبوت التوسل بالأحياء بالأحاديث الصحيحة دون الأموات.

قوله: فالتوسل والتشفع والاستغاثة كلها بمعنى واحد، وليس لها في قلوب المؤمنين معنى إلى التبرك بذلك أحباء الله تعالى، لما ثبت أن الله يرحم العباد بسببهم سواء كانوا أحياء أو أمواتاً.

أقول: هذا الحصر غير مسلم فإن صاحب الرسالة[68] قد عد من أفراد التوسل ما رواه الدارمي عن أبي الجوزاء قال: قحط أهل المدينة قحطاً شديداً، فشكوا إلى عائشة رضي الله عنها، فقالت: انظروا إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجعلوا منه كوة إلى السماء حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف، ففعلوا، فمطروا حتى نبت العشب وسمنت الإبل حتى

---

68 () **أي صاحب هذه الرسالة المردود عليها، والرد هنا قاصر، ومما كان ينبغي أن يقوله المصنف في رده: إن الألفاظ الثلاثة ليست بمعنى واحد، وغن الذين ليس لها في قلوبهم معنى إلا التبرك لا يشدون الرحال إلى القبور لأجل ذكر موتاها – وإن ذكرها في الدعاء تبركاً من التعبد الذي لا يعلم إلا بالنص من الشارع وهو غير موجود – وإن كونها سبباً للرحمة مضاد لكونها لا تأثير لها. وهو قد جمع بين الضدين في الجملة الآتية ويسمى ذكرهم سبباً عادياً للتأثير الإلهي، والمعروف عن جماعة القبوريين أنهم يعدونه من خوارق العادات لا من الأسباب العادية. وكتبه محمد رشيد رضا.**

تفتقت من الشحم، فسمى عام الفتق، وليس فيه التبرك بذكر أحباء الله، على أن التوسل إذا كان خالياً من اعتقاد التأثير ودعاء غير الله والنذر له والذبح له وسائر العبادات وجميع ما نهى الله ورسوله عنه، وكان محض التبرك بذكر أحباء الله لا يكون شركاً، لكن ينظر إليه فإن كان ذلك التبرك ثابتاً بكتاب أو سنة صحيحة فلا مرية في مشروعيته، وإن لم يكن ثابتاً فهو بدعة ضلالة، والكلام في حديث أبي الجوزاء سيأتي فارتقبه، ودعوى أنه ثبت أن الله يرحم العباد بسببهم سواء كانوا أحياءً أو أمواتاً تحتاج إلى إقامة البرهان عليها، ودونه لا تُسمع، ثم إلى تبيين أن المراد بلفظة "بسببهم" بسبب ذكرهم، وبدونه لا يتم التقريب.

قوله: فالمؤثر والموجد حقيقة هو الله تعالى، وذكر هؤلاء الأخيار سبب عادي في ذلك التأثير، وذلك مثل الكسب العادي فإنه لا تأثير له.

أقول: كون ذكر هؤلاء الأخيار سبباً عادياً في ذلك التأثير من أين علم ؟ وأي دليل عليه؟ ولو سلم فالسببية لا تستلزم المشروعية، ألا ترى أن كثيراً من العقود الفاسدة سبب لتحصيل المنافع وليست بمشروعة.

قوله: وحياة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في قبورهم ثابتة عند أهل السنة بأدلة كثيرة.

أقول: هب أن حياة الأنبياء عليهم السلام ثابتة، ولكنها حسب اعتراف صاحب الرسالة مثل الحياة الدنيوية، فلا يتفرع عليها جواز التوسل كما يتفرع على الحياة الدنيوية.

قوله: فإن قال قائل:إن شبهة هؤلاء المانعين للتوسل أنهم رأوا بعض العامة يأتون بألفاظ توهم أنهم يعتقدون التأثير لغير الله تعالى، ويطلبون من الصالحين أحياء وأمواتاً أشياء جرت العادة بأنها لا تطلب إلا من الله تعالى، ويقولون للولي افعل لي كذا وكذا، وأنهم ربما يعتقدون الولاية في أشخاص لم يتصفوا بها بل اتصفوا بالتخليط وعدم الاستقامة، وينسبون لهم كرامات

وخوارق عادات وأحوالاً ومقامات وليسوا بأهل لها ولم يوجد فيهم شيء منها، فأراد هؤلاء المانعون للتوسل أن يمنعوا العامة من تلك التوسعات دفعاً للإيهام وسداً للذريعة، وإن كانوا يعلمون أن العامة لا يعتقدون تأثيراً ولا نفعاً ولا ضراً لغير الله تعالى ولا يقصدون بالتوسل إلا التبرك، ولو أسندوا للأولياء شيئاً لا يعتقدون فهيم تأثيراً، فنقول لهم إذا كان لأمر كذلك وقصدتم سد الذريعة فما الحامل لكم على تكفير الأمة عالهم وجاهلهم وخاصهم وعامهم، وما الحامل لكم على منع التوسل مطلقاً، بل كان ينبغي لكم أن تمنعوا العامة من الألفاظ الموهمة لتأثير غير الله تعالى، وتأمروهم بسلوك الأدب في التوسل.

أقول: أولاً– إن تقرير دليل المعانعين نوع تحريف مقصود، وأصل تقريرهم هكذا: إنا نرى كثيراً من العامة وبعض الخواص يأتون بألفاظ دالة دلالة مطابقة على أنهم يعتقدون التأثير لغير الله تعالى، ويطلبون من الصالحين أحياءً وأمواتاً أشياء لا يقدر عليها إلا الله، وينذرون لهم النذور وينحرون لهم النحائر ويقربون إليهم نفائس الأموال، ويجعلونهم وسائط يدعونهم ويسألونهم جلب المنافع، بمعنى أن الخلق يسألونهم وهم يسألون الله، كما أن الوسائط عند الملوك يسألون الملوك حوائج الناس لقربهم منهم والناس يسألونهم أدباً منهم أن يباشروا سؤال الملوك أو لكونهم أقرب إلى الملك[69]، وبعد ملاحظة اصل تقريرهم وجه التكفير ظاهر، فإن اعتقاد تأثير غير الله كفر صريح، والدعاء والنذر والنحر عبادة،وعبادة غير الله شرك وكفر.

وثانياً – أنا معاشر أهل التوحيد لا نكفر الأمة كلهم عالمهم وجاهلهم وعامهم وخاصهم، هذا افتراء علينا، بل نكفر من وجد فيه موجبات الكفر من

---

69 () **بل قال بعض المؤلفين في الفقه وغيره منهم: إن الولي يخرج من قبره فيقضى بنفسه حاجة من دعاه من أو توسل به. وكتبه محمد رشيد رضا.**

اعتقاد التأثير لغير الله واعتقاد أنه يضر وينفع، ودعاء غير الله والنذر له والنحر له وغيرها.

ثالثاً: أن مجرد عدم اعتقاد التأثير لغير الله لا يكفي للبراءة من الشرك كما تقدم، بل لابد فيها من إخلاص العبادة لله تعالى، بأن يكون الدعاء والاستغاثة والنذر والنحر وسائر أقسام العبادة كلها لله تعالى.

ورابعاً- أنا معاشر الموحدين لا نمنع التوسل مطلقاً كما تقدم، وإنما نمنع منه ما كان متضمناً لعبادة غير الله، أو لما نهى الله عنه ورسوله، أو محدثاً لم يدل عليه دليل من كتاب وسنة ثابتة.

قوله: مع أن تلك الألفاظ الموهمة يمكن حملها على المجاز من غير احتياج إلى التكفير للمسلمين، وذلك المجاز مجاز عقلي شائع ومعروف. اه

أقول: فيه نظر من وجوه:

(الأول) أن لفظ "الموهمة" في هذا المقام وفيما تقدم لا يخلو عن تدليس وتلبيس، فإن تلك الألفاظ دالة دلالة مطابقة على تأثير غير الله تعالى، فما معنى الإيهام ؟

(والثاني) أنه لو سلم هذا الحمل لاستحال الارتداد، ولغاب باب الردة الذي يعقده الفقهاء، فإن المسلم الموحد متى صدر منه قول أو فعل موجب للكفر يجب حمله على المجاز العقلي، والإسلام والتوحيد قرينة على ذلك المجاز.

(والثالث) أنه يلزم على هذا أن لا يكون المشركون الذين نطق كتاب الله بشركهم مشركين، "فإنهم كانوا يعتقدون أن الله هو الخالق الرازق الضار النافع، وأن الخير والشر بيده، لكن كانوا يعبدون الأصنام لتقربهم إلى الله زلفى، فالاعتقاد المذكور قرينة على أن المراد بالعبادة ليس معناها الحقيقي، بل المراد هو المعنى المجازي، أي التكريم مثلاً، فما هو جوابكم هو جوابنا.

(الرابع) أنكم هؤلاء أوّلتم عنهم في تلك الألفاظ الدالة على تأثير غير الله تعالى، فما تفعلون في أعمالهم الشركية من دعاء غير الله واستغاثة والنذر والنحر ؟ فإن الشرك لا يتوقف على اعتقاد تأثير غير الله، بل إذا صدر من أحد عبادة من العبادات لغير الله صار مشركاً سواء اعتقد ذلك الغير مؤثراً أم لا .

قوله: وأما منع التوسل مطلقاً فلا وجه له مع ثبوته في الأحاديث الصحيحة، وصدوره من النبي صلى الله عليه وسلم وسلف الأمة وخلفها.

أقول لا نمنع التوسل مطلقاً كما بينا فيما تقدم، إنما نمنع منه ما هو متضمن لعبادة غير الله، أو لما نهى عنه الله ورسوله، أو كان محدثاً لم يدل عليه دليل من الكتاب والسنة الثابتة، وأما الأحاديث التي ذكرها صاحب الرسالة ويزعم أنها صحيحة فقد تقدم الكلام عليها، فتذكر.

قوله: فهؤلاء المنكرون للتوسل المانعون منه منهم من يجعله محرماً، ومنهم من يجعله كفراً وشركاً، وكل ذلك باطل، لأنه يؤدي إلى اجتماع معظم الأمة على ضلالة.

أقول: قد عرفت فيما تقدم أن التوسل له أقسام: بعضها مشروع، وبعضها شرك ومحرم، وبعضها مكروه وبدعة، فالذي نجعله محرماً أو كفراً وشركاً أو بدعة لا نسلم اجتماع معظم الأمة عليه، والذي عليه اجتماع معظم الأمة لا نقول بكونه شركاً أو محرماً أو بدعة.

قوله: لقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح لا تجتمع أمتي على ضلالة". قال بعضهم: إن هذا حديث متواتر.

أقول: الحديث رواه الترمذي في أبواب الفتن من حديث ابن عمر ولفظه هكذا: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله لا يجمع أمتي – أو قال أمة محمد – على ضلالة. ويد الله مع الجماعة، ومن شذ شذ

إلى النار". هذا حديث غريب من هذا الوجه. وسليمان المديني هو عندي سليمان بن سفيان. اه

قلت: هذا حديث ضعيف، ففي سنده سليمان بن سفيان قال الذهبي في الميزان: سليمان بن سفيان أبو سفيان المدني عن عبدالله بن دينار وبلال بن يحيى، قال ابن معين ليس بشيء، وقال مرة ليس بثقة،وكذا قال النسائي، وقال أبو حاتم والدراقطني: ضعيف. اه وقال الحافظ ابن حجر في التقريب: سليمان بن سفيان التيمي مولاهم أبو سفيان المدني ضعيف من الثامنة، وقال الذهبي في الكاشف: ضعفه أبو حاتم وغيره، اه . وقال في الخلاصة: سليمان بن سفيان مولى آل طلحة التيمي أبو سفيان المدني عن عبدالله بن دينار وبلال بن يحيى، وعنه معتمر بن سليمان وأبو دود الطيالسي، ضعفه أبو حاتم وغيره. اه.

قال الترمذي في جامعه: وفي الباب عن ابن عباس حدثنا يحيى بن موسى حدثنا عبدالرزاق أنبأنا إبراهيم بن ميمون عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس رضي اله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "يد الله مع الجماعة" هذا حديث غريب لا نعرفه من حديث ابن عباس إلا من هذا الوجه. اه. قلت: في سنده عبدالرزاق وهو وإن كان ثقة حافظاً، لكن عمي في آخر عمره فتغير.

قال الحافظ في التقريب: عبدالرزاق بن همام بن نافع الحميري مولاهم أبو بكر الصنعاني ثقة حافظ مصنف شهير، عمي في آخر عمره فتغير، وكان يتشيع، اه. وقال الذهبي في الميزان: قال أبو زرعة الدمشقي: قال لي أحمد أتينا عبدالرزاق قبل المائتين وهو صحيح البصر، ومن سمع منه بعد ما ذهب بصره فهو ضعيف السماع، وقال الأثرم سمعت أبا عبدالله يسأل عن حديث "النار جبار" فقال: هذا باطل من يحدث ه عن عبدالرزاق ؟ قلت حدثني أحمد بن شبويه. قال: هؤلاء سمعوا منه بعد ما عمي، كان يلقن

فيلقنه، وليس هو في كتبه. وقد أسندوا عنه أحاديث ليست في كتبه كان يلقنها بعدما عمي، وقال النسائي: فيه نظر لمن كتب عنه بأخرة. روى عنه أحاديث مناكير. وقال البخاري: ما حدث عنه عبدالرزاق من كتابه فهو أصح اهـ. ملخصاً.

قال المؤلف: يجب على من يستدل بهذا الحديث أن يثبت أن يحيى بن موسى سمع هذا الحديث من عبدالرزاق قبل ذهاب بصره، على أن هذا الحديث ليس فيه لفظ يحتج به على حجية الإجماع، ورواه ابن ماجه في أبواب الفتن من حديث أنس بن مالك ولفظه هكذا: حدثنا العباس بن عثمان الدمشقي حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا معان بن رفاعة السلامي حدثني أبو خلف الأعمى قال: سمعت أنس بن مالك يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن أمتي لا تجتمع على ضلالة، فإذا رأيتم اختلافاً فعليكم السواد الأعظم". في سنده معان بن رفاعة السامي قال الحافظ في التقريب: لين الحديث، كثير الإرسال. اهـ.

وقال الذهبي في الميزان: معان بن رفاعة الدمشقي وقيل الحمصي عن أبي الزبير وعبدالوهاب بن بخت،وعنه أبو المغيرة وعصام بن خالد وجماعة، وثقه ابن المديني وقال الجوزجاني ليس بحجة، ولينه يحيى بن معين، مات مع الأوزاعي تقريباً، وهو صاحب حديث ليس متقن اهـ. وقال في الكاشف: قال أبو حاتم وغيره لا يحتج به. اهـ.

وفي سنده أيضاً أبو خلف الأعمى، قال الحافظ في التقريب: أبو خلف الأعمى نزيل الموصل خادم أنس، قيل اسمه حازم بن عطاء، متروك، ورماه ابن معين بالكذب، من الخامسة، ومن زعم أنه مروان الأصغر فقد وهم، ومروان أيضاً يكنى أبا خلف فيما قال مسلم والله أعلم. اهـ.

قال الذهبي في الميزان: أبو خلف الأعمى عن أنس بن مالك قيل اسمه حازم، كذبه يحيى بن معين، وقال أبو حاتم: منكر الحديث اهـ، وقال الذهبي في الكاشف: لين.

وبالجملة هذا الحديث بهذا السند ضعيف جداً، قال علي بن أحمد العزيزي في (السراج المنير) قال الشيخ أي محمد حجازي الشعراني أنى حديث صحيح اهـ. قلت: هذا خطأ من الشيخ بين لما عرفت من أن في سنده من رمي بالكذب ومن هو لين الحديث كثير الإرسال، فالحم بصحته عجيب، ورواه الدرامي في باب فضل النبي صلى الله عليه وسلم من حديث عمرو بن قيس، ولفظه هكذا: أخبرنا عبدالله بن صالح حدثني معاوية عن عروة بن قيس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله أدرك بي الأجل المرحوم، واختصر لي اختصاراً، فنحن الآخرون ونحن السابقون يوم القيامة، وإني قائل قولاًغير فخر: إبراهيم خليل الله، وموسى صفي الله، وأنا حبيب الله، ومعي لواء الحمد يوم القيامة وأن الله عز وجل وعدني في أمتي وأجارهم من ثلاث لا يعمهم بسنة، ولا يستأصلهم عدو، ولا يجمعهم على ضلالة". اهـ. في سنده عبدالله بن صالح وهو كثير الغلط، وقد تقدم الكلام عليه فتذكر. وفيه معاوية بن صالح الحضرمي وهو صاحب أوهام، قال الحافظ في التقريب: معاوية بن صالح بن حدير بالمهملة مصغراً الحضرمي أبو عمرو – أو أبو عبدالرحمن – الحمصي قاضي الأندلس صدوق له أوهام اهـ. قال الذهبي في الميزان: وكان يحيى القطان يتعنت ولا يرضاه، وقال أبو حاتم لا يحتج به،وكذا لم يخرج له البخاري ولينه ابن معين. اهـ ملخصاً.

وفيه عروة بن رويم وهو كثير الإرسال قال الحافظ في التقريب عروة بن رويم بالراء مصغراً اللخمي أبو القاسم صدوق يرسل كثيراً من الخامسة. اهـ.

ورواه أبو داود من حديث أبي مالك الأشعري في كتاب الفتن، ولفظه هكذا: حدثنا محمد بن عوف الطائي أنبأنا محمد بن إسماعيل حدثني أبي، قال ابن عوف وقرأت في أصل إسماعيل قال: حدثني ضمضم عن شريح عن أبي مالك – يعني الأشعري – قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله أجاركم من ثلاث خلال: أن لا يدعو عليكم نبيكم فتهلكوا جميعاً، وأن لا يظهر أهل الباطل على أهل الحق، وأن لا تجتمعوا على ضلالة". اهـ

قال المؤلف: في سنده محمد بن إسماعيل بن عياش الحصي، قال الذهبي في الميزان: محمد بن إسماعيل بن عياش الحمصي قال أبو داود: لم يكن بذاك، وقال أبو حاتم الرازي: لم يسمع من أبيه شيئاً اهـ. وقال الحافظ في التقريب: محمد بن إسماعيل بن عياش بالتحتانية والمعجمة الحمصي عابوا عليه أنه حدث عن أبيه بغير سماع. اهـ.

وقال في الخلاصة: محمد بن إسماعيل بن عياش بتحتانية العنسي بنون الحمصي قال أبو حاتم: لم يسمع من أبيه إنما حملوه على ذلك فحدث. وعنه أبو زرعة قال أبو داود: ليس بذاك اهـ. وفي سنده ضمضم بن زرعة وهو صاحب أوهام ، قال الحافظ في التقريب: ضمضم بن زرعة بن ثوب بضم المثلثة وفتح الواو ثم موحدة الحضرمي الحمصي صدوق يهم اهـ. وقال الذهبي في الميزان: ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد وثقه يحيى بن معين وضعفه أبو حاتم، روى عنه جماعة. اهـ.

وقال في الخلاصة: ضمضم بن زرعة الحضرمي عن شريح بن عبيد وعنه ابن عبيد وعنه إسماعيل بن عياش ويحيى بن حمزة وثقه ابن معين وابن حبان، وضعفه أبو حاتم اهـ. وفيه شريح بن عبيد وهو يرسل كثيراً، قال الحافظ في التقريب: شريح بن عبيد بن شريح الحضرمي الحمصي ثقة من

الثالثة، وكان يرسل كثيراً، مات بعد المائة، وقال الذهبي في الكاشف: وثق وقد أرسل عن خلق.اهـ.

ورواه الدراقطني من حديث كعب بن عاصم الأشعري ولفظه هكذا: أنبأنا محمد بن إسماعيل الفارسي أنبأنا الوليد بن مروان أنبأنا جنادة بن مروان أنبأنا أبي أنبأنا شعود ابن عبدالرحمن عن خالد بن معدان قال: قال كعب بن عاصم الأشعري إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن الله تعالى أجارني على أمتي من ثلاث لا يجوعوا ولا يستجمعوا على ضلال، ولا تستباح بيضة المسلمين" اهـ. في سنده جنادة بن مروان وهم متهم بالكذب، قال الذهبي في الميزان: جنادة بن مروان حمصي عن جرير بن عثمان وغيره اتهمه أبو حاتم. اهـ.

وفيه خالد بن معدان الكلاعي الحمصي أبو عبدالله قال الحافظ في التقريب: خالد بن معدان الكلاعي الحمصي أبو عبدالله ثقة عابد يرسل كثيراً، اهـ. وقال في الخلاصة: عن جماعة من الصحابة مرسلاً، وعن معاوية والمقدام بن معديكرب وأبي أمامة اهـ. وبقية رجاله ما وجدتهم لا في الميزان ولا في الكاشف ولا في التقريب والخلاصة، بيد أن الذهبي قال في الميزان: الوليد بين مروان بن غيلان بن جرير مجهول اهـ. فإن الوليد الواقع في سنده هذا فهو مجهول، وإن كان آخر فما عرفته.

وبالجملة فهذا الحديث بهذا السند ضعيف جداً بل موضوع، ورواه أحمد من حديث أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "اثنان خير من واحد،وثلاثة خير من اثنين، وأربعة خير من خمسة، فعليكم بالجماعة، فإن الله عز وجل لن يجمع أمتي إلا على هدى". وفيه البختري بن عبيد وهو ضعيف كذا في مجمع الزوائد، قال الذهبي في الميزان: البختري بن عبيد عن أبيه بن سليمان وعنه هشام بن عمار وسليمان بن بنت شرحبيل ضعفه أبو حاتم، وغيره تركه، فأما أبو حاتم فأنصف فيه، وأما أبو نعيم الحافظ فقال:

روى عن أبيه موضوعات، وقال ابن عدي: روى عن أبيه قدر عشرين حديثاً عامتها مناكير، اه ملخصاً، وقال الحافظ في التقريب: ضعيف متروك، وقال الذهبي في الكاشف ضعفوه. اه

قوله: ومن الشبه التي تمسك بها هؤلاء المنكرون للتوسل قوله تعالى: ﴿ لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً ﴾. فإن الله نهى المؤمنين في هذه الآية أن يخاطبوا النبي صلى الله عليه وسلم بمثل ما يخطب بعضهم بعضاً كأن ينادوا باسمه، وقياساً على ذلك يقال لا ينبغي أن يطلب من غير الله تعالى كالأنبياء والصالحين الأشياء التي جرت العادة بأنها لا تطلب إلا ن الله تعالى، لئلا تحصل المساواة بين الله تعالى وخلقه بحسب الظاهر.

أقول: لم يستمسك أحد من منكري التوسل بالآية المذكورة فيما أعلم، فإن كان أحد تمسك بها فالحق أنه أخطأ ولا ملجئ لنا إليه، فإن هناك أدلة قوية صحيحة دالة على المطلوب، مغنية عما سواها كما تقدم.

قوله: فإنه يحمل على المجاز العقلي إذا صدر من موحد.

أقول: قد عرفت فيما سلف ما فيه من لزوم كون المشركين الأولين غير مشركين وعدم إمكان الارتداد ولغوية[70]. أحكام الردة.

قوله: فالمستغاث به في الحقيقة هو الله تعالى، وأما النبي صلى الله عليه وسلم فهو واسطة بينه وبين المستغيث، فهو سبحانه وتعالى مستغاث به حقيقة، والغوث منه بالخلق والإيجاد، والنبي صلى الله عليه وسلم مستغاث به مجازاً، والغوث منه بالكسب والتسبب العادي.

أقول: وهكذا كان المشركون السابقون الذين بعث الله الرسل إليهم، فإنهم كانوا يعلمون أن الله تعالى هو الخالق الموحد، وأما الأصنام فيقولون أنها أسباب ووسائل عادية، فمن أجل ذلك كانوا يدعونهم ويستغيثون بهم

---

70 () **أي إلغاء.**

ويعبدونهم، وهذا هو دأب عبدة الصالحين، والقبور في هذا الزمان، يدعونهم ويستغيثون بهم، وينحرون لهم وينذرون لهم، والدعاء والاستغاثة والنحر والنذر كلها من أقسام العبادة على معناها المجازي، فكذلك فليحمل لفظ العبادة الواقع في كلام المشركين الأولين الذي حكاه الله تعالى عنهم حيث قال سبحانه وتعالى: ﴿ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾. فما وجه الفرق؟[71]

قوله: وبالجملة فإطلاق لفظ الاستغاثة لمن يحصل منه غوث باعتبار الكسب أمر معلوم لا شك فيه لغة ولا شرعاً، فإذا قلت: أغثني يا الله، تريد الإسناد الحقيقي باعتبار الخلق والإيجاد، وإذا قلت: أغثني يا رسول الله، تريد الإسناد المجازي باعتبار التسبب والكسب والتوسط بالشفاعة.

أقول: هكذا كان مشركو الجاهلية حذو النعل بالنعل، كانوا يدعون الصالحين والأنبياء والمرسلين طالبين منهم الشفاعة عند رب العالمين، كما قال تعالى: ﴿ ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ﴾.

وقال تعالى: ﴿ ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ﴾. على أن القول بأن إسناد الغوث إلى الله تعالى إسناد حقيقي باعتبار الخلق والإيجاد، وإلى

---

71 () **الفرق بين عبدة القبور المتأخرين وأولئك المشركين الأولي أن الأولين هم أصحاب اللغة بالسليقة، ومنها أن كل ما يتوجه به إلى الخالق سبحانه ويطلب منه بالذات أو بالوساطة عنده فهو عبادة، وكل ما يتوجه به مخلوق بطلب ما ليس من الأسباب العادية المشتركة بين الناس، فهو يدخل في مسمى العبادة، وكذا كل خوف ورجاء في شيء من الأشياء لا يدخل في الأسباب المعروفة للناس، فالذين عبدوا الثعبان ما كانت عبادتهم له إلا اعتقادهم أنه يقدر على قتل الإنسان أو الجمل بدون سبب من أسباب القتل المعروفة لهم. وجملة القول إن عبادة الفطرية عندهم وعند جميع الأمم تشمل كل اعتقاد وشعور وعمل ودعاء يتعلق بمن له سلطة غيبية غير عادية، وقد يكون لعدة أشياء بعضها فوق بعض: منها ما له السلطة والتأثير بالذات، ومنها ما يكون بالوساطة، وأما المتأخرون فلما لقنوا أن العبادة لا تكون إلا لله سموا عبادة التوسط عند الله توسلاً، وسموا من توجه إليه وسيلة وشفيعاً ووليا كما كان يسميه المشركون الأولون، وإنما خالفوهم في تسميته إلهاً وتسمية وساطته عبادة، وهي تسمية لغوية صحيحة في اللغة، فالخلاف بينهما لغوي محض. وكتبه محمد رشيد رضا.**

الأنبياء والصالحين إسناد مجازي باعتبار التسبب والتكسب، بديهي البطلان، بيانه من وجوه:

(الأول) أنه لو كان مناط الإسناد الحقيقي اعتبار الخلق والإيجاد كما توهم صاحب الرسالة لزم أن يكون إسناد أفعال العباد كلها إلى الله تعالى حقيقياً، فإن اعتقاد أهل السنة والجماعة أن الخالق لأفعال العباد هو الله تعالى، وهذا يقتضي أن يتصف الله تعالى بالإيمان والصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد وصلة الرحم، وغير ذلك من الأعمال الحسنة، وكذلك يتصف حقيقة بالأعمال السيئة من الكفر والشرك والفسق والفجور والزنا والكذب والسرقة والعقوق وقتل النفس وأكل الربا وغيرها، فإنه تعالى هو الخالق لجميع الأفعال حسنها وسيئها، والتزام هذا فعل من لا عقل له ولا دين له، فإنه يستلزم اتصاف الله تعالى بالنقائص وصفات الحدوث واجتماع الأوصاف المتضادة بل المتناقضة.

و(الثاني) أنه لو كان مناط الإسناد المجازي اعتبار التسبب والكسب كما زعم هذا الزاعم لزم أن لا يكون إنسان حقيقة مؤمناً ولا كفاراً ولا براً ولا فاجراً، ولا مصلياً ولا مزكياً ولا صائماً ولا حاجاً ولا مجاهداً ولا زانياً ولا سارقاً، ولا قاتلاً، ولا كاذباً، فيبطل الجزاء والحساب، وتلغى الشرائع والجنة والنار، وهذا لا يقول به أحد من المسلمين.

و(الثالث) أن دعوى كون الأنبياء والصالحين سبباً للغوث وكاسباً له محتاج إلى إقامة الدليل ودونه لا تسمع، وبالجملة فهذه شبهة داحضة ووسوسة زاهقة، تنادي بأعلى نداء على صاحبها بالجهل والسفه.

قوله: ومنه ما في صحيح البخاري في مبحث الحشر ووقوف الناس للحساب يوم القيامة: "بينما هم كذلك استغاثوا بآدم ثم بموسى ثم بمحمد صلى الله عليه وسلم". فتأمل تعبيره صلى الله عليه وسلم بقوله: "استغاثوا بآدم" فإن الاستغاثة به مجازية، والمستغاث به حقيقة هو الله تعالى.

أقول: هذا ليس مما نحن فيه، فإن الاستغاثة بالمخلوق على نوعين:

(أحدهما) أن يستغاث بالمخلوق الحي فيما يقدر على الغوث فيه، مثل أن يستغيث المخلوق بالمخلوق ليعينه على حمل حجر أو يحول بينه وبين عدوه الكافر، أو يدفع عنه سبعاً صائلاً أو لصاً أو نحو ذلك، ومن ذلك طلب الدعاء لله تعالى من بعض عباده لبعض، وهذا لا خلاف في جوازه، والاستغاثة الواردة في حديث المحشر من هذا القبيل، فإن الأنبياء الذين يستغيث العباد بهم يوم القيامة يكونون أحياء، وهذه الاستغاثة إنما تكون بأن يأتي أهل المحشر هؤلاء الأنبياء يطلبون منهم أن يشفعوا لهم إلى الله سبحانه، ويدعوا لهم بفصل الحساب والإراحة من ذلك الموقف، ولا ريب أن الأنبياء قادرون على الدعاء، فهذه الاستغاثة تكون بالمخلوق الحي فيما يقدر على الغوث فيه.

و(الثاني) أن يستغاث بمخلوق ميت أو حي فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى، وهذا هو الذي يقول فيه أهل التحقيق إنه غير جائز، فإن قلت: هؤلاء المستغيثون بالأموات أو الغائبين أيضاً يطلبون منهم أن يشفعوا لهم إلى الله تعالى ويدعوا لهم بقضاء حاجاتهم وهم قادرون على ذلك فتكون استغاثتهم هذه من قبيل النوع الأول، قلت في هذا التقرير خلل من وجوه:

(الأول) أن فيه ذهولاً عن قيد الحي، والمراد بالحياة الدنيوية لا البرزخية.

و(الثاني) أن ظاهر ألفاظهم مثل: يا رسول الله اشف مريضي واكشف عني وهب لي ولداً ورقاً واسعاً ونحو ذلك، دال على أنهم لا يطلبون شفاء المريض وكشف الكربة وإعطاء الولد والرزق، وظهر أنهم غير قادرين على تلك الأمور.

و(الثالث) أن هؤلاء المستغيثين بالأموات والغائبين يدعونهم ويستغيثون من أماكن مختلفة ومواضع بعيدة معتقدين أن الأموات والغائبين يعلمون

استغاثتهم ويسمعون دعاءهم من كل مكان وفي كل زمان، ولا ريب أن هذا إثبات لعلم الغيب لهم الذي هو من الصفات المختصة بالله تعالى فيكون شركاً.

قوله: وصح عنه صلى الله عليه وسلم ممن أراد عوناً أن يقول: "يا عباد الله أعينوني" . وفي رواية "أغيثوني".

أقول: فيه كلام من وجهين:

(الأول) أن الحديث ضعيف كما سيأتي بيانه، وفلا يصح الاحتجاج به.

و(الثاني) على تقدير ثبوته يقال: إن هذه الاستغاثة من جنس النوع الأول، فإن هؤلاء العباد ليسوا أمواتاً بل أحياء من جنس الملائكة قادرون على الإعانة.

قوله: وجاء في قصة قارون لما خسف به أنه استغاث بموسى عليه السلام فلم يغثه، بل صار يقول: يا أرض خذيه، فعاتب الله موسى حيث لم يغثه وقال له: استغاث بك فلم تغثه ولو استغاث بي لأغثته، فإسناد الإغاثة إلى الله تعالى حقيقي، وإسنادها إلى موسى مجازي.

أقول: القصة أخرجها ابن أبي شيبة في المصنف وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه وبان مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان قارون ابن عم موسى، وكان يتتبع العلم حتى جمع علماً، فلم يزل في امره ذلك حتى بغى على موسى وحسده، فقال له موسى: إن الله أمرني أن آخذ الزكاة، فأبى فقال: إن موسى يريد أن يأكل أموالكم، جاءكم بالصلاة وجاءكم بأشياء فاحتملتموها، فتحتملون أن تعطوه أموالكم ؟ فقالوا لا نحتمل، فما ترى ؟ فقال لهم: أرى أن أرسل إلى بغيّ من بغايا بني إسرائيل فنرسلها إليه فترميه بأنه أراداها على نفسها، فأرسلوا إليها فقالوا لها نعطيك جعلك على أن تشهدي على موسى أنه فجر بك، قالت: نعم. فجاء قارون إلى موسى فقال: اجمع بني إسرائيل فأخبرهم بما أمرك ربك، قال نعم.

فجعهم فقالوا: ما أمرك ربك ؟ قال أمرني أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وان تصلوا الرحم، وكذا وكذا، وأمرني إذا زنى الرجل وقد أحصن أن يرجم. قالوا: وإن كنت أنت ؟ قال: نعم. قالوا فإنك قد زنيت ! قال: أنا ؟ فأرسلوا للمرأة فجاءت فقالوا: ما تشهدين على موسى ؟ فقال لها موسى: أنشدك بالله إلا ما صدقت. قالت: أما إذ أنشدتني بالله فإنهم دعوني وجعلوا لي جعلاً على أن أقذفك بنفسي، وأنا أشهد أنك بريء وأنك رسول الله، فخر موسى ساجداً يبكي ويقول: يا رب إن كنتُ رسولك فاغضب لي. فأوحى الله إليك: ما يبكيك ؟ قد سلطناك على الأرض، فمرها فتطيعك، فرفع رأسها فقال: خذيهم، فأخذتهم إلى أعقابهم، فجعلوا يقولون: يا موسى يا موسى، فقال: خذيهم فأخذتهم إلى ركبهم، فجعلوا يقولون: يا موسى يا موسى، فقال: خذيهم، فأخذتهم إلى أعناقهم، فجعلوا يقولون: يا موسى يا موسى، فقال: خذيهم، فأخذتهم فغشيتهم، فأوحى الله إليه: يا موسى، سألك عبادي وتضرعوا إليك فلم تجبهم، وعزتي لو أنهم دعوني لأجبتهم، كذا في تفسير فتح البيان.

فقد علمت من ههنا أن الوارد في حديث قصة قارون ليس لفظ الإغاثة، بل إنما هو لفظ الإجابة، ولكن المآل واحد فلا ننازع فيه، إنما ننازع في أن الحديث المذكور هل يدل على المطلوب أم لا ؟ فنقول: ليس الحديث المذكور من المطلوب في شيء، فإن الثابت منه – بعد تسليم اتحاد معنى الإثابة والإجابة – إنما هو أن الإغاثة مسندة إلى الله تعالى وإلى موسى، وأما أن إسنادها إلى الله تعالى حقيقي وإلى موسى مجازي، فكلا، لم لا يجوز أن يكون إسناد الإغاثة إلى موسى حقيقياً ؟ بل هو المتعين فإن استغاثة موسى بني إسرائيل التي عاتب الله تعالى موسى على تركها ولو وقعت لكانت فيما يقدر موسى عليه السلام عليه، بدليل ما أوحى الله تعالى إليه من أنه ما يبكيك ؟ قد سلطناك على الأرض فتطيعك. ولأن موسى لم

يكن قادراً على الإغاثة لما عاتبه الله على تركها، قال الله تعالى: ﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ﴾. وإسناد الإغاثة إلى المخلوق فيما يقدر عليه حقيقي، وتلك القدرة إنما تكون باعتبار العمل والكسب لا باعتبار الخلق والإيجاد، ألا ترى أن إسناد الصلاة والصوم والزكاة والحج ونحوها من الأعمال الحسنة، وإسناد الزنا والسرقة والكذب والخيانة ونحوها من الأعمال السيئة، وإسناد الأكل والشرب واللبس وجماع المنكوحة ونحوها من الأعمال المباحة – إلى العباد إسناد حقيقي ؟ وليست القدرة عليها باعتبار الفعل والكسب دون الخلق والإيجاد، فإن الخالق لأفعال العباد كلها هو الله تعالى عند أهل السنة والجماعة.

وأما قوله: إن إسناد الإغاثة إلى الله تعالى حقيقي، فلا وجه لصحته حسب اعتقاد صاحب الرسالة، فإن المراد بالإغاثة أي إغاثة، فإن كان المراد بها الإغاثة التي هي كسب موسى عليه السلام فكون الله تعالى خالقاً لها مسلم. ولكن إسنادها إلى الله تعالى حقيقة يقتضي أن تكون جميع أفعال العباد مسندة إلى الله تعالى، وبطلانه أجلى من الشمس في نصف النهار كما تقدم، وإن كان المراد الإغاثة التي هي صفة من صفات الله تعالى فإسنادها إلى الله تعالى حقيقة مسلم، ولكن لا يتأتى على معتقد صاحب الرسالة، إذ مناط الإسناد الحقيقي عنده اعتبار الخلق والإيجاد، والله تعالى ليس خالقاً وموجداً لصفاته، وإلا يلزم أن تكون صفاته تعالى مخلوقة محدثة، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، فانعكس الأمر.

قوله: وقد يكون معنى التوسل به صلى الله عليه وسلم طلب الدعاء منه إذ هو صلى الله عليه وسلم حي في قبره يعلم سؤال من يسأله.

أقول: سلمنا أنه صلى الله عليه وسلم حي في قبره، ولكن تلك الحياة حياة برزخية، وتساوي الحياة البرزخية للحياة الدنيوية في جميع الأحكام غير

مسلم حتى يتفرع عليها علم سؤال من يسأله وجواز طلب الدعاء منه صلى الله عليه وسلم.

قوله: وقد تقدم حديث بلال بن الحارث رضي الله عنه.

أقول: قد تقدم الكلام عليه، فتذكر.

قوله: فعلم منه أنه صلى الله عليه وسلم يطلب منه الدعاء بحصول الحاجات كما كان يطلب منه حياته.

أقول: هذا بناء الفاسد على الفاسد، فلا يعبأ به.

قوله: وأنه صلى الله عليه وسلم يتوسل به في كل خير قبل بروزه لهذا العالم وبعده في حياته وبعد وفاته وكذا في عرصات القيامة فيشفع إلى ربه.

أقول: هذا التوسيع والتعميم مما لا يدل عليه دليل يعتمد عليه، وكل ما ذكره صاحب الرسالة قد عرفت وهنه فيما تقدم.

قوله: وكل هذا مما تواترت به الأخبار وقام به الإجماع قبل ظهور المانعين منه.

أقول: دعوى التواتر والإجماع محتاجة إلى إقامة البرهان عليها ودونها لا تسمع.

قوله: وأما تخيل المانعين المحرومين من بركاته أن منع التوسل والزيارة من المحافظة على التوحيد، وأن التوسل والزيارة مما يؤدي إلى الشرك، فهو تخيل فاسد باطل.

أقول: قد عرفت فيما تقدم أن بعض أقسام التوسل شرك، وكذا بعض أقسام الزيارة، وهو الذي يتضمن دعاء غير الله والنحر له والنذر له والطواف بقبره ونحو ذلك من أقسام العبادة، فلا شك أن منع ذلك التوسل والزيارة من المحافظة على التوحيد.

قوله: وكأن هؤلاء المانعين للتوسل والزيارة يعتقدون أنه لا يجوز تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم، فحينما صدر من أحد تعظيم له صلى الله عليه وسلم حكموا على فاعله بالكفر والإشراك.

أقول: هذا الإيجاب الكلي والسلب الكلي اللذان يشتمل عليهما هذا الكلام الساقط الفاسد يهتانان صريحان، فإن المانعين للتوسل لا يمنعون مطلق التعظيم ولا يحكمون على فاعله بالكفر والإشراك، إنما يمنعون التعظيم الذي يتضمن عبادة غير الله أو نهي الله عنه ورسوله، أو التعظيم المحدث الذي لا يدل عليه دليل من الكتاب والسنة، وإنما يحكمون بالكفر والشرك على من عظم تعظيماً يتضمن شيئاً من موجبات الكفر والشرك، وأما التعظيم الذي هو ثابت بالكتاب والسنة فهو عين الإيمان.

قوله: نعم يجب علينا أن لا نصفه بشيء من صفات الربوبية.

أقول: وكذلك يجب علينا أن لا نعبد غير الله بقسم من أقسام العبادة كالدعاء والنذر والنحر والطواف، وأن لا نفعل ما نهى الله عنه ورسوله، وأن لا نحدث في أمر الدين شيئاً.

قوله: ورحم الله الأبوصيري حيث قال:

دع ما ادعته النصارى في نبيهم واحكم بما شئت مدحاً فيه واحتكم

أقول: هذا القول من سيئ الأقوال وأقبحها، فإنه يقتضي جواز وصفه صلى الله عليه وسلم بغير الألوهية وإن كان ذلك الغير من موجبات الكفر والشرك أو محرماً أو كذباً أو بدعة، وهذا الحكم ما أظن أحداً ن أهل العلم يستقر له قدم عليه لمخالفته نصوص الكتاب والسنة.

قوله: فليس في تعظيمه بغير صفات الربوبية شيء من الكفر والإشراك، بل ذلك من أعظم الطاعات والقربات.

أقول: هذا غلط فاحش وخطأ بين، فإن دعاء غير الله والنحر له والنذر له والطواف له والسجدة له والركوع له وغيرها من أنواع العبادة كفر

وشرك، مع أنها تعظيم بغير صفات الربوبية، ودعوى كونه من أعظم الطاعات والقربات محتاجة إلى إقامة الدليل عليها.

قوله: ومن تعظيمه صلى الله عليه وسلم الفرح بليلة ولادته وقراءة المولد والقيام عند ذكر ولادته صلى الله عليه وسلم وإطعام الطعام وغير ذلك مما يعتاد الناس فعله من أنواع البر، فإن ذلك كله من تعظيمه صلى الله عليه وسلم.

أقول: هذا ادعاء بحت لا دليل عليه، بل الأمور المذكورة ليست من التعظيم في شيء، فإن التعظيم في الإطاعة، والأمور المذكورة معصية، فإنها محدثة، وكل محدثة بدعة، والبدعة مما نهى الله ورسوله عنه، فالأمور المذكورة ليست من تعظيمه صلى الله عليه وسلم، بل من تحقيره وتوهينه صلى الله عليه وسلم أعاذنا الله منه، فلولا احتمال التأويل والخطأ الاجتهادي لحكم على مرتكبها بالكفر، فإن تحقير النبي صلى الله عليه وسلم وتوهينه كفر بواح.

قوله: وقد أفردت مسألة المولد وما يتعلق بها بالتأليف، واعتنى بذلك كثير من العلماء، فألفوا في ذلك مصنفات محشونة بالأدلة والبراهين ، فلا حاجة لنا إلى الإطالة بذلك.

أقول: قد ألف غير واحد من المحققين في إثبات كون هذا العمل المحدث المبتدع بدعة مؤلفات نفيسة طيبة مشتملة على رد تلك الشبهات الواهية الداحضة التي يحسبها صاحب الرسالة أدلة وبراهين، من شاء التحقيق فليرجع إليها[72].

---

[72] () **من الفقهاء المؤلفين الذي يعتمد على أقوالهم الشيخ دحلان في مسألة الزيارة وكثير من البدع الشيخ أحمد بن حجر الهيثمي، وقد أفتى في فتاواه الحديثية بأن القيام عند ذكر ولادته صلى الله عليه وسلم بدعة تكره شرعاً، وإن لنا رسالة في (ذكرى المولد النبوي الشريف) كتبنا لها مقدمة تصدير بينا فيها ما قاله العلماء في بدعة الاحتفال بالمولد وتحقيق الحق فيها. وكتبه محمد رشيد.**

قوله: ومما أمر الله بتعظيمه الكعبة المعظمة والحجر الأسود، ومقام إبراهيم عليه السلام، فإنها أحجار وأمرنا الله بتعظيمها بالطواف بالبيت، ومن الركن اليماني، وتقبيل الحجر الأسود، وبالصلاة خلف المقام.

أقول: هذه التعظيمات ثابتة بعضها بالكتاب وبعضها بالسنة، بخلاف التعظيم الذي يتضمن الشرك أو الأمر المنهي عنه أو يكون محدثاً وهو الذي يمنعه المانعون، فقياس أحد التعظيمين على الآخر قياس مع الفارق، ولو لم يثبت تعظيم هذه الأحجار لم نفعله أبداً، دل عليه ما روى عن عابس بن ربيعة قال: رأيت عمر يقبل الحجر ويقول: إني لأعلم أنك حجر ما تنفع ولا تضر، ولولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك، متفق عليه. ومن ثم يكتفى باللمس في الركن اليماني ولا يقبل، إذ الأول ثابت منه صلى الله عليه وسلم والآخر لم يثبت، فافترقا.

وأما تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم الذي هو ثابت فهو عين الإيمان لا يمنعه أحد من المسلمين، وهو المراد في قوله تعالى: ﴿ إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً، لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه ﴾. على قول من قال برجوع الضمير إلى الرسول، وقد جاء في الكتاب العزيز والسنة المطهرة من تفصيل ذلك التوقير الكثير الطيب:

فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ لا تجعلوا دعاء الرسول كدعاء بعضكم بعضاً ﴾. ومنه قوله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم، يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون، إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم، إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون ﴾. ومنه قوله تعالى: ﴿ إن الله وملائكته يصلون على النبي، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً ﴾. ومنه قوله تعالى: ﴿ وما كان

لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم، ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً ﴿. ومنه قوله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ولكن إذا دعيتم فادخلوا، فإذا طعمتم فانتشروا، ولا مستأنسين لحديث، إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحي منكم والله لا يستحي من الحق، وإذا سألتموهن متاعاً فاسئلوهن من وراء حجاب، ذلك أطهر لقلوبكم وقلوبهن، وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكوا أواجه من بعده أبداً ، إن ذ لكم كان عند الله عظيماً ﴿. ومنه قوله تعالى: ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً ﴿. ومنه قوله تعالى: ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴿. ومنه قوله تعالى: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ﴿. ومنه قوله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم، فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله وإلى الرسول إن كنتم تؤمنين بالله واليوم الآخر، ذلك خير وأحسن تأويلاً﴿. ومنه قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحيكم ﴿. ومنه قوله تعالى: ﴿ عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً ﴿. ومنه قوله تعالى: ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً ﴿. ومنه قوله تعالى: ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس ﴿. الآية. ومنه قوله تعالى: ﴿ ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين ﴿. ومنه قوله تعالى: ﴿ سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا ﴿. ومنه قوله تعالى: ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس ﴿. ومنه قوله تعالى: ﴿ ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى، فأوحى إلى عبده ما أوحى، ما كذب الفؤاد ما رأى، أفتمارونه على ما يرى، ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى، عندها جنة المأولى، إذ يغشى

السدرة ما يغشى، ما زاغ البصر وما طغى، لقد رأى من آيات ربه الكبرى ﴾. ومنه قوله تعالى: ﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً، ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ﴾. ومنه قوله تعالى: ﴿ولسوف يعطيك ربك فترضى ﴾. ومنه قوله تعالى: ﴿ ورفعنا لك ذكرك ﴾. وغير ذلك من الآيات.

فمن تعظيمه صلى الله عليه وسلم عدم جعل دعاء الرسول كدعاء البعض بعضاً، وعدم التقديم بين يدي الله ورسوله،وعدم رفع الصوت فوق صوت النبي صلى الله عليه وسلم، وعدم الجهر له بالقول كجهر بعضكم لبعض، وغض الأصوات عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعدم المناداة من وراء الحجرات، والتصلية والتسليم على النبي صلى الله عليه وسلم، وعدم بقاء الخيرة لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمراً، وسؤال نساء النبي صلى الله عليه وسلم من وراء حجاب، وعدم نكاح أزواجه من بعده أبداً، وتحكيم النبي فيما شجر بينهم، وعدم وجدان الحرج في أنفسهم مما قضى النبي صلى الله عليه وسلم، وأخذ ما آتاه الرسول، والانتهاء عما نهى عنه، والاقتداء بسنته صلى الله عليه وسلم، وإطاعة الرسول، والرد إليه إذا وقع التنازع في شيء، وإجابة دعوة الرسول وإن كان المدعو في الصلاة كما دل عليه حديث أبي سعيد ابن المعلى المروي في صحيح البخاري، واعتقاد أن الله تعالى يبعث رسولنا صلى الله عليه وسلم مقاماً محموداً الذي هو أعلى درجة في الجنة[73] لا ينالها إلا عبد من عباد الله وهو نبينا صلى الله عليه وسلم، واعتقاد أن أمة محمد صلى الله عليه وسلم يكونون شهداء على الناس ويكون الرسول عليهم شهيداً، واعتقاد أن أمة محمد خير الأمم، واعتقاد أن محمداً صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين، واعتقاد أن الله تعالى أسرى بمحمد صلى الله عليه وسلم ليلاً، واعتقاد أن محمداً صلى الله عليه وسلم أرسل إلى الناس كافة، واعتقاد أن

[73] () **الصحيح في "المقام المحمود" أنه الشفاعة العظمى يحمده عليها عموم الخلائق يوم القيامة.**

النبي صلى الله عليه وسلم رأى الله تعالى ليلة الإسراء على قول، أو جبرائيل عليه السلام على صورته الأصلية على قول، واعتقاد أن الله تعالى قد غفر له صلى الله عليه وسلم ما تقدم من ذنبه وما تأخر وأما الأحاديث فمنها ما روي عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :"لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين". متفق عليه. ومنها ما روي عن عبدالله بن هشام قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو آخذ بيد عمر ابن الخطاب فقال له عمر: يا رسول الله لأنت أحب إلي من كل شيء إلا نفسي، فقال النبي صلى الله عليه وسلم :"لا والذي نفسي بيده، حتى أكون أحب إليك من نفسك". فقال له عمر: فإنه الآن والله لأنت أحب إلي من نفس. فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: "الآن يا عمر". رواه البخاري في "باب كيف يمين النبي صلى الله عليه وسلم".

ومنها ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى" قيل: ومن أبى ؟ قال: "من أعطاني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى". رواه البخاري، ومنها ما روي عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به". رواه في شرح السنة.

ومنها ما روي عن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم حين أتاه عمر فقال: إنا نسمع أحاديث من يهود تعجبنا، أفترى أن نكتب بعضها ؟ فقال: "أمتهوّكون أنتم كما تهوكت اليهود والنصارى ؟ لقد جئتكم بها بيضاء نقية، ولو كان موسى حياً ما وسعه إلا اتباعي". رواه أحمد والبيهقي.

ومنها من روي عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في نفر من المهاجرين والأنصار، فجاء بعير فسجد له، فقال

أصحابه: يا رسول الله تسجد لك البهائم والشجر، فنحن أحق أن نسجد لك، فقال: "اعبدوا ربكم وأكرموا أخاكم، ولو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها" الحديث رواه أحمد. قال العلماء في تفسير قوله "أكرموا أخاكم": أي عظموه تعظيماً يليق له بالمحبة والإكرام المشتمل على الإطاعة الظاهرية والباطنية.

ومنها ما روي عن قيس بن سعد قال: أتيت الحيرة فرأيتهم يسجدون لمرزبان لهم، فقلت: لرسولُ الله صلى الله عليه وسلم أحق أن يسجد له. فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: إني أتيت الحيرة فرأيتهم يسجدون لمرزبان لهم، فأنت أحق بأن يسجد لك، فقال لي: "لو مررت بقبري أكنت تسجد له ؟ فقلت لا . فقال :لا تفعلوا لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت النساء أن يسجدن لأزواجهن، لما جعل الله عليهن من حق" رواه أبو داود.

ومنها ما روي عن عبدالرحمن بن أبي قراد أن النبي صلى الله عليه وسلم توضأ يوماً، فجعل أصحابه يتمسحون بوضوئه، فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: "ما يحملكم على هذا ". قالوا: حب الله ورسوله. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "من سره أن يحب الله ورسوله، أو يحبه الله ورسوله، فليصدق حديثه إذا حدث، وليؤد أمانته إذا أتمن، وليحسن جوار من جاوره". رواه البيهقي.

ومنها ما روي عن أنس رضي الله عنه قال: لم يكن شخص أحب إليهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم،وكانوا إذا رأوه لم يقوموا لما يعلمون من كراهيته لذلك. رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

ومنها ما روي عن معاوية رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من سره أن يتمثل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار" رواه الترمذي وأبو دواد.

ومنها ما روي عن أبي أمامة قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم متكئاً على عصاً، فقمنا له، فقال :لا تقوموا كما تقوم الأعاجم يعظم بعضهم بعضاً". رواه أبو داود.

ومنها ما روي عن سعيد بن أبي الحسن قال: جاءنا أبو بكرة رضي الله عنه في شهادة، فقام له رجل من مجلسه، فأبى أن يجلس فيه وقال: إن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن ذا.

ومنها ما روي عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جلس وجلسنا حوله فقام فأراد الرجوع نزع نعله أو بعض ما يكون عليه فيعرف ذلك أصحابه فيثبتون. روه أبو داود.

ومنها ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "بعثت من خير قرون بني آدم قرناً فقرناً". رواه البخاري.

ومنها ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع وأول مشفع". رواه مسلم.

ومنها ما روي عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أنا أكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة، وأنا أول من يقرع باب الجنة". رواه مسلم.

ومنها ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "فضلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون ". رواه مسلم.

ومنها ما روي عن العباس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله خلق الخلق فجعلني من خيرهم فرقة، ثم جعلهم فرقتين فجعلني من خيرهم فرقة، ثم جعلهم قبائل فجعلني من خيرهم

قبيلة، ثم جعلهم بيوتاً فجعلني من خيرهم بيتاً، فأنا خيرهم نفساً، وخيرهم بيتاً". رواه الترمذي.

ومنها ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما في حديث طويل بعضه أنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ألا أنا حبيب الله ولا فخر، وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة تحته آدم فمن دونه ولا فخر، وأنا أول شافع مشفع يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لي فيدخلنيها ومعي فقراء المسلمين ولا فخر، وأنا أكرم الأولين والآخرين على الله ولا فخر". رواه الترمذي.

ومنها ما روي عن جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أنا قائد المرسلين ولا فخر". رواه الدرامي.

ومنها ما روي عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الكرامة والمفاتيح يومئذ بيدي". رواه الترمذي والدارمي.

ومنها ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "فأكسى حلة من حلل الجنة، ثم أقوم عن يمين العرش ليس أحد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيري". رواه الترمذي.

ومنها ما روي عن أبيّ بن كعب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إذا كان يوم القيامة كنت إمام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم غير فخر" رواه الترمذي.

وأما ما روي عن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده، فقولوا عبد الله ورسوله". متفق عليه.

ومنها ما روي عن مطرف بن عبدالله بن الشخير رضي الله عنه قال: انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا: أنت سيدنا، فقال "السيد الله" فقلنا: وأفضلنا فضلاً وأعظمنا طولاً فقال: "قولوا

قولكم، أو بعض قولكم، ولا يستجرينكم الشيطان". رواه أحمد وأبو داود، ومنها ما روي عن أنس رضي الله عنه قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا خير البرية. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "ذاك إبراهيم". رواه مسلم.

ومنها ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: استب رجل من المسلمين ورجل من اليهود، فقال المسلم: والذي اصطفى محمداً على العالمين، فقال اليهودي: والذي اصطفى موسى على العالمين، فرفع المسلم يده عند ذلك فلطم وجه اليهودي، فذهب اليهودي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره بما كان من أمره وأمر المسلم، فدعا النبي صلى الله عليه وسلم المسلم فسأله عن ذلك فأخبره، فقال النبي صلى الله عليه وسلم :لا تخيروني على موسى، فإن الناس يصعقون يوم القيامة فأصعق معهم فأكون أول من يفيق، فإذا موسى باطش بجانب العرض فلا أدري كان فيمن صعق فأفاق قبلي أو كان فيمن استثنى الله تعالى". متفق عليه.

فعلم من تلك الأحاديث بعض من طرق تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم وإن رأس الأمر والعمدة في ذلك محبة النبي صلى الله عليه وسلم فوق محبة الوالد والولد والناس أجمعين، وهي لا تتم إلا بالاتباع والطاعة، قال الله تعالى: قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله . فمن كان أكثر اتباعاً وطاعة كان أكثر محبة، ومن كان أكثر محبة كان أشد تعظيماً، وأيضاً علم أن بعض أفراد التعظيم قد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه، فمنه السجدة، وفي هذا الحكم جميع التعظيمات التي هي من جنس العبادة، كالدعاء والنذر والنحر والطواف والركوع وغير ذلك، ومنه التمثل قياماً والقيام تعظيماً كما تقوم الأعاجم، وأن المبالغة في الثناء والغلو والإطراء منهي عنه، بل الواجب في ذلك القصر على ما ثبت بالكتاب العزيز والسنة المطهرة، والدليل عليه أن في أول الأمر قد نهى رسول الله صلى

الله عليه وسلم عن لفظ السيد وخير البرية والتخيير على موسى، فلما أوحى إليه أنه سيد ولد آدم، وأنه أكرم الأولين والآخرين، وأنه قائد المرسلين، وإمام النبيين، وهو صاحب المقام المحمود، وأنه حبيب الله، وأنه حامل لواء الحمد، وأنه أول شافع وأول مشفع، وغير ذلك من الأوصاف، أخبر بها أمته وقال: "ولا فخر". ويؤيده قوله :لا تطروني". وقوله: "ولا يستجرينكم الشيطان".

فالواجب على المؤمن أن لا يتجاسر على التكلم بكل كلمة في ثناء النبي صلى الله عليه وسلم فالمقام مقام الاحتياط، إذ اعتقاد اتصاف النبي صلى الله عليه وسلم بصفاته الكمالية من جملة مسائل العقائد، فما لم يثبت بالكتاب العزيز أو السنة الثابتة المطهرة لم يجز وصف النبي به، فمن ههنا دريت خطأ الأبوصيري في قوله: "واحكم بما شئت مدحاً فيه واحتكم" وخطأ صاحب الرسالة حيث استحسنه.

وبالجملة فنحن معاشر أهل الحديث نعظم رسول الله صلى الله عليه وسلم بكل تعظيم جاء في الكتاب أو السنة الثابتة، سواء كان ذلك التعظيم فعلياً أو قولياً أو اعتقادياً، والوارد في الكتاب العزيز والسنة المطهرة من ذلك الباب في غاية الكثرة، وما ذكر هو بعض منه ولو رمت إحصاء ذلك على التمام لجاء في مؤلف بسيط، نعم نجتنب التعظيمات التي تشتمل على موجبات الكفر والشرك، وما نهى الله عنه ورسوله، والتعظيمات المحدثة المبتدعة.

وأما أهل البدع فمعظم تعظيمهم تعظيم محدث، كشد الرحال إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم والفرح بليلة ولادته، وقراءة المولد، والقيام عند ذكر ولادته صلى الله عليه وسلم، وتقبيل الإبهام عند قول المؤذن "أشهد أن محمداً رسول الله". والتمثل بين يدي قبره قياماً، وطلب الحاجات منه صلى الله عليه وسلم، والنذر له وما ضاهاها، وأما التعظيمات

الثابتة فهم عنها بمراحل[74]، فيا أهل البدع أنشدكم الله والإسلام والإنصاف أن تقولوا أي الفريقين أزيد تعظيماً للنبي صلى الله عليه وسلم وأكثر اتباعاً له وأشد حباً له صلى الله عليه وسلم بأبي هو وأمي، وقد نقلنا عبارة الصارم المنكى في ذلك الباب، فتذكر.

قوله: والحاصل كما تقدم أن هنا أمرين: (أحدهما) وجوب تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم ورفع رتبته عن سائر المخلوقات، (والثاني) إفراد الربوبية واعتقاد أن الرب تبارك وتعالى منفرد بذاته وأفعاله عن جميع خلقه.

أقول: في هذا الحصر نظر ظاهر كما تقدم من أنه لابد هناك من أمر ثالث، وهو عدم إحداث ما ليس من أمر الدين مما لم يأذن به الله ورسوله، بل من أمر رابع وهو إفراد الله تعالى وحده بجميع أنواع العبادة سواء كانت اعتقادية أو لفظية أو بدنية، بل من أمر خامس وهو الاجتناب[75] عما نهى الله ورسوله، ويمكن إدخال الرابع في الخامس، فمن أحدث في التعظيم ما ليس من أمر الدين فقد صار مبتدعاً ضالاً، ومن جعل فرداً من العبادة لغير الله كالدعاء والاستغاثة والنذر والنحر فقد أشرك كالمشركين السالفين، فإنهم لم يعتقدوا في مخلوق مشاركة البارئ سبحانه وتعالى في شيء من الذات والصفات والأفعال، بل عبدوهم لأنهم يقرّبونهم إلى الله زلفى، وأنهم شفعاء عند الله، ومن أتى ما نهى الله عنه ورسوله فقد صار فاسقاً عاصياً.

قوله: وأما من بالغ في تعظيمه بأنواع التعظيم ولم يصفه بشيء من صفات الربوبية فقد أصاب الحق، وحافظ على جانب الربوبية والرسالة جميعاً.

---

74 () من تتبع التاريخ يعلم أن أشد المؤمنين حباً واتباعاً للنبي صلى الله عليه وسلم أقلهم غلواً فيه، ولا سيما أصحابه رضي الله عنه ومن يليهم في خير القرون، وأن أضعفهم إيماناً، وأقلهم اتباعاً له هم أشدهم غلواً في القول وابتداعاً في العمل، وترى ذلك في شعر الفريقين. وكتبه محمد رشيد رضا.

75 () كان ينبغي أن يقول "الانتهاء" أو "اجتناب ما نهى الله عنه" قال تعالى: (فاجتبوه).

أقول: فيه خلل واضح، وفساد فاضح، فإن من أنواع التعظيم ما هو شرك كالسجود لقبره صلى الله عليه وسلم والطواف به والنحر له والنذر له، ومنها ما هو بدعة، ومنها ما هو منهي عنه، وليس في شيء منها الوصف بشيء من صفات الربوبية، فكيف يقال لمرتكبها إنه أصاب الحق ؟

قوله: وإذا وجد في كلام المؤمنين إسناد شيء لغير الله تعالى يجب حمله على المجاز العقلي، ولا سبيل إلى تكفير أحد من المؤمنين، إذ المجاز العقلي مستعمل في الكتابة والسنة.

أقول: هذا الكلام بعمومه فاسد، فإن المؤمنين يقولون أكلنا وشربنا وباشرنا أزواجنا وصلينا وصمنا وحججنا، ففي كل من هذه الأقوال إسناد شيء لغير الله تعالى، ولا يصح حمله على المجاز العقلي فضلاً عن الوجوب.

وتحقيق القول في ذلك الباب أنا لا ننكر المجاز العقلي، ولكن لابد هناك من التفصيل، وهو أنه إذا وجد في كلام المؤمنين إسناد شيء مما يقدر عليه العبد لغير الله تعالى يجب حمله على الحقيقة، ولا يصح حمله على المجاز العقلي كما في الأمثلة المذكورة، وإذا وجد في كلام المؤمنين إسناد شيء مما لا يقدر عليه إلا الله مثل فلان شفاني وفلان رزقني وفلان وهب لي ولداً يجب حمله على المجاز العقلي، ولكن لا مطلقاً بل متى لم يصدر من ذلك المتكلم شيء من الألفاظ والأعمال الكفرية مما هو كفر بواح، وشرك قراح، وأما إذا صدر منه شيء من تلك الألفاظ والأعمال فلا يحمل كلامه على المجاز العقلي، إذ المؤمن بهذا اللفظ والعمل قد انسلخ من الإيمان فلم يبق مؤمناً، فلا وجه لهذا الحمل، ولا ريب في أن عبدة الأنبياء والصالحين يصدر منهم من الألفاظ والأعمال ما هو كفر صريح كالسجدة والطواف والنذر والنحر ونحو ذلك.

على أنا نقول: إذا قال أحد من عبدة الأنبياء والصالحين: يا فلان اشف مريضي فما مراده ؟ إن كان المراد الإسناد الحقيقي فلا ارتياب في كونه

كفر وشركاً، وإن كان المراد الإسناد المجازي بمعنى يا فلان كن سبباً لشفاء مريضي[76] أي ادع الله تعالى أن يشفي مريضي، فإن كان ذلك المدعو حياً حاضراً فليس هذا من الشرك في شيء، ولكنه لما كان موهماً للإسناد الحقيقي الذي هو شرك صريح كان حقيقاً بالترك، فإن الله تعالى قد نهانا عن استعمال اللفظ الموهم كما تقدم، وإن كان المدعو حياً غير حاضر، أو ميتاً وينادى من مكان بعيد من القبر، فهذا أيضاً شرك، فإن فيه إثبات علم الغيب لغير الله تعالى وهو من الصفات المختصة به تعالى، وإن كان ذلك المدعو ميتاً وينادى عند قبره، فهذا ليس بشرك ولكنه بدعة، فعلى كل حال ينبغي للمؤن أن يجتنب دعاء غير الله، وذلك هو القول الذي لا إفراد فيه ولا تفريط.

قوله: وأما الفرق بين الحي والميت كما يفهم من كلام المانعين للتوسل فإن كلامهم يفيد أنهم يعتقدون أن الحي يقدر على بعض الأشياء دون الميت، فكأنهم يعتقدون أن العبد يخلق أفعال نفسه، فهو مذهب باطل، والدليل على أن هذا من اعتقادهم أنهم يقولون إذا نودي الحي وطلب منه ما يقدر عليه فلا ضرر في ذلك، وأما الميت فإنه لا يقدر على شيء أصلاً، وأما أهل السنة فإنهم يقولون الحي لا يقدر على شيء كما أن الميت كذلك لا يقدر، والقادر حقيقة هو الله تعالى، والعبد ليس له إلا الكسب الظاهري باعتبار الحي، والكسب الباطني باعتبار التبرك بذكر اسم النبي صلى الله عليه وسلم وغيره من الأخيار وتشفعهم في ذلك.

أقول: هذا كلام متضمن لمفاسد كثيرة:

(الأول) أن قدرة الحي على بعض الأشياء دون الميت ثابت بالكتاب والسنة.

---

76 () **إن مثل هذا الطلب لا يحتمل المجاز العقلي لا في اللغة ولا في عرف الناس، وطالب الدعاء يصرح به. وكتبه محمد رشيد رضا.**

أما الكتاب، فمنه ما قال الله تعالى في سورة البقرة: ﴿لا تكلف نفس إلا وسعها ﴾. ومنه ما قال فيها أيضاً: ﴿ لا يكلف الله نفساً إلى وسعها ﴾. ومنها ما قال فيها أيضاً: ﴿ ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ﴾. ومنها ما قال في سورة المائدة: ﴿إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم ﴾. ومنه ما قال في سورة الأنعام والأعراف والمؤمنون: ﴿ لا نكلف نفساً إلى وسعها ﴾. ومنه ما قال في سورة الأنفال: ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ﴾. ومنه ما قال في سورة هود: ﴿ إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت ﴾. ومنه ما قال في سورة النحل: ﴿ضرب الله مثلاًعبداً مملوكاً لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقاً حسناً فهو ينفق منه سراً وجهراً هل يستوون، الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون، وضرب الله مثلاًرجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء وهو كل على مولاه أينما يوجهه لا يأت بخير، هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم ﴾. ومنه ما قال في سورة حم السجدة: ﴿ اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير ﴾. ومنه ما قال في سورة المجادلة: ﴿ فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا، فمن لم يستطع فإطعام ستنين مسكيناً ﴾. ومنها ما قال في سورة التغابن: ﴿ فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا وأنفقوا خيراً لأنفسكم ﴾. ومنه ما قال في سورة القلم: ﴿ يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون، خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون ﴾. ومنه ما قال في سورة المدثر: ﴿كلا إنه اتذكرة فمن شاء ذكره ﴾. ومنه ما قال في سورة الدهر: ﴿ فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلاً﴾. ومنه ما قال ي سورة النبأ:﴿ ذلك اليوم الحق فمن شاء اتخذ إلى ربه مآبا ﴾. ومنه ما قال في سورة التكوير: ﴿إن هو إلا ذكر للعالمين لمن شاء منكم أن يستقيم ﴾. ومنه ما قال في سورة الفاطر: ﴿ وما يستوي الأحياء ولا الأموات إن الله يسمع ما يشاء وما أنت بمسمع من في القبور ﴾.

على أن الآيات التي تتضمن أن نفع العمل وضرره عائد إلى عامله لا إلى غيره[77] كقوله تعالى في سورة البقرة: ﴿ تلك أمة قد خلت لا ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون﴾. وقوله تعالى فيها أيضاً: ﴿لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ﴾. وقوله تعالى في آل عمران: ﴿ووفيت كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون ﴾. وقوله تعالى أيضاً فيها: ﴿ يوم تجد كل نفس ما علمت من خير محضراً وما عملت من سوء ﴾. وقوله تعالى في سورة النساء: ﴿ومن يكسب إثماً فإنما يكسبه على نفسه ﴾. وقوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿ فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها ﴾. وقوله تعالى أيضاً فيها: ﴿ولا تكسب كل نفس إلا عليها، ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾. وقوله تعالى في الأعراف: ﴿ هل يجزون إلا ما كانوا يعملون ﴾. وقوله تعالى في يونس: ﴿فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها ﴾. وقوله تعالى في حم السجدة: ﴿ من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد ﴾. وقوله تعالى في الشورى: ﴿ وأمرت لأعدل بينكم الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم ﴾. وقوله تعالى في النجم: ﴿ ألا تزر وازرة وزر أخرى، وأن ليس للإنسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى ﴾. وقوله تعالى في سورة الليل:﴿إن سعيكم لشتى ﴾. كلها نصوص[78] على أن العبد الحي له قدرة على بعض الأشياء، وكذلك آيات الأوامر والنواهي والآيات التي فيها ذكر الثواب والعقاب.

وأما الأحاديث، فمنها ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من

---

77 () **سيأتي خبر "أن الآيات" بعد سرد الشواهد، وكان ينبغي أن يذكر الخبر هنا فيقول "كثيرة" مثلاً**

78 () **هذا خبر قوله "على أن الآيات التي تتضمن الخ ". وهو من ضعف التأليف، وكان حسنه يقتضي وضعه قبل الشواهد قريباً من اسمها، ثم يقول هنا: فهذه الآيات كلها نصوص الخ.**

ثلاثة، إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له". رواه مسلم.

ومنها ما روي عنه :"فمن استطاع منكم أن يطيل غرتة فليفعل" متفق عليه.

ومنها ما روي عن جابر بن سمرة أن رجلاً سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أنتوضأ من لحوم الغنم ؟ قال "إن شئت فتوضأ وإن شئت فلا تتوضأ". رواه مسلم.

ومنها ما روي عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي صلى الله عليه وسلم يحب التيامن ما استطاع في شأنه كله، في طهوره وترجله وتنعله. متفق عليه.

ومنها ما روي عن حمنة بنت جحش في حديث الاستحاضة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "وإن قويت عليهما فأنت أعلم". وفيه "وإن قويت على أن تؤخري الظهر وتعجلي العصر" وفيه "فافعلي وصومي إن قدرت على ذلك". رواه الترمذي.

ومنها ما روي عن أبي سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :لا يقطع الصلاة شيء" وادرأوا ما استطعتم فإنما هو شيطان". رواه أبو داود.

ومنها ما روي عنه أيضاً قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا تثاءب أحدكم للصلة فليكظم ما استطاع" رواه مسلم.

ومنها ما روي عن عمرو بن عبسة في قيام الليل قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "فإن استطعت أن تكون ممن يذكر الله في تلك الساعة فكن". رواه الترمذي.

ومنها ما روي عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "خذوا من الأعمال ما تطيقون" متفق عليه.

ومنها ما روي عن عمران بن حصين قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "صل قائماً فإن لم تستطع فقاعداً، فإن لم تستطع فعلى جنب" رواه البخاري.

ومنها ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما في حديث صلاة التسبيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "تفعل ذلك في أربع ركعات، إن استطعت أن تصليها في كل يوم مرة فافعل". رواه أبو داود وابن ماجه.

ومنها ما روي عن أبي موسى الأشعري في الصدقة فإن لم يستطع أو لم يفعل قال "فيعين ذات الحاجة الملهوف" متفق عليه.

ومنها ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه في كفارة الصوم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "فهل تستطيع أن تصوم شهرين متابعين ؟ قال لا . متفق عليه.

ومنها ما روي عن أبي قتادة أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: كيف تصوم ؟ وفيه قال "ويطيق ذلك أحد " رواه مسلم.

ومنها ما روي عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم "يا عبدالله ألم أخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل" ، وفيه :قلت إني أطيق أكثر من ذلك ، قال: "صم أفضل الصوم، صوم دواد، صيام يوم وإفطار يوم". متفق عليه.

ومنها ما روي عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه،وفيه ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده. متفق عليه.

ومنها ما روي عن جابر في الرقية قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "من استطاع منكم أن ينفع أخاه فلينفعه". رواه مسلم.

ومنها ما روي عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "ألا يستطيع أحدكم أن يقرأ ألف آية في كل يوم ؟ قالوا: ومن يستطيع أن

يقرأ ألف آية في كل يوم ؟ قال: "أما يستطيع أحدكم أن يقرأ ألهاكم التكاثر ؟ "رواه البيهقي.

ومنها ما روي عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أيعجز أحدكم أن يقرأ في ليلة ثلث القرآن ؟ قالوا: وكيف يقرأ ثلث القرآن ؟ قال: "قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن" رواه مسلم.

ومنها ما روي عن سعد بن أبي وقاص قال: كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "أيعجز أحدكم أن يكسب كل يوم ألف حسنة" فسأله سائل من جلسائه: كيف يكسب أحدنا ألف حسنة ؟ قال: "يسبح مائة تسبيحة فتكتب له ألف حسنة". رواه مسلم.

ومنها ما روي عن شداد بن أوس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "سيد الاستغفار أن تقول: اللم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبد: وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت" رواه البخاري.

ومنها ما روي عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عاد رجلاً من المسلمين وفيه: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "سبحان الله لا تطيقه ولا تستطيعه".

ومنها ما روي عن أبي هريرة قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "يا أيها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا" فقال رجل أكل عام يا رسول الله – فسكت حتى قالها ثلاثاً – فقال: "لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم " وفيه "فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم،وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه". رواه مسلم.

ومنها ما روي عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا أيها الناس عليكم من الأعمال ما تطيقون". رواه مسلم.

ومنها ما روي عن عبدالله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا معشر الشباب ما استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض

للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء". متفق عليه.

ومنها ما روي عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان". رواه مسلم .

ومنها ما روي عن ابن عمر قال: كنا إذا بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة يقول لنا: "فيما استطعتم". متفق عليه.

ومنا ما روي عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من بايع إماماً فأعطاه صفته يده وثمرة قلبه فليطعه إن استطاع" رواه مسلم.

ومنها ما روي عن أميمة بنت رقيقة تقول: "بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في نسوة، فقال لنا "فيما استطعتن وأطقتن" قلت: الله ورسوله أرحم بنا بأنفسنا. الحديث رواه الترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح.

ومنها ما روي عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقسم بين نسائه فيعدل ويقول: "اللهم هذا قسم فيما أملك، لا تلمني فيما تملك ولا أملك" رواه الترمذي.

ولفظ الوسع والطاقة والقدرة والاستطاعة والقوة والملك بمعنى واحد، وإثبات مشيئة، وعدم استواء الأحياء والأموات، وانقطاع العمل بعد الموت، وسلب العجز، مما يستلزم إثبات القدرة للحي وهو المطلوب.

و(الثاني): أن قدرة الحي على بعض الأشياء دون الميت لا تستلزم اعتقاد أن العبد يخلق أفعال نفسه، والدليل الذي ذكره صاحب الرسالة لا يثبت منه المطلوب، فإن مراد المانعين للتوسل بالقدرة الواقعة في قولهم الحي يقدر والميت لا يقدر قدرة الكسب لا قدر الخلق.

و(الثالث): المعارضة، وتقريرها أن التسوية بين الحي والميت كما يفهم من كلام هؤلاء المجوزين للتوسل[1] فإن كلامهم يفيد أنهم يعتقدون أن الحي لا يقدر على شيء كما أن الميت كذلك لا يقدر، فكأنهم يعتقدون أن العبد مجبور محض ليس له اختيار الكسب فهو مذهب باطل.

والدليل على أن هذا هو اعتقادهم أنهم يقولون إذا نودي الميت وطلب منه شيء فلا ضرر في ذلك، كما أن الحي إذا نودي منه شيء فلا ضير فيه، فإن كليهما سواء، سيان[2]، في عدم القدرة.

و(الرابع): أن إثبات الكسب ولو باطنيا للميت مخالف للنص الصريح وهو قوله صلى الله عليه وسلم: "إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله" فلا يعبأ به، على أن قدرة الحي على الكسب يعلم حدها بالمشاهدة، مثلاً نعلم أن الحي يقدر على حمل الحجر، وعلى أن يحول بينه وبني عدوه الكافر أو يدفع عنه سبعاً صائلاً أو لصاً أو يدعو له أو نحو ذلك، وأما قدرة الميت على الكسب فعلى تقدير تسليمها لا نعلم حدها بالمشاهدة، فما طريق العلم بها؟ وهل هي مساوية لقدرة الحي أو زائدة عليها أو ناقصة عنها؟ فلا بد من بيانه حتى يطلب منه على حسبه، ودونه لا معنى لهذه الدعوة العمياء.

---

(1) ينظر أين الجواب: أن التسوية الخ.
(2) كذا في الأصل، جمع بين الكلمتين.

قوله: ذكر العلامة السيد السمهودي في خلاصة الوفاء: أن من الأدلة الدالة على صحة التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاته ما رواه الدارمي في صحيحه عن أبي الجوزاء قال: فحط أهل المدينة قحطاً شديداً فشكوا إلى عائشة فشكوا إلى عائشة رضي الله عنها فقالت انظروا إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجعلوا منه كوة إلى السماء حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف، ففعلوا فمطروا حتى نبت العشب وسمنت الإبل حتى تفتقت من الشحم فسمى عام الفتق أقول في هذا الكلام كلام من وجوه:

(الأول): أن إطلاق الصحيح على مسند الدارمي -الذي اشتهر بالمسند، على خلاف اصطلاح المحدثين، وحقه أن يسمى بالسنن دون المسند- ليس بصحيح. قال المغلطاي إن جماعة أطلقوا على مسند الدرامي بكونه صحيحاً فتعقبه الحافظ ابن حجر بأني لم أر ذلك في كلام أحد ممن يعتمد عليه، كيف ولو أطلق ذلك من يعتد به لكان الواقع بخلاف.

(الثاني): أنه قال العراقي: المرسل والمعضل والمنقطع والمقطوع فيه كثير،وهذا الحديث من هذا القبيل كما سيظهر إن شاء الله تعالى.

(الثالث): أن في سنده محمد بن الفضل السدوسي أبو النعمان البصري، قال الحافظ في التقريب: لقبه عارم ثقة ثبت تغير في آخر عمره. أهـ، وقال في الخلاصة: اختلط عارم قال أبو حاتم ثقة من سمع منه قبل عشرين ومائتين فسماعه جيد. اه وقال الذهبي في الكاشف تغير قبل موته وترك الأخذ منه، وقال الذهبي في الميزان: قال أبو حاتم اختلط عارم في آخر عمره وزال عقله، فمن سمع منه

قبل العشرين ومائتين فسماعه جيد، وقال البخاري: تغير عارم في آخر عمره.

وقال أبو داود: بلغني أن عارم أنكر سنة ثلاث عشرة ومائتين ثم راجعه عقله ثم استحكم به الاختلاط سنة ست عشرة ومائتين ولم يسمع منه أبو داود لتغيره. اهـ ملخصاً.

و(الرابع): أن في سنده سعيد بن زيد قال الذهبي في الكاشف: ليس بالقوي قاله جماعة ووثقه ابن معين. اهـ وقال الحافظ في التقريب: صدوق له أوهام. أهـ، وقال في الخلاصة: قال ابن معين ثقة، وقال أحمد: ليس به بأس، وقال النسائي: ليس بالقوي. اهـ وقال الذهبي في الميزان: سعيد بن زيد أبو الحسن أخو حماد بن زيد، مات قبل حماد بن زيد، قال علي عن يحيى بن سعيد: ضعيف، وقال السعدي: ليس بحجة يضعفون حديثه، وقال النسائي وغيره: ليس بالقوي، وقال أحمد: ليس به بأس، كان يحيى بن سعيد لا يستريبه. اهـ

و(الخامس): أن في سنده عمرو بن مالك النكري، قال الحافظ في التقريب: صدوق له أوهام.اهـ

و(السادس): أن في سنده أبا الجوزاء أوس بن عبد الله، قال في التقريب: أوس بن عبد الله الربعي يرسل كثيراً، وقال الذهبي في الميزان: أوس بن عبد الله أبو الجوزاء الربعي البصري وثقوه، وقال البخاري: قال يحيى بن سعيد قتل في الجماجم، وفي إسناده نظر ويختلفون فيه. اهـ وقال أيضاً في الكنى: أبو الجوزاء الربعي أوس تابعي مشهور، قال البخاري: في إسناده نظر. اهـ فقد ثبت من هناك أن هذا الحديث ضعيف منقطع.

و(السابع): أن الحديث موقوف فلا يصلح حجة عند المحققين.

و(الثامن): بعد تسليم حجيته يعارضه أثر عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ذكر محمد بن إسحاق في مغازيه عن خالد بن دينار عن أبي العالية قال: لما فتحنا تستر وجدنا في بيت مال الهرمزان سريراً عليه رجل ميت عند رأسه مصحف له فحملنا المصحف إلى عمر رضي الله عنه فدعا كعباً فنسخه بالعربية، فأنا أول رجل قرأته مثل ما أقرأ القرآن، فقلت لأبي العالية: ما كان فيه؟ قال: سيرتكم وأموركم ولحون كلامكم وما هو كائن بعد، قلت فما صنعتم بالرجل؟ قال: حفرنا بالنهار ثلاثة عشر قبراً متفرقة، فلما كان بالليل دفناه وسوينا القبور كلها لعميه على الناس لا ينبشونه، قلت: وما يرجون منه؟ قال: كانت السماء إذا حبست عنهم أبرزوا السرير فيمطرون. فقلت: من كنتم تظنون الرجل؟ قال: دانيال، قلت منذ كم وجدتموه مات؟ قال منذ ثلاثمائة سنة[1]. قلت: ما كان قد تغير منه شيء؟ قال. لا إلا الشعيرات من قفاه، إن لحوم الأنبياء لا تبليها الأرض ولا تأكلها السباع.

فانظر ما في هذه القصة من صنع أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم وتعميه قبر هذا الرجل لئلا يفتتن به الناس، كذا في (تعبيد الشيطان بتقريب إغاثة اللهفان).

قوله: ومن أحسن ما يقال ما جاء عن العتبي، وهو مروى أيضاً عن سفيان بن عيينة، وكل منهما من مشايخ الإمام الشافعي، قال العتبي: كنت جالساً عند قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء أعرابي فقال: السلام عليك يا رسول الله، سمعت الله يقول –وفي رواية: يا خير الرسل إن الله أنزل عليك كتاباً صادقاً قال فيه: ﴿ولو

---

[1] دانيال النبي عليه السلام كان في سبى نبو خذ نصر لبني إسرائيل قبل ميلاد المسيح بستمائة سنة وكتابه من أسفار اليهود المعروفة، وكتبه محمد رشيد رضا.

أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً. وقد جئتك مستغفراً من ذنبي.

أقول: ليست هذه الحكاية مما تقوم به الحجة، قال في الصارم المنكي: وهذه الحاكية التي ذكرها بعضهم يرويها عن العتبي بلا إسناد، وبعضهم يرويها عن محمد بن حرب عن أبي الحسن الزعفراني عن الأعرابي، وقد ذكرها البيهقي في كتاب شعب الإيمان، بإسناد مظلم عن محمد بن روح بن يزيد البصري حدثني أبو حرب الهلالي قال: حج أعرابي ، فلما جاء إلى باب مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم أناخ راحلته فعقلها، ثم دخل المسجد حتى آتي القبر، ثم ذكر نحو ما تقدم وضع لها بعض الكذابين إسنادا إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه كما سيأتي ذكره.

وفي الجملة ليست هذه الحكاية المذكورة عن الأعرابي مما تقوم به حجة، وإسنادها مظلم مختلف، ولفظها مختلف أيضاً، ولو كانت ثابتة لم يكن فيها حجة على مطلوب المعترض، ولا يصلح الاحتجاج بمثل هذه الحكاية ولا الاعتماد على مثلها عند أهل العلم. وبالله التوفيق.

قوله: وليس محل الاستدلال الرؤيا فإنها لا تثبت بها الأحكام لاحتمال حصول الاشتباه على الرائي كما تقدم ذلك، وإنما محل الاستدلال كون العلماء استحسنوا الإتيان بما تقدم ذكر، وذكروا في مناسكهم استحباب الإتيان به للزائر.

أقول: استحسان جميع علماء الأمة ممنوع، وأما استحسان بعض العلماء فلا تثبت به الأحكام، كما أنها لا تثبت بالرؤيا، على أنه لو ثبت استحسان جميع علماء الأمة فكونه مجمعاً عليه بالإجماع الاصطلاحي محل كلام، وبعد تسليم إمكان الإجماع الاصطلاحي فكونه حجة شرعية

غير مسلم، والأحاديث الدالة على حجيته قد تقدم الكلام عليها، على أن كونها دالة على حجية الإجماع أيضاً منظور فيه.

قوله: وقال العلامة ابن حجر في الجوهر المنظم: وروى بعض الحفاظ عن أبي سعيد السمعاني أنه روى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم الله وجهه أنهم بعد دفنه صلى الله عليه وسلم بثلاثة أيام جاءهم أعرابي فرمى بنفسه على القبر الشريف على صاحبه أفضل الصلاة والسلام.

أقول: هذا الخبر ضعيف جداً حتى قيل أنه موضوع، قال في الصارم المنكي: فإن قيل قد روى أبو الحسن على بن إبراهيم بن عبد الله بن عبد الرحمن الكرخي عن علي بن محمد بن على حدثنا أحمد بن محمد بن الهيثم الطائي قال حدثني أبي عن أبيه عن سلمة ابن كهيل عن أبي صادق عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قدم علينا أعرابي بعدما دفنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلاثة أيام، فرمى بنفسه على قبر النبي صلى الله عليه وسلم وحثى على رأسه من ترابه وقال: يا رسول الله قلت فسمعنا قولك، ووعيت من الله عز وجل فما وعينك عنك، وكان فيما أنزل الله تبارك وتعالى عليك: ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً﴾ وقد ظلمت نفسي وجئتك لتستغفر لي، فنودي من القبر أنه قد غفر لك.

والجواب أن هذا الخبر منكر موضوع، وأثر مختلق مصنوع لا يصلح الاعتماد عليه، ولا يحسن المصير إليه، وإسناده ظلمات بعضها فوق بعض، والهيثم جد أحمد بن محمد ابن الهيثم أظنه ابن عدي الطائي[1]

---

[1] ومن ادعى أن الهيثم المذكور في سند الحكاية هو ابن مالك الطائي الشامي الأعمى أبو محمد الموثق فعليه الحجة، وفي الحكاية أبو صادق لم يسمع من علي رضي الله عنه، وفيها أحمد بن محمد بن الهيثم عن أبيه لا ذكر لها في التقريب ولا التهذيب، ولا اللسان، فمن احتج بهما فعليه أن ينقل توثيقهما عن إمام من أئمة التوثيق.

فإن يكنه فهو متروك كذاب، وإلا فهو مجهول، وقد ولد الهيثم بن عدي بالكوفة ونشأ بها وأدرك زمان سلمة بن كهيل فيما قيل، ثم انتقل إلى بغداد فسكنها، قال عباس الدوري: سمعت يحيى بن معين يقول: الهيثم ابن عدي كوفي ليس بثقة كان يكذب، وقال العجلي أبو داود: كذاب، وقال أبو حاتم الرازي والنسائي والدولابي والأزدي: متروك الحديث، وقال السعدي: ساقط قد كشف قناعه. قوال أبو زرعة: ليس بشيء. وقال البخاري: سكتوا عنه، أي تركوه. وقال ابن عدي: ما أقل ما له من المسند، وإنما هو صاحب أخبار وأسمار ونسب وأشعار.

وقال ابن حبان: كان من علماء الناس بالسير وأيام الناس وأخبار العرب، إلا أنه روى عن الثقات أشياء كأنها موضوعات، يسبق إلى القلب أنه كان يدلسها. وقال الحاكم أبو أحمد: ذاهب الحديث. وقال الحاكم أبو عبد الله: الهيثم بن عدي الطائي في علمه ومحله حدث عن جماعة من الثقات أحاديث منكرة. وقال العباس بن محمد: سمعت بعض أصحابنا يقول قالت جارية الهيثم: كان مولاي يقوم الليل يصلي فإذا أصبح جلس يكذب. اه

قال الذهبي في ترجمة الهيثم بن عدي الطائي: أبو عبد الرحمن المنبجي ثم الكوفي قال البخاري: ليس بثقة، كان يكذب، قال يعقوب بن محمد حدثنا أبو عبد الرحمن من أهل منبج وأمه من سبى منبج، سكتوا عنه. وروى عباس عن يحيى: ليس بثقة كان يكذب. وقال داود: كذاب. وقال النسائي وغيره: متروك الحديث.

قلت: كان اخبارياً علامة، روى عن هشام بن عروة وعبد الله بن عياش المشرف[2] ومجالد. وقال ابن عدي: ما أقل ما له في السند،

---

[2] في الميزان: المتشوف.

إنما هو صاحب أخبار. وقال ابن المديني: هو أوثق من الواقدي، ولا أرضاه في شيء. قال عباس الأودي: حدثنا بعض أصحابنا قالت جارية الهيثم بن عدي: مولاي يقوم عامة الليل يصلي، فإذا أصبح جلس يكذب. انتهى ملخصاً.

وفي الميزان: الهيثم الطائي الآخر هو أيضاً كذاب، ولفظه هكذا: الهيثم عبد الغفار الطائي بصري مقل تالف. قال أحمد: عرضت على ابن مهدي أحاديث الهيثم بن عبد الغفار عن همام بن يحيى وغيره فقال: هذا يضع الحديث. وسألت الأقرع وكان صاحب حديث عن الهيثم فذكره نحوه. قال أحمد: وسمعت هشيماً يقول: ادعوا الله لأخينا عباد بن العوام سمعته يقول: كان يقدم علينا من البصرة رجل يقال له الهيثم بن عبد الغفار فحدثنا عن همام عن قتادة عن أبيه وعن رجل يقال له ابن حبيب وعن جماعة، وكنا معجبين به،فحدثنا بشيء أنكرته أو إرتبت به ثم لقيته بعد فقال لي: ذلك الحديث دعه، فقدمت على عبد الرحمن مهدي فعرضت عليه بعض حديثه فقال:هذا رجل كذاب، أو قال: غير ثقة. وقال أحمد: ولقيت الأقرع بمكة فذكرت له بعض هذا فقال: هذا حديث البرى عن قتادة، يعني أحاديث همام، قال: فحرقت حديثه وتركناه بعد. اه

قوله: ويؤيد ذلك أيضاً ما صح عنه صلى الله عليه وسلم من قوله: "حياتي خير لكم، تحدثون وأحدث لكم، ووفاتي خير لكم، تعرض علي أعمالكم، ما رأيت من خير حمدت الله تعالى، وما رأيت من شر استغفرت لكم".

أقول: قال في الصارم المنكي: قلت هذا خبر مرسل، رواه القاضي إسماعيل بن إسحاق في كتاب (فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم) عن سليمان بن حرب عن حماد بن زيد عن

غالب القطان عن بكر بن عبد الله، وهذا إسناد صحيح إلى بكر المزني، وبكر من ثقات التابعين وأئمتهم. وقال القاضي إسماعيل: حدثنا حجاج بن منهال حدثنا حماد بن سلمة عن كثير بن الفضل عن بكر بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "حياتي خير لكم ووفاتي خير لكم: تحدثون وأحدث لكم، فإذا أنا مت عرضت علي أعمالكم، فإن رأيت خيراً حمدت الله، وإن رأيت شراً استغفرت لكم". اه والمرسل من أقسام الحديث الضعيف، فالحكم عليه بالصحة غير صحيح.

قوله: وفي (الجوهر المنظم) أيضاً أن أعرابياً وقف على القبر الشريف وقال: اللهم إن هذا حبيبك، وأنا عبدك، والشيطان عدوك، فإن غفرت لي سر حبيبك وفاز عبدك وغضب عدوك، وإن لم تغفر لي غضب حبيبك وترضي عدوك وتهلك عبدك، اللهم إن العرب إذا مات فيهم سيد اعتقوا على قبره، وان هذا سيد العالمين فاعتقني على قبره يا أرحم الراحمين، فقال له بعض الحاضرين: يا أخا العرب، إن الله قد غفر لك بحسن هذا السؤال.

أقول: هذا مما لا يصح الاحتجاج به على المطلوب من وجوه:

(الأول): أن هذه القصة مذكورة بلا سند لها، فلابد على من يحتج بها من بيان سند، وتوثيق رجاله.

و(الثاني): أن فعل الأعرابي ليس من الحجة في شيء.

و(الثالث): أن هذه القصة ليس فيها دعاء غير الله ولا السؤال بحق المخلوق، والتوسل الذي يمنعه المانعون، هو الذي يتضمن دعاء غير الله أو السؤال بحق مخلوق أو ما ضاهاه من المنهيات والبدع والمنكرات.

و(الرابع): أن بعض الحاضرين القائل يا أخا العرب أن الله قد غفر لك، لا يدري من هو حتى يعتمد على قوله. وبالجملة ذكر أمثال هذه الحكايات في محل الاستدلال أدل دليل على جهل صاحبه.

قوله: وذكر علماء المناسك أيضاً أن استقبال قبره الشريف صلى الله عليه وسلم وقت الزيارة والدعاء أفضل من استقبال القبلة.

أقول: استقبال قبره الشريف في الزيارة وقت التسليم مما اختلف فيه الأئمة، وأما استقبال القبر وقت الدعاء فمنهي عنه بالاتفاق.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في منسك له صنفه في أواخر عمره:

ويسلم عليه مستقبلَ الحجرة مستدبر القبلة عند أكثر العلماء كمالك والشافعي وأحمد، وأما أبو حنيفة فإنه قال: يستقبل القبلة، فمن أصحابه من قال: يستدبر الحجرة ومنهم من قال: يجعلها عن يساره، واتفقوا على أنه لا يستلم الحجرة ولا يقبلها ولا يطوف بها ولا يصلي إليها ولا يدعو هناك مستقبلاً للحجرة، فإن هذا كله منهي عنه باتفاق الأئمة، ومالك أعظم كراهية لذلك، والحكاية عنه أنه أمر المنصور أن يستقبل القبلة وقت الدعاء كذب على مالك. بل ولا يقف عند القبر للدعاء لنفسه، فإن هذا بدعة، ولم يكن أحد من الصحابة يقف عنده يدعو لنفسه، ولكن كانوا يستقبلون القبلة ويدعون في مسجده. اهـ.

وقال في الصارم المنكى: وكذلك الشرك بأهل القبور لم يطمع الشيطان أن يوقعهم – أي الصحابة – فيه، فلم يكن على عهدهم في الإسلام قبر نبي يسافر إليه، ولا يقصد الدعاء عنده أو ت طلب

بركته أو شفاعته أو غير ذلك، بل أفضل الخلق محمد خاتم الرسل صلوات الله وسلامه عليه وقبره عندهم محجوب لا يقصده أحد منهم بشيء من ذلك. وكذلك كان التابعون لهم بإحسان ومن بعدهم من أئمة المسلمين، وإنما تكلم العلماء والسلف في الدعاء للرسول صلى عند قبره، منهم من نهى عن الوقوف للدعاء له دون السلام عليه، ومنهم من رخص في هذا وهذا، ومنهم من نهى عن هذا وهذا. وأما دعاؤه هو وطلب استغفاره وشفاعته بعد موته فهذا لم ينقل عن أحد من أئمة المسلمين لا من الأئمة الأربعة ولا غيرهم، بل الأدعية التي ذكروها خالية من ذلك، أما مالك فقد قال القاضي عياض: وقال مالك في المبسوط: لا أرى أن يقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم يدعو ويسلم، ولكن يسلم ويمضي.

وهذا الذي نقله القاضي عياض ذكره القاضي إسماعيل بن إسحاق في المبسوط قال: وقال مالك: لا أرى أن يقف الرجل عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم يدعو، ولكن يسلم على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ثم يمضي، وقال مالك ذلك لأن هذا هو المنقول عن ابن عمر أنه كان يقول: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا أبا بكر، السلام عليك يا أبت – أو يا أبتاه – ثم ينصرف، ولا يقف يدعو، فرأى ذلك من البدع.

قال القاضي عياض وقال مالك في رواية ابن وهب: إذا سلم على النبي صلى الله عليه وسلم ودعا يقف ووجهه إلى القبر لا إلى القبلة، ويدنو ويسلم ولا يمس القبر بيده، فقوله في هذه الرواية إذا سلم ودعا قد يريد بالدعاء فإنه قال يدنو ويسلم ولا يمس القبر بيده، ويؤيد ذلك أنه قال في رواية ابن وهب: السلام عليك أيها النبي صلى الله عليه ورحمة الله وبركاته وقد يراد أنه يدعو له بلفظ الصلاة كما

ذكر في الموطأ من رواية عبدالله بن دينار أنه كان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وفي رواية يحيى بن يحيى وقد غلطه ابن عبدالبر وغيره وقالوا إنما لفظ الرواية على ما ذكره ابن القاسم والقعنبي وغيرهما: يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ويسلم على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وقال أبو الوليد الباجي: وعندي أنه يدعو للنبي صلى الله عليه وسلم بلفظ الصلاة، ولأبي بكر وعمر لما في حديث ابن عمر من الخلاف.

قال القاضي عياض وقال في المبسوط: لا بأس لمن قدم من سفر أو خرج إلى سفر أن يقف على قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيصلي عليه ويدعو له ولأبي بكر وعمر، فإن أراد بالدعاء الصلاة والسلام فهون موافق لتلك الرواية، وإن كان أراد دعاء زائداً فهي رواية أخرى، وبكل حال فإنما أراد الدعاء اليسير.

وأما ابن حبيب فقال: ثم يقف بالقبر متواضعاً موقراً فيصلي عليه ويثني عليه ويثني بما حضر ويسلم على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فلم يذكر إلا الثناء عليه مع الصلاة.

وأما الإمام أحمد فذكر الثناء عليه بلفظ الشهادة له بذلك مع الدعاء بغير الصلاة ومع دعاء الداعي لنفسه أيضاً، ولم يذكر أن يطلب منه شيئاً ولا يقرأ عند القبر قوله: ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً ﴾. كما لم يذكر مالك ذلك ولا المتقدمون من أصحابنا ولا جمهورهم، بل قال في منسك المروزي: ثم ائت الروضة وهي بين القبر والمنبر فصل فيها وادع بما شئت، ثم ائت قبر النبي صلى الله عليه وسلم فقل: السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته،

السلام عليك يا محمد بن عبدالله، أشهد أن لا إله إلا أنت وأشهد أنك رسول الله صلى الله عليه وسلم وأشهد أنك قد بلغت رسالة ربك، ونصحت لأمتك، وجاهدت في سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وعبدت الله حتى أتاك اليقين، فجزاك الله أفضل ما جازى نبياً عن أمته، ورفع درجتك العليا، وتقبل شفاعتك الكبرى، وأعطاك سؤلك في الآخرة والأولى، كما تقبل من إبراهيم. اللهم احشرنا في زمرته، وتوفنا على سنته، وأوردنا حوضه، واسقنا بكأسه شرباً رويا لا نظمأ بعده أبداً.اهـ.

وقال شيخ الإسلام ابن تيميه في كتاب (اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم): ولم يكن أحد من السلف يأتي إلى قبر نبي لأجل الدعاء عنده، ولا كان الصحابة يقصدون الدعاء عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم ولا عند قبر غيره من الأنبياء، وإنما كانوا يصلون ويسلمون على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى صاحبيه.

واتفق الأئمة على أنه إذا دعا بمسجد النبي صلى الله عليه وسلم لا يستقبل قبره، وتنازعوا عند السلام عليه فقال مالك وأحمد وغيرهما: يستقبل قبره ويسلم عليه، وهو الذي ذكره أصحاب الشافعي، وأظنه منصوصاً عنه، وقال أبو حنيفة: بل يستقبل القبلة، ويسلم عليه، هكذا في كتب أصحابه، وقال مالك فيما ذكره إسماعيل بن إسحاق في (المبسوط) والقاضي عياض وغيرهم: لا أرى أن يقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم يدعو، ولكن يسلم ويمضي.

وقال أيضاً[1] في (المبيسوط): لا بأس لمن قدم من سفر أو خرج أن يقف على قبر النبي ويدعو له ولأبي بكر وعمر، فقيل له:

---

[1] يعني الإمام مالك.

فإن ناساً من أهل المدينة لا يقدمون من سفر ولا يريدونه يفعلون ذلك في اليوم مرة أو أكثر، وربما وقفوا في الجمعة أو في الأيام المرة والمرتين أو أكثر عند القبر فيسلمون ويدعون ساعة[2]، فقال: لم يبلغني هذا عن أحد من أهل الفقه ببلدنا، وتركه واسع، لا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها، ولم يبلغني عن أول هذه الأمة وصدرها أنهم كانوا يفعلون ذلك، ويكره إلا لمن جاء من سفر أو أراده، وقد تقدم في ذلك من الآثار عن السلف والأئمة ما يوافق هذا ويؤيده من أنهم كانوا يستحبون عند قبره ما هو من جنس الدعاء له والتحية كالصلاة والسلام، ويكرهون قصده للدعاء والوقوف عنده للدعاء، ومن يرخص منهم في شيء من ذلك فإنه إنما يرخص فيما إذا سلم عليه ثم أراد الدعاء أن يدعو مستقبل القبلة إما متدبر القبر وإما منحرفاً عنه، وهو أن يستقبل القبلة ويدعو ولا يدعو مستقبل القبر.

وهكذا المنقول عن سائر الأئمة، ليس في أئمة المسلمين من استحب للمرء أن يستقبل قبر النبي صلى الله عليه وسلم ويدعو عنده، وهذا الذي ذكرناه عن مالك والسلف يبين حقيقة الحكاية المأثورة عنه، وهي الحكاية التي ذكرها القاضي عياض عن محمد ابن حميد قال: ناظر أبو جعفر أمير المؤمنين مالكاً في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له مالك: يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد، فإن الله أدب قوما فقال: ﴿لا ترفعوا أصواتكم فوق

---

[2] أي قيل للإمام مالك: إن بعض أهل المدينة المقيمين فيها يقفون عند قبره صلى الله عليه وسلم فيسلمون ويدعون من غير أن يكونوا يريدون السفر أو يكونوا قادمين منه، فقال مالك: إنه لم يبلغه عن أحد من العلماء من التابعين وغيرهم أنه فعل ذلك أو رواه عن الصحابة، فعلم من هذه الرواية أن الوقوف عند قبره صلى الله عليه وسلم للسلام والدعاء قد حدث في عصر الإمام مالك من بعض العوام المقيمين في المدينة، وأنهم لقلتهم لم يرهم هو مع كثرة ملازمته لمسجده صلى الله عليه وسلم، ولعلهم لم يكونوا يفعلونه أمامه لعلمهم بأنه ينكره عليهم، بل هو قد أنكر على عبدالرحمن بن مهدي وهو من أقرانه عندما ووضع رداءه في المسجد وصلى عليه، واحتج عليه بقوله صلى الله عليه وسلم: "من أحدث فيه حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله، الخ الحديث. وهكذا تحدث البدع بفعل الجاهلين، وسكوت العالمين، حتى تحل محل السنن بل تنسخها. وكتبه محمد رشيد رضا.

صوت النبي الآية، وذكر باقي الحكاية ثم قال: فهذه الحكاية على هذا الوجه إما أن تكون ضعيفة أو مغيرة، وإما أن تفسر بما يوافق مذهبه، إذ قد يفهم منها ما هو تخالف مذهبه المعروف بنقل الثقات من أصحابه، فإنه مطلقاً، وذكر طائفة من أصحابه أنه يدنو من القبر ويسلم على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يدعو مستقبل القبلة ويوليه ظهره، وقيل لا يوليه ظهره، فاتفقوا في استقبال القبلة وتنازعوا في توليه القبر ظهره وقت الدعاء.

ويشبه والله أعلم أن يكون مالك رحمه الله سئل عن استقبال القبر عند السلام عليه وهو يسمي ذلك دعاء، فإنه قد كان من فقهاء العراق من يرى أنه عند السلام عليه يستقبل القبلة أيضاً، ومالك يرى استقبال القبر في هذه الحال كما تقدم، وكما قال في رواية ابن وهب عنه: إذا سلم على النبي صلى الله عليه وسلم يقف ووجهه إلى القبر لا إلى القبلة، ويدنو ويسلم يودعو ولا يمس القبر بيده، وقد تقدم قوله: إنه يصلي عليه ويدعو له، ومعلوم أن الصلاة عليه والدعاء له يوجب شفاعته للعبد يوم القيامة كما قال في الحديث الصحيح: "إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا علي، فإنه من صلى علي مرة صلى الله عليه عشراً، ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها درجة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون ذلك العبد، فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه شفاعتي يوم القيامة".

فقول مالك في هذه الحكاية إن كان ثباتاً عنه معناه أنك إذا استقبلته وصليت عليه وسلمت عليه وسألت الله له الوسيلة يشفع فيك يوم القيامة، فإن الأمم يوم القيامة يتوسلون إلى الله بشفاعته، واستشفاع العبد به في الدنيا هو فعل ما يشفع به له يوم القيامة كسؤال الله تعالى الوسيلة ونحو ذلك.

وكذلك ما نقل عنه من رواية ابن وهب إذا سلم على النبي صلى الله عليه وسلم ودعا يقف ووجهه إلى القبر لا إلى القبلة ويدعو ويسلم –يعني دعاء النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبيه- فهذا هو الدعاء المشروع هناك كالدعاء عند زيارة قبور سائر المؤمنين وهو الدعاء لهم فإنهم أحق الناس أن يصلى عليه ويسلم عليه ويدعى له بأبي هو وأمي صلى الله عليه وسلم. وبهذا تتفق أقوال مالك، ويفرق بين الدعاء الذي أحبه والدعاء الذي كرهه وذكر أنه بدعة. اه

فإن قلت: قد روى عن بريدة قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر "السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله بكم اللاحقون، نسأل الله لنا ولكم العافية" رواه مسلم والنسائي وابن ماجه، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: فقدته –تعني النبي صلى الله عليه وسلم- فإذا هو بالبقيع، فقال "السلام عليكم دار قوم مؤمنين، أنتم لنا فرط وإنا بكم لاحقون، اللهم لا تحرمنا أجرهم ولا تفتنا بعدهم".

وعن ابن عباس قال: مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقبور المدينة، فأقبل عليهم بوجهه فقال: "السلام عليكم يا أهل القبور، ويغفر الله لنا ولكم، أنتم أسلفنا ونحن بالأثر، ففي تلك الأحاديث الدعاء لنفسه بالعافية، وعدم حرمان الأجر، وعدم الفتن، وبالمغفرة.

قلت: المقصود من الدعاء الذي ينهى عنه عند القبر هو الدعاء الذي يقصد زيارة القبر لأجله ويظن أن الدعاء عند القبر مستجاب وأنه افضل من الدعاء في المسجد فيقصد زيارته لأجل طلب حوائجه، وأما الدعاء لنفسه عند القبر بالعافية وعدم الحرمان الأجر، وعدم الفتنة، تبعاً للدعاء لأصحاب القبور، والترحم عليهم والاستغفار لهم فلا ينهي عنه أحد من المسلمين، ألا ترى أن شيخ الإسلام ابن تيمية

وتلميذه ابن القيم من أشدهم منعاً للدعاء عند القبور، وهما يجوزان هذا الدعاء التبعي، بل يجعلان الزيارة المشتملة عليه زيارة سنية وزيارة أهل الإيمان.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في بعض مناسكه: (باب زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم) إذا أشرف على مدينة النبي صلى الله عليه وسلم قبل الحج أو بعده فليقل ما تقدم، فإذا دخل استحب له أن يغتسل، نص عليه الإمام أحمد، فإذا دخل المسجد بدأ برجله اليمنى وقال: بسم الله، والصلاة على رسول الله، اللهم اغفر لي ذنوبي، وافتح لي أبواب رحمتك، ثم يأتي الروضة بين القبر والمنبر فيصلي بها ويدعو ما شاء ثم يأتي قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيستقبل جدار القبر، ولا يمسه ولا يقبله، ويجعل القنديل الذي في القبلة عند القبر على رأسه ليكون قائماً وجاه النبي صلى الله عليه وسلم ويقف متباعدا كما يقف لو ظهر في حياته بخشوع وسكون منكس الرأس غاض الطرف مستحضراً بقلبه جلالة موقفه، ثم يقول: السلام عليكم يا رسول الله ورحمة الله وبركاته، السلام عليكم يا نبي الله، وخيرته من خلقه، السلام عليك يا سيد المرسلين وخاتم النبين وقائد الغر المحجلين، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أنك رسول الله، أشهد أنك قد بلغت رسالات ربك، ونصحت لأمتك، ودعوت إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة، وعبدت الله حتى أتاك اليقين، فجزاك الله أفضل ما جزى نبياً ورسولاً عن أمته، اللهم آته الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محموداً الذي وعدته، ليغبطه به الأولون والآخرون، اللهم صلى الله على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محم د وعلى آل محم د كما باركت على آل

إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم احشرنا في زمرته، وتوفنا على سـنته، وأوردنا حوضه، واسقنا بكأسه شراباً روياً لا نظمأ بعده أبداً. أهـ[1].

وقال في (الجواب الباهر، لمن سأل من ولاة الأمر عما أفتي بـه في زيارة المقابر[2]): بل قد ذكرت فـي غيـر موضـع اسـتحباب زيـارة القبور كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يزور أهل البقيع وشـهداء أحد، ويعلم أصحابه إذا زاروا القبور أن يقول قـائلهم: السـلام عليكـم أهل الديار مـن المسـلمين، وإنـا إن شـاء اللـه بكـم لاحقـون، ويرحـم المستقدمين منا ومنكم والمستأخرين، ونسأل الله لنا ولكم العافيـة، اللهم لا تحرمنا أجرهم ولا تفتنا بعدهم، واغفـر لنـا ولهـم، وإذا كـانت زيارة قبور عموم المؤمنين مشروعة فزيارة قبور الأنبياء والصـالحين أولى. اهـ

وقال في منسك صنفه في أواخـر عمـره: وزيـارة القبـور علـى وجهين: زيارة شرعية، وزيارة بدعية، فالشريعة المقصود بها السـلام على الميت كما يقصد بالصـلاة علـى جنـازته، فزيـارته بعـد مـوته مـن جنس الصلاة عليه، فالسنة فيها أن يسلم على الميت ويدعى له سواء كان نبيـاً أو غيـر نـبي، كمـا كـان النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم يـأمر الصحابة إذا زاروا القبور أن يقول أحدهم: "السلام عليكم أهل الـديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، ويرحـم اللـه المستقدمين منكم والمستأخرين، نسأل الله لنا ولكم العافيـة، اللهـم لا تحرمنا أجرهم، ولا تفتنا بعدهم، واغفر لنا ولهـم" وهكـذا يقـول إذا زار أهـل البقيـع ومـن بـه مـن الصـحابة وغيرهـم، أو زار شـهداء أحـد وغيرهم، إلى أن قال:

---

[1] هذا الفصل قد ذكره المصنف في أول الكتاب، وهو كثير التكرار.

[2] وقد طبع هذا الكتاب النفيس لأول مرة في الطبعة السلفية هذا العام.

وأما الزيارة البدعة، فهو الزائر أن يطلب حوائجه من ذلك الميت، أو يقصد الدعاء عند قبره، أو يقصد الدعاء به، فهذا ليس من سنة النبي صلى الله عليه وسلم، ولا استحبه أحد من سلف الأمة، بل هو من لبدع المنهي عنها باتفاق سلف الأمة وأئمتها. اهـ.

وقال ابن القيم في (زاد المعاد): كان إذا زار قبور أصحابه يزورها للدعاء لهم والترحم عليهم والاستغفار لهم، وهذه هي الزيارة التي سنها لأمته وشرعها لهم، وأمرهم أن يقولوا إذا زاروها "السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، نسأل الله لنا ولكم العافية".اهـ.

وفي (تعبيد الشيطان بتقريب إغاثة اللهفان): فاسمع الآن زيارة أهل الإيمان التي شرعها الله ووازن بينها وبين زيارة أهل الشرك التي شرعها لهم الشيطان، واختر لنفسك، قالت عائشة: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كان ليلتي منه يخرج من آخر الليل إلى البقيع فيقول: "السلام عليكم ديار قوم مؤمنين، وأتاكم ما توعدون، غداً مؤجلون، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد". رواه مسلم.

وعنها أيضاً أن جبريل أتاه فقال: إن ربك يأمرك أن تأتي البقيع فتستغفر لهم. قالت: قلت كيف يا رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال: "قولي: السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، ويرحم الله المستقدمين منكم و المستأجرين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون". وفي حديث بريدة عن أبيه: كان رسول الله يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر أن يقولوا: "السلام على أهل الديار". وفي لفظ "السلام عليكم أهل الديار". الحديث اهـ. قلت: حديث بريدة قد تقدم بتمامه، وفيه "نسأل الله لنا ولكم العافية" وكيف يمنع أحد من الدعاء

لنفسه تبعاً للدعاء لأصحاب القبور، وهو ثابت في الأحاديث الصحيحة، قال في الصارم: فإن الدعاء عند القبر لا يكره مطلقاً بل يؤمر به كما جاءت بـه السـنة فيمـا تقـدم ضـمناً وتبعـاً، وإنمـا المكـروه أن يتحـرى المجيء إلى القبر للدعاء عنده. اهـ.

وقد ثبت في الحديث الصحيح أن الـداعي إذا قصـد الـدعاء لغيـره يبدأ بنفسه، عن أبيّ بن كعب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا ذكر أحداً فـدعا لـه بـدأ بنفسـه. رواه الترمـذي وقـال: هـذا حـديث حسن غريب صحيح، ومن ثم ورد التشهد "السلام علينا". قال الحافظ في الفتح: استدل به على استحباب البدأة بالنفس في الدعاء. اهـ.

فالمقصود بالذات الدعاء للميت، وأمـا الـدعاء لنفسـه فإنمـا هـو لأجل الداعي إذا قصد الدعاء يبدأ بنفسه فهو مقصود بالعرض.

قوله: وأما ما نقل عن الإمام أبي حنيفة رحمه اللـه أن اسـتقبال القبلة أفضل فهـذا النقـل غيـر صـحيح، فقـد روى الإمـام أبـو حنيفـة نفسه في مسنده عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قـال: مـن السـنة استقبال القبر المكرم وجعل الظهر للقبلة.

أقول: في هذا الباب عن الإمام أبي حنيفة رحمـه اللـه روايتـان: قال ابن حجر المكي في (الجوهر المنظم): ما ذكرنا مـن أن الأفضـل استدبار القبلة واستقبال الوجه الشريف هو مـذهبنا ومـذهب جمهـور العلماء، وقال آخرون الأفضل استقبال الكعبة ونقل عن أبـي حنيفـة، لكن نقل عنه موافقة الأول. اهـ.

وأما ادعاء عدم صحة الرواية الأولى مستدلاً بما روى الإمام أبـو حنيفة رحمه الله نفسه في مسنده، ففيه أن رواية المسند مما لا يعبـأ به ولا يعتمد عليه، فإن في رواتها من هو مجهول ومجروح، ومن يتهم بالكذب، ألا ترى أن من أشهر مسـانيد أبـي حنيفـة مسـند أبـي محمـد

عبدالله بن محمد بن يعقوب الحارثي الذي رواه حسن بن زياد اللؤلؤي، فعبدالله هذا جامعه متهم بوضع الحديث.

قال الذهبي في الميزان: عبدالله بن محمد بن يعقوب الحارثي البخاري الفقيه عرف بالإسناد أ كثر عنه أبو عبدالله بن منده وله تصانيف، قال ابن الجوزي: قال أبو سعيد الروسي يتهم بوضع الحديث، وقال أحمد السليمان: كان يضع هذا الإسناد على هذا المتن وهذا المتن على هذا الإسناد، وهذا ضرب من الوضع، وقال حمزة السهمي: سألت أبا رزعة أحمد بن الحسن الرازي عنه فقال: ضعيف، وقال الحاكم: هو صاحب عجائب عن الثقات، وقال الخطيب: لا يحتج به، وقال الخليلي: يعرف بالإسناد، له معرفة بهذا الشأن، وهو لين ضعفوه، حدثنا عنه الملاحمي وأحمد بن محمد البصير بعجائب، قلت: يروي عن عبيدالله بن واصل بن الصائغ و عبدالصمد بن الفضل البخلي، وسماعاته في سنة ثمانين ومائتين قبلها وبعدها، مات سنة أربعين وثلاثمائة عن إحدى وثمانين سنة، وقد جمع مسنداً لأبي حنيفة.اه.

والحسن بن زياد اللؤلؤي راويه كذاب، قال الذهبي في الميزان: الحسن بن زياد اللؤلؤي الكوفي عن ابن جريج وغيره وتفقه على أبي حنيفة، روى أحمد بن أبي مريم وعباس الدوري عن يحيى بن معين: كذاب. وقال محمد بن عبدالله بن نمير: يكذب على ابن جريج، وكذا كذبه أبو داود فقال: كذاب غير ثقة. وقال ابن المديني: لا يكتب حديثه، وقال أبو حاتم: ليس بثقة ولا مأمون، وقال الدارقطني: ضعيف متروك، وقال محمد بن حميد الرازي: ما رأيت أسوأ صلاة منه.

البويطي: سمعت الشافعي يقول: قال لي الفضل بن الربيع: أنا اشتهي مناظرتك واللؤلؤي، فقلت: ليس هناك. فقال: أنا اشتهي

ذلك، قال فأحضرنا وأتانا بطعام فأمسكنا، فقال رجل معي له: ما تقول في رجل قذف محصنة في الصلاة ؟ قال: بطلت صلاته قال: وطهارته ؟ قال: بحالها. فقلت له: قذف المحصنات أشد ن الضحك في الصلاة [1]؟ قال فأخذ اللؤلؤي نعليه وقام، فقلت للفضل: قد قلت لك إنه ليس هناك، وقال محمد بن رافع النيسابوري: كان الحسن بن زياد يرفع رأسه قبل الإمام ويسجد قبله. مات سنة 203 وكان رأساً في الفقه. اه.

سيما رواية هذا الأثر[1] فقد أخرجه طلحة بن محمد في مسنده عن صالح بن أحمد كذا في (وفاء الوفاء) وطلحة مخرجه ضعيف، قال الذهبي في الميزان: قال ابن أبي الفوارس: كان يدعو إلى الاعتزال، وضعفه الأزهري اه. وصالح بن أحمد كذاب دجال، قال الذهبي: صالح بن أحمد بن أبي مقاتل عن يعقوب الدورقي ويوسف بن موسى القطان وغيرهما ويعرف بالقيروطي البزار، قال الدراقطني: متروك كذاب دجال، أدركناه ولم نكتب منه، يحدث بما لم يسمع، وقال ابن عدي: كان يسرق الحديث، واسم جده يونس، وقال البرقاني: ذاهب الحديث، قال عبدالله الأستاذ فيما جمع من مسند أبي حنيفة: كتب إلى صالح حدثنا الخصر بن أبان الهاشمي حدثنا مصعب بن المقدام حدثنا زفر حدثنا أبو حنيفة عن عطاء عن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "بئس البيت الحمام لا يستر وماء لا يطهر" فهذا من اختلاق صالح. اه.

---

[1] يعني الشافعي أن أبا حنيفة يقول بأن الضحك في الصلاة يبطل الوضوء، فكيف لا يبطله قذف المحصنات وهو اشد إثماً. وقوله للفضل أولاً وآخراً: إنه ليس هناك، معناه أنه ليس أهلاً للمناظرة. وكتبه محمد رشيد رضا.

[1] قوله "سيما رواية هذا الإثر الخ" الظاهر أنه من كلام المصنف، وأنه تتمة لقوله في عبدالله الحارثي "متهم بوضع الحديث" وما بينهم اعتراض، أي ولا سيما هذا الأثر عن ابن عمر فهو أجدرها بالوضع، وهذا القدر من تقطيع الكلام والاعتراض بين المستثنى والمستثنى منه وما في معناه من ضعف التأليف. وكتبه محمد رشيد رضا.

على أنه لوسلم صحة إسناد هذا الأثر إلى الإمام فلا يلزم منــه أن يكون ما يثبت منه هـو مـذهب الإمـام، فغيـر واحـد مـن الأئمـة يـروون الأحاديث ويكون مذهبهم بخلافها لوجوه ذكرت في علم الأصول، وهذا بين لا يتأتى جحوده من أحد من أهل العلم، على أن الإمام أبا حنيفة لا يحتج بالآثار في غير واحـد مـن المسـائل فلتكـن هـذه المسـألة أيضـاً منها.

وبالجملة فرواية الإمام هذا الأثر في مسنده لا يصـلح دليلاً، علـى أن نقل استقبال القبلة عند الزيارة عن الإمام رحمه اللـه غيـر صـحيح كما زعم صاحب الرسالة، ولننقل هناك بعـض عبـارات الحنفيـة ليعلـم أن استقبال القبلة عند السلام هو المشهور بينهم، قال الطحاوي في حاشية الدر المختار: ثم ينهض فيتوجه إلى قبره عليه الصلاة والسلام فيقف عند رأسه مستقبل القبلة يدنو منه قدر ثلاثة أذرع أو أربعــة ولا يدنو أكـثر مـن ذلـك اه. وفـي الهنديـة نقلاً عـن (الاختيـار فـي شـرح المختار): ثم ينهض فيتوجه إلى قبره صـلى اللـه عليـه وسـلم فيقـف عند رأسه مستقبل القبلة ثم يدنو منه ثلاثة أذرع أو أربعة ولا يدنو منـه أكثر من ذلك اه.

وقال السيد محمد أفنـدي شـهاب الـدين مفـتي الحنفيـة ببغـداد المفسر الشهير بالألوسي في تفسيره: واختلف الأئمة في استقباله عليه السلام، ففي مذهب أبي حنيفـة رحمـه اللـه أنـه لا يسـتقبل بـل يسـتدبر ويسـتقبل القبلـة، وقـال بعضـهم: يسـتقبل وقـت السـلام، ويستقبل القبلة ويستدبره وقت الدعاء، والصـحيح المعـول عليـه أنـه يستقبل وقت السلام وعند الدعاء يستقبل القبلة اه. وعن أبي الليـث رحمه الله يقف مستقبل القبلة، وكـذلك نقـل عـن الكرمـاني وغيـره، وما قال السيد محمود من أن الصحيح المعول عليه أنه يستقبل وقــت

السلام وعند الدعاء يستقبل القبلة مردود بما قال ابن جماعة في منسكه من أن الذي صححه الحنفية أنه يستقبل القبلة عند السلام عليه والدعاء له اهـ.

قوله: وسبق ابن الهمام في النص على ذلك العلامة ابن جماعة، فإنه نقل استحباب استقبال القبر عن الإمام أبي حنيفة رحمه الله، ورد على الكرماني في أنه يستقبل القبلة فقال: إنه ليس شيء.

أقول: راجعت منسك ابن جماعة فلم أجد فيه أثراً من هذا النقل والرد، وإنما فيه في ذلك الباب ما نقلته آنفاً، فلعل هذا من أكاذيب صاحب الرسالة والنسخة التي راجعتها صحيحة قديمة كتب في آخرها ما نصه: وكمل نسخ هذه النسخة في العاشر من شهر رمضان المعظم قدره سنة ست وأربعين وسبعمائة أحسن الله نقصها في خير وعافية وكاتبها محمد بن عيسى البزاوي. اهـ.

قوله: ويستدل لاستقبال القبر أيضاً بأنا متفقون على أنه صلى الله عليه وسلم حي في قبره يعلم بزائره، وهو صلى الله عليه وسلم لما كان في الدنيا لم يسع زائره إلا استقباله واستدبار القبلة فكذا يكون الأمر حين زيارته في قبره الشريف صلى الله عليه وسلم.

أقول للإمام على الرواية الأولى أن يقول: إن حياته في القبر برزخية، ومساواة الحياة البرزخية للحياة الدنيوية في جميع الأحكام غير مسلمة، ومن يدعي فعليه الإثبات.

قوله: وإذا اتفقنا في المدرس من العلماء بالمسجد الحرام المستقبل للقبلة أن الطلبة يستقبلونه ويستدبرون الكعبة فما بالك به صلى الله عليه وسلم فهذا أولى بذلك قطعاً.

أقول: للإمام أن يقول: هذا قياس مع الفارق، فإن حياته صلى الله عليه وسلم برزخية وحياة ذلك المدرس حياة دنيوية، وأين هذه من تلك ؟

قوله: وقد تقدم قول الإمام مالك للخليفة المنصور: ولم تصرف وجهك عنه ؟ أقول: قد تقدم الكلام عليه وتأويله فتذكر.

قوله: قال العلامة الزرقاني في شرح المواهب: كتب المالكية طافحة باستحباب الدعاء عند القبر مستقبلاً له مستدبراً للقبلة.

أقول: قد عرفت فيما تقدم أن الإمام مالكاً قال في رواية ابن وهب: إذا سلم على النبي صلى الله عليه وسلم ودعا يقف ووجهه إلى القبر لا إلى القبلة فقوله في هذه الرواية: إذا سلم ودعا قد يريد بالدعاء الدعاء للنبي صلى الله عليه وسلم كالدعاء عند زيارة قبور سائر المؤمنين، وهو الدعاء لهم قصداً وبالذات ولنفسه تبعاً وبالعرض، وهذا لا ينكره أحد من المسلمين كما تقدم، فإن كان مراد المالكية هذا الدعاء فهو حق لا نزاع لأحد فيه، وإن كان مرادهم الدعاء الذي تقصد زيارة القبر لأجله، ويظن أن الدعاء عند القبر مستجاب، وأنه أفضل من الدعاء في المسجد فيقصد زيارته لطلب حوائجه، فهذا مخالف لما روي عن إمامهم بسند صحيح أنه قال: لا أرى أن يقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم يدعو، ولكن يسلم ويمضي، ذكره إسماعيل بن إسحاق في المبسوط والقاضي عياض وغيرهم، وقول مالك للخليفة المنصور عند المناظرة لا يصلح معارضاً لهذا المروي، فإن سنده واه جداً كما تقدم.

قوله: ثم نقل عن مذهب الإمام أبي حنيفة والشافعي والجمهور مثل ذلك.

أقول: يعارض هذا النقل ما نقله شيخ الإسلام ابن تيميه عن الأئمة الأربعة من أنهم اتفقوا على أنه إذا دعا لا يستقبل قبره صلى الله عليه وسلم كما تقدم، وقال الشيخ ابن القيم في الإغاثة: ولقد جرد السلف الصالح التوحيد وحموا جانبه، كان أحدهم إذا سلم على النبي صلى الله عليه وسلم ثم أراد الدعاء استقبل القبلة وجعل ظهره إلى جدار القبر ثم دعا، قال سلمة بن وردان: رأيت أنس بن مالك يسلم على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يسند ظهره إلى جدار القبر ثم يدعو، ونص على ذلك الأئمة الأربعة أنه يستقبل القبلة وقت الدعاء حتى لا يدعو عند القبر، فإن الدعاء عبادة اهـ. وهذان الشيخان إمامان في النقل كما صرح به علماء النقل.

وقال ابن حجر المكي مستند صاحب الرسالة في (الجوهر المنظم): ما ذكرناه من الاستقبال هنا في حالة الدعاء هو مذهبنا ومذهب جمهور العلماء، ومشى عليه بعض المالكية مع كون مالك رحمه الله خالف في ذلك فرأى أن الأولى أن يكون في حال الدعاء أيضاً مستقبلاً للوجه الشريف، وقد سأله الخليفة المنصور الخ.

قلت قد عرفت فيما تقدم أن هذه الحكاية عن مالك ضعيفة جداً، وقد عارضها ما روي عن الإمام بسند صحيح أنه قال: لا أرى أن يقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم يدعو، ولكن يسلم ويمضي، فقد ثبت أن الإمام مالكاً موافق للجمهور في القول باستقبال القبلة في حالة الدعاء.

قوله: وأما ما ذكره الألوسي في تفسيره من أن بعضهم نقل عن الإمام أبي حنيفة رحمه الله أنه منع التوسل فهو نقل غير صحيح، إذ لم ينقله عن الإمام أحد من أهل مذهبه.

أقول: قال أبو الحسن القدوري في شرح كتاب الكرخي: قال بشر بن الوليد سمعت أبا يوسف يقول قال أبو حنيفة: لا ينبغي لأحد أن يدعو الله إلا به، وأكره أن يقول: "أسألك بمعاقد العز من عرشك".؟ وأن يقول بحق فلان، وبحق أنبيائك ورسلك، وبحق البيت الحرام.

قال أبو الحسن: أما المسألة بغير الله فمنكرة لأنه لا حق لغير الله عليه، وإنما الحق له على خلقه، وأما قوله "بمعقد العز من عرشك" فكرهه أبو حنيفة، ورخص فيه أبو يوسف، كذا في "تبعيد الشيطان). وقال ابن بلدجي في شرح المختار: ويكره أن يدعو الله إلا به، ولا يقول: أسألك بملائكتك أو بأنبيائك أو نحو ذلك، لأنه لا حق للمخلوق على خالقه كذا في تبعيد الشيطان.

وقال نعمان خير الدين الحنفي (في جلاء العينين): ونقل القدوري وغيره من الحنفية عن أبي يوسف أنه قال: قال أبو حنيفة رحمه الله لا ينبغي لأحد أن يدعو الله تعالى إلا به، وذكر العلائي في شرح التنوير عن التتار خانية عن أبي حنيفة رحمه الله أنه قال: لا ينبغي لأحد أن يدعو الله سبحانه وتعالى إلا به. وفي جميع متونهم أن قول الداعي المتوسل بحق الأنبياء والأولياء وبحق البيت والمشعر الحرام مكروه كراهة تحريم، وهي كالحرام في العقوبة بالنار عند محمد. اه ملخصاً.

وأيضاً قال فيه: فقد قال الشيخ أبو الحسين القدوري في الكتاب المسمى (بشرح الكرخي) المعروف به والمشهور عنه في (باب الكراهية):

(فصل) قال بشر بن الوليد سمعت أبا يوسف يقول قال أبو حنيفة رحمه الله: لا ينبغي لأحد أن يدعو الله تعالى به، وأكره أن

يقول "بمعاقد العز من عرشك، أو بحق خلقك". وأبو يوسف لم يكره الأول وقال أكره بحق فلان، أو بحق أنبيائك ورسلك، وبحق البيت والمشعر الحرام؛ قال القدوري: المسألة بخلقه لا تجوز، لأنه لا حق للمخلوق على الخالق. وقال البلدجي في (شرح المختار): ويكره أن يدعو الله تعالى إلا به، فلا يقول: أسألك بفلان أو بملائكتك أو بأنبيائك ونحو ذلك، لأنه لا حق للمخلوق على الخالق. اهـ

وقال في (الدر المختار) وفي التتارخانية معزياً للمنتقى عن أبي يوسف عن أبي حنيفة لا ينبغي لأحد أن يدعو الله إلا به، والدعاء المأذون فيه، المأمور به، ما استفيد من قوله تعالى: ﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها﴾. قال: وكذا لا يصلي أحد على أحد إلا على النبي صلى الله عليه وسلم وكره قوله: بحق رسلك وأنبيائك وأوليائك، أو بحق البيت، لأنه لا حق للخلق على الخالق تعالى. اهـ

وقال العلامة ابن عابدين في (رد المحتار على الدر المختار): قوله "وكره قوله بحق رسلك الخ" وهذا لم يخالف فيه أبو يوسف، بخلاف مسألة المتن السابقة كما أفاده الاتقاني. اهـ وقال تحت قوله: "لأنه لا حق للخلق على الخالق": ومجرد إيهام اللفظ ما لا يجوز كاف في المنع كما قدمناه، فلا يعارض خبر الآحاد، فلذا والله أعلم أطلق أئمتنا المنع. اهـ

فهؤلاء كلهم أهل مذهب أبي حنيفة رحمه الله ينقلون عن الإمام منع التوسل، والمنكر لذلك النقل جاهل بمذهب أبي حنيفة رحمه الله.

قوله: وفي المواهب اللدنية للإمام القسطلاني: وقف أعرابي على قبره الشريف صلى الله عليه وسلم وقال: اللهم إنك أمرت بعتق العبيد، وهذا حبيبك وأنا عبدك فأعتقني من النار على قبر

حبيبك، فهتف به هاتف: يا ه ذا تسأل العتق لك وحدك، هلا سألت العتق لجميع المؤمنين؟ اذهب فقد أعتقتك.

أقول: فيه كلام من وجوه:

(الأول): أن هذه الحكاية ذكرها القسطلاني بغير سند فلا يعتمد عليها.

و(الثاني): أن هتف الهاتف ليس من الحجة الشرعية في شيء لاحتمال أن يكون ذلك الصوت من الشيطان.

و(الثالث): أن فعل الأعرابي وقوله ليس دليلاً شرعياً حتى يحتج به على مسألة م مسائل الشرع.

قوله: ثم قال في المواهب عن الحسن البصري قال: وقف حاتم الأصم على قبره صلى الله عليه وسلم فقال: يا رب إنا زرنا قبر نبيك فلا تردنا خائبين، فنودي: يا هذا ما أذنا لك في زيارة قبر حبيبنا إلى وقد قبلناك، فارجع أنت من معك من الزوار مغفور لكم.

أقول: فيه أيضاً كلام من وجوه:

(الأول): أن هذه الحكاية لم يذكر لها سند فلا يعبأ بها.

و(الثاني): أن قول حاتم الأصم ليس بحجة شرعية.

و(الثالث): أنه ليس في قول حاتم إلا ذكر الزيارة والدعاء بتوسل الزيارة التي هي من الأعمال الصالحة، وهما مما لا يجحده أحد من المسلمين.

و(الرابع): أن النداء المذكور في هذه الحكاية مما لا اعتماد عليه، لجواز أن يكون هذا النداء من الشيطان، فلابد لنفي هذا الاحتمال من برهان.

قوله: وقال ابن أبي فديك: سمعت بعض من أدركت من العلماء الصلحاء يقول: بلغنا من وقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم

فتلا هذه الآية: ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً﴾ وقال: صلى الله عليه وسلم حتى يقولها سبعين مرة، ناداه ملك: صلى الله عليك يا فلان، ولم تسقط له حاجة.

أقول فيه خلل من وجوه:

(الأول): أن هذه الرواية ليس لها سند فلا يعتمد عليها.

و(الثاني): أن من روى عنه ابن أبي فديك مبهم مجهول.

و(الثالث): أن هذا من بلاغات ذلك الرجل المبهم المجهول، وبلاغات الأئمة الثقات العدول ليس بحجة، فما ظنك بهذا.

و(الرابع): أن قوله "بلغنا" لا يدرى أنه ممن بلغه، أمن تبع تابعي، أو من تابعي أو صحابي أو رسول الله صلى الله عليه وسلم.

و(الخامس): أن محمد بن إسماعيل بن أبي فديك وإن كان صدوقاً مشهوراً وهو من المروي عنه في الكتب الستة، لكن قال ابن سعد وحده: ليس بحجة، كذا في الميزان.

قوله: وفي شرح المواهب للزرقاني أن الداعي إذا قال: اللهم إن استشفع إليك نبيك، يا نبي الرحمة اشفع لي عند ربك، استجيب له.

أقول: الزرقاني تحت حكاية مناظرة أبي جعفر مالكاً عند قول مالك: "وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام إلى الله يوم القيامة": إشارة إلى حديث الشفاعة العظمة وإلى ما ورد أن الداعي إذا قال: الله أني استشفع إليك نبيك، يا نبي الرحمة اشفع لي عند ربك استجيب له، فهذا المذكور لم يذكر الزرقاني له سنداً، فعلى من يحتج به ذكر سنده وتوثيق رجاله، ولعله أراد به حديث عثمان بن حنيف أن رجلاً ضريراً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ادع الله،

الحديث، فإن كان هذا فالكلام فيه ما تقدم تحت حديث عثمان بن حنيف رضي الله عنه، فتذكر.

قوله: فقد اتضح لك من هذه النصوص المروية عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وسلف الأمة وخلفها أن التوسل به صلى الله عليه وسلم وطلب الشفاعة منه ثابتة عنهم قطعاً بلا شك ولا مرية، وأنها من أعظم القربات، وأن التوسل به واقع قبل خلقه، وبعد خلقه، في حياته وبعد وفاته، وسيكون التوسل به أيضاً بعد البعث في عرصات القيامة.

أقول: ما ذكر صاحب الرسالة بعضه غير ثابت، وبعضه غير دال على المطلوب، وبعضه مما لا يجحد مدلوله ومقتضاه خصمه، وهذا كله ظاهر مما تقدم، فتذكر.

قوله: قال في المواهب: ورحم الله ابن جابر حيث قال:

به قد أجاب ونجي من
الله آدم إذا دعا بطن السفينة نوح
وما ضرت ومن أجله
النار الخليل لنوره نال الفداء ذبيح

أقول: لا يدرى ابن جابر من هو، فعلى من يستدل به تعيينه وبيان سند هذين البيتين إليه حتى ينظر فيه.

قوله: وروى البيهقي عن أنس رضي الله عنه أن أعرابياً جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم يستشفي به وأنشد أبياتاً أولها:

أتيناك وقد شغلت أم
والعذراء يدمى الصبي عن الطفل لبانها

إلى أن قال:

وليس لنا وأنـــى فـــرار

إليك فرارنا الخلق إلا إلى الرسل

فلم ينكر عليه صلى الله عليه وسلم هـذا الـبيت، بـل قـال أنـس: لما أنشد الأعرابي الأبيات قام صلى الله عليه وسلم يجرد رداءه حـتى رقي المنبر فخطب ودعا لهم فلم يزل يدعو حتى أمطرت السماء.

أقول: فيه كلام من وجهين:

(الأول): أن في سنده مسلماً الملائي وهو واه جداً، قال الذهبي في الميزان: مسلم ابن كيسان أبو عبد الله الضـبي الكـوفي الملائـي الأعور عن أنس وعن إبراهيم النخعي وعنه الثوري وأبو وكيـع الجـراح بن بلبح[1] قال الفلاس: متروك الحديث، وقال أحمد: لا يكتـب حـديثه. وقال يحيى ليس بثقـة، وقـال البخـاري: يتكلمـون فيـه، وقـال يحيـى أيضاً: زعموا أنه اختلط، وقال النسائي وغيره: متروك.

أبو هشام الرفاعي حـدثنا أن فضـيل حـدثنا مسـلم الملائـي عـن أنس: أهدت أم أيمن إلى النبي صلى اللـه عليـه وسـلم طيـراً مشـوياً فقال: "اللهم ائتني به بأحب خلقك إليك" فذكره. اه مخلصاً.

قوال الحافظ في التقريب: مسلم بـن كيسـان الضـبي الملائـي الـبراد الأعـور أبـو عبـد اللـه الكـوفي ضـعيف مـن الخامسـة اه وفـي الخلاصة قال عمرو بن علـي: منكـر الحـديث، وفـي التهـذيب: ضـعفه البخاري النسائي وابن معين وأبو حاتم. اه

قلت: قد ثبت من عبارة الـذهبي أن مسـلماً الملائـي هـذا يـروى حديث الطير، وهو موضوع عند غير واحد من المحـدثين، قـال العلامـة عبدالعزيز الدهلوي في (التحفة) ما معربه: إن هذا الحـديث قـال غيـر

---

[1] في الميزان: مليح.

واحد من المحدثين: أنه موضوع، وممن صرح بوضعه الحافظ شمس الدين الجزري.

وقال إمام أهل الحديث شمس الدين أبو عبد الله بن محمد بن أحمد الدمشقي الذهبي في تلخيصه: لقد كنت زمناً طويلاً أظن أن حديث الطير لم يحسن بالحاكم أن يودعه في مستدركه، فلما علقت هذا الكتاب رأيت القول به من الموضوعات التي فيه، وهكذا في (الصواقع الموبقة) للعلامة نصر الله الكابلي.

وقال ابن الجوزي في (العلل المتناهية): قال ابن طاهر: حديث الطائر موضوع إنما يجيء عن سقاط أهل الكوفة عن المشاهير والمجاهيل عن أنس وغيره، قال: ولا يخلو أمر الحاكم من أمرين: إما الجهل بالصحيح فلا يعتمد على قوله، وإما العلم به ويقول بخلافه، فيكون معانداً كذاباً وله وساوس، وقال الشيخ عبدالوهاب الشعراني في (اليواقيت والجواهر): وهذا الحديث ذكره ابن الجوزي في الموضوعات، وأفراد الحافظ الذهبي جزءاً وقال: إن طرقه كلها باطلة. اه

قال العلامة الشوكاني في (الفوائد المجموعة) قال في المختصر: له طرق كلها ضعيفة. وقد ذكره ابن الجوزي في الموضوعات، وأما الحاكم فأخرجه في المستدرك وصححه، واعترض عليه كثير من أهل العلم، ومن أراد استيفاء البحث فلينظر ترجمة الحاكم في النبلاء. اه

و(الثاني): أن ما ثبت منها هو التوسل بدعاء الأحياء، وهذا مما لا ينكره أحد.

قوله: وفي صحيح البخاري أنه لما جاء الأعرابي وشكا للنبي صلى الله عليه وسلم القحط فدعا الله فانجابت السماء بالمطر قال

صلى الله عليه وسلم: "لو كان أبو طالب حياً لقرت عيناه، من ينشدنا قوله"؟ فقال علي رضي الله عنه: يا رسول الله كأنت أردت قوله:

وأبيـــــــض ثمـــــــال

يستسـقى الغمـام اليتـامى عصـمة

بوجهه للأرامل

فتهلل وجه النبي صلى الله عليه وسلم ولم ينكر إنشاد البيت ولا قوله: "يستسقى الغمام بوجهه" ولو كان ذلك حراماً أو شركاً لأنكـره ولم يطلب إنشاده.

أقول ليس في صحيح البخـاري هـذه الروايـة، إنمـا ورد فيـه مـن حديث أنس أن قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقـال: هلكت المواشـي وتقطعـت السـبل فـدعا، فمطرنـا مـن الجمعـة إلـى الجمعـة، ثـم جـاء فقـال: تهـدمت الـبيوت وتقطعـت السـبل وهلكـت المواشي فادع اللـه يمسـكها، فقـال: "اللهـم علـى الآكـام والظـراب والأودية ومنابت الشجر"، فانجابت عـن المدينـة انجيـاب الثـوب، وقـد روى البخاري حديث أنس هذا مـن طـرق وليـس فـي واحـدة منـا قـال صلى الله عليه وسلم: "لو كان أبو طالب حياً لقرت عيناه، من ينشـدنا قوله"؟ فقال علي رضي الله عنه: يار سول الله كأنك أردت قوله:

وأبيـــــــض ثمـــــــال

يستسـقى الغمـام اليتـامى عصـمة

بوجهه للأرامل

ومن حديث سالم عن أبيه ربما ذكرت قول الشاعر وأنا أنظر إلى وجه النبي صلى الله عليه وسلم يستسقى، فما ينزل حتى يجيش كـل ميزاب:

وأبيـــــــض ثمـــــــال

يستسـقى الغمـام اليتـامى عصـمة

بوجهه للأرامل

وهو قول أبي طالب، نعـم قـد ورد مـا عـزاه إلـى البخـاري فيمـا أخرجه البيهقي في الدلائل من رواية مسلم الملائي عـن أنـس قـال: جاء رجل أعرابي إلى النبي صلى الله عليـه وسـلم فقـال: يـا رسـول الله أتيناك وما لنا بعير يئط، ولا صـبي بغـط، ثـم انشـده شـعراً يقـول فيه:

وليـس لنـا وأيـــن فـــرار

إلا إليك فرارنا النـــاس إلا إلـــى الرسل؟

فقام يجر رداءه حتى صعد المنبر فقال: "اللهم اسقنا" الحديث. وفيه: ثم قال صلى الله عليه وسلم: "لو كـان أبـو طـالب حيـاً لقـرت عيناه، من ينشدنا قوله" فقام علي فقال: يا رسـول اللـه كأنـك أردت قوله:

***وأبيــض يستسـ**

الغمام بوجهه* الأبيات

قال الحافظ في التفح، وكذا قـال القسـطلاني فـي المـواهب، وقد عرفت فيما تقدم أن في سنده مسلماً الملائي وهو متروك يروي الموضوع، فالصواب حينئذ ذكر قوله قال صلى الله عليـه وسـلم: "لـو كان أبو طالب" الخ في رواية البيهقي لا في رواية البخاري.

فانظر إلى تحريف صاحب الرسالة ما أشـنعه ومـا أقبحـه، أعاذنـا الله من أمثال هذا الصنيع.

على أن في عبارة ما عزاه إلى البخاري من الركاكة ما يدل دلالـة واضحة على أنه ليس من كلام أفصح العرب:

(الأول): أن كلمة "لما" لا يدخل في جوابها في أمثال هذه المواضيع لفظة الفاء.

و(الثاني): أن لفظ شكا متعد بإلى لا باللام، قال تعالى: ﴿إنما أشكو بثي وحزني إلى الله﴾ وفي رواية إسحاق بن عبدالله بن أبي طلحة عن أنس بن مالك عند البخاري أن رجلاً شكا إلى النبي صلى الله عليه وسلم هلك المال وجهد العيال. وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اشتكت النار إلى ربها" م تفق عليه. وعن خباب قال: أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكونا إليه حر الرمضاء فلم يشكنا" رواه مسلم، وعن عائشة رضي الله عنها عند البخاري في كتاب التيمم: فشكوا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله آية التيمم. وقد جاء تعديه شكا بإلى في غير واحد من الأحاديث الصحيحة، وقال في القاموس: شكا أمره إلى الله.

و(الثالث): أن قوله: "فانجابت السماء بالمطر" لا معنى له، فان انجابت بمعنى انكشفت، في الصحاح: انجابت السحابة انكشفت، وفي المصباح: انجابت السحاب انكشف، وانكشاف السماء بالمطر لا محصل له.

و(الرابع): أن الانجياب يدل على انقطاع المطر كما في الحديث، "فانجابت عن المدينة انجياب الثوب" وانقطاع السحاب بعد دعاء السقى يدل على عدم إجابة دعاء النبي صلى الله عليه وسلم وهذا باطل بالبداية، بدليل أن الروايات كلها دالة على أن دعاء الرسول في هذه الواقعة قد أجيب بلا مرية.

و(الخامس) أن انقطاع السحاب قبل ظهروه محال.

و(السادس) أن صلة الانجياب بعن كما في حديث أنس لا بالباء.

وبالجملة فصدر ما عزاه إلى البخاري أعني قوله لما جاء الأعرابي وشكا للنبي صلى الله عليه وسلم إلى قوله بالمطر ليس في البخاري ولا في البيهقي ولا في غيره من الكتب الحديثية فيما أعلم، فإذاً إنما هو من اختلاق مؤلف الرسالة.

قوله: ولم ينكر إنشاد البيت ولا قوله يستسق الغمام بوجهه.

أقول فيه كلام من وجهين:

(الأول) أن اللفظ الذي يستدل به على جواز التوسل ليس في صحيح البخاري، إنما هو من رواية البيهقي، وهي ضعيفة جداً كما تقدم.

و(الثاني) أن الثابت به إنما هو التوسل بالأحياء ولا ينكره أحد، وإنما يمنع من يمنع التوسل بالأموات، فإن قلت: لفظ "يستسقى الغمام بوجهه" يدل على أن التوسل بالذوات الفاضلة جائز، قلت: المكروه من التوسل هو أن يقال أسألك بحق فلان أو بحرمة فلان، وأما إحضار الصالحين في مقام الاستسقاء أو طلب الدعاء منهم فهو ليس من المكروه في شيء، بل هو ثابت بالسنة الصحيحة، وليس في حديث البيهقي إلا التوسل بدعائه صلى الله عليه وسلم، وكذا التوسل الذي يشير إليه أبو طالب إنما كان بإحضار النبي صلى الله عليه وسلم في مقام الاستسقاء أو بدعائه، ففيه احتمالان:

(الأول) أنه أشار إلى ما وقع في زمن عبدالمطلب، روى الخطابي حديثاً فيه أن قريشاً تتابعت عليهم سنو جدب في حياة عبدالمطلب، فارتقى هو ومن حضره من قريش أبا قبيس، فقام عبدالمطلب واعتضد النبي صلى الله عليه وسلم فرفعه على عاتقه –

وهو يومئذ غلام قد أيقع أو قرب – فدعا فسقوا في الحال، فقد شاهد أبو طالب ما دله على ما قال.

و(الثاني) أنه أشار إلى ما وقع في زمنه، فقد أخرج ابن عساكر عن حليمة[1]، قدمت مكة وقريب في قحط، فقائل منهم يقول: اعمدوا اللات والعزى، وقائل منهم: اعمدوا مناة الثالثة الأخرى، فقال شيخ وسلم حسن الوجه جيد الرأي: أنى تؤفكون وفيكم باقية إبراهيم وسلالة إسماعيل، قالوا: كأنك عنيت أبا طالب، قال: أيها. فقاموا بأجمعهم فقمت فدققنا عليه الباب فخرج إلينا، فثاروا إليه فقالوا: يا أبا طالب أقحط الوادي وأجدب العيال وأنت فيهم، أما تستسقي ؟ فخرج أبو طالب ومعه غلام كأنه شمس دجن تجلت عنه سحابة قثماء، وحوله أغيلمة، فأخذه أبو طالب فألصق ظهره بالكعبة ولاذ الغلام بإصبعه وما في السماء قزعة، فأقبل السحاب من ههنا ومن ههنا، وأغدق السحاب واغدودق وانفجر له الوادي وأخصب النادي والبادي، وفي ذلك يقول أبو طالب:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه

وإذا كان حضور الصحابة والتابعين وتبع التابعين والضعفاء سبباً للنصر والفتح فما ظنك بحضور سيد ولد آدم صلى الله عليه وسلم.

روي عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يأتي على الناس زمان فيغزو فئام من الناس فيقولون: هل فيكم من صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فيقولون: نعم، فيفتح لهم، ثم يأتي على الناس زمان فيغزو فئام من الناس فيقال: هل فيكم من صاحب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فيقولون: نعم، فيفتح لهم، ثم يأتي على الناس زمان يغزو فئام من

---

[1] كذا في الأصل، وفي الخصائص الكبرى "عن جلهمة بن عرفطة". وفي الرواية أغلاط أخرى صححناها، وكتبه محمد رشيد رضا.

الناس فيقال: هل فيكم من صاحب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فيقولون: نعم. فيفتح لهم، متفق عليه.

وعن مصعب بن سعد قال: رأى سعد أن له فضلاً على من دونه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم" رواه البخاري. وعن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ابغوني في ضعفائكم، فإنما ترزقزن أو تنصرون بضعفائكم". رواه أبو داود، وعن أمية بن خالد بن عبدالله بن أسيد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يستفتح بصعاليك المهاجرين، رواه في شرح السنة، وعن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "خرج نبي من الأنباء بالناس، فإذا هو بنملة رافعة بعض قوائمها إلى السماء، فقال: ارجعوا فقد استجيب لكم من أجل هذه النملة". رواه الدارقطني.

فالمراد بوجهه في قول أبي طالب "يستسقى الغام بوجهه". ببركة حضور ذاته أو بدعائه، لا أن يقال أسألك بحق النبي صلى الله عليه وسلم أو بحرمته، وما أشبه هذا القول بقول أسقف النصارى المذكور في البيضاوي وغيره من التفاسير تحت آية المباهلة حيث ذكروا فقال أسقفهم: يا معشر النصارى إني لأرى وجوهاً لو تسأل الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله، فلا تباهلوا.

قوله: وكان سبب إنشاد أبي طالب هذا البيت من جملة قصيدة مدح بها النبي صلى الله عليه وسلم أن قريشاً في الجاهلية أصابهم قحط فاستسقى لهم أبو طالب وتوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم.

أقول: هذا غلط واضح وخطأ فاضح، فإن سبب إنشاده أن قريشاً تمالأت على النبي صلى الله عليه وسلم ونفروا عنه من يريد الإسلام.

قال الحافظ في الفتح: وهذا البيت من أبيات في قصيدة لأبي طالب ذكرها ابن إسحاق في السيرة بطولها وهي أكثر من ثمانين بيتاً، قالها لما تمالأت قريش على النبي صلى الله عليه وسلم ونفروا عنه من يريد الإسلام، أولها:

ولما رأيت وقد قطعوا كل
القوم لا ود فيهم العرى والوسائل
وقد جاهرونا وقد طاوعوا أمر
بالعداوة والأذى العدو المزايل
أعبد مناف أنتم خير فلا تشركوا في
قومكم أمركم كل واغل
فقد خفت إن لم تكونوا كما كانت
يصلح الله أمركم أحاديث وائل

وأيضاً قال في الفتح: وذكر ابن التين أن في شعر أبي طالب هذا دلالة على أنه كان يعرف نبوة النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث لما أخبره به بحيرا أوغ يره من شأنه، وفيه نظر، لما تقدم عن إنشاد أبي طالب لهذا الشعر كان بعد المبعث. اه

وقال الزرقاني في (شرح المواهب) تحت قوله: "وفي ذلك يقول أبو طالب يذكر قريشاً حين تمالؤا عليه صلى الله عليه وسلم: بركته عليهم من صغره لا في هذا الوقت، فلا يخالف قول ابن إسحاق أنه قال القصيدة لما تمالأت قريش على النبي صلى الله عليه وسلم ونفروا عنه من يريد الإسلام. وتجويز أنه قال البيت عقيب الاستسقاء، والقصيدة كلها حين تمالؤا فيه نظر، إذ مجرد قوله "وفي ذلك يقول، لا يستلزم أنه قال عقيب الاستسقاء. اه

قوله: وصح عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: أوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام آمن بمحمد، ومر من أدركه من أمتك أن يؤمنوا به، ولولا محمد ما خلقت الجنة والنار، ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتب عليه: لا إله إلا الله محمد رسول الله فسكن.

أقول: فيه كلام من وجهين:

(الأول): أن هذا الأثر هكذا مذكور في (الجوهر المنظم) بلا سند، فعلى من يحتج به ذكر سنده وتوثيق رجاله، وقال الزرقاني في (شرح المواهب): رواه البيهقي وغيره كشيخه الحاكم وصححه[1] عن ابن عباس: أوحى الله تعالى إلى عيسى أن آمن بمحمد وأمر أمتك، الحديث. قلت: عرفت فيما تقدم ما في تصحيح الحاكم من التساهل فلا اعتداد به، قال الذهبي ما حاصله: إنه لا يحل لأحد أن يغتر بتصحيح الحاكم حتى يرى تعقباتي. ومن ثم تقرر عند العلماء أنه لا يعتمد على مستدرك الحاكم إلا بعد رؤية التخليص للذهبي[1].

و(الثاني): أنه ليس فيه دليل على التوسل الذي يمنعه المانعون.

قوله: وذكر القسطلاني في شرحه على البخاري عن كعب الأحبار أن بني إسرائيل كانوا إذا قحطوا استسقوا بأهل بيت نبيهم.

أقول: هذه الحكاية ذكرها القسطلاني في شرحه بلا سند، فلا يحتج بها، على أن المراد بالاستسقاء بأهل البيت هو الاستسقاء بدعائهم أو ببركة حضورهم في موضع الاستسقاء، وهذا لا يمنعه أحد،

---

[1] تعقبه الذهبي في تلخيص المستدرك فقال: أظنه موضوعاً على سعيد عن قتادة، كذا في حاشية الأصل.

[1] أورده السيوطي في الخصائص الكبرى وتعقبه بقوله: قال الذهبي في سنده عمرو ابن أوس لا يدرى من هو. اهـ. وقال الحافظ في لسان الميزان: عمرو بن أوس يجهل حاله وأتى بخبر منكر أخرجه الحاكم في مستدركه وأظنه موضوعاً من طريق جندل بن واثق. اهـ. وذكر هذا الخبر. وكتبه محمد رشيد رضا.

إنما المكروه أن يقال: اللهم إنا نسألك بحق أهل البيت، وهذا غير ثابت منها.

قوله: وإذا جاز التوسل بالأعمال الصالحة كما في صحيح البخاري في حديث الثلاثة الذين أووا إلى غار فأطبق عليهم ذلك الغار فتوسل كل واحد منهم إلى الله تعالى بأرجى عمل له فانفجرت الصخرة التي سدت الغار عنهم، فالتوصل به صلى الله عليه وسلم أحق وأولى، لما فيه من النبوة والفضائل سواء كان ذلك في حياته أو بعد وفاته، فالمؤمن إذا توسل به إنما يريد بنبوته التي جمعت الكمالات.

أقول: الثابت بحديث صحيح البخاري إنما هو توسل المرء بعمل نفسه لا التوسل بعمل الغير أو بكمال الآخر، وأما ادعاء أن هذا ثابت فحوى الخطاب ودلالة النص، فهذا محتاج إلى تقريره وإثباته حتى ينظر فيه ويتكلم عليه ودونه لا يسمع.

قوله: وهؤلاء المانعون للتوسل يقولون: يجوز التوسل بالأعمال الصالحة مع كونها أعراضاً فالذوات الفاضلة أولى.

أقول: لا ملازمة بين جواز التوسل بالأعراض وبين جواز التوسل بالذوات الفاضلة، ومن يدعي فعليه البيان[1].

قوله: فإن عمر رضي الله عنه توسل بالعباس رضي الله عنه.

أقول: التوسل بالعباس رضي الله عنه كان توسلاً بدعائه أو ببركة حضوره، وهذا جائز لا شك فيه[2]. إنما المكروه أن يقال: اللهم أسألك بحق العباس رضي الله عنه، وهذا ليس بثابت.

---

[1] إنما ينبغي أن يقال هنا: إن التوسل بالأعمال هو التقرب إلى الله تعالى بما شرعه لعباده بالإجماع والنصوص القطعية، وهو المعقول،إذ هي التي تزكي نفس العامل وتجعله أهلاًلرضوان الله واستجابته لدعائه، وأما ذات غيرك فلا تأثير لها في تزكيتك مهما تكن تلك الذات فاضلة بعملها المزكى لها

[2] المؤلف يكرر هذا المعنى: بركة الحضور، وفي كونه لا شك فيه نظر.

قوله: وأيضاً لو سلمنا ذلك نقول لهم: إذا جاز التوسل بالأعمـال الصالحة فما المانع من جوازها بالنبي صلى الله عليه وسلم باعتبار ما قام به من النبوة والرسالة والكمالات التي فاقت كل كمال، وعظمـت على كل عمل صالح في الحال والمآل.

أقول: المانع من جواز التوسل بالنبي صلى الله عليه وسـلم هـو كـونه بدعـة، وقـد قـال صـلى اللـه عليـه وسـلم: "وإيـاكم ومحـدثات الأمور"، وقد قال صلى الله عليه وسلم: "من أحدث في أمرنا هـذا مـا ليس منه فهو رد". ولا يخفى ما في ضمير جوازها، والصـواب جـوازه، بالتذكير، فإن المرجع هو التوسل وهو مذكر لا وجه لتأنيثه.

قوله: ومن أدلة جواز التوسل قصة سـواد بـن قـارب رضـي اللـه عنه التي رواها الطبراني في الكبير، وفيها أن سواد بـن قـارب أنشـد رسول الله صلى الله عليه وسلم قصيدته التي فيها التوسل ولم ينكر عليه، ومنها قوله:

وأشـهد أن اللـه وأنـــك مـــأمون
لا رب غيره على كل غائب
وأنـــك أدنـــى إلى الله يـا ابـن
المرسلين وسيلة الأكرمين الأطاليب
فمرنا بما يأتيك وإن كـان فيمـا
يا خير مرسل فيه شيب الذوائب
وكن لي شفيعا بمغن فتيلا عـن
يـــوم لا ذو شـــفاعة سواد بن قارب

فلم ينكر عليه رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم قـوله أدنـى المرسلين وسيلة، ولا قوله وكن لي شفيعاً.

أقول: فيه كلام من وجوه:

(الأول): أن هذه القصة لابد من بيان سندها حتى ينظر فيه، ودونه لا يعول عليها، قال الهيثمي في مجمع الزوائد: وعن محمد بن كعب القرظي قال: بينما عمر بن الخطاب رضي الله عنه قاعداً في المسجد إذ مر به رجل في مؤخر المسجد، فقال رجل: يا أمير المؤمنين، أتعرف هذا الجائي؟ قال: لا، فمن هو؟ قال: هذا سواد بن قارب وهو من أهل اليمن، له فيهم شرف وموضع، وقد أتاه رئيه بظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر: علي به، فدعي به فقال: أنت سواد بن قارب؟ قال: نعم. قال: أنت الذي أتاك رئيك[1] بظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: نعم. قال فأنت على ما كنت عليه من كهانتك، فغضب غضباً شديداً وقال: يا أمير المؤمنين ما استقبلني بهذا أحد منذ أسلمت! فقال عمر: يا سبحان الله ما كنا عليه من الشرك أعظم مما كنت عليه من كهانتك، أخبرني باتيان رئيك بظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال: نعم يا أمير المؤمنين، بينما أنا ذات ليلة بين النائم واليقظان، إذ أتاني رئيى فضربني برجله وقال: قم يا سواد ابن قارب، فافهم واعقل إن كنت تعقل، إنه قد بعث رسول الله من لؤي بن غالب، يدعو إلى الله عزومجل وغلى عبادته، فذكر القصة بطولها، وفيها إنشاد سواد بن قارب قصيدته تجاه النبي صلى الله عليه وسلم التي فيها الأبيات المذكورة وفيها قال: ففرح رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بإسلامي فرحاً شديداً حتى روى ذلك في وجوههم، قال فوثب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إليه وإلتزمه وقال: قد كنت أحب أن أسمع هذا منك، رواه الطبراني، وفي رواية عنده عن سواد بن قارب الأزدي قال:

---

[1] رئيك أي شيطانك الذي تراه، كما في النهاية.

كنت نائماً على جبل من جبل السراة، فأتاني آت فضربني برجله، وقال فيه: أتيت مكة فإذ رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ظهر، فأخبرته الخبر، وكلا الإسنادين ضعيف، اهـ. ما في المجمع.

قلت: قد ثبت منه أن كلاً الإسنادين ضعيف، وفي المتن اضطراب، فتنبه.

و(الثاني) أن قوله: "وإنك أدنى المرسلين وسيلة إلى الله" ليس نصاف على أن الرسول صلى الله عليه وسلم نفسه وسيلة، بل يحتمل أن يكون المراد أن قربته صلى الله عليه وسلم إلى الله تعالى أكثر من قربة سائر المرسلين إليه، كما أن المراد في قوله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة﴾. هي القربة بلا خلاف، وكذلك المراد بها في قوله تعالى: ﴿ أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ﴾. أو يكون المراد بها الدرجة والمنزلة، فإذاً حاصله أن درجته صلى الله عليه وسلم ومنزلته اقرب إلى الله تعالى من درجة سائر المرسلين، ولو سلم أن المراد أن نفسه صلى الله عليه وسلم وسيلة لنا فلا دليل فيه للتوسل المنهي عنه، فإن كونه صلى الله عليه وسلم وسيلة بمعنى أنه صلى الله عليه وسلم واسطة تبلغنا أمر الله حق لا ينكره أحد، فإن الخلق لا يعلمون ما يحبه الله ويرضاه و ما أمر به ونهى عنه، ولا يعرفون ما يستحقه من أسمائه الحسنى وصفاته العلى إلا بالرسل الذين أرسلهم الله إلى عباده، وكذلك كونه صلى الله عليه وسلم وسيلة في حياته بأن الصحابة رضي الله عنهم متى صدر من أحدهم معصية وذنب جاء إليه صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله فعلت كذا وكذا، فاستغفر لي، وإليه الإشارة في قوله تعالى: ﴿ ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول فوجدوا الله تواباً

رحيماً ﷺ. وكذلك إذا وقع القحط في زمانه صلى الله عليه وسلم يـأتي أحدهم فيقول: يا رسول الله هلكت المواشي وتقطعت السبل، فـادع ... وهكذا يطلبون الدعاء مه صلى الله عليه وسلم في سائر حاجـاتهم كشفاء المريض ورد البصر، وكذلك كونه صلى الله عليه وسلم وسـيلة يوم القيامة حيـث يحبـس المؤمنـون يـوم القيامـة حـتى يهمـوا بـذلك فيقولن: لو استشفعنا إلى ربنا فيريحنا من مكاننا، فيأتون آدم فنوحاً فإبراهيم فموسى فعيسى فيقول: ائتوا محمداً عبداً غفر اللـه لـه مـا تقدم من نبه وما تأخر. فيأتون محمداً صلى الله عليه وسلم كمـا فـي حديث الشفاعة الطويـل "فأسـتأذن علـى ربـي فـي داره فيـؤذن لـي عليه[1]". الحديث، ولكـن الكلام فـي التوسـل بـأن يقـال: اللهـم إنـي أسألك بحق محمد صلى الله عليه وسلم وهو لا يثبت من قـوله "وإنـك أدنى المرسلين وسيلة".

و(الثالث) أن طلب الشفاعة منه يـوم القيامـة لا يجحـده مسـلم، نعم لا يكون إلا بإذن الله تعالى كمـا جـاء مصـرحاً فـي الكتـاب العزيـز والسنة المطهرة، فليس في قول "وكن لي شفيعاً يوم لا ذو شفاعة" دليل على مطلوب الخصم.

قوله: وكذا من أدلة التوسل مرثية صفية رضـي اللـه عنهـا عمـة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنها رثته بعد وفاته صلى الله عليه وسلم بأبيات فيها قولها:

ألا يا رسول الله أنت رجاؤنا وكنت بنار براً ولم تك جافيا

---

[1] قوله: "في داره فيؤذن لي عليه" ذكر الحافظ في شرح حديث أنس من كتاب الرقاق في البخاري: أن هذه العبارة من زيادة همام في روايته للحديث. أقول وفسروا داره هنا بحضرة قدسه، وبعضهم بالجنة من قوله تعالى: [illegible].

ففيها النداء بعد وفاته مع قولها، "وأنت رجاؤنا" وسمع تلك المرثية الصحابة رضي الله عنهم فلم ينكر عليها أحد قولها "يا رسول الله أنت رجاؤنا".

أقول: قال في مجمع الزوئد: وعن عروة قال قالت صفية بنت عبدالمطلب ترثي رسول الله صلى الله عليه وسلم:

لهف نفسي وبت كالمسلوب أرقب الليل لعلة المحروب

وذكر المرثية بطولها ثم قال: وقالت أيضاً:

ألا يا رسول الله كنت رجاءنا وكنت بنا براً ولم تك جافيا

وذكر هذه المرثية أيضاً بطولها ثم قال: رواه الطبراني وإسناده حسن[1] هذا لفظ مجمع الزوائد، قلت: هذه المرثية وإن كان إسنادها حسناً ولكن ليس فيها دليل على التوسل المنهي عنه، فإن لفظ الرجاء بمعنى التوقع والأمل، قال في مجمع البحار: و تكرر فيه الرجاء بمعنى التوقع والأمل، وقال في النهاية: وقد تكرر فيه ذكر الرجاء بمعنى التوقع والأمل، يقال رجوته أرجوه رجواً ورجاءً وجاوة، وقال في القاموس: الرجاء ضد اليأس كالرجو والرجاءة والرجاوة والترجي والارتجاء والترجية، وقال في الصحاح: والرجاء من الأمل ممدود يقال رجوت فلاناً رجواً ورجاء ورجاوة اه. وقال في المصباح اتلمنيرك رجوته أرجوه رجواً على فعول: أملته أو أردته، قال تعالى: ﴿ لا يرجون نكاحاً ﴾. أي لا يريدونه، والاسم الرجاء بالمد. اه.

ولا يخفاك[1] أن الرجاء بمعنى التوقع والأمل مصدر أو اسم مصدر لا يصح حمله على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالموطأة، فإذاً هو إما مبني للفاعل أو للمفعول، لا سبيل إلى الاحتمال الأول

---

[1] أنى له الحسن وعروة ولد بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بتسع عشرة سنة، فإنه ولد سنة 29هـ كما في التهذيب ونحوه، فإذا كانت روايته عن أبيه مرسلة فكيف روايته عن أم أبيه في قصة وفاة رسول الله التي ولد بعدها بتسع عشرة سنة ؟ فهي رواية منقطعة مرسلة، اه وكتبه مصححه.

[1] الصواب لا يخفى عليك.

وهذا ظاهر، فتعين الثاني، كما في قوله تعالى في سورة هود: ﴿ قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجواً قبل هذا ﴾. قال البيضاوي تحت هذه الآية: لما نرى فيك من مخايل الرشد والسداد، أن تكون لنا سيداً ومستشاراً في الأمور، وفي فتح البيان: أي كنا نرجو أن تكون فينا سيداً مطاعاً ننتفع برأيك، ونسعد بسعادتك، لما نرى فيك من مخايل الرشد والسداد، لأنه كان من قبيلتهم، وكان يعين ضعيفهم، ويغني فقيرهم. اهـ.

ولكن لابد من أن يعلم هناك أن من الرجاء ما هو مختص بالله تعالى بمعنى أن المرجو فيه لا يصلح إلا لله تعالى كرجاء كشف الضر والسوء وتحويله وإجابة المضطر إذا دعاه، وإنزال الماء من السماء وشفاء المريض وبسط الرزق وإعطاء الأولاد ومغفرة الذنوب، و غيرهما مما لا يقدر عليه إلا الله تعالى، وهذا الرجاء هو الذي أثنى الله تعالى على فاعليه في قوله تعالى: ﴿ أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ﴾. وهو الذي أمرنا الله أن ندعوه متلبساً به[2] حيث قال: ﴿ وادعوه خوفاً وطمعاً ﴾. فعبر عن الرجاء بالطمع.

وهو الذي نهى يعقوب عليه السلام بنيه عن ارتكاب ضده وقد حكاه الله تعالى في كتاب العزيز: ﴿ولا يتيأسوا من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون﴾ وهو الذي أثنى الله تعالى على زكريا عليه السلام وزوجه فقال: ﴿إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين﴾ وهو الذي ذكر إبراهيم عليه السلام في ثناء الله تعالى:﴿والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين﴾ وهو الذي ذكره الله تعالى في وصف المؤمنين

---

[2] الصواب ملتبسين به.

فقال: ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون الله خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون﴾ وهو الذي نهى الله تعالى عن ضده فقال تعالى: ﴿قل يا عبادي الذي أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إلى الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم﴾ والنهي عن ضد الشيء يقتضي الأمر بذلك الشيء كما تقرر في مقره، وهو الذي أمر الله تعالى بنيه صلى الله عليه وسلم به فقال: ﴿وإلى ربك فارغب﴾ وهو الذي أمر رسول الله أمته بتعظيمه في الدعاء فقال: "إذا دعاء أحدكم فلا يقل: اللهم اغفر لي إن شئت، ولكن ليعزم وليعظم الرغبة، فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه" رواه مسلم من حديث أبي هريرة.

وعنه أيضاً قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة" رواه الترمذي، قال العلماء: أي كونوا موقنين بأنه تعالى يجيب الدعاء، لأنه فيه صدق الرجاء، والكريم لا يخيب راجيه، وهو المراد في الحديث القدسي: "أنا عند ظن عبدي بي". متفق عليه من حديث أبي هريرة، قال العملاء: الأصح أنه أراد الرجاء وتأميل العفو، فإن ظن العفو فله ذلك، ,إن ظن العقوبة فكذلك، وفي حديث قدسي آخر: "يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان فيك ولا أبالي". رواه الترمذي من حديث أنس، وهو المراد في الدعاء المأثور: "اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني غل ى نفسي طرفة عين". رواه أبو داود من حديث أ[ي بكرة، وفي ا لدعاء الذي يقرأ إذا أوى إلى فراشه: "اللهم أسلمت نفسي إليك، ووجهت وجهي إليك، وفوضت أ/ري إليك، وألجأت ظهري إليك، رغبت ورهبة إليك" الحديث. متفق عليه من حديث البراء بن عازب.

وأخرج ابن أبي شيبة من طريق المسور بن مخرمة قال: كانت تلبية عمر، فذكر مثل المرفوع وزاد: لبيك مرغوباً ومرهوباً ذا النعماء والفضل الحسن، كذا في الفتح.

وهو الذي ينبغي للمكلف أن يكون بينه وبين الخوف حتى لا يكون مفرطاً الرجاء بحيث يصير من المرجئة القائلين لا يضر مع الإيمان شيء، ولا في الخوف بحيث لا يكون من الخوارج والمعتزلة القائلين بتخليد صاحب الكبيرة -إذا مات من غير توبة في النار- بل يكون وسطاً بينهما.

أخرج الترمذي عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل على شاب وهو في الموت فقال له: "كيف تجدك"؟ فقال: أرجو الله أخاف ذنوبي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يجتمعان في قلب عبد في هذا الموطن إلا أعطاه ما يرجو وأمنه مما يخاف" ورجاله كلهم ثقات غير جعفر بن سليمان الضبعي وسيار بن حاتم، والأول قال فيه ابن معين: ثقة وقال أحمد: لا بأس به، وقال ابن سعد: ثقة فيه ضعف، وقال الذهبي في الميزان: وهو صدوق في نفسه، وقال في الكاشف: ثقة، وقال الحافظ في التقريب: صدوق زاهد.

وأما الثاني: فقال الذهبي في الميزان: صالح الحديث وثقة، وابن حيان: قيل للقورايري أتتهمه؟ قال: لا. وقال الحاكم: كان سيار عابد عصره، وقد أكثر عنه أحمد بن حنبل، وقال في الكاشف: صدوق، وقال الحافظ في التقريب: صدوق، له أوهام. اهـ. فالحديث صالح لأن يحتج به.

واحتج البخاري على الرجاء مع الخوف بحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "أن الله خلق الرحمة يوم لخلقها مائة رحمة، فأمسك عنده تسعاً وتسعين رحمة،

وأرسل في خلقه كلهم رحمة واحد، فلو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة لم ييأس من الجنة، ولم يعلم المؤمن بكل الذي عند الله من العذاب لم يأمن من النار". وهو المراد في قول صلى الله عليه وسلم الذي قاله قبل موته بثلاثة أيام: "لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله". رواه مسلم من حديث جبر. وهو المراد في حديث أنس المروي بسند ضعيف قال: لم يرد النبي صلى الله عليه وسلم سفراً قط إلا قال حين ينهض من جلوسه: "اللهم بك انتشرت[1]، وإليك توجهت، وبك اعتصمت، اللهم أنت ثقتي وأنت رجائي، اللهم اكفني ما أهمني وما لا أهتم به وما أنت أعلم به مني، وزودني التقوى، واغفر لي ذنبي، ووجهني للخير حيث ما توجهت". رواه أبو يعلي، وفيه عمرو بن مساور وهو ضعيف، كذا في جمع الزوائد، قال البخاري: منكر الحديث، قال أبو حاتم: ضعيف، كذا في الميزان.

هذا كله هو الرجاء المختص بالله تعالى، ومنه ما هو جائز في حق رسولنا صلى الله عليه وسلم في حياته بمعنى أن المرجو مه فيه يصلح للنبي صلى الله عليه وسلم، وهو ما يقدر عليه الأنبياء عليهم السلام سيما نبينا صلى الله عليه وسلم من صلة الرحم، وحمل الكل، وكسب المعدوم، وقرى الضيف، والإعانة على نوائب الحق، والرحمة بالمؤمنين، والجود والشجاعة والبركة، وقضاء حوائج الأرملة والمساكين واليتامى، وعدم انتقامه لنفسه في شيء قط، وعدم اللوم على شيء قط أتى فيه على يدي أحد، وعيادة المريض، واتباع الجنازة، وإجابة دعوة المملوك، والخلق العظيم، وتعليم الأمة الكتاب

---

[1] في الأصل المطبوع في الهند: "أنتشر" وهو غلط، والانتشار الانبساط والتمدد والتفرق، وهو معنى قوله تعالى: [illegible] "[illegible]" [illegible]: [illegible] [illegible] [illegible] [illegible].

والحكمة وتزكيتهم، ونصح الأمة، والاستغفار لهم عند صدور الذنوب عنهم، والدعاء لهم في حاجاتهم، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، وإعلاء كلمة الله، والجهاد مع أعداء الله، وتعظيم شعائر الله، وإعزاز المؤمنين، وإذلال الكافرين، وغير ذلك.

وأما كونه صلى الله عليه وسلم رجاء بمعنى المرجو بعد الموت فما ثبت منه بالكتاب والسنة المطهرة فهو على الرأس والعين كالشفاعة يوم القيامة، وأما ما لم يثبت بواحد منهما فهو مردود.

إذا تقرر هذا فاعلم أن معنى ما في المرثية: إنا كنا نرجو برك ورحمتك وشفقتك، يدل عليه قولها: "وكنت بنا براً ولم تكن جافياً، وقولها: "وكان بنا براً رحيما نبينا".

والبر والرحمة والشفقة مما يقدر عليه النبي صلى الله عليه وسلم في حياته فيجوز رجاء البر والرحمة والشفقة منه صلى الله عليه وسلم، فيكون صلى الله عليه وسلم على هذا مرجوا منه، والبر والرحمة والشفقة مرجوا فيكون الرجاء في الشعر بمعنى المرجو الذي أريد منه المرجو منه وإرادة المرجو منه من المرجو ثابتة كما في قوله تعالى: ﴿قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا﴾ ويمكن أن يقال: إن المراد بالرجاء في البيت المرجو، ويقدر التمييز، أي كنت مرجونا براً ورحمة وأمناً من الهرج الآتي بعدك، وبقاء فينا كما في طاب زيد علماً ودارا وغلاماً وفرساً، فالمرجو منه في الأولين هو النبي صلى الله عليه وسلم وفي الأخيرين هو الله تعالى، ويدل على الأخيرين قولها:

لعمرك ما أبكي النبي لموته ولكن لهرج كان بعدك آتيا.

وقولها:

فلو أن رب العرش أبقاك بيننا سعدنا ولكن أمره كان ماضياً.

ويؤيد الأخير قول عمر رضي الله عنه حين توفي رسول ا لله صلى الله عليه وسلم: والله ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم. قالت عائشة: وقال عمر والله ما كان يقع في نفسي إلا ذاك، وليبعثنه الله فليقطعن أيدي الرجال وأرجلهم، رواه البخاري، من حديث عائشة رضي الله عنها، وفي رواية: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يموت حتى يفني الله المنافقين، رواه أحمد من طريق يزيد بن بابنوس عن عائشة رضي الله عنها.

وفي حديث ابن عمر عند أبي شيبة أن أبا بكر مر بعمر وهو يقول: ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يموت حتى يقتل المنافقين، وكانوا أظهروا الاستبشار ورفعوا رؤوسهم، كذا في فتح الباري، وفي رواية: والله إني لأرجو أن يقطع أيدي الرجال وأرجلهم، ذكر الطبراني في الرياض، وفي رواية: ولكني كنت أرجو أن يعيش رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يدبرنا، ذكره الوائلي أبو نصر عبد الله في كتاب (الإبانة)، كذا في المواهب.

قلت: والرواية الأخيرة موجودة في صحيح البخاري من حديث أنس رضي الله عنه نص في كتاب الأحكام (باب الاستخلاف) هكذا قال: كنت أرجو أن يعيش رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يدبرنا، يريد بذلك أن يكون آخرهم.

فقد علم مما ذكرنا أن عمر رضي الله عنه كان يرجو بقاء النبي صلى الله عليه وسلم في أمته مثل صفية بنت عبد المطلب رضي الله عنها، بل وأكثر الصحابة كأنهم كانوا يرجون ما يرجو عمر رضي الله عنه.

قال الحافظ في الفتح: وفي الحديث قوة جأش أبي بكر وكثرة علمه، وقد وافقه على ذلك العباس كما ذكرنا، والمغيرة كما رواه ابن

سعيد، وابن أم مكتوم كما في المغازي لأبي الأسود عن عروة قال: أنه كان يتول قوله تعالى: ﴿إنك ميت وإنهم ميتون﴾ والناس لا يلتفتون إليه، وكان أكثر الصحابة على خلاف ذلك اهـ. وفي حديث ابن عباس عند البخاري: والله لكأن الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر، فتلقاها الناس منه كلهم، فما أسمع بشراً من الناس إلا يتولها. اهـ.

وجملة القول أن المراد في مرثية صفية رضي الله عنها ليس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رجاء في كل أمر في الحياة، بل في الأمر الذي يقدر عليه، وبعد الوفاة في الأمر الذي ثبت بالكتاب العزيز والسنة المطهرة كونه رجاء فيه، ففي هذه المرثية لا دلالة على التوسل الذي يمنعه المانعون أصلاً ومن أدعى إثبات التوسل المذكور منها فعليه البيان.

وليعلم أن الوارد في المرثية "كنت رجاءنا" كذا في مجمع الزوائد، ولقد حرفه صاحب الرسالة حيث كتب "أنت" بدل "كنت" ليدل هذا اللفظ على أن كونه صلى الله عليه وسلم رجاء غير مقيد بالحياة، بل هو رجاء مطلقاً في الحياة وبعد الممات فصار مصداقاً لقوله تعالى: ﴿فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون﴾.

وأما استدلال صاحب الرسالة بتلك المرثية على جواز النداء بعد وفاته فجوابه من وجوه:

(الأول): أن "يا" هنا للندبة لا للنداء كما في قول فاطمة رضي الله عنها: يا أبتاه، أجاب ربا دعاه، يا أبتاه، من جنة الفردوس مأواه، يا أبتاه إلى جبرائيل ننعاه، رواه البخاري من حديث ثابت بن أنس، وكما

في قول الصديق رضي الله عنه: بأبي أنت وأمي يا نبي الله، لا يجمع الله عليك موتتين، رواه البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها.

وفي رواية يزيد بن بابنوس عن عائشة عند أحمد أنه أتاه من قبل رأسه فحدر فاه فقبل جبهته ثم قال: وانبياه، ثم رفع رأسه فحدر فاه وقبل جبهته ثم قال: واصفياه، ثم رفع رأسه فحدر فاه وقبل جبهته وقال: واخليلاه. كذا في المواهب.

ومنه قول علي رضي الله عنه حين توفي عمر رضي الله عنه وقد وضع على سريره: يرحمك الله، إن كنت لأرجو أن يجعلك الله مع صاحبيك، لأني كثيراً ما كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: كنت وأبو بكر وعمر، وفعلت وأبو بكر وعمر، وانطلقت وأبو بكر وعمر، فأني كنت لأرجو أن يجعلك الله معهما. رواه البخاري من حديث ابن عباس، وبعين ما ذكرناه كونها واقعة في الرثاء.

و(الثاني): أنه لو سلم أنه نداء، فالنداء قد يراد به غير المنادى، قال الحافظ في الفتح تحت حديث: "إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون": وفيه وقوع الخطاب للغير وإرادة غيره بذلك، وكل منهما مأخوذ من مخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم ولده، مع أنه في تلك الحالة لم يكن ممن يفهم الخطاب بوجهين: أحدهما صغره، ولاثاني نزعه، وإنما أراد بالخطاب غيره من الحاضرين إشارة إلى أن ذلك لم يدخل في نهيه السابق.اهـ.

ومن هذا القبيل ما روي عن ابن عمر قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سافر فأقبل الليل قال: "يا أرض، ربى وربك الله، أعوذ بالله من شرك وشر ما فيك وشر ما خلق فيك وشر ما يدب عليك". رواه أبو داود.

ومنه ما روي عن قتادة بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا رأى الهلال قال: "هلال خير ورشد، هلال خير ورشد، هلال خير ورشد. آمنت بالذي خلقك" ثلاث مرات. رواه أبو داود.

ومنه ما روي عن عمر بن الخطاب وأبي هريرة قالا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما من رجل رأى مبتلي فقال: الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به" رواه الترمذي والبزار والطبراني في الصغير والأوسط بنحوه وإسناده حسن. كذا في مجمع الزوائد.

ومنه ما روي عن طلحة بن عبيد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم إذا رأى الهلال قال: "اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان، والسلامة والإسلام، والتوفيق لما تحب وترضى، ربنا وربك الله". رواه الطبراني، وفيه عثمان بن إبراهيم الحاطبي وفيه ضعف، وبقية رجاله ثقات.

وعن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم: أنه إذا كان إذا رأى الهلال قال: "هلال خير ورشد، آمنت بالذي خلقك فعدلك" رواه الطبراني في الأوسط، وفيه أحمد بن عبسى اللخمي ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات. كذا في مجمع الزوائد.

ومنه ما روي عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمكة: "ما أطيبك من بلد وأحبك إلي، ولولا أن قومي أخرجوني منك ما سكنت غيرك". رواه الترمذي.

ومنه قول عمر رضي الله عنه: إني لأعلم أنك حجر ما تنفع ولا تضر ولولا أني رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك، متفق عليه من حديث عابد بن ربيعة.

و(الثالث): أنه لو سلم أن المراد به المنادى فالنداء مجازي كنداء السماء والجبال والأرض والأطلال والمنازل والمطايا والقبور، والمانعون إنما يمنعون النداء الحقيقي.

و(الرابع): أنه لو سلم ثبوت النداء منها فلا يثبت منه مطلوب الخصم، فإن النزاع إنما هو في نداء يتضمن الدعاء والطلب، بأن يقول: يا رسول الله اكشف عني السوء واشف مريضي، أو يقول: يا رسول الله ادع الله أن يشفي مريضي ويكشف عني السوء، فالمانعون يقولون: الأول شرك، والثاني بدعة، والمجوزون يجوزونهما، وليس في المرثية دعاء شيء ولا طلبه.ز

قوله: قال العلامة ابن حجر في كتاب المسمى (بالخيرات الحسان في مناقب الإمام أبي حنيفة النعمان): في الفصل الخامس والعشرين: إن الإمام الشافعي أيام هو ببغداد كان يتوسل بالإمام أبي حنيفة –إلى قوله- فليتوسل إلى الله تعالى بالإمام الغزالي.

أقول: فيه كلام من وجهين:

(الأول): أنه لابد من رفع هذه الأمور إلى أصحابها بسند يعتمد عليه، ودونه لا يسمع، قال في (تعبيد الشيطان): والحكاية المنقولة عن الشافعي أنه كان يقصد الدعاء عند قبر أبي حنيفة من الكذب الظاهر. اه.

و(الثاني): أن أقوال هؤلاء المذكورين وأفعالهم وتقريراتهم ليست من الحجة في شيء.

قوله: وذكر العلامة ابن حجر في كتابه المسمى (بالصواعق المحرقة لإخوان الضلال والزندقة): إن الإمام الشافعي رحمه الله توسل بأهل البيت النبوي حيث قال:

آل النبي وهم آليه

ذر يعتي وسيلتي

أرجو بهـم بيـدي اليميـن

أعطى غداً صحيفتي

أقول: فيه كلام من وجوه:

(الأولان منها): هما اللذان ذكرا في القول الذي قبله.

و(الثالث): أن المضاف هنا مقدر، تقدير الكلام إن حب آل النـبي وتعظيمهم واتباعهم وشفاعتهم والصلاة عليهم وذريعتي ووسـيلتي، وكذلك فـي قـوله أرجـو بهـم أي أرجـو بحبهـم وتعظيمهـم واتبـاعهم وشفاعتهم، كما في قول عمر رضي الله عنه: اللهـم إنـا كنـا نتوسـل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسـل إليـك بعـم نبينـا فاسـقنا فيسـقون، فإن المراد إنا كان نتوسل إليك بدعاء نبينا.

قوله: وذكر العلامة السيد طاهر بن محمد بن هاشم باعلوي فـي كتابه المسمى (مجمع الأحباب في ترجمة أبي عيسى الترمذي صاحب السنن) أنه رأى في المنام –إلى قوله- فكان الإمـام الترمـذي يقـول ذلك دائماً بعد صلاة سنة الصبح، ويأمر أصحابه به ويحثهـم علـى فعلـه وعلى المواظبة عليه.

(الأولان) هما اللذان ذكرا فيما تقدم.

و(الثالث): أن الرؤيا ليست من الأدلة الشرعية في شيء.

قوله: بل هذا الأمر –أعني التوسل- لم ينكـره أحـد مـن السـلف والخلف، حتى جاء هؤلاء المنكرون.

أقول: هذا كذب جلي، فهذا الإمام الأعظم يقول: لا ينبغـي لأحـد أن يدعو اللـه إلا بـه وقـال: أكـره أن يقـول بحـق فلان وبحـق أنبيائـك ورسلك، وبحق البيت الحرام وهـو قـول صـاحبيه، وعـن الحنابلـة فـي اصح القولين أنه مكروه.

قوله: وفي (الأذكار): للإمام النـووي أن النـبي صـلى اللـه عليـه وسلم أمر أن يقول العبد بعد ركعـتي الفجـر ثلاثـاً "اللهـم رب جبريـل وميكائيل وإسرافيل ومحمد صلى الله عليه وسلم أجرني من النار".

أقول: فيه خلل من وجوه:

(الأول): أن هذا القسم مـن التوسـل لا ننكـره، فـإنه داخـل فـي القسم الخامس من التوسل المشروع كما تقدم ذكره، وهذا ثابت مـن حديث عائشة قالت: كان إذا قام من الليـل افتتـح صـلاته: "اللهـم رب جبرائل وميكائيل واسرافيل" الحديث، رواه مسـلم فـي صـلاة الليـل، والنسائي في كتاب قيام الليل. والترمذي في أبـواب الـدعوات، وأبـو داود في باب ما يستفتح به الصلاة من الدعاء، وابن ماجه فـي بـاب مـا جاء في الدعاء إذا قام الرجل في الليل، وهـذا حـديث صـحيح فلا وجـه للعدول عنه إلا الذي ذكر فإن فيه كلام سيذكر.

و(الثاني): أن في ذكر هذه الراوية تحريفاً بيناً يظهر بنقل لفـظ الأذكار فأقول: نص الأذكار هكذا: روينا في كتاب ابن السني عن أبـي المليح واسمه عامر بن أسامة عن أبيه رضي الله عنه أنه صلى ركعتي الفجر، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى قريباً منه ركعـتين خفيفـتين، ثـم سـمعته يقـول وهـو جـالس: "اللهـم رب جبرائيـل واسرافيل وميكائيل ومحمد النبي صلى الله عليه وسلم أعوذ بـك مـن النار" ثلاث مرات. اهـ. بلفظه فليـس فيـه أن النـبي صـلى اللـه عليـه وسلم أمر أن يقول العبد بعد ركعتي الفجر ثلاثاً، إنما في روايـة فعلـه صلى الله عليه وسلم وليس فيه أجرني من النار، إنما هو أعوذ بك من النار، وفيه تقديم اسرافيل على ميكائيل.

و(الثالث): أن صاحب الحصـن الحصـين وصـاحب مجمـع الزوائـد وغيرهم ذكروا هذا الحديث ولم يذكر واحد منهم أمر النبي صـلى اللـه

عليه وسلم ولا لفظ: أجرني من النار، فها أنا أنقل عباراتهم ليظهر لأن هذا من اختلاق مؤلف الرسالة:

قال محمد بن محمد الجزري الشافعي في الحصن الحصين: ويقول وهو جالس: "اللهم رب جبرائيل وميكائيل واسرافيل ومحمد النبي صلى الله عليه وسلم أعوذ بك من النار" ثلاث مرات. مس ي.

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: وعن أسامة بن عمير أنه صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتي الفجر فصلى ركعتين خفيفتين، فسمعته يقول: "رب جبرائيل وميكائيل واسرافيل ومحمد أعوذ بك من النار –ثلاث مرات- رواه الطبراني في الكبير، وفيه عباد بن سعيد قال الذهبي: عباد بن سعيد عن مبشر لا شيء، قلت: قد ذكره ابن حبان في الثقات. اه.

وقال في ( ) عن أسامة بن عمير أنه صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم ركعتي الفجر وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قريباً منه ركعتين خفيفتين ثم سمعه يقول وهو جالس: "اللهم رب جبرائيل وميكائيل واسرافيل ومحمد، أعوذ بك من النار" أخرجه ابن السني والحاكم في المستدرك بدون قوله: وهو جالس. وصححه. وأخرجه الطبراني في الكبير أيضاً. اه.

و(الرابع): أن هذا الحديث وإن صححه الحاكم يعلم من كلام الحافظ ابن حجر أه حسن، قال الحافظ بعد تخريجه الحديث: حديث حسن أخرجه الدراقطني في الأفراد وقال: تفرد به مبشر وهو بضم الميم وفتح الموحدة وكسر المعجمة، ذكره ابن حبان في الثقات، واسم أبي المليح عام وهو من رجال الصحيح، وأما عباد بن سعيد -أي الراوي عن مبشر- فلم أر فيه جرحاً ولا تعديلاً، إلا أن ابن حبان ذكر

في الثقات عباد ابن سعيد ولم يذكر ما يتميز به، أخرج هذا الحديث الحكام في (المستدرك) من طريق آخر.

قال الحافظ: ووجدت للحديث شاهداً من حديث عائشة بسند ضعيف في سنده من فهو متروك ومن فيه مقال: قال: وأبو المليح إن كان هو ابن أسامة المذكور أولا فقد اختلف عليه في بإسناده، وإن كان غيره فهو مجهول. اهـ. كذا نقله ابن علان في شرح الأذكار، لكنه لا يخلو عن كلام، وله وجوه:

(الأول): أن أبا المليح إن كان هو ابن أسامة فقد اختلف عليه ف إسناده كما قال الحافظ، فيكون الحديث مضطرباً، وإن كان غيره فهو مجهول، وعلى كلا التقديرين يكون الحديث ضعيفاً.

و(الثاني): أن في سنده مبشراً فإن كن هو ابن عبيد الحمصي فهو واه جداً، قال الذهبي في الميزان قال أحمد: كان يضع الحديث، وقال البخاري: روي عنه بقية، منكر الحديث اهـ. وقال الحافظ في التقريب: مبشر بنعبيد الحمصي أبو حفص كوفي الأصل متروك، رماه أحمد بالوضع اهـ. وفي التهذيب قال أحمد: يضع الحديث، وقال الدارقطني متروك اهـ. كذا نقله بعض الثقات وقال في الكاشف: مبشر بن عبيد الحمص عن قتادة وزيد بن أسلم والزهري وعنه أبو المغيرة وأبو اليمان تركوه اهـ. وإن كان غيره فلابد من تعيينه وتوثيقه.

و(الثالث): أن فيه عباد بن سعيد، قال الذهبي في الميزان: عباد بن سعيد بصري مقل روى عن مبشر، لا شي. اهـ. قلت: ذكره ابن حبان في الثقات قاله الحافظ ابن حجر والهيثمي، ولكن هذا التوثيق لا يعارض قول الذهبي: لا شي، فإن ابن حبان معروف بالاحتجاج بمن لا يعرف كما تقدم.

قال ابن عبد الهادي في (الصارم المنكي): وقد علم أن ابن حبان ذكر في هذا الكتاب الذي جمعه في الثقات عددا وخلقاً عظيماً من المجهولين الذين لا يعرف هو ولا غيره أحوالهم، وقد صرح ابن حبان بذلك في غير موضع من هذا الكتاب فقال في الطبقة الثالثة: سهل يروى عن شداد بن عبد الهادي، روى عنه أبو يعقوب، ولست أعرفه ولا أدري من أبوه، هكذا ذكر هذا الرجل في كتاب الثقات، ونص على أنه لا يعرفه. وقال أيضاً: حنظلة شيخ يروى المراسيل لا أدري من هو؟ روى ابن المبارك عن إبراهيم بن حنظلة عن أبيه، هكذا ذكره لم نرو[1]. وقال أيضاً. الحسن أبو عبد الله شيخ يروى المراسيل، روى عنه أيوب النجار لا أدري من هو ولا أبن من هو؟ وقال أيضاً: جميل شيخ يروى عن أبي المليح مبن أسامة يروي عنه عبد الله ابن عون لا أدري من هو ولا بان من هو؟

وقد ذكر ابن حبان في هذا الكتاب خلقاً كثيراً من هذا النمط، وطريقته فيه أن يذكر من لم يعرفه بجرح وإن كان مجهولاً لم يعرف حاله. وينبغي أن يتنبه لهذا ويعرف أن توثيق ابن حبان للرجل بمجرد ذكره في هذا الكتاب من أدنى درجات التوثيق. اه .

وليعلم أن الحديث روي من طريق أخر عن عائشة أشار إليها الحافظ، قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الركعتين قبل الفجر ثم يقول: "اللهم رب جبرائيل وميكائيل ورب إسرافيل ورب محمد، أعوذ بك من النار". ثم يخرج إلى الصلاة، رواه أبو يعلي، وفيه عبيد الله بن أبي حميد وهو متروك كذا في مجمع الزوائد، قال الذهبي في الميزان: عبيد الله بن أبي حميد أبو الخطاب عن أبي المليح الهذلي ضعفه محمد ابن المثني، وقال البخاري: منكر الحديث،

---

[1] كذا في الأصل.

وقال النسائي: متروك، وقال أحمد: ترك الناس حديثه، وقال دحيم: ضعيف، وقال البخاري: يروى عن أبي المليح عجائب. انتهى.

وأيضاً عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الركعتين قبل صلاة الفجر ثم يقول: "اللهم رب جبرائيل وميكائيل ورب إسرافيل ورب محمد، أعوذ بك من النار". ثم يخرج إلى الصلاة" قلت رواه النسائي بنحوه من غير تقيد بركعتي الفجر، ورواه أبو يعلي عن شيخه سفيان بن وكيع وهو ضعيف، وكذا في مجمع الزوائد.

قال الذهبي في الميزان: سفيان بن وكيع بن الجراح أو بمحمد الرؤاسي قال البخاري: يتكلمون فيه لاشيء لقنوه إياه، وقال أبو زرعة: يتهم بالكذب، وقال بان أبي حاتم: أشار أبي عليه أن يغير وارقه فإنه أفسد حديثه، وقال له: لا تحدث إلا من أصولك، فقال سأفعل، ثم تمادى وحدث بأحاديث أدخلت عليه، وقد ساق له أبو أحمد خمسة أحاديث منكرة لا سند لا المتن ثم قال: وله حديث كثير، وإنما بلاؤه أنه كان يتلقن، يقال: كان له وراق يلقنه من حديث موقوف فيرفعه، أو مرسل يوصله، أو يبدل رجلاً برجل.

قوال بان حبان: كان شيخاً فاضلاً صدوقاً، إلا أنه ابتلي بوراق سوء كان يدخل عليه، فكلم في ذلك فلم يرجع، وكان ابن خزيمة يروى عنه، سمعته يقول حدثنا بعض من أمسكنا عن ذكره، وهو من الضرب الذي ذكرته مراراً أن لو خر من السماء فتخطفه الطير أحب إليه من أن يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن أفسدوه، وما كان ابن خزيمة يحدث عنه إلا بالحرف بعد الحرف. قلت: روى عن أبيه وجرير وعبد السلام ابن حرب، وعنه أبو عروبة وابن صاعد وخلق، وقد حسن له الترمذي. اهـ. ملخصاً.

قلت: رواه النسائي بنحوه من غير تقيد بركعتي الفجر كما قال الهيثمي، ولفظ النسائي في كتاب الاستعاذة هكذا: أخبرنا أحمد بن حفص قال: حدثني أبي قال: حدثني إبراهيم عن سفيان بن سعيد عن أبي حسان عن جسرة عن عائشة رضي الله عنها أنا قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اللهم رب جبرائيل وميكائيل ورب اسرافيل، أعوذ بك من حر النار وعذاب القبر".اهـ. فليس فيه التقيد بركعتي الفجر ولا لفظ محمد، وفيه زيادة لفظ حر وعذاب القبر، وهذه الرواية رجال سندها كلهم ثقات غير جسرة بنت دجاجة، قال البيهقي: فيها نظر، وقال ابن حبان فيما نقله أبو العباس البناني: عندها عجائب، وقال البخاري في تاريخه: عندها عجائب، وأما أحمد فقال في صاحبها فليت العامري: لا أرى به بأساً، وقال أحمد بن العجلي: جسرة تابعية ثقة، فقوله عندها عجائب ليس بصريح في الجرح، كذا في الميزان، وقال الحافظ في التقريب: مقبولة من الثالثة، وقال في الخلاصة: وثقها العجلي، وقال الذهبي في الكاشف: ثقة، فالراجح أنها ثقة، لكن فيها سفيان الثوري وهو مدلس وقد عنعن هذا الحديث فلا يقبل.

وجملة الكلام أن هذا الحديث لا يخلو طريق من طرقه من مقال، فالأولى الاستدلال في ذلك الباب بحديث عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا قام من الليل افتتح صلاته فقال: "اللهم رب جبرائيل" الحديث فإنه في صحيح مسلم وصحيح ابن حبان وسنن النسائي الصغرى التي يقال لها (المجتبى) وهي التي قال النسائي في حقها: صحيح كلها، وأطلق اسم الصحة عليها أبو علي النيسابوري وأبو أحمد بن عدي وأبو الحسن الدارقطني وأبو

عبد الله الحاكم وابن منده وعبد الغني بن سعيد وأبو يعلي الخليلي وأبو علي بن السكن وأبو بكر الخطيب وغيرهم.

وقال سعد بن علي الريحاني: إن لأبي عبد الرحمن شرطاً في الرجال أشد من شرط البخاري ومسلم.

وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، وسكت عليه أبو داود،ورجال سنده كلهم ثقات من رجال الصحيحين، غير عكرمة بن عمار فإنه من رجال مسلم فقط، وهو ممن اختلف فيه، قال الحافظ في التقريب: عكرمة بن عمار العجلي اليمامي أصله من البصرة، صدوق يغلط، وفي روايته عن يحيى بن أبي كثير اضطراب، ولم يكن له كتاب. انتهى.

وقال الذهبي في الميزان: عكرمة بن عمار الحنفي اليمامي عن هرماس وطاوس وطائفة، وعنه شعبة ويحيى الطقان وعبد الرازق وخلق، وهو ثقة إلا في يحيى بن أبي كثير فمضطرب، وكان مجاب الدعوة. اهـ.

وقال في الخلاصة: عكرمة بن عمار الحنفي العجلي أبو عمار اليمامي أحد الأئمة، عن الهرماس بن زياد ثم عن عطاء وطاوس وعن شعبة والسفيانين ويحيى القطان وابن المبارك وابن مهدي وخلق، وثقة ابن معين والعجلي، وتكلم البخاري وأحمد والنسائي في روايته عن يحيى بن أبي كثير، وأحمد في إياس بن سلمة. اهـ.

وقال الذهبي في الميزان: عكرمة بن عمار أبو عمار العجلي اليمامي عن الهرماس بن زياد، وله رواية عن طاوس وسالم وعطاء ويحيى بن أبي كثير، وعنه يحيى القطان وابن مهدي وأبو حاتم عن ابن معين: كان أمياً حافظاً، وقال أبو حاتم: صدوق ربما يهم، وقال يعقوب بن أبي شيبة: حدثنا غير واحد سمعوا يحيى بن معين يقول:

ثقة، وقال عاصم بن علي: كان مستجاب الدعوة، وقال يحيى القطان: أحاديثه عن يحيى بن أبي كثير ضعيفة، وقال أحمد بن حنبل: ضعيف الحديث، وكان حديثه عن إياس بن سلمة صالحاً، قال الحاكم: أكثر مسلم الاستشهاد به، قال البخاري: لم يكن له كتاب فاضطرب حديثه عن يحيى، وقال أحمد: أحاديثه عن يحيى ضعاف ليست بصحاح، وقال محمد بن عثمان سمعت علياً يقول: عكرمة بن عمار كان عند أصحابنا ثقة ثبتاً اهـ، وقال الترمذي في جامعه: وعكرمة ربنا يهم في حديث يحيى. اهـ

فقد علم من العبارات المذكورة أن الناس في عكرمة بن عمار مفترقون على فرقتين: منهم من يوثقه على الإطلاق كمسلم وابن حبان والترمذي وأبي داود وابن معين والعجلي وأبي حاتم وعلي بن عب بن المديني، ومنهم من يوثقه في غير روايته عن يحيى بن أبي كثير كالحافظ ابن حجر والذهبي والبخاري ويحيى القطان وأحمد، وإيراد النسائي في المجتبى حديثه يدل على أنه عنده ثقة على الإطلاق، وعبارة الخلاصة تدل على خلافه، فليفهم.

وفي الباب عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: قلت يا رسول الله ألا تعلمني دعوة أدعو بها لنفسي؟ قال: بلى، قولي: اللهم رب النبي محمد اغفر لي ذنبي، واذهب غيظ قلبي، وأجرني من مضلات الفتن ما أحييتنا" قلت: عند الترمذي بعضه، رواه أحمد وإسناده حسن، كذا في مجمع الزوائد.

قوله: قال العلامة ابن علان في شرح الأذكار: خص هؤلاء بالذكر للتوسل بهم في قبول الدعاء، وإلا فهو سبحانه وتعالى رب جميع المخلوقات.

أقول: هذه العبارة ليس لها أثر في شرح الأذكار، فهي من اختلاق صاحب الرسالة، فلننقل هنا لفظ ابن علان في شرح الأذكار بعينه:

قال ابن علان في شرح الأذكار: إنما خصهم بالذكر –وإن كان تعالى رب كل شيء- بما تكرر في القرآن والسنة من نظائره من الإضافة إلى كل عظيم المرتبة وكبير الشأن دون ما يستحقر ويستصغر، فيقال له سبحانه: رب السموات ورب الأرض ورب العرش الكريم، ورب الملائكة ورب المشرقين ورب المغربين، ونحوه مما هو وصف له بدلائل العظمة، وعظمة القدرة والملك، ولم يستعمل فيما يستحقر ويستصغر، فلا يقال: رب الحشرات وخالق القردة والخنازير ويشبهها على سبيل الإفراد، وإنما يقال خالق المخلوقات، وحينئذ تدخل هذه في العموم.

"وقال القرطبي: خص هؤلاء الملائكة بالذكر تشريفاً لهم إذ بهم ينتظم هذا الوجود إذا أقامهم الله تعالى في ذلك، قال في الحرز: والظاهر أن مراتب فضلهم على ترتيب ذكرهم. اهـ. وقال ابن الجزري في مفتاح الحصن: خصهم بالذكر وكذا رب العرض العظيم ونحوه من دلائل العظمة شأنه فإنه رب كل شيء. اهـ.

"وقد يقال أن حياة القلب بالهداية، وهؤلاء الثلاثة موكلون بالحياة: فجبريل بالوحي وهو سبب حياة القلب، وميكائيل بالقطر الذي هو سبب حياة الأبدان، وإسرافيل بالنفخ في الصور الذي هو سبب حياة العالم وعود الروح إلى الأجساد، فالتوسل إلى الله سبحانه بربوبية هذه الأرواح العظيمة الموكلة بالحياة له تأثير عظيم في حصول الحاجات ووصول المهمات.

هذا آخر ما في شرح الأذكار، فليس ذكر التوسل بهم، إنما في الجملة الآخيرة ذكر التوسل بربوبية هذه الأرواح العظيمة، والربوبية صفة من صفات الله تعالى، والتوسل بصفة من صفات الله تعالى جائز بلا خلاف.

على أن التخصيص بالذكر لا يدل على التوسل، ألا ترى إلى الآيات الكريمة التي فيها التخصيص بالذكر وأين هي من التوسل، منها ما قال الله تعالى في سورة التوبة: ﴿ عليه توكلت وهو رب العرش العظيم ﴾. ومنها ما قال تعالى في سورة المؤمنون: ﴿لا إله إلا هو رب العرش الكريم ﴾. ومنها ما قال في سورة النمل: ﴿ لا إله إلا هو رب العرش العظيم ﴾. ومنها ما قال تعالى في سورة الزخرف: ﴿سبحان رب السموات والأرض رب العرش عما يصفون ﴾. ومنها ما قال تعالى في سورة بني إسرائيل: ﴿قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر ﴾. ومنها ما قال تعالى في سورة الكهف: ﴿وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض ﴾. ومنها ما قال في سورة مريم: ﴿ رب السموات والأرض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته ﴾. ومنها ما قال تعالى في سورة طه: ﴿قالوا آمنا برب هارون وموسى ﴾. ومنها ما قال تعالى في سورة ص: ﴿رب السموات والأرض وما بينهما العزيز الغفار ﴾. ومنها ما قال تعالى في سورة الزمر: ﴿ قل اللهم فاطر السموات والأرض ﴾. ومنها ما قال تعالى في سورة النجم: ﴿وأنه هو رب الشعرى ﴾. ومنها ما قال تعالى في سورة المعارج: ﴿ فلا أقسم برب المشارق والمغارب ﴾. ومنها ما قال تعالى في سورة المزمل: ﴿ رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلا ﴾. ومنها ما قال تعالى في سورة الذاريات: ﴿ فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون ﴾.

ومنها ما قال تعالى في سورة النبأ: ﴿رب السموات والأرض وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطاباً ﴾. ومنها ما قال تعالى في سورة قريش: ﴿فليعبدوا رب هذا البيت ﴾. ومنها ما قال تعالى في سورة الفلق: ﴿قل أعوذ برب الفلق ﴾. ومنها ما قال تعالى في سورة الناس: ﴿قل أعوذ برب الناس ﴾.

وكذلك قد تكرر هذا التخصيص في السنة المطهرة: منها ما روي عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول عند الكرب: "لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله ب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض ورب العرش الكريم" رواه البخاري ومسلم. ومنها ما روي عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول إذا قام إلى الصلاة من جوف الليل: "اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض، ولك الحمد أنت قيام السموات والأرض، ولك الحمد وأنت رب السموات والأرض ومن فيهن". الحديث رواه مسلم.

ومنها ما روي عن أبي هريرة قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرنا إذا أخذنا مضجعنا أن نقول: "اللهم رب السموات ورب الأرض ورب العرش العظيم، ربنا ورب كل شيء، فالق الحب والنوى ومنزل التوراة والإنجيل والفرقان" الحديث رواه مسلم والترمذي وقال حديث صحيح، ومنها ما روي عن أبي هريرة قال: قال أبو بكر قلت: يا رسول الله مرني بشيء أقوله إذا أصبحت وإذا أمسيت، قال: "قل اللهم عالم الغيب والشهادة فاطر السموات والأرض، رب كل شيء ومليكه" الحديث رواه الترمذي وأبو دواد والدارمي وقال الترمذي هذ حديث حسن صحيح، ومنها ما روي عن بريدة قال: شكا خالد بن الوليد إلى النبي صلى الله عليه وسلم

فقال: يا رسول الله ما أنام الليل من الأرق، فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم: "إذا أويت إلى فراشك فقل: اللهم رب السموات السبع وما أظلت، ورب الأرضين وما قلت، ورب الشياطين وما أضلت" الحديث رواه الترمذي وقال هذا حديث ليس إسناده بالقوي، ومنها ما روي عن أبي لبابة بن عبد المنذر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا أراد دخول قرية لم يدخلها حتى يقول: "اللهم رب السموات السبع وما أظلت، ورب الأرضين السبع وما أقلت، ورب الرياح وما أذرت، ورب الشياطين وما أضلت، أني أسألك خيرها وخير ما فهيا، وأعوذ بك من شرها وشر من فيها" رواه الطبراني في الأوسط وإسناده حسن.د

وعن أبي مغيث بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أشرف على خيبر قال لأصحابه وأنا فيهم: "قفوا" ثم قال "اللهم رب السموات وما أظللن، ورب الأرضين وما أقللن، ورب الشياطين وما أضللن، ورب الرياح وما ذرين، أسألك خير هذه القرية وخير أهلها، وأعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها، أقدموا بسم الله" وكان يقولها لكل قرية يريد يدخلها، رواه الطبراني وفيه راو لم يسم وبقية رجاله ثقات، كذلك في مجمع الزوائد.

وعن قتادة قال: كان ابن مسعود إذا أراد أن يدخل قرية قال: اللهم رب السموات وما أظلت، ورب الشياطين وما أذلت، ورب الرياح وما أذرت، أسألك خيرها، وخير ما فيها، وأعوذ بك من شرها وشر ما فهيا، رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح، إلا أن قتادة لم يدرك ابن مسعود، كذا في مجمع الزوائد.

فبعض ما ذكرنا من الآيات والأحاديث ليس فيه الدعاء حتى يتوسل في إجابته، والبعض الآخر وإن كان فيه دعاء لكن ما أضيف

إليه الرب لا يصلح لأن يتوسل به عند أحد من عقلاء المسلمين – كالفلق والشياطين والرياح- فالتخصيص بالذكر فيما هنالك ليس للتوسل، بل بوصفه تعالى بدلائل العظمة، وعظيم القدرة والملك.

قال النووي: قال العلماء خصهم بالذكر وغن كان تعالى رب كل المخلوقات كما تقرر في القرآن والسنة من نظائره من الإضافة إلى كل عظيم المرتبة وكبير الشأن، دون ما يستحقر ويستصغر، فيقال له سبحانه وتعالى: رب السموات ورب العرش الكريم ورب الملائكة والروح، رب المشرقين ورب المغربين، رب الناس ملك الناس إله الناس، رب العالمين رب كل شيء رب النبيين، خالق السموات والأرض، فاطر السموات والأرض، جاعل الملائكة رسلاً –فكل ذلك وشبهه وصف له سبحانه بدلائل العظمة وعظيم القدرة والملك، ولم يستعمل ذلك فيما يحتقر ويستصغر فلا يقال رب الحشرات وخالق القردة والخنازير وشبه ذلك على الإفراد وإنما يقال خالق المخلوقات، وخالق كل شيء، وحينئذ تدخل هذه في العموم. اهـ.

وقد ذكر هذا الوجه ابن علان أيضاً في شرح الأذكار، فما بال صاحب الرسالة يعزو إلى ابن علان ما لم يذكره ولا ينقل ما ذكره في توجيه التخصيص؟ وهل هذه إلا خيانة في الدين؟ وليعلم أن قول النووي: لم يستعمل ذلك فيما يحتقر ويستصغر، ليس على عمومه، فإنه قد ورد في الحديث: "رب الشياطين وما أضلت" فافهم[1].

قوله: وفي شرح حزب البحر للإمام زروق قال بعد ذكر كثير من الأخيار: اللهم إنا نتوسل إليك بهم فإنهم أحبوك.

---

[1] إن خبث الشياطين واحتقار إضلالها لا يقتضي استصغار خلقها واحتقار أفعالها بمعنى أنه لا يؤبه لشرها، بل هي أكبر شرور العالم بحيث لا يقدر الإنسان على اتقائها إلا بالاستعاذة منها بخالقها، فإضافة اسم الرب إليها من دلائل عظمته وقدرته عز وجل. وكتبه محمد رشيد رضا.

أقول: أحد من الناس غير النبي صلى الله عليه وسلم ليس بحجة.

قوله: ولبعض العارفين دعاء مشتمل على قوله: اللهم رب الكعبة وما بناها، وفاطمه وأبيها، وبعلها وبنيها، نور بصري.

أقول: فيه ما ذكر من أن قول غير النبي صلى الله عليه وسلم ليس دليلاً شرعياً، من أن أمثال هذا الدعاء لا يمنعها أحد، وأن كان كون هذا التركيب دالا على التوسل محل بحث كما قد بيناه آنفاً من أن الإضافة إلى كل عظيم المرتبة وكبير الشأن إنما هي لإظهار عظمة شأنه تعالى لا للتوسل بما أضيف إليه الرب.

قوله: فكما أن الله تعالى جعل الطعام والشراب سببين للشبع والري لا تأثير لهما، والمؤثر هو الله تعالى وحده، وجعل الطاعة سبباً للسعادة ونيل الدرجات، وجعل أيضاً التوسل بالأخيار الذين عظمهم الله تعالى وأمر بتعظيمهم سبباً لقضاء الحاجات.

أقول: فيه كلام من وجهين:

(الأول): أن هذا قياس مع الفارق، فإن كون الطعام الشراب سببين للشبع والري معلوم بالعقل والنقل، وكذلك كون الطاعة سبباً للسعادة ونيل الدرجات، وأما كون التوسل بالأخيار سبباً لقضاء الحاجات فلا يدل عليه دليل عقلي أو نقلي.

و(الثاني): أن الكلام في مشروعية التوسل لا في كونه سبباً لقضاء الحاجات، ولا ملازمة بين الأمرين، فرب سبب في الدنيا وبال ونكال في الآخرة.

قوله: فعليك باتباع الجمهور والسواد الأعظم.

أقول: فيه نظر من وجوه[1]:

---

[1] إن في كل وجه من الوجوه الثلاثة التي رد بها المصنف على هذه الجملة نظراً ظاهراً، والجملة في نفسها بمعنى الأحاديث الصحيحة الواردة في الأمر باتباع الجماعة وهي معروفة مشهورة، ولكن

(الأول): أن الأكثر قد يخطئ، قال الحافظ في الفتح تحت حديث ابن عباس إن أبا بكر خرج وعمر بن الخطاب يكلم الناس فقال اجلس يا عمر، فأبى عمر أن يجلس، فأقبل الناس إليه وتركوا عمر، فقال أبو بكر: أما بعد من كان منكم يعبد محمداً صلى الله عليه وسلم فإن محمداً قد مات، ومن كان منكم يعبد الله فإن الله حي لا يموت، قال الله تعالى: ﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل﴾ إلى قوله ﴿الشاكرين﴾ وقال: والله لكأن الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر، فتلقها الناس منه كلهم، فما أسمع بشراً من الناس إلا يتلوها، الحديث: وكان أكثر الصحابة على خلاف ذلك، فيؤخذ منه أن الأقل عدداً في الاجتهاد قد يصيب ويخطئ الأكثر فلا يتعين الترجيح بالكثرة، ولا سيما إن ظهر أن بعضهم قلد بعضاً اهـ. فلا وجه للقول بوجوب اتباع الجمهور عموماً.

و(الثاني): أن الخير والرشد في الناس قليل والشرك والضلالة كثير، يدل عليه الآيات التي نتولها عليك:

منها قوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ المُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ

المراد بالجماعة فيها جماعة الصحابة والسواد الأعظم منهم فيما كانوا عليه من أمر الدين الذي تلقوه عن النبي صلى الله عليه وسلم دون من شذ من أفرادهم باجتهاده الخاص، أما الجمهور والسواد الأعظم الآن وهم الذين يعنيهم دحلان، فقد فشت فيهم البدع والمنكرات، فلا عبرة بكثرتهم ولا بجمهورهم، بل بمتبعي جماعة السلف منهم.

أما الوجه الأول: مما أورد المصنف فلا يرد على الأحاديث الصحيحة في اتباع الجماعة، ولا ينافي ما تدل عليه من كون جمهور الصحابة على حق في أمر الدين، فإن ما عرض لهم من الذهول والاضطراب عند موت الرسول صلى الله عليه وسلم من العوارض البشرية لا من العقائد ولا السنن العملية المتبعة، وقد انته هذا العارض البشري باتباع الصديق فيما ذكرهم به من قول الله عزز وجل، وإنما العبرة في الأعمال، والأحوال بخواتيمها لا بمباديها، وبهذا ثبت أنهم رضي الله عنهم كانوا على هدى فيما جروا عليه من العمل في هذه المصيبة الكبرى.

وأما الوجه الثاني: فقد أخطأ المنصف في استدلاله بالآيات التي ذكرها على قلة رشد المؤمنين، فالآيات ليست فيهم، وأما الوجه الثالث فموضوعه مخالفة بعض المجتهدين للجمهور في بعض المسائل الاجتهادية، فمن كان من أهل النظر والاجتهاد في أمثال هذه المسائل فعليه أن يعمل بما أداه إليه اجتهاده فيها، ومن لم يكن عنده من العلم إلا أن جمهور علماء المسلمين رأوا في هذه المسألة كذا وأن فردا منهم خالفهم فرأى فيها غير رأيهم، ولم يكن عنده قدرة على الترجيح، فالأولى له أن يتبع الجمهور فيها، وكبته محمد رشيد رضا (ثم رأيت له فيما سيأتي ما يقرب منه).

وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ وقوله تعالى في سورة الإسراء: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلاَّ قَلِيلاً﴾.

ففي هاتين الآيتين قد نقل الله تعالى قول الشيطان، وهذا قاله إبليس على الظن فأصاب كما قال تعالى في سورة سبأ: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلاَّ فَرِيقًا مِّنَ المُؤْمِنِينَ﴾. ومنه ا قوله في سورة الأنعام: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ﴾. وقوله تعالى في سورة (ص): ﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ الخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾. وقوله تعالى في سورة سبأ: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾. وقوله تعالى في سورة المائدة: ﴿قُل لاَّ يَسْتَوِي الخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾. ففيه إشارة إلى قلة الخير وكثرة الشر، وقوله تعالى في سورة يونس: ﴿وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾. وقوله في سورة يوسف: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ﴾. وقوله تعالى أيضاً فيها: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾. وقوله تعالى أيضاً فيها ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ وقوله تعالى في سورة المائدة: ﴿وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾. وقوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ﴾. وقوله تعالى أيضاً فيها: ﴿قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ﴾. وقوله في سورة الرعد: ﴿ولكن أكثر الناس لا يؤمنون﴾. وقوله في سورة الفرقان: ﴿ولقد صرفنا بينهم فأبى أكثر الناس إلا كفوراً﴾. وقوله تعالى في سورة الشعراء بعد ذكر بناء إبراهيم عليه السلام: ﴿وما كان أكثرهم مؤمنين﴾. وقد تكرر هذا

القول في هذه السورة في قصة نوح عليه السلام وقصة هود وقصة صالح وقصة لوط وقصة شعيب عليهم الصلاة والسلام، فقد دل قوله تعالى هذا على أن الراشد من الأمم الماضية أيضاً كان قليلاً والضلالة كثيراً، وقوله تعالى في سورة الزخرف: ﴿ولكن أكثرهم للحق كارهون﴾. وقوله تعالى في سورة الحديد: ﴿ولقد أرسلنا نوحاً وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون﴾.

إذا وعيت تلك الآيات فقد علمت أن الرشد في بني آدم عموماً وفي المؤمنين خصوصاً قليل، أما قلة رشد بين آدم عموماً فظاهر من الآيات المذكورة، وأما قلة رشد المؤمنين خصوصاً فيدل عليه قوله تعالى: ﴿ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقاً من المؤمنين﴾، وقوله تعالى: ﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون ﴾. فكيف يصح القول باتباع الجمهور عموماً؟

و(الثالث): أن كثيراً من الأئمة قد خالفوا الجمهور في مسائل كثيرة: كابن أبي ليلى والأصم، فإنهما جوز الطهارة بسائر أنواع المياه حتى المعتصرة من الأشجار ونحوها، وخالفا الجمهور في أنه لا تصح الطهارة إلا بالماء المطلق، وكأبي حنيفة فإنه خالف الجمهور في أن النجاسة لا تزال إلا بالماء وقال: تزال بكل مائع غير الأدهان، وكالشافعي فإنه خالف الجمهور وقال بكراهة استعمال الماء المشمس في الطهارة، وكأحمد فإنه قال بكراهية الماء المسخن بالنجاسة، وخالف الجمهور، وكمالك فإنه قال: الماء المستعمل مظهر وخالف في ذلك الجمهور، وغير ذلك من الأمثلة التي لا تكاد تحصر، فيلزم أن تكون تلك الأئمة تاركين لهذا الواجب.

وقوله: وقد قال الله تعالى: ﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً﴾.

أقول: قد استدل القائلون بحجية الإجماع بهذه الآية، فإن الثابت منه وجوب اتباع ما أجمع عليه الأمة لا وجوب اتباع الجمهور، فلا يتم التقريب، مع أن في تمامه كلاماً صعباً.

قوله: وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "عليكم بالسواد الأعظم فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية".

أقول: هذا الحديث بهذا اللفظ لم أقف عليه، نعم في سنن ابن ماجه من حديث أنس بن مالك سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن أمتي لا تجتمع على ضلالة، فإذا رأيتم اختلافاً فعليكم بالسواد الأعظم" وفي سنده معان بن رفاعة وهو لين الحديث كثير الإرسال، وأيضاً في سنده أبو خلف الأعمى وهو متروك كذبه يحيى بن معين كما تقدم.

فهذا الحديث ضعيف جداً ليس مما يحتج به على شيء من الأحكام الشرعية، وعلى تقدير ثبوت الحديث فالسواد الأعظم فيه قولان:

(أحدهما): جملة الناس ومعظمهم الذين يجتمعون على طاعة السلطان وسلوك النهج المستقيم، كذا في النهاية ومجمع البحار، وعبر عنه بالجماعة في حديث ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر عليه، فإن من فارق الجماعة شبراً فمات مات ميتة الجاهلية". رواه البخاري ومسلم، وفي حديث حذيفة بن اليمان وهو حديث طويل أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "تلزم جماعة المسلمين إمامهم، قلت:

فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: فاعتزل تلك الفرق كلها". رواه البخاري ومسلم، وفي الباب أحاديث كثيرة ثابتة في الصحاح غيرها، فاتباع السواد الأعظم هو اتباع الإمام والجماعة الذين يجتمعون على طاعة السلطان.

ويؤيده ما روى عن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم على هذه الأعواد وعلى هذا المنبر: "من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير، ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله عز وجل، والتحدث بنعمة الله شكر وتركها كفر، والجماعة رحمة والفرقة عذاب". فقال أبو أمامة الباهلي: عليكم بالسواد الأعظم، فقال رجل:ما السواد الأعظم؟ فقرأ أبو أمامة هذه الآية التي في سور النور: ﴿فإن تولوا فإنما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم﴾. رواه عبد الله بن أحمد والبزار والطبراني ورجاله ثقات، كذا في مجمع الزوائد" وعن سعيد بن جمهان قال: لقيت عبد الله بن أبي أوفى وهو محجوب البصر فسلمت عليه فقال: من أنت؟ قلت: أنا سعيد بن جمهان. قال: ما فعل والدك؟ قلت قتلته الأزارقة، وحدهم أم الخوارج لكها؟ قال بل الخوارج كلها[1]، قال قلت: فإن السلطان يظلم الناس ويفعل بهم ويفعل بكم ذاك، فتناول يدي فغمزها غمزة شديدة بيده ثم قال: يا بن جمهان عليك بالسواد الأعظم (مرتين) إن كان السلطان يسمع منك فإنه في بيته فانصره بما تعلم، فغن قبل منك وإلا فدعه فإنك لست أعلم منه.

قلت: روى ابن ماجة منه طرفاً رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد ثقات، كذا في مجمع الزوائد، وهو واجب على المسلم فيما

---

[1] كذا في الأصل وهو كما ترى فيراجع في مظانة ويحرر.

أحب وكره، ما لم يؤمر بمعصية، وليس السواد الأعظم بهذا المعنى مما تثبت به مسألة شرعية.

و(ثانيهما): السواد الأعظم هم جماعة الصحابة، يدل عليه حديث عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل" وفيه قالوا من هي يا رسو ل الله؟ قال: "ما أنا عليه وأصحابي". رواه الترمذي وقال: هذا حديث حسن غريب مفسر، وفي رواية عوف بن مالك قيل: يا رسول الله من هم؟ قال "الجماعة"، وفي رواية أنس بن مالك: "كلها في النار، إلا واحدة وهي الجماعة"، رواهما ابن ماجه، والأحاديث بعضها يفسر بعضاً.

فعلم أن السواد الأعظم هو الجماعة، وهي جماعة الصحابة، ولعله بهذا المعنى قال إسحاق بن راهوية حين سئل عن معنى حديث: "عليكم بالسواد الأعظم": هو محمد بن أسلم وأتباعه، فأطلق على محمد بن أسلم وأتباعه لفظ السواد الأعظم تشبيهاً لهم بالصحابة في شدة ملازمة السنة والتمسك بها، ومن ثم قال الإمام الشافعي: إذا رأيت رجلاً من أصحاب الحديث فكأني رأيت رجلاً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، كذا في (تلبيس إبليس)، وذا كان سفيان الثوري يقول: المراد بالسود الأعظم هم من كان من أهل السنة والجماعة ولو واحداً، كذا في الميزان للشعراني.

قال ملا سعد الرومي في (مجالس الأبرار): فلابد لك أن تكون شديد التوقي من محدثات الأمور، وأن اتفق عليه الجمهور فلا يغرنك اتفاقهم عليه الجمهور فلا يغرنك اتفاقهم على ما أحدث بعد الصحابة،بل ينبغي أن تكون حريصاً على التفتيش أن أحوالهم وأعمالهم،فإن علم الناس وأقربهم إلى الله تعالى أشبههم بهم،

أعرفهم بطريقهم، إذ منهم أخذ الدين، وهم أصول في نقل الشـريعة عن صاحب الشرع، وقد جاء في الحديث: "إذا اختلـف النـاس فعليكـم بالسواد الأعظم" والمراد به لزوم الحق واتباعه وإن كان المتمسك به قليلاً، والمخالف كثيراً، لأن الحق ما كـان عليـه الجماعـة الأولـى وهـم الصحابة ولا عبرة بكثرة الباطل بعدهم.

وقد قال فضيل بن عياض ما معناه: الزم طلق الهـدى ولا يضـرك قلة السالكين، وإياك وطرق الضلالة ولا تغـتر بكـثرة الهـالكين، وقـال بعض السلف: إذا وافقت الشـريعة ولاحظـت الحقيقـة، فلا تبـال وإن خالف رأيك جميع الخليقة. وقال ابن مسعود: أنتم فـي زمـان خيركـم المسـارع فـي الأمـور، وسـيأتي زمـان بعـدكم خيرهـم فيـه المتثبـت المتوقف لكثرة الشبهات.

قال الإمـام الغزالـي: ولقـد صـدق، لأن مـن لـم يتثبـت فـي هـذا الزمان ووافق الجماهير فيما هم فيه وخاض فيما خاضـوا فيـه، يهلـك كمـا هلكـوا، فـإن أصـل الـدين وعمـدته وقـوامه ليـس بكـثرة العبـادة والتلاوة والمجاهدة بـالجوع وغيـره، وإنمـا هـو بـإحرازه مـن الآفـات، والعاهـات الـتي تـأتي عليـه مـن البـدع والمحـدثات، فإنهـا لكثرتهـا وشيوعها صارت كأنها من شعار الدين أو من المفروضة علينا. اه

وقال الحافظ ابن القيم: فالبصير الصادق لا يستوحش مـن قلـة الرفيق ولا من فقده إذا استشعر قلبـه مرافقـة الرعيـل الأول الـذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسـن أولئك رفيقاً، فتفرد العبد في طريـق طلبـه دليـل علـى صـدق طلبـه، ولقد سئل إسحاق بن راهويه عن مسألة فأجـاب عنهـا، فقيـل لـه: إن أخاك أحمد بن حنبل يقول فيها بمثل قولك، فقال: ما ظننت أن أحـداً يـوافقني عليهـا، ولـم يسـتوحش بعـد ظهـور الصـواب لـه مـن عـدم

الموافـق، فـإن الحـق إذا لاح وتـبين لـم يحتـج إلـى شـاهد يشـهد بـه، والقلب يبصر الحق كما تبصر العين الشمس، فكيف يحتاج إلـى شـاهد يشهد بطلوعها ويوافقه عليه ؟

وما أحسن ما قال أبو شامة عبدالرحمن بن إسماعيل فـي كتـاب (الحوادث والبدع): حيث جاء الأمر بلـزوم الجماعـة فـالمراد بـه لـزوم الحق واتباعه، وإن كـان المتمسـك بـه قليلاً والمخـالف لـه كـثيراً، لأن الحق هو الذي كانت عليه الجماعة الأولى مـن عهـد النـبي صـلى اللـه عليه وسلم وأصحابه، ولا نظر إلى كثرة أهل الباطل بعدهم.

قال عمرو بن ميمون الأودي: صحبت معاذاً باليمن، فمـا فـارقته حتى واريته في التراب بالشام، ثم صحبت بعده أفقه الناس عبـد اللـه بن مسعود، فسمعته يقول: عليكم بالجماعة فإن يد الله مع الجماعـة، ثم سمعته يقول: سيلي عليكـم ولاة يـؤخرون الصـلاة عـن مواقيتهـا، فصلوا الصلاة لميقاتها فهي الفريضة، وصلوا معهم فإنها لكم نافلـة. قال: قلت: يا أصحاب محمد ما أدري ما تحدثونا. قال: وما ذاك؟ قلت: تأمري بالجماعة وتحضني عليهـا، ثـم تقـول: صـلى اللـه عليـه وسـلم الصلاة وحدك وهي الفريضة، وصل مع الجماعة وهي النافلة. قال: يا عمرو بن ميمون، قد كنت أظنك من أفقه أهل هذه القريـة، تـدري مـا الجماعة ؟ قلت: لا ، قال: إن جمهور النـاس الـذين فـارقوا الجماعـة، الجماعة ما وافق الحق وإن كنت وحدك. قال نعيم بن حماد: يعنـي إذا فسدت الجماعة فعليك ما كانت عليه الجماعة قبل أن تفسد وإن كنـت وحدك، فإنك أنت الجماعة حينئذ، وعن الحسن قال: السنة – والـذي لا إله إلا هو – بين الغالي والجافي، فاصبروا عليها رحمكم اللـه، فـإن أهل السنة كانوا أقـل النـاس فيمـا مضـى، وهـم أقـل النـاس فيمـا بقى، الذين لم يذهبوا مع أهل الأتـراف فـي أرتـافهم، ولا مـع أهـل

البدع في بدعهم، وصبروا على سنتهم حتى لقوا ربهم، فكذلك إن شاء الله تعالى فكونوا.

وكان محمد بن أسلم الطوسي – الإمام المتفق على إمامته – من أتبع الناس للسنة في زمانه، حتى قال: ما بلغتني سنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا عملت بها، ولقد حرصت على أن أطوف بالبيت راكباً فما مكنت من ذلك.

وسئل بعض أهل العلم في زمانه عن السواد الأعظم الذين جاء فيهم الحديث: "إذا اختلف الناس فعليكم بالسواد الأعظم": من السواد الأعظم ؟ قال: محمد بن أسلم الطوسي هو السواد الأعظم. اهـ

وقال ابن حجر المكي مستند الخصم في الفتاوى: فإن قلت هذا القول الثالث ينسب إلى الأكثر، وقد قالوا إلى الخطأ إلى القليل أقرب منه إلى الكثير، قلت: وإنه يتعين الإفتاء بما عليه الأكثر، محل ذلك ما لم يتضح أن الأكثر استروحوا كما هنا، فإنهم تمسكوا بالظواهر مع عدم الالتفات لدلائل الواضحة التي تدل على القول الأول والثاني، فوجب المصير إلى ما عليه الأقل، لأنهم أئمة محققون اتضحت أدلتهم وظهرت محجتهم، على أنه ورد عن ابن مسعود رضي الله عنه رفعه: "ليس الجماعة بكثرة الناس، منكان معه الحق فهو الجماعة وإن واحداً". اهـ

ويؤيد هذا المعنى ما روي عن أبي الدرداء وواثلة بن الأسقع وأنس بن مالك قالوا: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً ونحن نتمارى في شيء من أمر الدين، فغضب غضباً شديداً لم يغضب مثله، ثم انتهرنا فقال: "مهلاً يا أمة محمد، إنما هلك من كان قبلكم بهذا المراء، لقلة خيره، ذروا المراء، فإن المؤمن لا يماري.

ذروا المراء فإن المماري قد تمت خسارته. ذروا المراء فكفى إثماً ألا تزال مماریاً، ذروا المراء، فإن المماري لا أشفع له يوم القيامة، ذروا المراء، فأنا زعيم بثلاثة أبيات في الجنة في رياضها ووسطها وأعلاها لمن ترك المراء وهو صادق. ذروا المراء، فإن أول ما نهاني عنه ربي بعد عبادة الأوثان المراء. فإن بني اسرائيل افترقوا على إحدى وسبعين فرقة والنصارى على ثنتين وسبعين فرقة، كلهم على الضالة إلى السواد الأعظم، قالوا يا رسول الله ما السواد الأعظم ؟ قال:" من كان على ما أنا عليه وأصحابي، من لم يمار في دين الله، ولم يكفر أحداً من أهل التوحيد بذنب غفر له". ثم قال: "إن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً". قالوا: يا رسول الله ومن الغرباء ؟ قال: الذين يصلحون إذا فسد الناس، ولا يمارون في دين اله ولا يكفرون أحداً من أهل التوحيد بذنب". رواه الطبراني في الكبير. وفيه كثير بن مروان وهو ضعيف جداً، كذا في مجمع الزوائد في باب المراء، وفيه في (باب لا يكفر أحد من أهل القبلة) أخرجه الطبراني في الكبير، وفيه كثير بن مروان، كذبه يحيى والدارقطني اه. وفي الميزان: ضعفوه يروى عن إبراهيم بن أبي عبلة وغيره، قال يحيى والدارقطني: ضعيف، وقال يحيى مرة: كذاب، وقال الفسوي: ليس حديثه بشيء. اه

فإن قيل: هذا الحديث ضعيف جداً فلا يصح أن يحتج به، قلت: ليس بأضعف من حديث: "عليكم بالسواد الأعظم"، فإذا جوز صاحب الرسالة الاحتجاج بهذا على لزوم اتباع الجمهور فلجوز الاحتجاج بذاك أيضاً على تعيين المراد بالسواد الأعظم، وليعلم هناك أن محل وجوب اتباع السواد الأعظم الذي أريد منه جماعة الصحابة هو ما اختلف فيه الصحابة فذهب عامتهم وأكثرهم إلى أمر والبعض الآخر إلى خلافه،

بدليل لفظ الاختلاف والسواد الأعظم الواردين في الحديث، فإن السواد من الناس عامتهم كما في القاموس وغيره، وأما ما أجمع عليه الصحابة فوجوب اتباعه يعلم بفحوى الخطاب، وأما ما اختلفوا فيه، ولا يعلم كثرتهم في جانب فالحديث لا يدل على وجوب اتباعهم فيه، وهذا كله فيما إذا لم تعارضه آية أو حديث مرفوع صحيح أو حسن ولم يثبت نسخهما، وأما إذا عارضته آية أو حديث فلا يلتفت إلا ما أجمع عليه الصحابة أو ذهب إليه أكثرهم إن قدر وقوع ذلك.

وجملة الكلام أن المقصود اتباع الحق ولزومه كما قال ملا سعد الرومي في (المجالس) لا اتباع الكثير أو القليل، وإنما أمرنا باتباع الكثير من الصحابة فيما اختلفوا فيه لأن ذهاب أكثرهم إلى أمر جعل أمارة وعلامة على كونه حقاً، إذ هم خير الأمة وأمنة لها، قال صلى الله عليه وسلم: "فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون". أي من البدع والحوادث وذهاب الخير ومجيء الشر، وهم كانوا لا يبتدعون من عند انفسهم شيئاً، ويأخذون في كل أمر بسنته صلى الله عليه وسلم، ويتقدون بأمره، والعمل بمقتضى الأمارة إنما هو إنما هو إذا لم يوجد نص صريح، وأما وقت وجدان النص الصريح الصحيح المعارض لمقتضى الأمارة فلا يعمل بمقتضى الأمارة، بل العمل بالنص حينئذ متعين متحتم، فإنه حق صريح، وإذا جاء نهر الله بطل نهر معقل، وماذا بعد الحق إلا الضلال.

ولعلك تفطنت من هنا إلى الإحداث في أمر الدين، كما انه لا يجوز لنا كذلك هو غير جائز للصحابة رضي الله عنهم أيضاً، لعموم قوله صلى الله عليه وسلم: "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد". ولا تحسبن أن محدثات الصحابة إن قدر وقوعها داخلة في السنة خارجة عن حد البدعة، كيف وقد ورد في الصحيح من حديث عب بن

مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أنا فرطكم عن الحوض، وليرفعن رجال منكم، ثم ليختلجن دوني فأقول: يارب أصحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك". وفي رواية أبي سعيد الخدري عند البخاري "فأقول: سحقاً سحقاً لمن غير بعدي".

فلا غرو إن صدر أحياناً من بعض أفراد الصحابة شيء من الحدث أو غيره من المعاصي، فإنا معشر أهل السنة والجماعة لا نقول بعصمة أحد غير الأنبياء عليهم السلام كائناً من كان، ولكنا نعلم قطعاً أن معظم الصحابة وعامتهم وأكثرهم كانوا يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويأخذون بسنته صلى الله عليه وسلم ويتقدون بأمره، وينكرون شديد الإنكار على من أحدث في الدين، أو فعل فعلاً لم يفعله سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم.

قال الحافظ في الفتح: وحاصل ما حمل عليه حال المذكورين انهم كانوا ممن ارتد عن الإسلام فلا إشكال في تبري النبي صلى الله عليه وسلم منهم و إبعادهم، وإن كانوا ممن لم يرتد لكن أحدث معصية كبيرة من أعمال البدن أو بدعة اعتقاد القلب، فقد أجاب بعضهم بأنه يحتمل أن يكون أعرض عنهم ولم يشفع لهم اتباعاً لأمر الله فيهم حتى يعاقبهم على جنايتهم، ولا مانع من دخولهم في عموم شفاعته لأهل الكبائر من أمته فيخرجون عند إخراج الموحدين من النار. والله أعلم . اه

قوله: وقال صلى الله عليه وسلم: "من خالف الإسلام قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه".

أقول: هذا الحديث بهذا اللفظ رواه الترمذي في أبواب الأمثال من حديث الحارث الأشعري في أثناء حديث طويل وقال: هذا حديث

صحيح غريب، قال محمد بن إسماعيل: والحارث الأشعري له صحبة، وله غير هذا الحديث.

قال الحفاظ في الفتح: "من فارق الجماعة شبراً فكأنما خلع ربقة الإسلام من عنقه". أخرجه الترمذي وابن خزيمة وصححاه من حديث الحارث بن الحارث الأشعري في اثناء حديث طويل، وأخرجه البزار والطبراني في الأوسط من حديث ابن عباس، وفي سنده خليد بن دعلج وفيه مقال، وقال: "من رأسه" بدل "عنقه" انتهى.

وفي مجمع الزوائد: وعن أبي سلام ممطور عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم – قال أراه أبا مالك الأشعري – قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "وأنا آمركم بخمس: بالسمع والطاعة والجماعة والهجرة والجهاد في سبيل الله، فمن خرج عن الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من رأسه". الحديث، وقال أحمد: ورجاله ثقات رجال الصحيح، خلا علي بن إسحاق السلمي وهو ثقة، ورواه الطبراني باختصار إلا أنه قال: فمن فارق الجماعة قيد قوس لم يقبل منه صلاة ولا صيام، وأولئك هم وقود النار اهـ.

قلت: في تصحيح الترمذي وابن خزيمة وابن حبان حديث الحارث نظر، فإن في سنده يحيى بن أبي كثير وهو مدلس وقد عنعنه، ورواه عن زيد بن سلام، وروايته عنه منقطعة لأنها عن كتاب له، وقال يحيى القطان: مرسلات يحيى بن كثير شبه الريح، كذا في الميزان. ورواه أيضاً أبو داود في باب قتل الخوارج من حديث أبي ذر وفي سنده خالد بن وهبان، قال الذهبي في الميزان: خالد بن وهبان عن أبي ذر مجهول. اهـ

وفي الباب أحاديث أخر جلها ضعيفة، منها ما روي عن أبي ذر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبنا فقال: "إنه كائن بعدي سلطان فلا تذلوه، فمن أراد أن يذله فقد خلع ربقة الإسلام". رواه أحمد، وفيه راو لم يسم، وبقية رجاله ثقات.

ومنها ما روى عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ومن خرج عن الجماعة قيد شبر متعمداً فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه" رواه الطبراني، وفيه عمرو بن واقد وهو متروك.

ومنها ما روي عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ومن خرج من الطاعة شبراً فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه" رواه الطبراني، وفيه عمرو بن روبية وهو متروك.

ومنها ما روي عن ابن عمر قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يشبر شبراً: "من فارق جماعة المسلمين شبراً خرج من عنقه ربقة الإسلام". رواه الطبراني، وفيه حسين بن قيس وهو ضعيف.

ومنها ما روي عن سعد بن جنادة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من فارق الجماعة فهو في النار على وجهه". رواه الطبراني، وفيه جماعة لم أعرفهم.

ومنها ما روي عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من فارق الجماعة واستذل الإمارة لقى الله لا وجه له عنده". رواه أحمد ورجاله ثقات.

ومنها ما روبي عن صلة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من فارق الجماعة شبراً فقد فارق الإسلام". رواه البزار، وفيه محمد بن عبيد الله العزرمي وهو ضعيف.

ومنها ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من فارق الجماعة قياس – أو قيد – شبر

خلع ربقة الإسلام من عنقه" رواه الطبراني في الأوسط، وفيه خليد بن دعلج وهو ضعيف.

ذلك تلك الأحاديث كلها الهيثمي في مجمع الزوائد: نعم في الوعيد على من فارق الجماعة أحاديث صحيحة لعل صاحب الرسالة لم يظفر بها، وإلا فلا وجه لترك ما هو في أعلى درجة الصحة وذكر ما دونه، وهذا أدل دليل على قصور نظره في صنعة الحديث:

منها حديث ابن عباس رضي الله عنهما: "من خرج من السلطان شبراً مات ميتة جاهلية". وفي رواية: "من فارق الجماعة شبراً فمات إلا مات ميتة جاهلية". وفي رواية: "ليس أحد يفارق الجماعة شبراً فيموت إلا مات ميتة جاهلية". رواه البخاري ومسلم والدارمي.

ومنها حديث أبي هريرة: "من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمتا مات ميتة جاهلية". وفي لفظ: "من خرج من الطاعة ثم مات مات ميتة جاهلية". رواه مسلم والنسائي.

ومنها حديث ابن عمر: "من خلع يداً من طاعة لقى الله يوم القيامة لا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية". ولكن ليس فيها ولا في غيرها مما فيه وعيد على مفارق الجماعة دلالة على مطلوب الخصم من لزوم اتباع الجمهور، كيف والمراد بالجماعة في تلك الأحاديث هو معظم الناس الذين يجتمعون على طاعة السلطان.

يدلك على هذا ما ورد في بعض الروايات من لفظ السلطان ومثله، وليعم أنه لا يبعد أن يكون الحامل على ترك ما هو في أعلى درجة الصحة وذكر ما هو دونه هو زعم أن إرادة الجمهور من لفظ الجماعة في القسم الأول غير متعسرة، بخلاف القسم الثاني، فإن كان هذا فهو أبعد من الديانة على ما لا يخفى.

قوله: وقد ذكر العلامة ابن الجوزي في كتابه المسمى (تلبيس إبليس) أحاديث كثيرة في التحذير من مفارقة السواد الأعظم.

أقول: يعلم من هذا ديانة المؤلف من وجوه:

(الأول) أن صاحب هذه الرسالة نقل ما ذكر ابن الجوزي في التحذير من مفارقة الجماعة زعماً منه أنه يفيده في ذلك المقام مع أنه بعد تعيين المراد منه ليس فيها أثر من ذلك، ولم ينقل ما ذكر في قلة أهل السنة والجماعة الدال، على نقيض مدعاة حيث قال في الباب الأول من ذلك الكتاب: عن يوسف بن أسباط قال: قال سفيان أخبرنا يوسف: إذا بلغك عن رجل بالمشرق أنه صاحب سنة فابعث إليه بالسلام، وإذا بلغك عن رجل آخر بالمغرب أنه صاحب سنة فابعث إليه بالسلام، فقد قال أهل السنة والجماعة.

وأيضاً قال: وعن سفيان الثوري قال: استوصوا بأهل السنة خيراً فإنهم غرباء، وعن أبي بكر بن عياش: السنة في الإسلام أعز من الإسلام في سائر الأديان، وقال في الباب الثاني: وعن عبدالله بن محيريز يذهب الدين سنة سنة، كما يذهب الحبل قوة قوة، وإذ قد ثبت قلة أهل السنة والجماعة فكيف يصح القول بلزوم اتباع جمهور كل زمان وقرن ؟

و(الثاني) أن صاحب الرسالة لم ينقل من كتاب ابن الجوزي ما يدل على تعيين الجماعة والسواد الأعظم، فإن فيه حديث ابن عمرو قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل، حتى إن كان منهم من أتى أمه علانية لكان في أمتي من يصنع ذلك، وإن بني إسرائيل تفرقت على اثنين وسبعين ملة وتفترق أمتي على ثلاثة وسبعين ملة كلهم في النار إلا واحدة، قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: ما أنا عليه

وأصحابي". قال الترمذي: هذا حديث غريب مفسر اهـ. فهـذا الحـديث فيه دلالة على أن المراد بالجماعة جماعة الصحابة، كما قـال الترمـذي ونقله ابن الجوزي.

وأيضاً فيه عن ابن العالية قال: عليكـم بـالأمر الأول الـذي كـانوا عليه قبل أن يفـترقوا، قـال عاصـم: فحـدثت بـه الحسـن فقـال: قـد نصحك والله وصدقك، وعن الأوزاعي قال: اصبر نفسك علـى السـنة، وقف حيث وقف القوم، وقل بما قالوا، وكف عما كفوا عنـه، واسـلك سبيل سلفك الصالح فإنه يسعك ما وسعهم اهـ، وإذ قـد تعيـن المـراد، فالقول باتباع جمهور كل عصر بين الفساد.

و(الثالث) أنه ترك من كلام الن باجوزي في الباب الثاني مـا فيـه التصريح بالمراد حيث قالك فإن قال قائل: قد مدحت السـنة وذممـت البدعة، فما السنة وما البدعة؟ وكل مبتدع في زمننا يزعم أنه من أهل السنة ؟ فالجواب أن السنة في اللغـة الطريـق ولا ريـب فـي أن أهـل النقل والأثر المتتبعين آثار رسول الله صـلى اللـه عليـه وسـلم وآثـار أصحابه هم أهل السنة لأنهم على تلك الطريـق الـتي لـم يحـدث فيهـا حادث، وإنما وقعت الحوادث والبدع بعد رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسلم وأصحابه. اهـ.

وأيضاً فيه: فقد بان بما ذكرنا أن أهل السنة هـم المتبعـون، وأن أهل البدعة هن المظهرون شيئاً لم يكن قبل ولا مستند له.

وأيضاً فيه: وعن المغيرة بن شعبة قال: قال رسـول اللـه صـلى الله عليه وسلم: "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على النـاس حـتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون" أخرجاه في الصحيحين[1].

---

[1] كان هذا الحديث وما بعده محرفين، وسقط من الأول لفظ "أمر" فكان: حتى يأتي الله فصححناهما.

وعن ثوبان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله". قال المصنف: انفرد بإخراجه مسلم، وقد روى هذا المعنى عن النبي صلى الله عليه وسلم معاوية وجابر بن عبدالله وقرة، وعن الترمذي: قال محمد بن إسماعيل قال علي بن المديني: هم أصحاب الحديث. اهـ.

و(الرابع) أن ابن الجوزي ذكر في الكتاب المذكور أحاديث كثيرة في ذم البدع والمبتدعين: (منها) حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد". (ومنها) حديث عبدالله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من رغب عن سنتي فليس مني". (ومنها) حديث العرباض بن سارية قال: صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح ذات يوم ثم أقبل علينا يعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقال قائل: يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع، فماذا تعهد إلينا ؟ فقال: "أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن كان عبداً حبشياً، فإنه من يعش بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة". (ومنها) حديث ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أنا فرطكم على الحوض، وليرفعن رجال منكم ثم ليختلجن دوني فأقول: يارب أصحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك". وصاحب الرسالة قد ترك تيك الأحاديث كلها لأنها تبطل دعواه الباطلة من التوسل المكروه المحدث بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من قول القائل: اللهم إني أسألك

بحق محمد صلى الله عليه وسلم، فإنه محدث، والأحاديث المذكورة ترد على كل ما أحدث في الدين.

وليعلم هناك أن قرن الصحابة كأن البدعة لم تكن فيه، والسنة كانت خالصة فيه، يدل عليه حديث أبي موسى رضي الله عنه مرفوعاً: "وأصحابي أمنة لأمتي، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون". رواه مسلم، وحديث ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما من نبي بعثه الله في أمته قبلي إلا كان له في أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل". رواه مسلم. وحديث العرباض بن سارية مرفوعاً: "فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ". رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه، وحديث عبدالله بن عمرو قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما أنا عليه وأصحابي". وحديث أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من أكل طيباً وعمل في سنة وأمن الناس بوائقه دخل الجنة". فقال رجل: يا رسول الله إن هذا اليوم لكثير في الناس، قال: "وسيكون في قرون بعدي". رواه الترمذي.

ولذا أثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم الخيرية المطلقة في قوله: "خير أمتي قرني". ومن ثم قال ابن مسعود رضي الله عنه: من كان مستناً فليستن بمن قد مات، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا أفضل هذه الأمة: أبرهما قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً،

اختارهم الله لصحبة نبيه ولإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم على أثرهم، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم وسيرهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم. رواه رزين، كذا في المشكاة.

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: وعن عبدالله بن مسعود قال: لا يقلدن أحدكم دينه رجلاً، فإن آمن آمن وإن كفر كفر، وإن كنتم لابد مقتدين فاقتدوا بالميت، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة، رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح. اه.

وأيضاً قال ابن مسعود: إن الله تعالى نظر في قلوب العباد فاختار محمداً فبعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد فاختار له أصحاباً فجعلهم أنصار دينه ووزراء نبيه، فما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن، وما رآه المسلمون قبيحاً فهو عند الله قبيح. قال شمس الدين السخاوي في المقاصد الحسنة: أخرجه أحمد من حديث ابن مسعود من قوله، وكذا أخرجه البزار والطيالسي والطبراني وأبو نعيم في حلية الأولياء في ترجمة ابن مسعود، بل عند البيهقي في الاعتقاد من وجه آخر عن ابن مسعود اه كلامه. قال ابن نجيم في (الأشباه والنظائر) قال العلائي: لم أجده مرفوعاً في شيء من كتب الحديث أصلاً ولا بسند ضعيف، بعد طول البحث وكثرة الكشف والسؤال، وإنما هو من قول عبدالله بن مسعود رضي الله عنه موقوفاً عليه، أخرجه أحمد في مسنده، وقال الحموي في حواشيه قال السخاوي في (المقاصد الحسنة): حديث: "ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن". رواه أحمد في كتاب السنة، ووهم منن عزاه للمسند من حديث أبي وائل عن ابن مسعود، وهو موقوف حسن. اه ملخصاً، فكأن العلائي تبع من وهم في نسبته إلى المسند. اه.

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه أحمد والبزار والطبراني في الكبير، ورجاله موثقون، وروى الدارمي عن عمر بن يحيى قال سمعت أبي يحدث عن أبيه قال: كنا نجلس على باب عبدالله بن مسعود قبل صلاة الغداة، فإذا خرج مشينا معه إلى المسجد، فجاءنا أبو موسى الأشعري فقال: أخرج إليكم أبو عبدالرحمن بعد ؟ قلنا لا، فجلس معنا حتى خرج، فلما خرج قمنا إليه جميعاً، فقال له أبو موسى: يا أبا عبدالرحمن إني رأيت في المسجد آنفاً أمراً أنكرته، ولم أرَ والحمد لله إلا خيراً، قال: فما هو ؟ فقال: إن عشت فستراه، قال رأيت في المسجد قوماً حلقاً جلوساً ينتظرون الصلاة كل حلقة رجل وفي أيديهم حصى فيقول كبروا مائة فيكبرون مائة، فيقول هللوا مائة فيهللون مائة، ويقول سبحوا مائة فيسحبون مائة. قال: فماذا قلت لهم ؟ قال: ما قلت لهم شيئاً انتظار رأيك أو انتظار أمرك. قال: أفلا أمرتهم أن يعدوا سيئاتهم وضمنت لهم أن لا يضيع من حسناتهم شيء ؟ ثم مضى ومضينا معه حتى أتى حلقة من تلك الحلق، فوقف عليهم فقال: ما هذا الذي أراكم تصنعون ؟ قالوا: يا أبا عبد الرحمن، حصى نعد به التكبير والتهليل والتسبيح، قال: فعدوا سيئاتكم فأنا ضامن أن لا يضيع من حسناتكم شيء. ويحكم يا أمة محمد، ما أسرع هلكتكم، هؤلاء صحابة نبيكم صلى الله عليه وسلم متوافرون، وهذه ثيابه لم تبلّ، وآنيته لم تكسر، والذي نفسي بيده إنكم لعلى ملة هي أهدى من ملة محمد، أو مفتحي باب ضلالة، قالوا: والله يا أبا عبدالرحمن ما أردنا إلا الخير، قال: وكم من مريد للخير لن يصيبه، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا أن قوماً يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم، وأيم الله ما أدري لعل أكثرهم منكم، ثم تولى عنهم،

فقال عمرو بن سلمة: رأينا عامة أولئك الحلق[1] يطاعنونا يوم النهروان مع الخوارج. اهـ.

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: وعن عمرو بن سلمة قال: كنا قعوداً على باب ابن مسعود بني المغرب والعشاء فأتى أبو موسى فقال: اخرج إلينا أبا عبدالرحمن، فخرج ابن مسعود فقال: أبا موسى ما جاء بك هذه الساعة ؟ قال: لا والله إلا أني رأيت أمراً ذعرني وإنه لخير، ولقد ذعرني وإنه لخير، قوم جلوس في المسجد ورجل يقول سبحوا كذا وكذا، احمدوا كذا وكذا، قال فانطلق عبدالله وانطلقنا معه حتى أتاهم فقال: ما أسرع ما ضللتم وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أحياء، وأزواجه شوابّ، وثيابه وأبنيته لم تغير، احصوا سيئاتكم، فأنا أ ضمن على الله أن يحصي حسناتكم، رواه الطبراني في الكبير، وفيه مجالد بن سعيد وثقه النسائي، وضعفه البخاري وأحمد بن حنبل ويحيى.

وعن أبي البختري قال: بلغ عبدالله بن مسعود أن قوماً يقعدون بين المغرب والعشاء يقولون قولوا كذا قولوا كذا، قال عبدالله: إن فعلوا فآذنوني، فلما جلسوا أتوه فانطلق معهم، فجلس وعليه برنس فأخذوا في تسبيحهم، فحسر عبدالله عن رأسه البرنس وقال: أنا عبدالله بن مسعود – فسكت القوم – فقال: لقد جئتم بدعة ظلماً، وإلا فضللنا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم. فقال عمرو بن عتبة بن فرقد: استغفر الله يا ابن مسعود وأتوب إليه، فأمرهم أن يتفرقوا، قال: ورأى ابن مسعود حلقتين في مسجد الكوفة فقام

---

[1] الحلق في الأصل بالمهملة وصحح في جدول بيان الخطأ وصوابه في الطبعة الهندية فجعل بالمعجمة وهو تصحيف لا يقبل إلا إذا كان هو الرواية، وإلا فالحلق بالمهملة هو الذي ذكر في أول الأثر، فالمعرفة هنا عين المنكرة هناك، فهو الذي تقتضيه الرواية، وواضع جدول التصويب يذكر مثل هذا التصحيف وما يقرب منه من التحريف ويدع الأغلاط الكثيرة لأنه لا يعرفها، وقد صححنا أكثرها كما نظن، وكتبه محمد رشيد رضا.

بينهما فقال: أيتكما كانت قبل صاحبتها ؟ قالت إحداهما: نحن، فقال للأخرى: قوموا إليها، فجعلهم واحدة، رواه الطبراني في الكبير وفيه عطاء بن السائب وهو ثقة ولكنه اختلط، وفي بعض طرق الطبراني الصحيحة المختصرة: فجاء عبدالله بن مسعود متقنعاً فقال: من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا عبدالله بن مسعود، إنكم لأهدى من محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه، أو أنكم لتعلقون بذنب ضلالة، وفي رواية لعطاء بن السائب فقال ابن مسعود: لئن اتبعتم القوم لقد سبقوكم سبقاً بعيداً بيناً، ولئن أخذتم يميناً وشمالاً لقد ضللتم ضلالا بعيداً. اهـ.

وعن حذيفة رضي الله عنه قال: يا معشر القراء استقيموا، فقد سبقتم سبقاً بعيداً، وإن أخذتم يميناً وشمالاً لقد ضللتم ضلالاً بعيداً. رواه البخاري.

وأيضاً عن حذيفة قال: كل عبادة لا يتعبدها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا تعبدوها، فإن الأول لم يدع للآخر مقالاً، فاتقوا الله يا معشر القراء وخذوا طريق من قبلكم. رواه أبو داود.

إذا دريت ما ذكرنا من الأحاديث والآثار فقد علمت أن قرن الصحابة كانت السنة خالصة فيه، وكأن البدعة لم تكن فيه، وإنما لم أقل إن البدعة لم تكن فيه لما ورد في الصحيح: "أنا فرطكم على الحوض، فليرفعن إلى رجال منكم، حتى إذا أهويت لأناولهم اختلجوا دوني، فأقول: إي رب أصحابي، فيقول: لا تدري ما أحدثوا بعدك". فهذا الحديث يدل أوضح دلالة على أن من الصحابة من يحدث عبد النبي صلى الله عليه وسلم.

ثم بعد انقراض قرن الصحابة أتى أمته ما يوعدون من الحوادث والبدع، وكلما أحدثت بدعة رفع مثلها من السنة، ولكن في قرن

التابعين وأتباع التابعين لم تظهر البدع ظهوراً فاشياً، وأما بعد قرن اتباع التابعين فقد تغيرت الأحوال تغيراً فاحشاً، وغلبت البدع، وصارت السنة غريبة، واتخذ الناس البدعة سنة والسنة بدعة، ولا تزال السنة في المستقبل غريبة إلا ما استثنى من زمان المهدي رضي الله عنه وعيسى عليه السلام، إلى أن تقوم الساعة على شرار الناس.

يدل على ذلك الأحاديث والآثار التي نذكرها الآن بحوله وقوته، منها: حديث عمران بن حصين رضي الله عنه يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، قال عمران: فلا أدري أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثة: "ثم إن بعدكم قوماً يشهدون ولا يستشهدون، ويخونون، ولا يؤتمنون وينذرون ولا يفون ويظهر فيهم السمن" رواه البخاري ومسلم.

ومنها حديث الأسلمي قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "يذهب الصالحون الأول فالأول، ويبقى حفالة كحفالة الشعير أو التمر لا يباليهم الله بألة" . رواه البخاري.

قال الحافظ في الفتح: ووجدت لهذا الحديث شاهداً من رواية الفزارية امرأة عمر بلفظ "تذهبون الخير فالخير، حتى لا يبقى منكم إلا حثالة كحثالة التمر، ينزو بعضهم على بعض نزو المعز". أخرجه أبو سعيد بن يونس في تاريخ مصر وقال بُعيْدَه: ووقع في آخر حديث الفزارية المذكور آنفاً: "على أولئك تقوم الساعة". وقال في الفتح أيضاً قال ابن بطال: وفيه أنه يجوز انقراض أهل الخير في آخر الزمان حتى لا يبقى إلا أهل الشر، واستدل به على جواز خلو الأرض من عالم حتى لا يبقى إلا أهل الجهل صرفاً". اهـ.

ومنها حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويثبت الجهل وتشرب الخمر ويظهر الزنا". رواه البخاري.

ومنها حديث عبدالله بن عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا". رواه البخاري، قال الحافظ في الفتح: واستدل به الجمهور على القول بخلو الزمان من مجتهد، ولله الأمر يفعل ما يشاء. اهـ.

ومنها حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يتقارب الزمان وينقص العلم ويلقى الشح وتظهر الفتن ويكثر الهرج". قالوا: يا رسول الله أيما هو ؟ قال: "القتل القتل" رواه البخاري.

ومنها حديث أنس بن مالك قال: سمعت من نبيكم صلى الله عليه وسلم: "لا يأتي عليكم زمان إلا والذي بعده أشر منه حتى تلقوا ربكم". رواه البخاري. قال الحافظ في الفتح: وبهذا اللفظ أخرج الطبراني بسند جيد عن ابن مسعود نحو هذا الحديث موقوفاً عليه، قال: "ليس عام إلا والذي بعده شر منه". وله عنه بسند صحيح قال: "أمس خير من اليوم، واليوم خير من الغد، وكذلك حتى تقوم الساعة". اهـ

قال الحافظ في الفتح: وقد استشكل هذا الإطلاق، مع أن بعض الأزمنة تكون في الشر دون التي قبلها، ولو لم يكن في ذلك إلا زمن عمر بن عبدالعزيز وهو بعد زمان الحجاج بيسير، وقد اشتهر الخير الذي كان في زمن عمر بن عبدالعزيز، بل لو قيل إن الشر اضمحل

في زمانه لما كان بعيداً، فضلاً عن أن يكون شراً من الزمن الذي قبله، وقد حمله الحسن البصري على الأكثر الأغلب، فسئل عن وجود عمر بن عبدالعزيز بعد الحجاج فقال: لابد للناس من تنفيس، وأجاب بعضهم أن المراد بالتفضيل مجموع العصر على مجموع العصر، فإن عصر الحجاج كان فيه كثير من الصحابة في الأحياء، وفي عصر عمر بن عبدالعزيز انقرضوا، والزمان الذي فيه الصحابة خير من الذي بعده لقوله صلى الله عليه وسلم: "خير القرون قرني". وهو في الصحيحين، وقوله "أصحابي أمَنَة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون" أخرجه مسلم. ثم وجدت عن عبدالله بن مسعود التصريح بالمراد وهو أولى بالاتباع، فأخرج يعقوب بن شيبة من طريق الحارث بن حصيرة عن زيد بن وهب قال: سمعت عبدالله بن مسعود يقول: لا يأتي عليكم يوم إلا وهو شر من الذي كان قبله حتى تقوم الساعة، لست أعني رخاء من العيش يصيبه ولا ما لا يفيده، ولكن لا يأتي عليكم يوم إلا وهو أقل علماً من اليوم الذي مضى قبله، فإذا ذهب العلماء استوى الناس فلا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر، فعند ذلك يهلكون. اه

وقال في الفتح أيضاً: واستشكلوا أيضاً زمان عيسى بن مريم بعد زمان الدجال، وأجاب الكرماني بان المراد الزمان الذي يكون بعد عيسى، أو المراد جنس الزمان الذي فيه الأمراء، وإلا فمعلوم من الدين بالضرورة أن زمان النبي المعصوم لا شر فيه. قلت: ويحتمل أن يكون المراد بالأزمنة ما قبل وجود العلامات العظام كالدجال وما بعده، ويكون المراد بالأزمنة المتفاضلة في الشر من زمن الحجاج فما بعده إلى زمن الدجال، وأما زمن عيسى عليه السلام فله حكم مستأنف. والله أعلم. اه

وقال في الفتح أيضاً: واستدل ابن حبان في صحيحه بـأن حـديث أنس ليس على عمومه بالأحاديث الواردة في المهدي وأنه يملأ الأرض عدلاً بعد أن ملئت جوراً، ثم وجدت عن ابن مسعود ما يصـلح أن يفسـر به الحديث، وهو ما أخرجه الدارمي بسند حسـن عـن عبـدالله قـال: لا يأتي عليكم عام إلا وهو شر من الذي قبله، أما أني لست أعنـى عامـاً. اهـ

قلت وتمام الحديث: أخصب من عـام، ولا أميـراً خيـراً مـن أميـر، ولكن علماءكم وخياركم وفقهاءكم يذهبون، ثم لا يجدون منهم خلفـاً، ويجيء قوم يقيسون الأمر برأيهم.

ومنها حديث حذيفة قال: حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثين: رأيت أحدهما، وأنا أنتظر الآخر، حـدثنا أن الأمانـة نزلـت فـي جذر قلوب الرجال، ثم علموا من القرآن ثم علموا من السـنة. وحـدثنا عن رفعها قال: "ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قبلـه، فيظـل أثرها مثل أثر الـوكت. ثـم ينـام النومـة فتقبـض، فيبقـى أثرهـا مثـل المجل، كجمر دحرجته على رجلـك فتنفـط فـتراه منتـبراً وليـس فيـه شيء، ويصبح الناس يتبايعون ولا يكـاد أحـد يـؤدي الأمانـة، فيقـال إن في بني فلان رجلاً أمينـاً، ويقـال للرجـل مـا أعقلـه ومـا أظرفـه ومـا أجلده، وما في قلبه حبة من خردل من إيمان". متفق عليه.

ومنها حديث حذيفة قال: كان الناس يسألون رسـول اللـه صـلى الله عليه وسلم عن الخير، وكنت أسأله عن الشـر مخافـة أن يـدركني قال: قلت يا رسول الله إنـا كنـا فـي جاهليـة وشـر فجاءنـا اللـه بهـذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر ؟ قال: "نعم". قلت: وهل بعـد ذلـك الشر من خير ؟ قال: "نعم، وفيه دخن". قلت: وما دخنه ؟ قـال "قـوم يستنون بغير سنتي ويهدون بغير هـديي تعـرف منهـم وتنكـر". قلـت:

فهل بعد ذلك الخير من شر ؟ قال "نعم، دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها". قلت: يا رسول الله صفهم لنا. قال: "هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا". قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك ؟ قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم" قلت: فإن لم يكن هلم جماعة ولا إمام ؟. قال "فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك" متفق عليه.

ومنها حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "بادروا بالأعمال فتنا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً، يبيع دينه بعرض من الدنيا". رواه مسلم.

ومنها حديث أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا في حجر ضب لاتبعتموهم" قلنا: يا رسول الله، اليهود والنصارى ؟ قال "فمن" ؟ متفق عليه.

ومنها حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "بدأ الإسلام غريباً وسيعود كما بدأ غريباً، فطوبى للغرباء". رواه مسلم.

وقد ورد تفسير الغرباء في حديث كثير بن عبدالله بن عمرو بن عوف بن زيد ابن ملحة عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن الذين ليأرز إلى الحجاز كما تأزر الحية إلى حجرها، وليعقلن الدين في الحجاز معقل الأروية من رأس الجبل، إن الدين بدأ غريباً ويرجع غريباً، فطوبى للغرباء الذين يصلحون ما أفسد الناس من بعدي من سنتي". رواه الترمذي، وقال: هذا حديث حسن.

قلت: وفي تحسينه نظر، فإنه من رواية كثير بن عبدالله بن عمرو بن عوف المزني عن أبيه عن جده، وكثير هذا اتهمه الشافعي

وأبـو داود بالكـذب، وقـال ابـن حبـان: لـه عـن أبيـه عـن جـده نسـخة موضوعة، وأما الترمذي فروى من حديثه "الصلح جائز بين المسلمين" وصـححه، فلـذا لـم يعتمـد العلمـاء علـى تصـحيح الترمـذي، كـذا فـي الميزان.

وقد وقع تفسير الغرباء في حـديث روى عـن أبـي الـدرداء وأبـي أمامة وواثلة بـن الأسـقع وأنـس بـن مالـك، وهـو حـديث طويـل رواه الطبراني في الكبير، وقد تقدم في بيان السواد الأعظم، وفيـه كـثير بن مروان وهو أيضاً متهم بالكذب.

وورد في تفسير الغرباء أيضاً في حديث عبدالله رضي اللـه عنـه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسـلم: "إن الإسـلام بـدأ غريبـاً وسيعود غريباً، فطوبى للغرباء" قال: قيل ومن الغرباء ؟ قال "النزاع من القبائل" رواه ابـن مـاجه والـدارمي، وجميـع رواتـه ثقـات سـوى سفيان بن وكيع وهو وإن تكلموا فيه لكنه صدوق، قال ابن خزيمة: لـو خر من السماء فتخطفه الطير أحب إليه من أن يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد حسن له الترمذي كذا فـي الميـزان، فهـذا الحـديث أحسـن شـيء فـي البـاب، قـال فـي النهايـة: وفيـه "طـوبى للغرباء" قيل: من هم يا رسول الله ؟ قال "النزاع مـن القبائـل" هـي جمع نازع ونزيع، وهو الغريب الـذي نـزع مـن أهلـه وعشـيرته أي بعـد وغاب. انتهى.

ومنها حديث أبي هريرة قال: قال رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسلم: "من تمسك بسنتي عند فساد أمتي فله أجر مائـة شـهيد" كـذا في المشكاة من غير ذكـر المخـرج، وفـي مجمـع الزوائـد: وعـن أبـي هريرة قـال: قـال رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم" "المتمسـك

بسنتي عند فساد أمتي له أجر شهيد" رواه الطبراني في الأوسط، وفيه محمد بن صالح العدوي، ولم أر من ترجمه وبقية رجاله ثقات.

ومنها حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إنكم في زمان من ترك منكم عشر ما أمر به هلك، ثم يأتي زمان من عمل منهم بعشر ما أمر به نجا" رواه الترمذي.

ومنها حديث أبي ثعلبة في قوله تعالى: ﴿ عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم ﴾. وفيه "فإن وراءكم أيام الصبر، فمن صبر فيهن قبض على الجمر، للعامل فيهن أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عمله[1]، قالوا: يا رسول الله، أجر خمسين منهم ؟ قال "أجر خمسين منكم". رواه الترمذي وابن ماجه.

ومنها حديث أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "يأتي على الناس زمان الصابر فيهم على دينه كالقابض على الجمر" رواه الترمذي وقال: هذا حديث غريب إسناداً.

ومنها حديث عبدالرحمن بن العلاء الحضرمي قال: حدثني من سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول "إنه سيكون في آخر هذه الأمة قوم لهم مثل أجر أولهم، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقاتلون أهل الفتن" رواه البيهقي في دلائل النبوة.

ومنها ما روي عن عبدالله بن الديلمي قال: بلغني أن أول ذهاب الدين ترك السنّة، يذهب الدين سنة فسنة كما يذهب الحبل قوة قوة". رواه الدرامي.

ومنها ما روي عن شقيق قال: قال عبدالله: كيف أنتم إذا لبستكم فتنة يهرم فيها الكبير ويربو فيها الصغير، ويتخذها الناس سنة، فإذا غيرت قالوا غيرت السنة، قالوا: ومتى ذلك يا أبا

---

[1] هكذا أورد الحديث، ونصه المروي "فإن من ورائكم أياماً الصبر فيهن مثل القبض على الجمر، للعامل فيهن أجر خمسين رجلاًيعملون مثل عملكم".

عبـدالرحمن ؟ قـال: إذا كـثرت قراؤكـم، وقلـت فقهـاؤكم، وكـثرت أمراؤكم وقلت أمناؤكم، والتمست الدنيا بعمل الآخرة. رواه الدارمي.

ومنها ما روي عن عبدالله قال: لا يأتي عليكـم عـام إلا وهـو شـر من الذي كان قبله، أما إني لست أعني أن عامـاً أخصـب مـن عـام، ولا أميراً خيراً من أمير، ولكن علماءكم وخياركم وفقهاءكم يـذهبون، ثـم لا تجـدون منهـم خلفـاً، ويجيـء قـوم يقيسـون الأمـر برأيهـم. رواه الدارمي، وقد نقل هذا فيما قبل من الفتح.

ومنها ما روي عن الحسن قال: سنتكم واللـه الـذي لا إلـه إلا هـو بينهما: بين الغالي والجافي، فاصبروا عليها رحمكـم اللـه، فـإن أهـل السنة كانوا أقل الناس فيما مضى، وهم أقل الناس فيما بقى، الـذين لم يذهبوا مع أهل الأتراف في أترافهم، ولا مع أهل البدع في بدعهم، وصبروا على سنتهم حتى لقـوا ربهـم، فكـذلك إن شـاء اللـه فكونـوا. رواه الدرامي.

ومنها ما روي عن ابن مسعود: قال لـي رسـول اللـه صـلى اللـه عليه وسلم "تعلموا العلم وعلموه النـاس، تعلمـوا الفرائـض وعلمـوه الناس، تعلموا القرآن وعلمـوه النـاس، فـإني امـرؤ مقبـوض والعلـم سيقبض، وتظهر الفتن حتى يختلف اثنان في فريضـة لا يجـدان أحـداً يفصل بينهما". رواه الدارمي.

ومنها ما روي عن زياد بن ليد قال: ذكـر النـبي صـلى اللـه عليـه وسلم شيئاً فقال "ذاك عند أوان ذهاب العلم". قلـت: يـا رسـول اللـه وكيف يذهب العلم ونحن نقرأ القرآن ونقرئه أبناءنـا ويقرئـه أبناؤهـا أبناءهم إلى يوم القيامة ؟ فقال "ثكلتك أمك زياد، إن كنـت لأراك مـن أفقه رجل بالمدينة، أو ليس هـذه اليهـود والنصـارى يقـرءون التـوراة والإنجيل لا يعملون بشيء مما فيهما " ؟ رواه أحمد وابن ماجه.

وروى الترمذي عنه نحوه وكذا الدارمي عن أبي أمامة. كذا في المشكاة.

قلت: وقد روى الدارمي هذا الحديث أيضاً عن أبي الدرداء قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فشخص ببصره إلى السماء ثم قال "هذا أوان يختلس العلم من الناس حتى لا يقدروا منه على شيء". فقال زياد بن لبيد الأنصاري : يا رسول الله كيف يختلس منا وقد قرأنا القرآن ؟ فوالله لنقرأنه ولنقرئنه نساءنا وأبناءنا، فقال "ثكلتك أمك يا زياد" الحديث.

ورواه أحمد والطبراني في الكبير عن أبي أمامة وإسناد الطبراني أصح. وفي الباب عن ابن عمر رواه البزار وفيه سعيد بن سنان، وعن عوف بن مالك رواه البزار، وفيه عبدالله بن صالح، وعن وحشي بن حرب رواه الطبراني في الكبير وإسناده حسن، وعن صفوان بن عسال رواه الطبراني في الكبير، وفيه مسلمة بن علي الخشني وهو ضعيف،كذا في مجمع الزوائد.

ومنها حديث حزام بن حكيم بن حزام عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال "إنكم قد أصبحتم في زمان كثير فقهاؤه، قليل خطباؤه، كثير معطوه قليل سؤاله، العمل فيه خير من العلم، وسيأتي زمان قليل فقهاؤه وكثير خطباؤه، وكثير سؤاله قليل معطوه، العلم فيه خير من العمل" رواه الطبراني في الكبير، وفيه عثمان بن عبدالرحمن الطرائقي وهو ثقة إلا أنه قيل فيه يروي عن الضعفاء، وهذا من روايته عن صدقة بن خالد وهو من رجال الصحيح.

وعن أبي ذر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال "إنكم في زمان علماؤه كثير وخطباؤه قليل، من ترك فيه عشر ما يعلم هوى، وسيأتي

على الناس زمان يقل علماؤه ويكثر خطباؤه، من تمسك فيه بعشر ما يعلم نجا" رواه أحمد، وفيه رجل لم يسم.

وعن حزام بن حكيم عن عمه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "أصبحتم في زمان كثير فقهاؤه قليل خطباؤه، كثير معطوه قليل سؤاله، العمل فيه خير من العلم، وسيأتي زمان قليل فقهاؤه كثير خطباؤه كثير سؤاله قليل معطوه العلم فيه خير من العمل" رواه الطبراني في الكبير، وفيه صدقة بن عبدالله السمين وهو ضعيف منكر الحديث، كذا في مجمع الزوائد.

ومنها حديث حذيفة بن اليمان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "سيأتي عليكم زمان لا يكون فيه شيء أعز من ثلاث: درهم حلال، أو أخ يستأنس به، أو سنة يعمل بها" رواه الطبراني في الأوسط، وفيه روح بن صلاح ضعفه ابن عدي وقال الحاكم ثقة مأمون وذكره ابن حبان في الثقات، وبقية رجاله موثقون، كذا في مجمع الزوائد.

ومنها حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: ما أتى على الناس عام إلا أحدثوا فيه بدعة وأماتوا فيه سنة، حتى تحيا البدع وتموت السنن. رواه الطبراني في الكبير ورجاله موثقون، كذا في مجمع الزوائد.

ومنها حديث علي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "يوشك أن يأتي على الناس زمان لا يبقى من الإسلام إلا اسمه، ولا يبقى من القرآن إلا رسمه، مساجدهم عامرة وهي خراب من الهدى، علماؤهم شر من تحت أديم السماء، من عندهم تخرج الفتنة وفيهم تعود" رواه البيهقي في شعب الإيمان، كذا في المشكاة.

ومنها حديث حذيفة بن اليمان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "يدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب حتى لا يدري ما صيام ولا صلاة ولا صدقة، وليسري على كتاب الله عز وجل في ليلة فلا يبقى في الارض منه آية، ويبقى طوائف من الناس الشيخ الكبير والعجوز يقولون: أدركنا آباءنا على هذه الكلمة – لا إله إلا الله – فنحن نقولها، فقال له صلة: ما تغني عنهم لا إله إلا الله وهم لا يدرون ما صلاة ولا صيام ولا نسك ولا صدقة ؟ فأعرض عنه حذيفة، ثم ردها عليه – ثلاثاً – كل ذلك يعرض عنه حذيفة، ثم أقبل عليه في الثالثة فقال: يا صلة، تنجيهم من النار (ثلاثاً). رواه ابن ماجه ورواته كلهم ثقات.

ومنها حديث ثوبان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها[1] فقال قائل ومن قلة نحن يومئذ ؟ قال بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن في قلوبكم الوهن" قال قائل: يا رسول الله وما الوهن ؟ قال "حب الدنيا وكراهية الموت" رواه أبو داود والبيهقي في دلائل النبوة، كذا في المشكاة.

ومنها حديث ابن مسعود: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول "من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء" رواه البخاري.

ومنها حديث أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله الله " رواه

---

[1] تداعى عليكم الأمم بفتح التاء، أصله تتداعى، أي يدعو بعضها بعضاً إلى سلب ملككم واستذلالكم كا يتداعون إلى قصعة الطعام لأنكم تكونون مأكلة لها.

مسلم. ومنها حديث عبدالله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق" رواه مسلم.

ومنها حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوس حول ذي الخلصة، وذو الخلصة طاغية دوس الذي كانوا يعبدون في الجاهلية. متفق عليه.

ومنها حديث عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "لا يذهب الليل والنهار حتى يعبد اللات والعزى" فقلت: يا رسول الله إن كنت لأظن حين أنزل الله تعالى: هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون . أن ذلك تام، قال "إنه سيكون من ذلك ما شاء الله، ثم يبعث الله ريحاً طيبة فتوفي كل من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان، فيبقى من لا خير فيه، فيرجعون إلى دين آبائهم" رواه مسلم.

ومنها حديث النواس بن سمعان في قصة الدجال وعيسى أو يأجوج ومأجوج وفيه "إذ بعث الله ريحاً طيبة فتقبض روح كل مؤمن ومسلم، ويبقى شرار الناس يتهارجون تهارج الحمر، فعليهم تقوم الساعة".

فإن قلت: ما وجه الجمع بين تيك الأحاديث وبين حديث: "لا تزال طائفة من أمتي على الحق حتى تقوم الساعة"، قلت: وجه الجمع حمل الغاية في حديث: "لا تزال طائفة"، على وقت هبوب الريح الطيبة التي تقبض روح كل مؤمن ومسلم، فلا يبقى إلا الشرار، فتهجم الساعة عليهم بغتة، كذا في فتح الباري.

وجملة القول في الباب أن السنة كانت غالية في قـرن الصـحابة خاصة، ولذا وصفه النبي صلى الله عليه وسلم بالخيرة المطلقة، وأما بعده فقد زالت غلبة السنة، ولكن قرن التابعين وقرن تبع التابعين لم تغلب فيهما البدعة أيضاً، ولذا وصفا فـي الحـديث بـالخيرة الإضـافية، وأما بعد انقراض القرن الثالث فقد صارت السنة غريبة وأهلها غربـاء ولا تزال غربتها في زيادة إلى أن تقوم السـاعة، اللهـم إلا فـي زمـان المهـدي رضـي اللـه عنـه وعيسـى عليـه السـلام، فلا يجـوز التمسـك بجمهور إلا بجمهور الصحابة.

وقد علم بما نقل من الأحـاديث والآثـار أن غربـاء الإسـلام ليـس معناها أنه يقل أهل الإسلام، دل عليه ما في حدي ثوبان المتقدم مـن قوله صلى الله عليه وسلم: "بـل أنتـم يومئـذ كـثير" (بـل) معناهـا أن الصـالحين مـن أهـل الإسـلام يـذهبون الأول فـالأول وتبقـى حفالـة كحفالـة الشـعير وغثـاء كغثـاء السـيل، وأن سـنن الإسـلام وشـعبها وشرائعها من الصلاة والصيام والنسك والصدقة وغيرهـا تـذهب وقتـا فوقتاً حتى لا يبقى إلا قول لا إله إلا الله، فـإذا بعـث اللـه ريحـاً طيبـة توفى كل من كان في قبلة مثقال حبة من خردل مـن إيمـان، فيبقـى من لا خير فيه، فعليهم تقوم الساعة.

ولفظ السنة فيما هنالك يشمل الفرض والسنة والمنـدوب، كمـا ورد في حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صـلى الله عليه وسلم: "السنة سـنتان: سـنة فـي فريضـة، وسـنة فـي غيـر فريضة، فالسنة التي في الفريضة أصلها في كتاب الله، أخـذها هـدى وتركها ضلالة، والسـنة الـتي ليـس أصـلها فـي كتـاب اللـه الأخـذ بهـا فضيلة، وتركها ليس بخطيئة" رواه الطبراني في الأوسط وقـال: لـم

يروه عن أبي سلمة إلا عيسى بن واقد، تفرد به عبد الله ابـن الرومـي ولم أر من ترجمه، كذا في مجمع الزوائد.

وإطلاق السنة على ما يشمل الفرض وغيره شائع كما في قــوله صلى الله عليه وسلم: "فمن رغب عن سنتي فليس مني" أي أعــرض عن طريقتي فرضـاً أو سـنة، عملاً أو عقيـدة، فليـس قريبـاً منـي، أو أعرض عنها غير معتقد لها، كذا في مجمع البحار.

وقال الحافظ في الفتح: المراد بالسنة الطريقـة لا الـتي تقابـل الفرض، وفي حديث حذيفة الطويل: ثم علموا من القـرآن ثـم علمـوا من السنة، قال الحافظ في الفتح: والمـراد بالسـنن مـا يتلقـونه عـن النبي صلى الله عليه وسلم واجباً كان أو مندوباً.

قوله: منها حديث عبد الله بن عمر رضي اللـه عنهمـا عـن النـبي صلى الله عليه وسلم أنه خطب في الجابية فقال: "مــن أراد بحبوحــة الجنة فليلزم الجماعة، فـإن الشـيطان مـع الواحـد، وهـو مـن الاثنيـن أبعد".

أقول: فيه بحث من وجوه:

(الأول): أن لفظ حديث ابن عمر في (تلبيس إبليس) هكذا: وعن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قـال: "مــن سـره أن يسـكن بحبوحة الجنة فليلـزم الجماعـة فـإن الشـيطان مـع الواحـد وهـو مـن الاثنين أبعد" اهـ. فليس فيه أنه خطب في الجابيـة، وليـس فهـي مـن أراد بحبوحة الجنة، بل لفظة "من سره أن يسكن بحبوحة الجنة".

و(الثـاني): ن روايـة ابـن عمـر قـد ذكرهـا الهيثمـي فـي مجمـع الزوائد ونصه هكذا وعن ابن عمر قـال: قـال رسـول اللـه صـلى اللـه عليه وسلم: "احفظـوني فـي أصـحابي ثـم الـذين يلـونهم ثـم الـذين يلونهم، ثم يظهر الكذب حتى يشهد الرجل قبـل أن يستشـهد، وحـتى

يحلف الرجل قبل أن يستحلف، ويبذل نفسه بحلف الزور، فمن سره بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة، فإن يد الله مع الجماعة، وإن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد، ولا يخلون رجل بامرأة فإن ثالثهما الشيطان، ومن ساءته سيئته، وسرته حسنته فهو مؤمن" رواه الطبراني في الأوسط، وفيه إبراهيم بن عبد الله بن خالد المصيصي وهو متروك. اهـ.

قال الذهبي في الميزان: إبراهيم بن عبد الله بن خالد عن عبد الله بن قيس وإبراهيم المصيصي عن وكيع أحد المتروكين، قال ابن حبان: إبراهيم بن عبد الله بن خالد يسرق الحديث ويروي عن الثقات ما ليس من حديثهم، قلت: هذا رجل كذاب، قال الحاكم: أحاديثه موضوعه. اهـ. ملخصاً.

و(الثالث): أن الحديث من مسانيد عمر لا ابن عمر، دل على ذلك رواية الترمذي لفظه هكذا: حدثنا أحمد بن منيع حدثنا النضر بن إسماعيل أبو المغيرة عن محمد بن سوقة عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر قال: خطبنا عمر بالجابية فقال: "يا أيها الناس إني قمت فيكم كمقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا فقال: "أوصيكم أصحابي ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، ثم يفشو الكذب حتى يحلف الرجل ولا يستحلف، ويشهد الشاهد ولا يستشهد، ألا لا يخلون رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان، عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة، فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد، من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة، من سرت حسنته وساءته سيئته فذلك المؤمن" هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه، وقد رواه ابن المبارك عن محمد بن سوقة، وقد روى هذا الحديث من غير وجه عن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم اهـ.

وهذه الرواية قد ذكرها ابن الجوزي أيضاً في (تلبيس إبليس)، بل هو أول حديث ذكره في الباب الأول، وما أغفل صاحب الرسالة حيث لم ينقل ما صححه الترمذي ونقل ما فيه متروك كذاب، وهذا أبهر برهان على أنه لا يميز بين الصحيح والسقيم.

و(الرابع): أن رواية الترمذي في سندها النضر بن إسماعيل أبو المغيرة وهو ضعيف، قال الذهبي في الميزان: قال يحيى: ليس بشيء، وقال النسائي وأبو زرعة: ليس بالقوي، وقال ابن حبان: فحش خطؤه حتى استحق الترك، وقال ابن عدي: أرجو أنه لا بأس به، وقال العجلي: ثقة اه. وقال الحافظ ابن حجر في التقريب: ليس بالقوي اه. إلا أن يقال إن المبارك قد تابعه كما ذكره الترمذي فارتقى الحديث إلى درجة الصحة والحسن.

وروى هذا الحديث عن عامر بن ربيعة بلفظ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من مات وليس له طاعة مات ميتة الجاهلية، وإن خلعها من بعد عقدها في عنقه لقي الله تبارك وتعالى ليست له حجة، إلا لا يخلون رجل بامرأة فإن ثالثهما الشيطان إلا محرم، فإن الشيطان مع الواحد وهو مع الاثنين أبعد، من ساءته سيئاته وسرته حسناته فهو مؤمن" رواه أحمد وأبو يعلى والبزار والطبراني، وفي رواية عنده "بعد عقده إياها في عنقه" وفيه عاصم بن عبيد الله وهو ضعيف، كذا في مجمع الزوائد.

و(الخامس): أن حديث ابن عمر المذكور ليس دالاً على دعواه وهي لزوم اتباع الجمهور، إذ لفظ "الجماعة" يحتمل معاني: أحدها الجماعة في الصلاة كما في حديث أبي الدرداء سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "ما من ثلاثة في قرية أو بلد ولا تقام فيهم الصلاة إلا استحوذ عليهم الشيطان، فعليكم بالجماعة إنما يأكل

الذئب القاصية" قال السائب: يعني بالجماعة الجماعة في الصلاة، رواه النسائي وأبو داود، والبواقي تظهر بملاحظة العبارات التي ننقلها.

قال الحافظ في الفتح في (كتاب الفتن): قال الطبراني: اختلف في هذا الأمر وفي الجماعة، فقال قوم: هو لوجوب ولجماعة السود الأعظم، ثم ساق عن محمد بن سرين عن أبي مسعود أنه وصى من سأله –لما قتل عثمان-: عليك بالجماعة، فإن الله لم يكن ليجمع أمة محمد صلى الله عليه وسلم على ضلالة، وقال قوم: المراد بالجماعة الصحابة دون من بعدهم، وقال قوم: المراد بهم أهل العلم، لأن الله جعلهم حجة على الخلق، والناس تبع لهم في أمر الدين.

قال الطبراني: والصواب أن المراد من الخبر لزوم الجماعة الذين في طاعة من اجتمعوا على تأميره، فمن نكث بيعته خرج من الجماعة. اهـ.

وقال في (كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة): والمراد بالجماعة أهل الحل والعقد من كل عصر، وقال الكرماني: مقتضى الأمر بلزوم الجماعة أنه يلزم المكلف متابعة ما أجمع عليه المجتهدون، وهم المراد بقوله: وهم أهل العلم، والآية التي ترجم بها احتج بها أهل الأصول لكون الإجماع حجة. اهـ.

وقال القسطلاني في (كتاب الفتن): والجماعة التي أمر الشارع بلزومها جماعة أئمة العلماء، لأن الله تعالى جعلهم حجة على خلقه، وإليهم تفزع العامة في أمر دينها، وهم المعنيون بقوله "إن الله تعالى لن يجمع أمتي على ضلالة"، وقال آخرون: "هم جماعة الصحابة الذين قاموا بالدين وقوموا عماده، وثبتوا أوتاده، وقال

آخرون: هم جماعة أهل الإسلام ما كانوا مجتمعين على أمر واجب على أهل الملة اتباعه، فإذا كان فيهم مخالف منهم فليسوا مجتمعين. اهـ.

وعلى كل تقدير لا يثبت منه دعوى الخصم وهو لزوم اتباع الجمهور، إنما الثابت منه على المعنى الأول لزوم اتباع الجماعة في الصلاة، وعلى الثاني لزوم ابتاع ما أجمع عليه أهل الإسلام، وعلى الثالث لزوم ابتاع جماعة الصحابة، وعلى الرابع لزوم اتباع أهل العلم أي المجتهدين، وعلى الخامس لزوم الجماعة الذين في طاعة من اجتمعوا على تأميره وهم أهل الحل والعقد من كل عصر، ويؤيد المعنى الخامس حديث عامر بن ربيعة المتقدم، وكفى به مؤيداً، وإن كان الحديث المذكور ضعيفاً فإن التأييد يحصل بالضعيف أيضاً.

قوله: وحديث عرفجة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "يد الله على الجماعة، والشيطان مع من يخالف الجماعة".

أقول: أخرج هذا الحديث النسائي ولفظه هكذا: عن عرفجة بن شريح الأشجعي قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر يخبط الناس فقال: "أنه سيكون بعد هنات وهنات، فمن رأيتموه فارق الجماعة، أو يريد تفريق أمة محمد كائناً من كان فقتلوه، فإن يد الله على الجماعة، فإن الشيطان مع من فارق الجماعة يركض، قلت: ورواته كلهم ثقات، وفي مجمع ا لزوائد وعن عرفجة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "يد الله على الجماعة، والشيطان مع من يخالف يركض". رواه الطبراني ورجاله ثقات. اهـ. ولكن المراد بالجماعة –في هذا الحديث- هم الذين في طاعة من اجتمعوا على تأميره لا غير، دل عليه ما رواه مسلم عن

عرفجة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم ويفرق جماعتكم فاقتلوه".

قوله: وحديث أسامة بن شريك رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "يد الله على الجماعة، فإذا شذ الشاذ منهم اختطفته الشياطين كما يختطف الذئب الشاة من الغنم.

أقول: راجعت كتاب (تلبيس إبليس): فوجدت فيه الشاذ بدل (الشاة). وفي مجمع الزوائد: وعن أسامة بن شريك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يد الله عز وجل على الجماعة، وإذا شذ الشاذ منكم اختطفه الشيطان كما يختطف الذئب الشاة من الغنم". رواه الطبراني، وفيه عبد الأعلى بن أبي المساوري وهو ضعيف. اهـ.

قال الذهبي في الميزان: عبد الأعلى بن أبي المساور الكوفي الجرار الفاخوري عن الشعبي لحقه جبارة بن المفس ضعفوه، قال يحيى وأبو داود: ليس بشيء، وقال ابن نمير والنسائي: متروك، وقال الدارقطني: ضعيف. اهـ.

فهذا الحديث غير صالح لأن يحتج به، على أن دلالته على المطلوب غير مسلمة، فإن لفظ الجماعة يحتمل الجماعة في الصلاة كما في حديث أبي الدرداء، وجماعة الصحابة وجماعة أهل الحل والعقد الذين هم في طاعة من اجتمعوا على تأميره.

وروى النسائي عن أسامة بن شريك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أيما رجل خرج يفرق بين أمتي فاضروا عنقه" فهذا الحديث يعين المراد بالجماعة في الحديث المذكور هم الذين اجتمعوا على تأمير الأمير، فأين الاستدلال على لزوم اتباع الجمهور؟

قوله: وحديث معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إن الشيطان ذئب الإنسان، كذئب الغنم يأخذ الشاة الشاذة القاصية والنائية، فإياكم والشعاب، وعليكم بالجماعة العامة والمسجد".

أقول: لم يذكر المصنف هناك حديث عبد الله قال: خط رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا بيده ثم قال: "هذا سبيل الله مستقيماً، ثم خط عن يمينه وشماله ثم قال: "هذه السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه" ثم قرأ ﴿أن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل﴾. وهو موجود في (تلبيس إبليس) مع أنه هو حديث جيد رواه أحمد والنسائي والدارمي والحاكم وصححه، وابن حميد والبزار وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن مردوية وأبو جعفر الرازي وورقاء وعمرو بن أبي قيس ويزيد بن هارون ومسدد وابن جرير، كذا في تفسير ابن كثير وفتح البيان وغيرهما.

قلت: ورجال بعضهم رجال الصحيحين كالدارمي وأحمد والنسائي، فلعل الباعث على حذفه أن هذا الحديث كان يقطع دابر المبتدعين، ويقوي أمر المتبعين.

وحديث معاذ بن جبل الذي ذكره صاحب الرسالة رواه أحمد والطبراني:

قال الهيثمي في مجمع الزوائد: وعن معاذ بن جبل أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن الشيطان ذئب الإنسان، كذئب الغنم يأخذ الشاة القاصية والنائية، وإياكم والشعاب، وعليكم بالجماعة والعامة والمسجد" رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد ثقات، إلا أن العلاء ابن زياد قيل أنه لم يسمع من معاذ بن جبل. اهـ.

قلت: قال في الخلاصة: العلاء بن زياد بن مطر البصري أرسل عن معاذ اهـ. قال الذهبي في الكاشف: العلاء بن زياد وأبو نصر العدوي، له مراسيل اهـ. فيكون الحديث ضعيفاً فلا يصلح لأن يحتج به، على أن لفظ "الجماعة" يحتمل جماعة الصلاة، وجماعة أهل الحل والعقد، وجماعة الصحابة، فلا دلالة لهذا الحديث على لزوم اتباع كل جمهور، فلا يتم التقريب.

قوله: وحديث أبي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "اثنان خير من واحد، وثلاثة خير من اثنين، وأربعة خير من ثلاثة، فعليكم بالجماعة فإن الله تعالى لن يجمع أمتي إلا على هدى".

أقول: رواه أحمد، وفي سنده البختري بن عبيد وهو ضعيف متروك، وقد تقدم الكلام عليه، فتذكر.

أحاديث أخرى في لزوم الجماعة للمصنف

قلت: قد بقي في الباب أحاديث أخر، فلا بأس هنا أن نذكرها ونتكلم عليها بالإنصاف.

منها: حديث أبي بصرة الغفاري صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "سألت ربي عز وجل أربعاً فأعطاني ثلاثة ومنعني واحدة، سألت الله أن لا يجمع أمتي على ضلالة فأعطانيها، وسألت الله أن لا يظهر عليهم عدواً من غيرهم فأعطانيها، وسألت الله أن لا يهلكهم بالسنين كما أهلك الأمم قبلهم فأعطانيها، وسألت الله عز وجل أن لا يلبسهم شيعاً ويذيق بعضهم بأس بعض فمنعنيها". رواه أحمد، كذا في تفسير ابن كثير، وفي سنده رجل لم يسم، كذا في مجمع الزوائد.

ومنها: حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "سألت ربي لأمتي أربع خصال، فأعطاني ثلاثاً ومنعني واحدة: سألته أن لا تكفر أمتي واحدة فأعطانيها، وسألته أن لا يعذبهم بما عذب به الأمم قبلهم فأعطانيها، وسألته أن لا يظهر عليهم عدواً من غيرهم فأعطانيها، وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها" رواه ابن مردوية، وروى ابن أبي حاتم نحوه، كذا في تفسير ابن كثير، وهذا حديث مفسر لما جاء في الأحاديث الأخر من لفظ الضلالة، فغاية ما يثبت من أحاديث الإجماع أن ما أجمع عليه الأمة لا يكون كفراً.

ومنها: حديث زيد بن ثابت قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "نضر الله امرءاً سمع مقالتي فبلغها، فرب حامل فقه غير فقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه" زاد فيه علي بن محمد "ثلاث لا يغل عليهن قلب امرئ مسلم: إخلاص العمل لله، والنصح للأئمة المسلمين ولزوم جماعتهم" رواه ابن ماجة وفي سنده ليث بن أبي سليم وهو ضعيف، ورواه الدارمي ولفظه: أخبرنا عصمة بن الفضل حدثنا حرمي بن عمارة عن شعبة عن عمرو بن سليمان عبن عبد الرحمن بن أبان بن عثمان عن أبيه قال: خرج زيد بن ثابت من عند مروان بن الحكم بنصف النهار، قال فقلت: ما خرج هذه الساعة من عند مروان إلا وقد سأله عن شيء فأتيته فسألته، قال: نعم، سألني عن حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "نضر الله امرءاً سمع منا حديثاً فحفظه فأداه إلى من هو أفقه منه، فرب حامل فقه ليس بفقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ولا يعتقد قلب مسلم على ثلاث خصال إلا دخل الجنة" قال قلت ما هي؟ قال: "إخلاص العمل والنصيحة لولاة الأمر، ولزوم الجماعة فإن دعوتهم تحيط من ورائهم، ومن كانت الآخرة نيته جعل الله غناه في

قلبه وجمع له شمله وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا نيته فرق الله عليه شمله وجعل فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا إلا ما قدر له" قال: وسألته عن صلاة الوسطى: قال: هي الظهر. قلت: ورواته كلهم ثقات.

ومنها: حديث جبير بن مطعم رواه الدارمي بسندين ولفظه هكذا: أخبرنا سليمان بن داود الزهراني أخبرنا إسماعيل بن أبي جعفر حدثنا عمرو بن أبي عمرو عن عبد الرحمن ابن الحويرث عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه أنه شهد خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم عرفة في حجة الوداع: "أيها الناس إني والله لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد يوم هذا بمكاني هذا، فرحم الله من سمع مقالتي اليوم فوعاها، فرب حامل فقه ولا فقه له، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، واعلموا أن أموالكم ودماءكم حرام عليكم كحرمة هذا اليوم في هذا الشهر في هذا البلد، واعلموا أن القلوب لا تغل على ثلاث: إخلاص العمل لله، ومناصحة أولي الأمر، وعلى لزوم الجماعة فإن دعوتهم تحيط من ورائهم".

أخبرنا أحمد بن خالد حدثنا محمد هو ابن إسحاق عن الزهري عن محمد بن جبير ابن مطعم عن أبيه قال: قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخيف من مني فقال: "نضر الله عبدا سمع مقالتي فوعاها ثم أداها إلى من لم يسمعها، فرب حامل فقه لا فقه له، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ثلاث لا يغل عليهن قلب المؤمن: إخلاص العمل لله، وطاعة ذوي الأمر، ولزوم الجماعة، فإن دعوتهم تكون من ورائهم. اهـ. ورجال السند الأول كلهم رجال الصحيحين، غير عبد الرحمن بن الخويرث فإني لم أجده في التقريب والخلاصة والميزان والكاشف، ورجال السند الثاني أيضاً كلهم ثقات، إلا أن

محمد ابن إسحاق مدلس وقد عنعنه: قال الهيثمي في مجمع الزوائد: وله طريق عن صالح بن كيسان عن الزهري ورجالها موثقون.

ومنها: حديث أبي الدرداء رواه الدارمي ولفظه هكذا: أخبرنا يحيى بن موسى حدثنا عمرو بن محمد القرشي أخبرنا إسرائيل عن عبد الرحمن بن زبيد اليامي عن أبي العجلان عن أبي الدرداء قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "نضر الله امرءاً سمع منا حديثاً بلغه كما سمعه، فرب مبلغ أوعى من سامع، ثلاث لا يغل عليهن قلب امرئ مسلم: إخلاص العمل لله، والنصيحة لكل مسلم، ولزوم جماعة المسلمين فإن دعائهم محيط من روائهم، انتهى.

قلت: رجال سنده كلهم ثقات غير عبد الرحمن بن زبيد بن الحارث اليامي الكوفي قال البخاري: منكر الحديث، وقيل: النكارة هي من يحيى بن عقبة الراوي عنه نقل عن البخاري أيضاً كذا في الميزان. قلت: الراوي عنه فيما نحن فيه هو إسرائيل فلا بأس بحديثه والله أعلم. وقال في مجمع الزوائد: رواه الطبراني في الكبير ومداره على عبد الرحمن بن زبيد وهو منكر الحديث قاله البخاري اه. قلت: وقد عرفت جواب هذا الجرح، فافهم.

ومنها: حديث أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في حجة الوداع: "نضر الله امرءاً سمع مقالتي فوعاها، فرب حامل فقه ليس بفقيه. ثلاث لا يغل عليهن قلب امرئ مؤمن: إخلاص العمل لله، والمناصحة لأئمة المسلمين، ولزوم جماعتهم فإن دعاءهم يحيط من ورائهم، رواه البزار ورجاله موثقون، إلا أن يكون شيخ سليمان بن سيف سعيد بن بزيع فإني لم أر أحد ذكره، وإن كان سعيد بن الربيع فهو من رجال الصحيح فإنه روى عنهما والله اعلم، كذا في مجمع الزوائد.

ومنها: حديث معاذ بن جبل قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "نضر الله عبدا سمع كلامي ثم لم يزد فهي، فرب حامل فقه إلى أوعى منه، ثلاث لا يغل عليهن قلب مؤمن: إخلاص العمل لله، والمناصحة لأولي الأمر، والاعتصام بجماعة المسلمين فإن دعوتهم تحيط من روائهم" رواه الطبراني في الكبير والأوسط، إلا أنه قال في الأوسط: "رب حامل كلمة بدل "فقه" وفيه عمرو بن واقد رمي بالكذب وهو منكر الحديث، كذا في مجمع الزوائد.

قال الذهبي في الميزان: عمرو بن واقد الدمشقي عن يونس بن ميسرة وغيره، وعنه يحيى الوحاظي وهشام بن عمار، قال أبو مسهر: ليس بشيء، قال البخاري منكر الحديث، وقال ابن عدي: يكتب حديثه مع ضعفه، وقال الدارقطني: متروك، وروى الفسوي عن دحيم قال: لم يكن شيوخنا يحدثون عنه، وقال: وكان لم يشك أنه كان يكذب، وكذبه مروان بن محمد قال: وهو هالك. اهـ. ملخصاً.

ومنها: حديث النعمان بن بشير أنه قال في خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد الخيف فقال: "نضر الله وجه عبد سمع مقالتي فحملها، فرب حامل فقه غير فقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه. ثلاث لا يغل عليهن قلب مؤمن: إخلاص العمل لله، ومناصحة ولاة الأمر، ولزوم جماعة المسلمين فإن دعوتهم تحيط من ورائهم" رواه الطبراني في الكبير، وفيه عيسى الخياط وهو متروك، كذا في مجمع الزوائد.

قال الذهبي في الميزان: عيسى بن أبي عيسى ميسرة المدني الحناط وهو الخياط والخباط عمل المعايش الثلاث، وروى عن انس والشعبي، وعنه وكيع وعبيد الله بن موسى وابن أبي فديك وجماعة، ضعفه أحمد وغيره، قال الفلاس والنسائي متروك، وقال ابن سعد

كان يقول: انا حناط وخياط وخباط كلا قد عالجت، وقال أحمد: لا يساوي شيئاً. اهـ. ملخصاً.

ومنها حديث النعمان بن بشير عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "رحم الله عبداً سمع مقالتي فحفظها، فرب حامل فقه غير فقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ثلاث لا يغل عليهن قلب مؤمن: إخلاص العمل لله، ومناصحة ولاة المسلمين، ولزوم جماعة المسلمين" رواه الطبراني في الكبير، وفيه محمد بن كبير الكوفي ضعفه البخاري وغيره، ومشاه ابن معين، كذا في مجمع الزوائد.

قال الذهبي في الميزان: قال أحمد: خرقنا حديثه، قال البخاري: كوفي منكر الحديث، وقال ابن المديني: كتبنا عنه عجائب وخططت على حديثه، ومشاه ابن معين، روى عباس عن يحيى قال: شيعي ولم يكن به بأس، قال ابن عدي: الضعف على حديثه بين اهـ. ملخصاً.

ومنها: حديث أبي قرصافة جندرة بن خيشنة[1] قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "نضر الله امرءاً سمع مقالتي فوعاها وحفظها، فرب حامل علم إلى من هو أعلم منه، ثلاث لا يغل عليهن القلب: إخلاص العمل، ومناصحة الولاة، ولزوم الجماعة". قال: وبلغني أن ابناً لأبي قرصافة أسرته الروم فكان أبو قرصافة يناديه من سور عسقلان في وقت كل صلاة: يا فلان الصلاة، فسمعه فيجيبه وبينهما عرض البحر. رواه الطبراني في الأوسط والصغير، وإسناده لم أر من ذكر أحداً منهم.

---

[1] في الأصل حيدرة –بمهملة وياء- ابن خثيمة، والصواب جندرة بجيم مفتوحة ابن خيشنة بمعجمة فياء مثناة تحتية معجمة فنون. وقرصافة بكسر القاف. وكتبه محمد رشيد رضا.

ومنها: حديث جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "نضر الله امرءاً سمع مقالتي فوعاها ثم بلغها، فرب مبلغ أوعى من سامع، ثلاث لا يغل عليهن قلب امرئ مسلم: إخلاص العمل لله، ومناصحة ولاة المسلمين، ولزوم جماعتهم فإن دعوتهم تحيط من وائهم" رواه الطبراني في الأوسط، وفيه محمد بن موسى البريري[1] قال الدارقطني: ليس بالقوي، كذا في مجمع الزوائد.

ومنها: حديث أنس بن مالك قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمسجد الخيف من منى فقال: "نضر الله امرءاً مقالتي فحفظها ثم ذهب بها إلى من لم يسمعها، فرب حامل فقه ليس بفقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ثلاث لا يغل عليهن قلب امرئ مؤمن: إخلاص العمل لله، والنصح لمن ولاه الله عليكم الأمر، ولزوم جماعة المسلمين، فإن دعوتهم تحيط من روائهم، رواه الطبراني في الأوسط، وفيه عبد الرحمن ابن زيد بن أسلم وهو ضعيف، كذا في مجمع الزوائد.

الأخبار والآثار في الحكم والقضاء بالشورى[2]

ومنها حديث ابن عباس قال: قلت يا رسول الله، أرأيت إن عرض لنا أمر لم ينزل فيه قرآن ولم تمض فيه سنة منك؟ قال، تجعلونه شورى بين العابدين من المؤمنين، ولا تقضونه برأي خاصة" فذكر الحديث بتمامه، رواه الطبراني في الكبير، وفيه عبد الله ابن كيسان قال البخاري: منكر الحديث، وكذا في مجمع الزوائد، قال الذهبي في الميزان: قال البخاري: منكر الحديث، وقال أبو حاتم: ضعيف، وقال النسائي:ليس بالقوي. اه.

---

[1] في حاشية نسخة الهند: وفي نسخة البربري.
[2] العنوان للمصحح.

ومنها حديث علي قال: قلت يا رسول الله، إن نزل بنا أمـر ليـس فيه أمر ولا نهي فما تأمرني؟ قـال تشـاوروا الفقهـاء والعابـدين، ولا تمضوا فيه رأي خاصة" رواه الطبراني في الأوسط، ورجاله موثقــون من أهل الصحيح، كذا في مجمع الزوائد.

ومنها حديث أبي سلمة الحمصي أن النبي صلى الله عليه وسـلم سئل عن الأمـر يحـدث ليـس فـي كتـاب ولا سـنة فقـال: "ينظـر فيـه العابدون من المـؤمنين" رواه الـدرامي، وهـذا حـديث رجـال سـندهم كلهم رجال الصحيحين، إلا أن فيه انقطاعاً.

وفي الباب آثار: منها أثر عبد الله بن مسعود: ما رآه المســلمون حسناً فهو عند اللـه حسـن، ومـا رآه المسـلمون سـيئاً فهـو عنـد اللـه سيئ، رواه أحمد والبزار والطبراني في الكبير ورجاله موثقــون، كـذا في مجمع الزوائد، وقد تقدم ذكره.

ومنها ما روي عن المسيب بـن رافـع قـال: كـانوا إذا نزلـت بهـم قضية التي ليـس فيهـا مـن رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم أثـر اجتمعوا لها وأجمعوا، فالحق فيما رأوا. رواه الـدارمي ورجـال سـنده كلهم رجال الصحيحين، إلا أن هشيماً كثير التدليس،وقـد تـابعه يزيـد، قال الدارمي أخبرنا عبد الله أخبرنا يزيد عن العوام بهذا.

ومنها ما روي عن ميمون بن مهـران قـال: كـان أبـو بكـر إذا ورد عليه الخصم نظر في كتاب الله، فإن وجد ما يقضي بينهـم قضـى بـه، وإن لم يكن في الكتاب وعلم من رسول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم في ذلك الأمر سنة قضى به، فإن أعياه خرج فسأل المسلمين وقــال: أتاني كذا وكذا فهل علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى في ذلك بقضاء؟ فربما اجتمع إليـه نفـر كلهـم يـذكر مـن رسـول اللـه صلى الله عليه وسلم فيه قضاء فيقول أبو بكر: الحمد لله الـذي جعـل

فينا من يحفظ على نبينا، فإن أعياه أن يجد فيه سنة من رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع رؤوس الناس وخيارهم فاستشارهم، فإذا اجتمع رأيهم على أمر قضى به، رواه الدارمي ورجال سنده كلهم موثقون.

ومنها أثر عبد الله بن مسعود قال: أتى علنيا زمان لسنا نقضي ولنسا هنالك، وإن الله قد قدر من الأمر أن قد بلغنا ما ترون، فمن عرض له قضاء بعد اليوم فليقض فيه بما في كتاب الله عز وجل، فإن جاءه ما لي في كتاب الله فليقض بما قضى به رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإن جاءه ما ليس في كتاب الله ولم يقض به رسول الله صلى الله عليه وسلم فليقض بما قضى به الصالحون، ولا يقل إني أخاف وإني أرى، فإن الحرام بين والحلال بين، وبين ذلك أمور مشتبهة، فدع ما يريبك إلى ما يريبك، رواه الدارمي، وفي سنده حريث بن ظهير قال الذهبي في الميزان: لا يعرف، وفيه سفيان وهو مدلس وقد عنعنه، وقد تابع حريثاً عب الرحمن بن يزيد، وتابع سفيان شعبة وأبو عوانة وجرير.

قال الدارمي في مسنده: أخبرنا يحيى بن حماد شعبة عن سليمان عن عمارة بن عمير عن حريث بن ظهير قال: أحسبه أن عبد الله قال: قد أتى علينا زمان وما نسأل وما نحن هناك، وإن الله قدر أن بلغت ما ترون، فإذا سئلتم عن شيء فانظروا في كتاب الله، فإن لم تجدوه في كتاب الله ففي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم إن لم تجدوه في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فما أجمع عليه المسلمون، فإن لم يكن فيما اجتمع عليه المسلمون فاجتهد رأيك ولا تقل إني أخاف وأخشى، فإن الحلال بين والحرم بين، وبين ذلك أمور مشتبهة، فدع ما يريبك إلا ما لا يريبك، حدثنا يحيى بن حماد

عن أبي عوانة عن سليمان عن عمارة ابن عمير عن عبد الرحمن بن يزيد بن عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله نحوه، أخبرنا عبد الله بن محمد حدثنا جرير عن الأعمش عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن عبد الله بنحوه. اهـ.

وقال النسائي في المجتبى: أخبرنا محمد بن العلاء قال حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن عمارة هو ابن عمير وعن عبد الرحمن بن يزيد قال: أكثروا على عبد الله ذات يوم فقال عبد الله: إنه قد أتى علينا زمان ولسنا نقضي ولسنا هنالك، ثم إن الله عز وجل قدر علينا أن بلغنا ما ترون، فمن عرض له منكم قضاء بعد اليوم فليقض بما في كتاب الله، فإن جاءه أمر ليس في كتاب الله فليقض بما قضى به نبيه صلى الله عليه وسلم، فإن جاءه أمر ليس في كتاب الله ولا قضى به نبيه صلى الله عليه وسلم فليقض بما قضى به الصالحون، فإن جاءه أمر ليس في كتاب الله ولا قضى به نبيه صلى الله عيه وسلم ولا قضى به الصالحون، فليجتهد رأيه، ولا يقول إني أخاف وإن أخاف، فإن الحلال بين والحرام بين، وبين ذلك أمور متشبهات، فدع ما يريبك إلى ما يريبك، قال عبد الرحمن[1]: هذا الحديث حديث جيد اهـ. ورواه النسائي من حديث حريث بن ظهير أيضاً.

ومنها ما روى عن شريح عن عمر بن الخطاب كتب إليه: إن جاءك شيء في كتاب الله فاقض به ولا يلتفتك عنه[2] الرجال، فإن جاءك ما ليس في كتاب الله فانظر سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقض بها، فإن جاءك ما ليس في كتاب الله ولم يكن فيه سنة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فانظر ما اجتمع عليه الناس فخذ به،

---

[1] كتب في حاشية طبعة الهند هنا: أي الدارمي، وهو غلط، بل هو الحافظ أحمد بن شعيب النسائي صاحب السنن.

[2] كذا في النسخة، ولعل صوابه يلفتك من الثلاثي فهو من المتعدي بنفسه، قال تعالى: [illegible].

فإن جاءك ما ليس في كتاب الله ولم يكن في سنة رسـول اللـه صـلى الله عليه وسلم ولم يتكلم فيه أحد قبلك فاختر أي الأمريـن شـئت، إن شئت أن تجتهد برأيك ثم تقدم فتقدم، وإن شئت أن تتأخر فتـأخر، ولا أرى التأخر إلا خيراً لك، رواه الدارمي ورواتـه كلهـم موثقـون. ورواه النسائي ولفظه هكذا: أخبرنا محمد بن بشار قال حدثنا أبو عامر قـال حدثنا أبو عامر قال حدثنا سفيان عن الشيباني عن الشعبي عن شريح أنه كتب إلى عمر يسأله، فكتب إليه: أن أقض بما في كتـب اللـه، فـإن لم يكن في كتاب الله فبسنة رسول الله، فإن لم يكن فـي كتـاب اللـه ولا في سنة رسول الله صلى الله عليـه وسـلم فـاقض بمـا قضـى بـه الصالحون، فإن لم يكن في كتاب الله ولا في سنة رسـول اللـه صـلى الله عليه وسلم ولم يقض به الصالحون فإن شـئت فتقـدم وإن شـئت فتأخر، ولا أرى التأخر إلا خيراً لك، والسلام عليكم. اهـ.

ولكن ليـس فـي شـيء مـن تيـك الأحـاديث الدالـة علـى مقصـود الخصم من لزوم اتباع كل جمهور، لاحتمال أن يكون المـراد مـا أجمـع عليه الأمة لا يكون كفراً، كمـا فـي حـدث أبـي هريـرة الـذي رواه ابـن مردوية، أو يكون المراد لزوم جماعة أهل الحل والعقد أو يكون المراد ما أجمع عليه الفقهاء الصالحون وهم فقهاء أهل السنة والجماعة.

قوله: ومما يعتقده هؤلاء المنكرون للزيارة والتوسل منـع طلـب الشفاعة من النبي صلى الله عليه وسلم.

أقول: لابد هناك أولاً من تحقيق لفظ الشفاعة، فاعلم أنـه قـال ابن الأثير في النهاية: قد تكرر ذكر الشفاعة في الحديث فيمـا يتعلـق بأمور الدنيا والآخرة، وهي السؤال في التجاوز عن الذنوب والجرائـم،

يقال: يشفع شفاعة فهو شافع وشفيع، والمشفع الذي يقبل الشفاعة[1] والمشفع الذي يقبل شفاعته. اهـ.

وفي مجمع البحار: والشفاعة تكررت في الحديث، وتتعلق بأمور الدنيا والآخرة، وهي السؤال في التجاوز عن ا لذنوب والجرائم، شفع فهو شافع وشفيع والمشفع من يقبلها والمشفع من يقبل شفاعته. اهـ.

وقال البيضاوي: والشفاعة من الشفع كأن المشفوع له كان فرداً فجعله الشفيع شفعاً بضم نفسه إليه. اهـ.

وقال في فتح البيان: والشفاعة مأخوذة من الشفع وهو الاثنان، تقول استشفعته أي سألته أن يشفع لي، أي بضم جاهه إلى جاهك عند المشفوع إليه ليصل النفع إلى المشفوع. اهـ.

وقال الحافظ في فتح الباري: الاستشفاع طلب الشفاعة، وهي انضمام الأدنى إلى الأعلى ليستعين به على ما يرومه. اهـ.

إذا دريت هذا فاعلم أن شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم للمؤمنين ثابتة في الدنيا والآخرة، أما الشفاعة في الدنيا فقد قال الله تعالى في سورة النساء: ﴿ولو أنهم إذا ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً﴾.

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره تحت هذه الآية: يرشد الله تعالى العصاة والمذنبين –إذا وقع منهم الخطأ والعصيان- أن يأتوا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فيستغفروا الله عنده، ويسألوه أن يستغفر لهم، فإنهم إذا فعلوا ذلك تاب الله عليهم ورحمهم وغفر لهم. انتهى.

---

[1] المشفع هذا بكسر الفاء المشددة، والذي بعده بفتحها.

قال ابن عبد الهادي في الصارم المنكي: وهذه كان عادة الصحابة معه صلى الله عليه وسلم أن أحدهم متى صدر منه ما يقتضي التوبة جاء إليه فقال: يا رسول الله فعلت كذا وكذا فاستغفر لي. اهـ.

ويدل عليه ما روي عن كعب بن مالك في حديث طويل فيه: فطفقوا يعتذرون إليه ويحلفون له، وكانوا بضعة وثمانين رجلاً، فقبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم، ووكل سرائرهم إلى الله تعالى. اهـ.

وقال تعالى في سورة آل عمران: ﴿فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر﴾ وقال تعالى في سورة محمد: ﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات﴾ وقال تعالى في سورة الممتحنة: ﴿يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله –إلى قوله تعالى- فبايعهن واستغفر لهن الله، إن الله غفور رحيم﴾ وقال تعالى في سورة التوبة: ﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزيكهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم والله واسع عليم﴾

قال الحافظ ابن كثير: ﴿وصل عليهم﴾ أي ادع لهم واستغفر لهم كما رواه مسلم في صحيحه عن عبد الله بن أبي أوفى قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أتى بصدقة قوم صلى عليهم، فأتاه أبي بصدقته فقال: "الله على آل أبي أوفى". اهـ.

وفي فتح البيان قال ابن عباس رضي الله عنهما: استغفر لهم من ذنوبهم التي كانوا أصابوها، إن صلاتك رحمة لهم اهـ. وكذا نقل السيوطي في الإكليل.

وقال تعالى فيها أيضاً: ﴿ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون﴾.

قال السيوطي في الإكليل: في تحريم الصلاة على الكافر والوقوف على قبره، وأن دفنه جائز، ومفهومه وجوب الصلاة على المسلم ودفنه ومشروعية الوقوف على قبره والدعاء له والاستغفار.

قال تعالى فيها: ﴿ما كان النبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم﴾. فإن مفهومه مشروعية الاستغفار للمؤمنين.

ومن هذا القبيل دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لأبي سلمة حين مات بقوله: "اللهم اغفر لأبي سلمة وارفع درجته في المهديين، واخلفه في عقبه الغابرين، واغفر لنا وله يا رب العالمين، وافتح له في قبره، ونور له فيه" رواه مسلم.

ومنه صلاته صلى الله عليه وسلم على الجنازة كما دعا على جنازة بقوله: اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه، واكرم نزله ووسع مدخله، واغسله بالماء والثلج والبرد، ونقه من الخطايا كما نقيت الثوب الأبيض من الدنس، وأبدله داراً خيراً من داره، وأهلاً خيراً من أهله، وزوجاً خيراً من زوجه، وأدخله في الجنة، وأعذه من عذاب القبر ومن عذاب النار" رواه مسلم. ولذا قال صلى الله عليه وسلم: "إن هذه القبور مملوءة ظلمة على أهلها، وإن الله ينورها لهم بصلاتي عليهم" متفق عليه. وقال صلى الله عليه وسلم: "ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلاً لا يشركون بالله شيئاً إلا شفعهم الله فيه". رواه مسلم. وأيضاً قال صلى الله عليه وسلم: "ما من ميت تصلي عليه أمة من المسلمين يبلغون مائة كلهم يشفعون له إلا شفعوا فيه" رواه مسلم.

ومن هذا القبيل قوله صلى الله عليه وسلم إذا صلى على الجنازة: "اللهم اغفر لحينا وميتنا، وشاهدنا وغائبنا، وصغيرنا وكبيرنا، وذكرنا وأنثانا، اللهم من أحييته منا فأحيه على الإسلام، ومن توفيته منا فتوفيه على الإيمان، اللهم لا تحرمنا أجره، ولا تفتنا بعده" رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه.

ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في صلاة الجنازة: "اللهم إن فلان ابن فلان في ذمتك، وحبل جوارك، فقه من فتنة القبر، وعذاب النار، وأنت أهل الوفاء والحق، اللهم اغفر له وارحمه إنك أنت الغفور الرحيم". رواه أبو داود وابن ماجه.

ومنه ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة على الجنازة: "اللهم أنت ربها، وأنت خلقتها، وأنت هديتها إلى الإسلام، وأنت قبضت روحها، وأنت أعلم بسرها وعلانيتها، جئنا شفعاء فاغفر له". رواه أبو داود.

ومنه ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه فقال: "استغفروا لأخيكم ثم سلوا له التثبيت فإنه الآن يسئل" رواه أبو داود.

ومنه الأدعية المروية عنه صلى الله عليه وسلم في زيارة القبور فإنها كلها من باب الشفاعة.

ومنه دعاؤه صلى الله عليه وسلم لبعض أصحابه كما دعا لأنس رضي الله عنه فقال: "اللهم أكثر ماله وولده وأطل حياته اغفر له" أخرجه البخاري في الأدب المفرد قاله الحفاظ في الفتح.

ومنه دعاؤه صلى الله عليه وسلم لعبيد أبي عامر بقوله: "اللهم اغفر لعبيد أبي عامر" ورأيت بياض إبطيه فقال: "اللهم اجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك من الناس". رواه البخاري.

ومنه دعاؤه صلى الله عليه وسلم للعباس وولده بقوله: "اللهم اغفر للعباس وولده مغفرة ظاهرة وباطنة لا تغادر ذنباً" رواه الترمذي.

ومنه ما روي عن جابر قال: استغفر لي رسول الله صلى الله عليه وسلم خمساً وعشرين مرة، رواه الترمذي. ومنه قال لغفار: "غفر الله لها" رواه البخاري.

ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: "الله لا عيش إلا عيش الآخرة، فاغفر للمهاجرين والأنصار" رواه البخاري.

ويدل على هذا القسم من الشفاعة قوله صلى الله عليه وسلم لأبي جرى بن سليم: "أنا رسول الله الذي أن أصابك ضر فدعوته كشفه عنك، وأن أصابك عام سنة فدعوته أنبتها لك، وإذا كنت بأرض قفر أو فلاة فضلت راحلتك فدعوته ردها عليك". وهذا القول في حديث طويل رواه أبو داود.

ومنه دعاؤه صلى الله عليه وسلم لبسر حين بلجام دابته وقال: ادع الله لنا، فقال: "اللهم بارك لهم فيما رزقتهم، واغفر لهم وارحمهم" رواه مسلم.

ومنه استسقاؤه صلى الله عليه وسلم لهم كما روى عن أنس بن مالك أنه قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله هلكت المواشي، وانقطعت السبل، فادع الله، فدعا الله فمطرنا من الجمعة إلى الجمعة، فجاء الرجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله تهدمت البيوت وانقطعت السبل وهلكت المواشي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اللهم على ظهور الجبال والآكام وبطون الأودية ومنابت الشجر" فانجبات عن المدينة انجياب الثوب. رواه البخاري.

وعن ابن مسعود قال: إن قريشاً أبطأوا عن الإسلام، فدعا عليهم النبي صلى الله عليه وسلم فأخذتهم سنة حتى هلكوا فيها، وأكلوا الميتة والعظام، فجاءه أبو سفيان فقال: يا محمد جئت تأمر بصلة الرحم، وإن قومك هلكوا فادع الله تعالى، فقرأ: ﴿فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين﴾ الآية رواه البخاري في أبواب الاستسقاء.

قال الحافظ في الفتح: ولم يقع في هذا السياق التصريح بأنه دعا لهم، وسيأتي هذا الحديث في تفسير سورة (ص) بلفظ "فكشف عنهم ثم عادوا" وفي سورة الدخان من وجه آخر بلفظ "فاستسقى لهم فسقوا" ونحوه في رواية أسباط المعلقة. اهـ.

وهذا الضرب من الشفاعة حاصل الأنبياء الآخرين أيضاً، يدل عليه الآيات التي نتلوها عليك.

قال الله تعالى في سورة يوسف: ﴿قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خطئين قال سوف استغفر لكم ربي إنه هو الغفور الرحيم﴾. وقال تعالى في سورة إبراهيم: ﴿ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب﴾ وللملائكة[1] أيضاً قال الله تعالى في سورة المؤمنون ﴿الذين يحملون العرض ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم، ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم إنك أن العزيز الحكم، وقهم السيئات ومن تق السيئات فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم﴾، وقوله تعالى في سورة الشورى: ﴿تكاد السموات يتفطرن من فوقهن والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض إلا إن الله هو الغفور الرحيم﴾، بل عامة

---

[1] معطوف على قوله: حاصل للأنبياء.

المؤمنين مأذونون في هذه الشفاعة قال تعالى: ﴿والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك أنت رؤوف رحيم﴾.

وعن عبادة بن الصامت قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "من استغفر للمؤمنين والمؤمنات كتب الله له بكل مؤمن ومؤمنة حسنة" رواه الطبراني وإسناده جيد، كذا في مجمع الزوائد، وفي الباب عن أبي هريرة وأم سلمة وأبي الدرداء، ولكن في رواياتهم ضعف. وهي تكفي للتأييد.

وهذا النوع من الشفاعة يجوز طلبه منه صلى الله عليه وسلم بلا مرية، بأن يأتي أحد منهم النبي صلى الله عليه وسلم في حياته ويستشفع به، لا أن يدعوه غائباً عنه، دل عليه قوله تعالى: ﴿ولو أنهم إذا ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول﴾ الآية، وقوله تعالى: ﴿قالوا أبانا استغفر لنا ذنوبنا﴾، وقوله تعالى: ﴿وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رءوسهم﴾، وقول الصحابة رضي الله عنهم وغيرهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ادع الله لنا،وقوله صلى الله عليه وسلم لعمر: "إن خير التابعين رجل يقال له أويس، وله والدة وكان به بياض، فمره فليستغفر لكم" رواه مسلم.

فإذا جاز طلب هذا الضرب من الشفاعة من غير النبي صلى الله عليه وسلم من أهل الخير والصلاح فالنبي صلى الله عليه وسلم أولى به.

القسم الثاني شفاعته صلى الله عليه وسلم في عالم البرزخ

وفي الباب حديث عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن لله ملائكة سياحين يبلغوني عن أمتي السلام" قال:

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "حياتي خير لكم، تحدثون ويحدث لكم، ووفاتي خير لكم، تعرض علي أعمالكم، فما رأيت من خير حمد الله عليه، وما رأيت من شر استغفرت الله لكم" رواه البزار ورجاله رجال الصحيح، كذا في مجمع الزوائد.

وقال القسطلاني في شرحه على صحيح البخاري: وفي حديث ابن مسعود عند البزار بإسناد جيد رفعه: "حياتي خير لكم، ووفاتي خير لكم، تعرض علي أعمالكم، فما رأيت من خير حمدت الله عليه، وما رأيت من شر استغفرت الله لكم" اهـ. ولا يخفى عليك أن كون رجال الحديث رجال الصحيح أو كون سنده جيداً لا يقتضي صحة الحديث وجودته لجواز أن يكون فيه انقطاع أو شذوذ أو علة أخرى.

قال التقي السبكي في (شفاء الأسقام): وقال بكر بن عبدالله المزني قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "حياتي خير لكم تحدثون ويحدث لكم، فإذا أنا مت كانت وفاتي خير لكم تعرض علي أعمالكم، فإن رأيت خيراً حمدت الله، وإن رأيت غير ذلك استغفرت الله لكم"، قال ابن عبد الهادي في (الصارم): هذا خبر مرسل رواه القاضي إسماعيل بن إسحاق في كتاب (فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم) وقد نقلنا عبارته فيما تقدم، ولو سلم ثبوت ذلك الحديث فليس فيه دلالة على جواز طلب الشفاعة منه صلى الله عليه وسلم.

وبالجملة فطلب هذه الشفاعة عند القبر أو بعيداً منه بدعة، لا يدل عليها دليل شرعي من الكتاب العزيز، والسنة المطهرة.

وأما ما روي أن الناس أصابهم قحط في خلافة عمر رضي الله عنه فجاء بلال بن الحارث رضي الله عنه الحديث، وكذا ما روي أن رجلاً كان يختلف إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه في زمن خلافته

في حاجة فكان لا يلتفت إليه ولا ينظر إليه في حاجته، فشكا ذلك لعثمان بن حنيف راوي الحديث،وكذا ما روي عن العتبي أنه قال: كنت جالساً عند قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء أعرابي فقال: السلام عليكم يا رسول الله، سمعت الله يقول. الحديث، فقد عرفت جوابه فيما تقدم فتذكر.

القسم الثالث شفاعته صلى الله عليه وسلم يوم القيامة

وهي ثابتة بالكتاب والسنة، وطلبها من النبي صلى الله عليه وسلم في حياته صلى الله عليه وسلم ثابت بما روي عن أنس قال سالت النبي صلى الله عليه وسلم أن يشفع لي يوم القيامة فقال: "أنا فاعل" قلت: يا رسول الله فأين أطلبك؟ قال: "اطلبني أول ما تطلبني على الصراط" قلت: فإن لم ألقك على الصراط؟ قال: "فاطلبني عند الميزان" قلت: فإن لم ألقك عند الميزان؟ قال: "فاطلبني على الحوض فإني لا أخطئ هذه الثلاث مواطن" رواه الترمذي وقال: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

قلت: ورجاله رجال الصحيح، وكلهم ثقات، غير حرب بن ميمون أبي الخطاب فقد اختلف فيه، قال الذهبي في الميزان: بصري صدوق يخطئ[1]، قال أبو زرعة: لين. وقال يحيى بن معين: صالح، وقد وثقه علي بن الميديني وغيره، وأما البخاري فذكره في الضعفاء، وما ذكر الذي بعده صاحب الأغمية[2]، وقد خلط البخاري فذكره صاحب الأغمية بابي الخطاب وجعلهما واحداً، والصواب أنهما اثنان، قال عبد الغني ابن سعيد: هذا مما وهم فيه البخاري، نبهني عليه الدارقطني. اهـ. ملخصاً، قال المؤلف وهو من رواة مسلم.

---

[1] وقال الحافظ في التقريب: صدوق رمي بالقدر. اهـ. فهو في المرتبة الخامسة بين الثقات والضعفاء.

[2] صاحب الأغمية هو حرب الأصفر، وكنيته أبو عبد الرحمن،وهو متروك على عبادته، والأغيمة بالفتح السقوف كما في التقريب. وكتبه محمد رشيد رضا.

وعن معاذ بن جبل وأبي موسى قالا: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل منزلاً كان الذي يليه المهاجرون، قال فنزلنا فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن، قال فتعاررت بالليل أنا ومعاذ فنظرنا فلم نره، قال فخرجنا نطلبه فسمعنا هريراً كهرير الأرحاء إذا أقبل، فلما أقبل نظر فقال: "ما شأنكم؟" فقالوا: تنبهنا فلم نرك حيث كنت، خشينا أن يكون أصابك شيء فجئنا نطلبك، قال: "أتاني آت في منامي فخيرني بين أن يدخل نصف أمتي الجنة أو شفاعة، فاخترت لهم الشفاعة" فقلنا: إنا نسألك بحق الإسلام وبحق الصحبة لما أدخلتنا في شفاعتك، فدعا لهم، قال فاجتمع عليه الناس وقالوا مثل مقالتنا وكثر الناس فقال: "إني جاعل شفاعتي لمن مات لا يشرك بالله شيئاً" رواه أحمد والطبراني بنحوه، وفي رواية عند أحمد: فقالا ادع الله يا رسول الله أن يجعلنا في شفاعتك، فقال: "أنتم ومن مات لا يشرك بالله شيئاً في شفاعتي" ورجالهما رجال الصحيح، غير عاصم بن أبي النجود قد وثق وفيه ضعف، ورواه البزار باختصار، ولكن أبا المليح وأبا بردة لم يدركا معاذ بن جبل، كذا في مجمع الزوائد. وفي الباب عن أبي موسى رواه أحمد والطبراني وأحد أسانيد الطبراني رجاله ثقات.

وعن مصعب الأسلمي قال: انطلق غلام منا فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أني أسألك سؤالاً، قال: "ما هو؟" قال أسألك أن تجعلني ممن تشفع له يوم القيامة، قال: "من أمرك بهذا، ومن علمك هذا، ومن ذلك على هذا؟" قال ما أمرني به أحد إلا نفسي. قال: "فإنك ممن أشفع له يوم القيامة". رواه الطبراني ورجاله رحال الصحيح" وعن عوف بن مالك الأشجعي رواه الطبراني بأسانيد ورجال بعضها ثقات، وعن أبي بن كعب صاحب الحرير رواه الطبراني

في الأوسط، وفيه علي بن قرة بن حبيب ولـم أعرفـه، وبقيـة رجـاله ثقات، وهذا كله في مجمع الزوائد.

وكذا طلب هذه الشفاعة من النبي صـلى اللـه عليـه وسـلم يـوم القيامة أيضاً ثابت بأحاديث صحيحة مروية في الصحاح وغيرها:

ومنها حديث أنس أن النبي صلى الله عليه وسـلم قـال: "يحبـس المؤمنون يوم القيامة حتى يهموا بذلك فيقولون: لو استشـفعنا ربنـا فيريحنا من مكاننا. فيأتون آدم فيقولون: أنت آدم أبو النـاس، خلقـك الله بيده، وأسكنك الجنة، وأسجد لك ملائكته، وعلمك أسماء كل شيء، اشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا" وهذا حديث طويل فيه: فيأتوني فأستأذن علـى ربـي فـي داره فيـؤذن لـي عليـه، فـإذا رأيتـه وقعت ساجداً، فيدعني ما شاء الله أن يـدعني، فيقـول: ارفـع محمـد، وقل تسمع، واشفع تشفع، وسل تعطه" الحديث متفق عليه.

وأما طلبها من النبي صلى الله عليه وسلم بعد الوفاة قبـل يـوم القيامة عند القبر أو بعيداً من القبر فبدعة، وأي ملجئ لنا إلى إحـداث هذه البدعة؟

وقد ورد في الأحاديث الصحيحة من الأذكـار والأعمـال مـا يكـون سببا لاستحقاق الشفاعة ووجوبها ونزولها، كما في حـديث جـابر بـن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليـه وسـلم قـال: "مـن قـال حيـن يسمع النداء" اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسـيلة والفضـيلة، وابعثـه مقامـاً محمـوداً الـذي وعـدته، حلـت لـه شفاعتي يوم القيامة" أخرجه البخاري وأهل السنن.

وقد ورد في حديث أبي الدرداء في الباب طلب الشفاعة من الله تعالى لا من الرسول صلى الله عليه وسـلم ولفظـه هكـذا قـال: كـان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سمع النداء قال: "اللهم رب هذه

الدعوة التامة والصلاة القائمة، صلي على عبدك ورسولكن واجعلنا في شفاعته يوم القيام، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من قال هذا عند النداء جعله الله في شفاعتي يوم القيام" رواه الطبراني في الأوسط، وفيه صدقة بن عبد الله السمين ضعفه أحمد والبخاري ومسلم وغيرهم، ووثقه دحيم وأبو حاتم وأحمد بن صالح المصري، كذا في مجمع الزوائد.

وكذا ورد في حديث ابن عباس أيضاً طلب الشفاعة من الله تعالى ولفظه هكذا: وعن ابن عباس أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: "من سمع النداء فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، اللهم صلي على محمد وبلغه درجة الوسيلة عندك، واجعلنا في شفاعته يوم القيامة، وجبت له الشفاعة". رواه الطبراني في الكبير، وفيه إسحاق بن عبد الله بن كيسان لينه الحاكم وضعفه ابن حبان، وبقية رجاله ثقات، كذا في مجمع الزوائد، وهاتان السنتان وأن كانتا ضعيفتين فالتمسك بهما خير من إحداث بدعة.

وجملة القول أن طلب الشفاعة منه صلى الله عليه وسلم في حياته صلى الله عليه وسلم ثابت بلا شك، وكذلك طلب الشفاعة منه صلى الله عليه وسلم يوم القيامة، وهذا لا ينكره أحد، وأما ما يمنعه المانعون فهو طلب الشفاعة منه صلى الله عليه وسلم بعد الوفاة قبل يوم القيامة، وهو غير ثابت، فعزو منع مطلق طلب الشفاعة إلى المانعين كما فعله صاحب الرسالة لا يخلو عن تلبيس وتدليس.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في (اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم): فحينئذ فيقال أما التوسل والتوجه إلى الله وسؤاله بالأعمال الصالحة التي أمر بها كدعاء الثلاثة الذين أووا إلى

الغار بأعمالهم الصالحة وبدعاء الأنبياء والصالحين وشفاعتهم، فهذا مما لا نزاع فيه، بل هو من الوسيلة التي أمر الله بها في قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة﴾. وقوله: ﴿أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه﴾. فإن ابتغاء الوسيلة إليه هو طلب ما يتوسل به، أي يتوسل ويتقرب به إليه سبحانه وتعالى، كان على وجه العبادة والطاعة وامتثال الأمر، أو كان على وجه السؤال له والاستعاذة به رغبة إليه في جلب المنافع ودفع المضار. اهـ.

وقال فيه: والمقصود هنا أن دعاء الله تعالى قد يكون دعاء عبادة لله يثاب العبد عليه في الآخرة مع ما يحصل له في الدنيا، وقد يكون دعاء مسألة يقضي به حاجته، ثم قد يثاب عليه إذا كن مما يحبه الله، وقد لا يحصل له إلا تلك الحاجة، وقد يكون سبباً لضرر دينه فيعاقب على ما ضيعه من حقوق الله وتعداه من حدوده، فالوسيلة التي أمر الله بابتغائها تعم الوسيلة في عبادته وفي مسألته، فالتوسل إليه بالأعمال الصالحة التي أمر بها وبدعاء الأنبياء والصالحين وشفاعتهم ليس هو من باب الإقسام عليه بمخلوقاته.

ومن هذا الباب استشفاع الناس بالنبي صلى الله عليه وسلم يوم القيامة فإنهم يطلبون منه أن يشفع لهم إلى الله، كما كانوا في الدنيا يطلبون منه أن يدعو لهم في الاستسقاء وغيره، وقول عمر رضي الله عنه: إنا كنا إذا أجدبنا توسلنا إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا، معناه نتوسل إليك بدعائه وشفاعته وسؤاله، ونحن نتوسل إليك بدعاء عمه وسؤاله وشفاعته، ليس المراد به أنا نقسم عليك به أو ما يجري هذا المجرى مما يفعل بعد موته وفي مغيبة كما يقول بعض الناس: أسألك بجاه فلان عندك، ويقولون: إنا

نتوسل إلى الله بأنبيائه وأوليائه، ويروون حديثاً موضوعاً: إذا سألتم الله فاسئلوه بجاهي فإن جاهي عند الله عريض. فإنه لو كان هذا هو التوسل الذي كان الصحابة يفعلونه كما ذكر عمر رضي الله عنه لفعلوا ذلك بعد موته ولم يعدلوا عنه إلى العباس مع علمهم بأن السؤال به والإقسام به أعظم من العباس، فعلم أن ذلك التوسل الذي ذكروه هو مما يفعل بالأحياء دون الأموات وهو التوسل بدعائهم وشفاعتهم، فإن الحي يطلب منه ذلك والميت لا يطلب منه شيء لا دعاؤه ولا غيره، وكذلك حديث الأعمى فإنه طلب من النبي صلى الله عليه وسلم أن يدعو له ليرد الله عليه بصره فعلمه النبي صلى الله عليه وسلم دعاء أمره فيه أن يسأل الله قبول شفاعة نبيه فيه، فهذا يدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم شفع فيه، وأمره أن يسأل الله قبول شفاعته، وأن قوله: أسألك التوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة أي بدعائه وشفاعته كما قال عمر: كنا نتوسل إليك بنبينا، فلفظ التوجه والتوسل في الحديثين بمعنى واحد، ثم قال: يا محمد يا رسول الله، إني أتوجه بك إلى ربي في حاجتي فيقضيها، اللهم فشفعه في، فطلب من الله أن يشفع فيه نبيه. اهـ.

وقال فيه: وأما قول الناس: أسألك بالله وبالرحم وقراءة من قرأ: ﴿تسألون به والأرحام﴾ فهو من باب التسبب بها، فإن الرحم توجب الصلة وتقضي أن يصل الإنسان قرابته، فسؤال السائل بالرحم ولغيره يتوصل إليه بما يوجب صلة من القرابة التي بينهما ليس هو من باب الإقسام، ولا من باب التوسل بما لا يقتضي المطلوب، بل هو توسل بما يقتضي المطلوب كالمتوسل بدعاء الأنبياء وبطاعتهم والصلاة عليهم. اهـ.

وقال فيه: فالتوسل بالأنبياء والصالحين يكون بأمرين: إما طاعتهم واتباعهم، وإما دعاؤهم وشفاعتهم، فمجرد دعائهم من غير طاعة منه لهم ولا شفاعة منهم له فلا ينفع وأن عظم جاه أحدهم عند الله تعالى، وقد بسطت هذه المسائل في غير هذا الموضع، والمقصود هنا إذا كان السف والأئمة في سؤاله بالمخلوق ما قد ذكر فكيف بسؤال المخلوق بالميت، سواء سئل أن يسأل قضاء الحاجة ونحو ذلك مما يفعله بعض الناس إما عند قبر الميت وإما في غيبته. اهـ.

وقال فيه: وهذا الموضع افترق الناس فيه ثلاث فرق طرفان ووسط: فالمشركون ومن وافقهم من مبتدعة أهل الكتاب كالنصارى ومبتدعة هذه الأمة أثبتوا الشفاعة التي نفاها القرآن، والخوارج والمعتزلة أنكروا شفاعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في أهل الكبائر من أمته، بل أنكر طائفة من أهل البدع انتفاع الإنسان بشفاعة غيره ودعائه، كما أنكروا انتفاعه بصدقة غيره وصيامه عنه، وأنكروا الشافعة بقوله: ﴿ومن قبل أن يأتي لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة﴾ وقوله: ﴿ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع﴾. وغير ذلك، وأما سلف الأمة وأئمتها ومن اتبعهم من أهل السنة والجماعة فاثبتوا ما جاءت به السنة عن النبي صلى الله عليه وسلم من شفاعته لأهل الكبائر من أمته غير ذلك من أنواع شفاعته وشفاعة غيره من الأنبياء لأهل الكبائر من أمته وغير ذلك من أنواع شفاعته وشفاعة غيره من الأنبياء والملائكة، وقالوا إنه لا يخلد في النار من أهل التوحيد أحد، وأقروا بما جاءت به السنة من انتفاع الإنسان بدعاء غيره وشفاعته

والصدقة عنه بل والصوم عنه في أصح قولي العلماء كما ثبتت به السنة الصحيحة الصريحة[1] وما كان في معنى الصوم.

وقالوا إن الشفيع يطلب من الله ويسأله، ولا تنفع الشفاعة عنده إلا بإذنه، قال تعالى: ﴿من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه – ولا يشفعون إلا لمن ارتضى - وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى﴾.

وقد ثبت في الصحيح أن سيد الشفعاء صلى الله عليه وسلم إذا طلبت منه الشفاعة بعد أن تطلب الشفاعة من آدم وأولي العزم –نوح وإبراهيم وموسى وعيسى- فيردونها إلى محمد صلى الله عليه وسلم العبد الذي غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر قال: "فأذهب إلى ربي، فإذا خررت ساجداً فأحمد ربي بمحامد يفتحها علي لا أحسنها الآن، فيقول: أي محمد، ارفع رأسك، وقل يسمع، وسل تعطه، واشفع تشفع، فأقول: رب أمتي أمتي فيحد لي حداً فأدخلهم الجنة" وقال تعالى: ﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذوراً﴾. قال طائفة من السلف: كان أقوام يدعون العزير، والمسيح، والملائكة، فأنزل الله هذه الآية، وقد أخبر فيها أن هؤلاء يتقربون إلى الله، ويرجون رحمته ويخافون عذابه.

وقد ثبت في الصحيح أن أبا هريرة قال: يا رسول الله أي الناس أسعد بشفاعتك يوم القيامة؟ قال: "يا أبا هريرة، لقد ظننت أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك، لما رأيت من حرصك على

---

[1] هذا ليس بعام، فإن الثابت في السنة من صوم الولد أو حجه عن أمه أو أبيه لا يتعارض مع قوله تعالى: [illegible] "[illegible]" [illegible].

الحديث: أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله يبتغي بها وجه الله" فكلما كان الرجل أتم إخلاصاً لله، كان أحق بالشفاعة، وأما من علق قلبه بأحد من المخلوقين يرجوه ويخافه فهذا من أبعد الناس عن الشفاعة، فشفاعة المخلوق عند المخلوق بإعانة الشافع للمشفوع له بغير إذن المشفوع عنده، بل يشفع إما لحاجة المشفوع عنده إليه وإما لخوفه منه فيحتاج أن يقبل شفاعته، والله تعالى غني عن العالمين، وهو وحده يدبر العالمين كلهم فما من شفيع إلا من بعد إذنه، فهو الذي يأذن للشفيع في الشفاعة، وهو يقبل شفاعته، كما يلهم الداعي الدعاء ثم يجيب دعاءه، فالأمر كله له، فإذا كان العبد يرجو شفعاء من المخلوقين فقد لا يختار ذلك الشفيع، أن يشفع له، وإن اختار فقد لا يأذن الله له في الشفاعة ولا يقبل شفاعته. اهـ.

قال ابن عبد الهادي في (الصارم): وكذلك الشرك بأهل القبور لم يطمع الشيطان أن يوقعهم فيه، فلم يكن على عهدهم في الإسلام قبر نبي يسافر إليه ولا يقصد الدعاء عنده أو تطلب بركته أو شفاعته أو غير ذلك، بل أفضل الخلق محمد خاتم الرسل صلوات الله وسلامه عليه وقبره عندهم محجوب لا يقصده أحد منهم بشيء من ذلك، وكذلك كان التابعون بإحسان ومن بعدهم من أئمة المسلمين، وإنما تكلم العلماء والسلف في الدعاء للرسول صلى الله عليه وسلم عند قبره: منهم من نهى عن الوقوف للدعاء له دون السلام عليه، ومنهم من رخص في هذا وهذا، ومنهم من نهى عن هذا وهذا، وأما دعاؤه وهو طلب استغفاره وشفاعته بعد موته فهذا لم ينقل عن أحد من أئمة المسلمين لا من الأئمة الأربعة ولا غيرهم. اهـ.

وقال فيه أيضاً: ولم يذكر أحد منهم – أي المالكية – أنه استحب أن يسأل بعد الموت لا استغفاراً ولا غيره، وكلامه المنصوص عنه وعن أمثاله ينافي هذا. اهـ.

وقال فيه أيضاً: وقد أجدب الناس على عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه فاستقى بالعباس، ففي صحيح البخاري عن أنس رضي الله عنه أن عمر استسقى بالعباس رضي الله عنه وقال: اللهم إنا كنا إذا أجدبنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا فيسقون، فاستسقوا به كما كانوا يستسقون بالنبي صلى الله عليه وسلم في حياته، وهم إنما كانوا يتوسلون بدعائه وشفاعته لهم فيدعو لهم ويدعون معه كالإمام والمأمومين من غير أن يكونوا يقسمون على الله بمخلوق، كما ليس لهم أن يقسم بعضهم على بعض بمخلوق، ولما مات صلى الله عليه وسلم توسلوا بدعاء العباس واستسقوا به، ولهذا قال الفقهاء: يستحب الاستسقاء بأهل الخير والدين، والأفضل أن يكونوا من أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم.

وقد استسقى معاوية بيزيد بن الأسود الجُرشي، وقال: اللهم نستسق بيزيد بن الأسود، يا يزيد ارفع يديك، فرع يديه ودعا الناس حتى أمطروا اهـ. ولم يذهب أحد من الصحابة إلى قبر نبي ولا غيره يستسقي عنده ولا به اهـ.

وقال فيه أيضاً: واعلم أن قول الشار ماحي: إن قصد الانتفاع بالميت بدعة، صحيح، وهو سر الفرق بين الزيارة المشروعة وغيرها، فإن الزيارة التي شرعها الله ورسوله مقصودها نفع الميت والإحسان إليه، وأن يفعل عند قبره من جنس ما يفعل على نعشه من الدعاء والاستغفار والترحم عليه، فإن عمله قد انقطع وصار محتاجاً إلى ما يصل إليه من نفع الأحياء له، ولهذا يقال عند زيارته ما علمه

النبي صلى الله عليه وسلم لأمته أن يقولوا إذا زاروا القبور ولـو كـان أهلها سادات أولياء الله وخيار عباده "السلام عليكـم أهـل الـديار مـن المـؤمنين والمسـلمين، وإنـا إن شـاء اللـه بكـم لاحقـون، يرحـم اللـه المستقدمين منا ومنكم والمستأجرين، نسأل الله لنـا ولكـم العافيـة" اللهم لا تحرمنا أجرهم، ولا تفتنا بعدهم، واغفر لنـا ولهـم، فهـذا مـن جنس الدعاء له عند الصلاة عليه، وهذا غيـر الـدعاء بـه والـدعاء عنـده، فالمراتب ثلاثة. فالذي شرعه عز وجل ورسـوله للأمـة الـدعاء للميـت عند الصلاة عليه، وعند زيارة قبره دون الدعاء به والدعاء عنده، وهــذه سنته بحمد الله، إليها التحاكم والتخاصم، ولا التفات إلى تحكيم غيرها البتة كائناً ما كان.

وأما انتفاع الزائر فليس بالميت بل بعمله، وهو زيارته ودعاؤه له والترحم عليه والإحسان إليه كما ينتفع المحسن بإحسانه، يوضـحه أن الميت قد انقطع عمله الذي ينفع به نفسه، ولم يبـق عليـه منـه إلا مـا تسبب في حياته في شيء يبقى نفعه كالصدقة وتعليـم العلـم ودعـاء الولد الصالح، فكيف يبقى عمله للحي وهو عمل لم يعملـه لـه ؟ وهـل هذا إلا باطل شرعاً؟

ومن جعل زيارة الميت من جنس زيارة الفقير الغنـي لينـال مـن بره وإحسانه فقد أتـى بمـا هـو مـن أعظـم الباطـل المتضـمن لقلـب الحقيقة والشريعة، ولـو كـان ذلـك مقصـوداً لزيـارة لشـرع مـن دعـاء الميت والتضرع إليه، وسـؤاله مـا يناسـب هـذا المطلـوب، ولكـن هـذا يناقض ما دعا إليه الرسول صلى الله عليه وسلم من التوحيد وتجريده مناقضة ظاهرة، ولا ينبغي الاقتصار على ذلك بأنه بدعة، بل فتح لبـاب الشرك وتوسل إليه بأقرب وسيلة، وهل اصل عبادة الأصـنام إلا ذلـك، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿ وقالوا لا تذرن

آلهتكم ولا تذرن وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً ﴾. قال: هؤلاء كانوا قوماً صالحين في قومهم، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم، ثم صوروا تماثيلهم، فلما طال عليم الأمد عبدوهم، فهؤلاء لما قصدوا الانتفاع بالموتى قادهم ذلك إلى عبادة الأصنام. اه

وقال أيضاً فيه: وكذلك لم يكن أحد من الصحابة يأتيه فيسأله عند القبر عن بعض ما تنازعوا فيه وأشكل عليهم من العلم، لا خلفاؤه الأربعة ولا غيرهم، مع انهم أخص الناس به، حتى ابنته فاطمة رضي الله عنها، لم يطمع الشيطان فيهم فيقول لهم اطلبوا منه أن يدعو لكم بالمطر لما أجدبوا، ولا قال اطلبوا منه أن يستنصر لكم ولا أن يستغفر كما كانوا في حياته يطلبون منه أن يستسقي لهم، وأن يستغفر لهم، فلم يطمع الشيطان منهم بعد موته أن يطلبوا منه، ولا طمع بذلك في القرون الثلاثة، وإنما ظهرت هذه الضلالات ممن قل علمه بالتوحيد والسنة، فأضله الشيطان كما أضل النصارى في أمور لقلة علمهم بما جاء به المسيح ومن قبله من الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه. اه.

وقال فيه أيضاً: وهو لم يأمرهم صلى الله عليه وسلم إذا كان لأحد حاجة أن يذهب إلى قبر نبي أو صالح فيصلي عنده ويدعوه أو يدعو بلا صلاة أو يسأله حوائجه أو يسأله أن يسأل ربه، فقد علم الصحابة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يأمرهم بشيء من ذلك، ولا أمرهم أن يخصوا قبره أو حجرته لا بصلاة ولا دعاء لا له ولا لأنفسهم، بل قد نهاهم أن يتخذوا بيته عيداً. فلم يقل كما يقول بعض الشيوخ الجهال لأصحابه: إذا كان لكم حاجة فتعالوا إلى قبري، بل نهاهم عما هو أبلغ من ذلك أن يتخذوا قبره أو قبر غيره مسجداً يصلون فيه لله، ليسد ذريعة الشرك. اه.

وأيضاً قال فيه: وهذه كانت عادة الصحابة معه صلى الله عليه وسلم أن أحدهم متى صدر منه ما يقتضي التوبة جاء إليه فقال: يا رسول الله فعلت كذا وكذا فاستغفر لي، وكان هذا فرقاً بينهم وبين المنافقين، فلما استأثر الله عز وجل بنبيه صلى الله عليه وسلم ونقله من بين أظهرهم إلى دار كرامته لم يكن أحد منهم قط يأتي إلى قبره ويقول يا رسول الله فعلت كذا وكذا فاستغفر لي، ومن ينقل هذا عن أحد منهم فقد جاهر بالكذب والبهتان. اهـ.

وأيضاً فيه قال: ولم ينقل عن أحد منهم قط –وهم القدوة- بنوع من أنواع الأسانيد أنه جاء إلى قبره ليستغفر له ولا شكاً إليه ولا سأله. اهـ.

وقال الحافظ ابن القيم في (الإغاثة): ومنها أن الذي شرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم عند زيارة القبور إنما هو تذكر الآخرة والإحسان إلى المزور بالدعاء والترحم عليه والاستغفار له وسؤال العافية له، فيكون الزائر محسناً إلى نفسه وإلى الميت، فقلت هؤلاء المشركون الأمر وجعلوا المقصود بالزيارة الشرك بالميت وسؤال حوائجهم منه، فساءوا إلى أنفسهم وإلى الميت. اهـ.

وأيضاً قال فيه: فبدل أهل البدع والشرك قول غير الذي قيل لهم، فبدلوا[1] الدعاء له بدعائه نفسه، والشفاعة له بالاستشفاع به، وجعلوا الزيارة التي لتذكر الآخرة و الإحسان إلى الميت بسؤال الميت والإقسام به على الله، وكيف يكون دعاء الموتى والدعاء عند قبورهم والاستشفاع بهم مشروعاً وعملاً صالحاً وتصرف عنه القرون الثلاثة المفضلة بنص الرسول صلى الله عليه وسلم ثم يفوز به الخلوف الذين يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون. اهـ.

---

[1] قوله فبدلوا الخ بدل أو عطف بيان لما قبله.

وأيضاً قال فيه: ولو كان للدعاء عند القبور والتبرك بها فضيلة لنصب المهاجرون والأنصار هذا القبر علماً ودعوا عنده، فقد كانوا السابقين إلى كل خير، وكذلك التابعون كان عندهم من قبور أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأمصار عدد كثير، فما استغاثوا بقبر أحد منهم ولا دعوه، ولا دعوا به ولا دعوا عنده، ولا استشفعوا به، ولو كان ذلك منهم لنقل، أفيكون ذلك فضلاً حرمه خير القرون وجهلوه، وظفر به الخلوف وعلموه؟ أم كانوا عالمين به ولكنهم زهدوا فيه وقد كانوا أحرص الناس على الخير، لو لم يكن منافياً للشرع مع احتياج كل أحد إلى الدعاء سيما عند نزول الحوادث العظيمة به. اهـ.

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الرد على أهل مكة: فإذا كنا على جنازة ندعو له لا ندعوه، ونشفع له لا نستشفع به، فبعد الدفن أولى وأحرى، فبدل أهل الشرك قولاً غير الذي قيل لهم: بدلوا الدعاء له بدعائه، والشفاعة له بالتشفع به. انتهى.

وقال أيضاً فيه: وقد كان عندهم من قبور أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأمصار عدد كثير وهم متوافرون، فما منهم من استغاث عند القبر ولا دعاه ولا استسقى به ولا استنصر به، ولا أحد من الصحابة استغاث بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد موته ولا بغيره من الأنبياء، ولا كانوا يقصدون الدعاء عند قبور الأنبياء ولا الصلاة عندها. اهـ.

وفي المختصر من الرسائل المؤلفة للشيخ محمد بن عبد الوهاب: ولا ننكر كرامات الأولياء، ونعترف لهم أهم على هدى من ربهم مهما ساروا على الطريقة الشرعية والقوانين المرعية، إلا أنهم لا يستحقون شيئاً من أنواع العبادة لا حال الحياة ولا حال الممات،

ونطلب من أحدهم الدعاء في حال حياته بل ومن كل مسلم، فقد جاء في الحديث: "دعاء لمسلم مستجاب لأخيه" الحديث[1] وأمر النبي صلى الله عليه وسلم عمر وعلياً سؤال الاستغفار لهما من أويس ففعلا، ونثبت الشفاعة لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة كما ورد أيضاً، ونسألها من الله المالك لها والآذن فيها لمن شاء من الموحدين الذين هم أسعد الناس بها، كما ورد بأن يقول أحدنا متضرعاً إلى الله تعالى: اللهم شفع نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فينا يوم القيامة، اللهم شفع فينا عبادك الصالحين أو ملائكتك ونحو ذلك مما يطلب من الله لأمتهم، فلا يقال يا رسول الله أو يا ولي الله أسألك الشفاعة وغيرها، وأدركني وأغثني وانصرني على عدوي أو نحو ذلك مما لا يقدر عليه إلا الله، فإذا طلب ذلك ممن ذكر في أيام البرزخ كان من أقسام الشرك، إذ لم يرد بذلك نص في الكتاب ولا من السنة ولا حث من السلف الصالح على ذلك، بل ورد الكتاب والسنة وإجماع السلف أن ما ذكر شرك أكبر قاتل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم. اهـ.

قوله: ويقولون أن الله تعالى قد قال في كتابه العزيز: ﴿من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه﴾ وقال تعالى: ﴿ولا يشفعون إلا لمن ارتضى﴾ فالطالب للشفاعة لا يعلم حصول الإذن للنبي صلى الله عليه وسلم في أنه يشفع له فكيف يطلب منه الشفاعة، ولا يعلم أنه ممن ارتضى، فكيف يطلب الشفاعة؟

أقول: دليل ما نعى طلب الشفاعة من النبي صلى الله عليه وسلم بعد الوفاة هو ما ذكر، ولم أر أحداً من المانعين أنهم ذكروا ما نقله صاحب الرسالة في هذا القول، وإنما هو من اختلاقات المؤلف.

---

[1] وتتمته "بظهر الغيب، عند رأسه ملك موكل به كلما دعاء لأخيه بخير قال الملك: آمين ولك بمثل ذلك" رواه أحمد ومسلم وابن ماجة: وكتبه محمد رشيد رضا.

قـوله: واحتجـاجهم هـذا مـردود وباطـل بالأحـاديث الصـحيحة الصريحة في حصول الإذن للنـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم بالشـفاعة للمؤمنين.

أقـول: إن أراد أن الأحـاديث الصـحيحة الصـريحة فـي أن يحصـل الإذن للنبي صلى الله عليه وسلم يـوم القيامـة بالشـفاعة للمـؤمنين فهذا لا ينكره أحـد مـن أهـل السـنة والجماعـة، وأن أراد أن الأحـاديث الصحيحة صريحة في أن الإذن بالشفاعة يوم القيامة للمؤمنين حصـل الآن فهذا غير مسلم، كيف وليس هنـاك حـديث واحـد يـدل علـى هـذه الدعوى فضلاً عن الأحاديث الصحيحة.

قوله: وقد صحت الأحاديث بأنه صلى الله عليه وسـلم يشـفع لـم قال بعد الأذان، إلى قوله: وجاءت أحاديث صريحة في شفاعته لعصاة أمته.

أقول: الثابت مما ذكر إنما هو نفس الشفاعة، وليس فيه تعـرض لحصول الإذن الآن أو لعدمه.

قوله: فثبت بهذا كله أن الشفاعة ثابتة ومأذون للنبي صلى اللـه عليه وسلم فيها لكل من مت مؤمناً.

أقول: ثبوت الشفاعة وحصول الإذن يوم القيامة مسلم ولكـن لا ينكره أحد من أهل السنة الجماعة، وأما حصـول الإذن الآن بالشـفاعة التي تكون يوم القيامة فثبوته غير مسلم.

قوله: فالطالب للشفاعة كـأنه يتوسـل إلـى اللـه تعـالى بـالنبي صلى الله عليه وسلم أن يحفظ عليه الإيمان إلى أن يتوفاه اللـه عليـه فيدخل في شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم ويكون من أهلها.

أقول: صورة طلب الشفاعة من النبي صلى الله عليه وسلم بعـد موته التي وقع النزاع في جوازه هـي أن يقـول أحـدهم عـن القـبر أو

بعيداً منه: يا رسول الله اشفع لي، أو يقول يا رسول الله أسألك الشفاعة، ولا يخفاك أن هذه العبارة لا تدل بواحدة من الدلالات الثلاث المطابقة والتضمن والالتزام على التوسل المذكور، ولو كان مقصود هذا القائل التوسل المحض إلى الله كما زعم صاحب الرسالة لكان حقاً عليه أن يقول: اللهم صلي على محمد واجعلنا في شفاعته يوم القيامة، أو نحوه، وبالجملة فالتأويل الذي ذكره صاحب الرسالة باطل لا يغني عن شيء.

قوله: ومما يعتقده هؤلاء المنكرون للزيارة والتوسل منع النداء للميت والجماد، ويقولون إن ذلك كفر وإشراك وعبادة لغير الله تعالى.

أقول: المانعون لنداء الميت والجماد وكذا الغائب إنما يمنعونه بشرطين:

(الأول): أن يكون النداء حقيقياً لا مجازياً.

و(الثاني): أن يقصد ويطلب به من المنادى ما لا يقدر عليه إلا الله من جلب النفع وكشف الضر. مثلاً يقال: يا سيدي فلان اشف مريضي وارزقني ولداً، ولا مرية أن هذا النداء هو الدعاء، والدعاء هو العبادة، فكيف يشك مسلم في كونه كفراً وإشراكاً وعبادة لغير الله؟ وأما إذا قصد بهذا النداء أن يدعو الميت والجماد والغائب في حضرة الرب تعالى للمنادين (بالكسر) فنداء الميت بعيداً عن القبر وكذا نداء الغائب يقتضي اعتقاد علم الغيب بذلك الميت والغائب، واعتقاد علم الغيب لغير الله شرك وكفر مع أنه من محدثات الأمور، وأما نداء الجماد والأموات بهذا القصد فإن لم يكن كفراً وشركاً فلا أقل من أن يكون بدعة وحمقاً، وأما إذا لم يقصد بالنداء لا جلب النفع وكشف الضر ولا الدعاء من المنادين (بالفتح) للمنادين (بالكسر) في حضرة

الرب سبحانه وتعالى فيكون النداء الحقيقي جنوناً وسفهاً، وأما النداء المجازي فلا يمنعه أحد.

قوله: وحاصل الرد عليهم أن النداء قد يسمي دعاء كما في قوله تعالى: ﴿لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً﴾ لكنه لا يسمى عبادة، فليس لك دعاء عبادة، ولو كان كل نداء وكل دعاء عبادة لشمل ذلك نداء الأحياء والأموات فيكون كل نداء ممنوعاً مطلقاً سواء كان للأحياء والأموات أم للحيوانات والجمادات وليس الأمر كذلك.

أقول: قد عرفت أن مراد المانعين للنداء ليس مطلق النداء بل النداء الحقيقي الذي يقصد به من المنادى ما لا يقدر عليه إلا الله من جلب النفع وكشف الضر، ولا مرية في أنه عبادة، وكونه عبادة وممنوعاً لا يقتضي كون كل نداء ممنوعاً، حتى يلزم منه عدم جواز نداء الأحياء فيما يقدرون عليه.

قوله: وإنما النداء الذي يكون عبادة هو نداء من يعتقد ألوهيته واستحقاقه للعبادة فيرغبون إليه ويخضعون بين يديه.

أقول: لا ريب في أن من ينادي أحداً نداء حقيقياً يقصد به من المنادى ما لا يقدر عليه إلا الله من جلب النفع وكشف الضر فهو يعتقد استحقاقه العبادة[1] وإلا لم يصدر منه هذا النداء الذي هو الدعاء وهو من أفراد العبادة، على أن مطلق ارتكاب فعل أو قول أو عمل

---

[1] تحرير الموضوع أن الدعاء قسمان: دعاء العبادة، ودعاء العادة، فالثاني ما يطلبه الناس بعضهم من بعض مما يقدرون عليه بالأسباب التي سخرها الله لهم، ودعاء العبادة هو طلب ما رواء الأسباب مما لا يقدر عليه إلا رب العباد. والإله في اللغة هو المعبود بالدعاء الذي هو مخ العبادة والفرد الكامل منا أو بغيره ما يتقرب به إلى المعبود من نذر وتعظيم قولي أو عملي باعثه اعتقاد القدرة الغيبية على النفع ومنعه والضر وكشفه من غير طريق الأسباب بالذات أو بالتأثير عند الله، وكانت عبادة قريش لآلهتهم من النوع الثاني وهي دعاؤهم ليشفعوا لهم عند الله ويقربوهم إليه زلفى كما هو صريح نصوص القرآن. ودحلان وأمثاله من متأولة الشرك يجهلون معنى العبادة والألوهية ولا يفرقون بين اتخاذ المخلوق إلهاً بدعائه والنذر له ونحو ذلك وبين تسميته إلهاً، فيظنون أن الشرك هو تسمية المخلوق إلهاً، فإذا عبده بالدعاء وغيره ولم يسمه إلهاً لا يكون مشركاً، وإذا سمى العبادة توسلاً لا تكون عبادة، والعرب كانوا يسمنون هذه المعاني بأسمائها لأن اللغة سليقة لهم، وقد فصلنا هذا مراراً في المنار وتفسيره، وكتبته محمد رشيد رضا.

مما يعد من العبادة هو العبادة ولا يتوقف كونه عبادة على اعتقاد ألوهيته، ومن يدعى ذلك فعليه البيان.

قوله: فالذي يوقع في الإشراك هو اعتقاد ألوهية غير الله أو اعتقاد التأثير لغير الله تعالى.

أقول فيه كلام من وجهين:

(الأول): أن اعتقاد ألوهية غير الله واستحقاقه للعبادة متحقق فيما نحن فيه.

و(الثاني): أن هذا الحصر غير مسلم، كيف ومجرد ارتكاب فعل أو قول أو اعتقاد لغير الله مما يعد من العبادة من الدعاء والذبح والنذر والخوف والرجاء والخشية والإنابة والتوكل أيضاً موقع في الإشراك سواء وجد معه اعتقاد ألوهية غير الله أم لا[2].

قوله: وقد ورد في أحاديث كثيرة نداء الأموات والجمادات.

أقول: كون هذا النداء نداء حقيقياً يطلب به من المنادى (بالفتح) ما لا يقدر عليه إلا الله غير مسلم، ومن يدعي فعليه البرهان.

قوله: فقولهم كل نداء دعاء وكل دعاء عبادة غير صحيح على إطلاقه وعمومه.

أقول: نسبة هذه الكلية والإطلاق والعموم إلى المانعين إفك قديم وبهتان عظيم.

قوله: ولو كان الأمر كذلك لامتنع نداء الحي والميت، فإنهما مستويان في أن كلاً منهما لا تأثير له في شيء.

أقول: فيه خلل من وجهين:

---

[2] التحقيق أن هذه الأنواع من العبادة لغير الله تتضمن اتخاذه إلهاً بالاعتقاد والفعل وإن لم يسمه إلهاً.

(الأول): أن لـزوم امتنـاع نـداء الحـي والميـت كـان علـى تقـدير الكلية والإطلاق والعموم، وقد عرفت أنه افتراء بحت.

و(الثـاني): أن تجشـم المؤلـف لإثبـات الملازمـة بيـن المقـدم والتـالي بقـوله: "فإنهمـا مسـتويان" مسـتغنى عنـه ولا مـدخل لهـذا القول في إثبات الملازمة، وأن الملازمة على تقدير تسليم الكلية مما لا خفاء له.

قوله: فإن قالوا إن نداء الحي والطلب منـه لشـيء مـن الأشـياء إنما هو لكونه قادراً على فعل ذلك الشيء الذي طلب منه، وأما الميت والجماد فإنه عاجز ولا قدرة له على فعل شيء مـن الأشـياء، فنقـول لهم: اعتقادكم أن الحي قادر على بعض الأشياء يستلزم اعتقادكم أن العبد يخلق أفعال نفسه الاختيارية، وهو اعتقـاد فاسـد – إلـى قـوله – فيستوي الحي والميت والجماد في أن كلاً منهم لا خلق له ولا تـأثير[1] والمؤثر هو الله تعالى وحده.

أقول: (أولاً) معارضة أن اعتقادكم أن الحي لا يقدر علـى شـيء يستلزم اعتقادكم أن العبـد مجبـور محـض لا اختيـار لـه، وهـو اعتقـاد فاسد ومذهب باطل. (وثانياً) خلا أنا لا نسلم أن اعتقد أن الحـي قـادر على بعض الأشياء يستلزم اعتقاد أن العبد يخلق أفعـال نفسـه، كيـف والفرق بين القدرة والخلق جلي واضـح لا يخفـى علـى مـن لـه أدنـى بصيرة ؟ وقد مر تحقيق هـذه المقالـة فيمـا سـلف بمـا لا مزيـد عليـه، فتذكر.

---

[1] إن الميت لا تأثير له، وأما الحي فله تأثير قطعاً، وهو ما يسميه الأشاعرة كسباً، وبه أسند الشرع إليه الأعمال ورتب عليها الجزاء في الدنيا والآخرة، وعلى كل حال يقال: إذا لم يكن للميت المعتقد تأثير بنفسه، ولا في إرادة الله تعالى كما هو الحق ولا هو من الأسباب العادية، فلماذا يدعونه ويطلبون منه ما لا يطلب في هداية الشرع إلا من الله تعالى بدون أمر من الله، ولا أسوة حسنة برسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا اتباع لأحد من أصحابه ولا أئمة شرعه ؟ وكتبه محمد رشيد رضا.

قوله: والأحاديث التي رد فيها النداء للأموات والجمادات من غير اعتقاد الألوهية والتأثير كثيرة: منها حديث الأعمى الذي تقدمت روايته عن عثمان بن حنيف رضي الله عنه فإن فيه: يا محمد إني أتوجه بك إلى ربك. وتقدم أن الصحابة رضي الله عنهم استعملوا ذلك الدعاء بعد وفاته صلى الله عليه وسلم.

أقول: الجواب على حديث الأعمى على وجوه:

(الأول) أن الحديث ضعيف، لأن في سنده عيسى بن أبي عيسى ماهان أبا جعفر الرازي التميمي وقد ضعفه أحمد والنسائي وأبو حاتم والفلاس وابن حبان وأبو زرعة كما ظهر فيما تقدم من عبارة الذهبي.

و(الثاني) أن هذا نداء مجازي يطلب به استحضار المنادَى في القلب فيخاطب المشهود بالقلب كما يقول المصلي "السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته" قاله الشيخ ابن تيميه رحمه الله في (اقتضاء الصراط المستقيم).

و(الثالث) أن الأعمى إنما طلب من النبي صلى الله عليه وسلم أن يدعو له في حياته وحضرته، والدعاء في الحياة مما يقدر عليه النبي صلى الله عليه وسلم، ولما كان طلب الدعاء من كل مسلم في الحياة مشروعاً فما ظنك بسيد المرسلين والشافعين ؟

وأما ما روى الطبراني من أن رجلاً كان يختلف إلى عثمان بن عفان في زمن خلافته في حاجته فكان لا يلتفت إليه ولا ينظر إليه في حاجته، فشكا ذلك لعثمان بن حنيف، الحديث، فهذا وإن كان دالاً على أن هذا الدعاء استعمل بعد وفاته صلى الله عليه وسلم ولكن في سنده روح بن صلاح وقد ضعفه ابن عدي كما تقدم.

قوله: وحديث بلال بن الحارث المتقدم أيضاً فإن فيه أنه جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال: يا رسول الله استسق لأمتك، ففـه النداء بعد وفاته صلى الله عليه وسلم والخطاب بالطلب أن يستسقي لأمته.

أقول: قد تقـدم أن الحـديث رواه سـيف بـن عمـرو الضـبي فـي الفتوح، وهو ضعيف جداً حتى أن ابن حبان قال: اتهم بالزندقة.

قوله: ومن ذلك الأحاديث الـواردة فـي زيـارة القبـور، فـإن فـي كثير منهـا النـداء والخطـاب كقـوله: السـلام عليكـم يـا أهـل القبـور، السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، ففيها نداء وخطاب، وهي أحاديث كثيرة لا حاجة إلى الإطالة بذكرها.

قول: أحاديث زيارة القبور وإن كان فيها النداء ولكـن ليـس فيـه طلب شيء من الأموات، والكلام في النداء الذي يطلب فيه ما لا يقدر عليه إلا الله.

قـوله: وتقـدم أن السـلف والخلـف مـن أهـل المـذاهب الأربعـة استحبوا للزائر أن يقول تجاه القبر الشريف: يا رسول الله إني جئتك مستغفراً من ذنبي، مستشفعاً بك إلى ربي.

أقول: العمدة في الباب ما جاء عن العتبي وهـو ممـا لا تقـوم بـه الحجة كما تقدم، واستحباب أهل المـذاهب الأربعـة سـلفهم وخلفهـم ذلك بعد التسليم ليس من الحجة في شيء[1].

قوله: وقد جاءت صـورة النـداء أيضـا فـي التشـهد الـذي يقـرؤه الإنسان في كل صلاة حيث يقول: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته.

---

[1] يعني أن صح النقل عنهم فليس بحجة لأنهم مقلدون ومذاهبهم متفقة على أن الحجة إجماع المجتهدين وأن المقلدين لا حجة ولا عبرة بأقوالهم ولا بأفعالهم، على أن مثل هذا القول لا يصح ثبته إلا بنص من الكتاب أو السنة لأنه ليس من المسائل الاجتهادية، وكتبه محمد رشيد رضا.

أقول: كون النداء حقيقياً هناك ممنوع، وليس فيه طلب شيء فلم يكن مما نحن فيه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في (اقتضاء الصراط المستقيم): وقوله يا محمد يا نبي الله، هذا وأمثاله نداء يطلب به استحضار المنادى في القلب فيخاطب المشهود بالقلب كما يقول المصلي السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، والإنسان يفعل مثل هذا كثيراً، يخاطب من يتصوره في نفسه وإن لم يكن في الخارج من يسمع الخطاب. اهـ.

قال الحافظ في الفتح: فإن قيل ما الحكمة في العدول عن الغيبة إلى الخطاب في قول "عليك أيها النبي" مع أن لفظ الغيبة هو الذي يقتضيه السياق كأن يقول: "السلام على النبي" فينتقل من تحية الله إلى تحية النبي ثم إلى تحية النفس ثم الصالحين؟ أجاب الطيبي بما محصله نحن نتبع لفظ الرسول بعينه الذي كان عمله الصحابة، ويحتمل أن يقال على طريق أهل العرفان: إن المصلين لما استفتحوا باب الملكوت بالتحيات أذن لهم بالدخول في حريم الحي الذي لا يموت، فقرت أعينهم بالمناجاة، فنبهوا على أن ذلك بواسطة نبي الرحمة، وبركة متابعته، فالتفتوا فإذا الحبيب في حرم الحبيب حاضر، فأقبلوا عليه قائلين: "السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته". اهـ

وقد ورد في بعض طرق حديث ابن مسعود هذا ما يقتضي المغايرة بين زمانه صلى الله عليه وسلم فيقال بلفظ الخطاب، وما بعده فيقال بلفظ الغيبة، وهو ما يخدش في وجه الاحتمال المذكور، ففي الاستئذان من صحيح البخاري من طريق أبي معمر عن ابن مسعود بعد أن ساق حديث التشهد قال: هو بين ظهرانينا فلما قبض

قلنا السلام يعني على النبي، كذا وقع في البخاري، وأخرجه أبو عوانه في صحيحه والسراج والجوزقي وأبو نعيم الأصبهاني والبيهقي من طرق متعددة إلى أبي نعيم شيخ البخاري فيه بلفظ: فلما قبض قلنا السلام على النبي صلى الله عليه بحذف لفظ عين، وكذلك رواه أبو بكر بن أبي شيبة عن أبي نعيم.

قال السبكي في شرح المنهاج بعد أن ذكر هذه الرواية من عند أبي عوانه وحده: إن صح هذا عن الصحابة دل على أن الخطاب في السلام بعد النبي صلى الله عليه وسلم غير واجب فيقال: "السلام على النبي".

قلت: قد صح بلا ريب، وقد وجدت له متابعاً قوياً، قال عبدالرزاق: أخبرنا أن بجريج أخبرني عطاء أن الصحابة كانوا يقولون والنبي صلى الله عليه وسلم حي: السلام عليك أيها النبي، فلما مات قالوا: السلام على النبي، وهذا إسناد صحيح. اهـ.

وقال محمد الزرقاني في شرح الموطأ: لكن المقرر في الفروع إنما يقال: "السلام عليك أيها النبي". ولو بعد وفاته اتباعاً لأمره وتعليمه فتمت النكتة. اهـ.

قلت: ليس المراد بضمير قلنا جميع الصحابة، فهذا عمر رضي الله عنه كان يعلم الناس على المنبر التشهد وفيه السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، رواه مالك في الموطأ والطحاوي في شرح معاني الآثار ومحمد بن الحسن في موطئه، وهذه عائشة رضي الله عنها كانت تقول في التشهد: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، رواه مالك في الموطأ بسندين ومحمد بن الحسن في موطئة والطحاوي في معاني الآثار، وهذا عبدالله بن الزبير يعلم الناس التشهد على المنبر وفيه السلام عليك أيها النبي، رواه

الطحاوي في شرح معاني الآثار، وهذا أبو بكـر رضـي اللـه عنـه يعلـم التشهد على المنبر كما تعلمون الصبيان الكتاب، وفيـه السـلام عليـك أيها النبي، رواه الطحاوي في شرح معاني الآثار.

وقد اختلفت الرواية عن ابن عمر رضي الله عنهما، ففـي موطـأ مالك السلام على النبي، وفي موطأ محمد بن الحسـن السـلام عليـك أيها النبي بكاف الخطاب ولفظ أيها، وهكـذا فـي شـرح معـاني الآثـار للطحاوي.

وكذلك اختلفت الرواية عن عبدالله بن مسعود، ففـي الاسـتئذان من صحيح البخاري قال: فلما قبـض قلنـا السـلام يعنـي علـى النـبي، وقال محمد بن الحسن في موطئه بعد ما روى تشهد ابن مسـعود عـن النبي صلى الله عليه وسـلم: وفيـه السـلام عليـك أيهـا النـبي، وكـان عبدالله ابن مسعود رضي الله عنه يكره أن يـزاد فيـه حـرف أو ينقـص فيه حرف. انتهى.

وروى الطحاوي عن عبدالرحمن بن يزيد قال: كان عبـدالله يأخـذ علينا الـواو فـي التشـهد، وروى عـن المسـيب بـن رافـع قـال: سـمع عبدالله رجلاً يقول في التشهد بسم الله التحيات لله فقال له عبدالله أتأكل؟ وروى عن إبراهيم أن الربيع بن خثيم لقى علقمـة فقـال: إنـه بدا لي أن أزيد في التشهد ومغفرته، فقال له علقمة: تنتهـي إلـى مـا علمناه. وروى عن إسحاق قال: أتيت الأسـود بـن يزيـد فقلـت إن أبـا الأحوص قد زاد في خطبة الصلاة: والمباركات، قال: فأته فقل لـه إن الأسود ينهاك ويقول لك إن علقمة ابـن بقيـس تعلمهـن مـن عبـدالله كما يتعلم السورة من القرآن، عدهم عبدالله في يـده ثـم ذكـر تشـهد عبدالله ، اه ما في الطحاوي بحذف الأسانيد.

وروى سعيد بن منصور من طريق أبي عبيدة بن عبدالله بن مسعود عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم علمهم التشهد فذكره فقال ابن عباس: إنما كنا نقول السلام عليك أيها النبي إذ كان حياً، فقال ابن مسعود هكذا علمنا وكذا نعلم، كذا في الفتح، ثم قال الحافظ: لكن رواية أبي معمر أصح، لأن أبا عبيدة لم يسمع من أبيه، والإسناد إليه مع ذلك ضعيف. اهـ

قلت: وإن كانت رواية أبي عبيدة ضعيفة لكن تكفي للتأييد، وقال في مجمع الزوائد: وعن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتشهد، قال فكنا نحفظ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما نحفظ حروف القرآن: الواوات والألفات إذا جلس على وركه اليسرى، رواه الطبراني في الكبير هكذا، وله عند البزار عن الأسود قال: كان عبدالله يعلمنا التشهد في الصلاة فيأخذ علينا الألف والواو، وفي إسناد الطبراني زهير بن مروان الرقاشي ولم أجد من ذكره، وإسناد البزار رجاله رجال الصحيح. اهـ.

وكذلك اختلفت الرواية عن ابن عباس، فقد روى الطحاوي أن عطاء قال: سمعت عبدالله بن عباس يقول مثل ما سمعت ابن الزبير يقول، وقد تقدم رواية ما قال ابن الزبير على المنبر وقت تعليم التشهد وفيها: السلام عليك أيها النبي، وروى سعيد ابن منصور ما تقدم آنفاً نقله من الفتح من أن ابن عباس قال: إنما كنا نقول السلام عليك أيها النبي إذ كان حياً.

فقد علم مما ذكرنا أن الصحابة رضي الله عنهم لم يكونوا متفقين بعد وفاة رول الله صلى الله عليه وسلم على ترك الخطاب، والأحاديث المرفوعة كلها فيا لفظ الخطاب، وقد ورد به الأمر وا يدل على تأكد أمره، ففي صحيح البخاري عن عبدالله بن مسعود قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "فإذا صلى أحدكم فليقل التحيات". ورواه أيضاً مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه والدارمي والطحاوي ومحمد بن الحسن في موطئه، وفي رواية البخاري وغيره: "لا تقولوا السلام على الله فإن الله هو السلام ولكن قولوا التحيات لله" وفي رواية: "علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم وكفى بين كفيه التشهد كما يعلمني السورة من القرآن، وفي صحيح مسلم عن ابن عباس أنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن، ورواه أيضاً أبو داود والنسائي والترمذي وابن ماجه، وفي صحيح مسلم عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإذا كان عند القعدة فليكن من اول قول أحدكم التحيات". ورواه أيضاً أبو داود وابن ماجه، وفي صحيح البخاري عن عبدالرحمن بن أبي ليلي قال: لقيني كعب بن عجرة فقال ألا أهدي لك هدية ؟ إن النبي صلى الله عليه وسلم خرج علينا فقلنا: يا رسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك، فكيف نصلي عليك ؟ الحديث، رواه أيضاً مسلم وأبو داود.

وعن أبي مسعود الأنصاري قال: أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن في مجلس سعد بن عبادة فقال له بشير بن سعد: أمرنا الله أن نصلي عليك يا رسول الله فكيف نصلي عليك ؟ الحديث، وفي آخره "والسلام كما علمتم" رواه مسلم والدارمي، وروى الطحاوي عن عبدالله أنه قال: أخذت التشهد من في رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقنيها كلمة كلمة. اهـ.

وروى النسائي عن عبدالله قال: كنا لا ندري ما نقوله في كل ركعتين غير أن نسبح ونكبر ونحمد ربنا، وإن محمداً صلى علم فواتح الخير وخواتمه فقال: "إذا قعدتم في كل ركعتين فقولوا: التحيات"

الحديث، وفي رواية له قال: كنا لا ندري ما نقول إذا صلينا فعلمنا نبي الله صلى الله عليه وسلم جوامع الكلم فقال ا "قولوا التحيات لله" الحديث، وفي آخره: قال عبيد الله قال زيد بن حماد عن إبراهيم عن علقمة قال: لقد رأيت ابن مسعود يعلمنا هؤلاء الكلمات كما يعلمنا القرآن. اهـ. ورواه الطحاوي وأبو داود ولفظه: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد علم – وفي رواية له وكان يعلمنا – كلمات ولم يكن يعلمناهن كما يعلمنا التشهد، وفي صحيح مسلم عن حطان بن عبدالله الرقاشي قال: صليت مع أبي موسى الأشعري صلاة، فلما كان عند القعدة قال رجل من القوم: أقرّت (أي قرنت) الصلاة بالبر والزكاة، قال: فلما قضى أبو موسى الصلاة وسلم انصرف فقال: أيكم القائل كلمة كذا وكذا ؟ فأرمَّ القوم، ثم قال أيكم القال كلمة كذا وكذا ؟ فأرم القوم، فقال لعلك يا حطان قلتها، قال ما قلتها، ولقد رهبت أن تبكعني[1] بها، فقال رجل من القوم: أنا قلتها ولم أرد بها إلا الخير، فقال أبو موسى: أما تعلمون كيف تقولون في صلاتكم ؟ إن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبنا فيبن لنا سنتنا وعلمنا صلاتنا. الحديث، وفي آخره: "وإذا كان عند القعدة فليكن من أول قول أحدكم التحيات". وقد تقدم نقله.

فهذه الأحاديث كلها دالة على أن كلمات التشهد توقيفية لا يتصرف فيها بالزيادة والنقصان، وترك بعض الصحابة الخطاب بعد وفاته صلى الله عليه وسلم لا يصلح معارضاً لتلك الأحاديث المرفوعة الصحيحة، فالقول ما قال الزرقاني: فعلى هذا لابد ههنا من بيان توجيه الخطاب، فنقول فيه احتمالات:

---

[1] بكعه بكته واستقبله بما يكره، وضربه على مواضع متفرقة من جسده، والمناسب من معانيه هنا الأول والثاني وفعله من باب جمع ويشدد للتكثير.

(الأول) ما قال في المرقاة قال ابن الملك: روى أنه صلى الله عليه وسلم لما عرج به أثنى على الله تعالى بهذه الكلمات فقال الله تعالى "السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته". فقال صلى الله عليه وسلم "السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، فقال جبرائيل: أشهد أن لا إله إلا الله الخ. اه. وبه يظهر وجه الخطاب وأنه على حكاية معراجه صلى الله عليه وسلم في آخر الصلاة التي هي معراج المؤمنين. اه

ويشير إلى هذا المروي القسطلاني حيث قال في شرح التشهد: السلام أي السلامة من المكاره، أو السلام الذي وجه إلى الرسل والأنبياء، أو الذي سلمه الله عليك ليلة المعراج. اه

وقال في (مسك الختام، شرح بلوغ المرام) بالفارسية ما معربه: ووجه الخطاب إبقاء هذا الكلام على ما كان في الأصل، فإن ليلة المعراج قد خاطب الله تعالى رسوله بالسلام فأبقاه النبي صلى الله عليه وسلم وقت تعليم الأمة على ذلك الأصل ليكون ذلك مذكراً لتلك الحال اه. وتمام بيان القصة مع شرح ألفاظ التشهد في (الإمداد) كذا في رد المحتار، وهذا المروي لم أقف على سنده فإن كان ثابتاً فنعم التوجيه هذا، ونظيره ما ورد في حديث أم سلمة في (الإمداد) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إنما هي أربعة أشهر وعشراً". رواه البخاري، قال الحافظ في الفتح: كذا في الأصل بالنصب على حكاية لفظ القرآن. اه

قلت: كذلك الخطاب في التشهد على حكاية سلام الله ليلة المعراج، ومن هذا القبيل ما وقع في حديث سبيعة في عدة الحامل المتوفى عنها زوجها من قولها: فولدت قبل أن يمضي بها أربعة

أشهر وعشراً من وفاة زوجها، بنصب عشراً[1]، ومن قول أبي السنابل لعلك تريدين النكاح قبل أن يمر عليك أربعة أشهر وعشراً بالنصب، رواه النسائي وهذه الحكاية لا يقتضي أن يكون معناها مراداً لقائله على أنه هو قائله، وأن يكون مقصوده مجرد حكاية كلام الآخر فلا يرد عليه ما في المجتبى وغيره من الكتب الفقيهة، ويقصد بألفاظ التشهد معانيها مرادة له على وجه الإنشاء كأنه يحيى الله تعالى ويسلم على نبيه وعلى نفسه وأوليائه، لا الإخبار عن ذلك، ذكره في المجتبى اهـ. ولعلك قد تفطنت من ههنا أن المراد بالإنشاء والإخبار في هذا القول ليس ما هو مصطلح علماء البيان، بل المراد بالإنشاء قول القائل على أنه هو قائله أعم من أن يكون ذلك القول إنشاء أو إخباراً في الاصطلاح، والمراد بالإخبار مجرد نقل قول الغير وحكايته، على أن كلام الفقهاء هذا مما لا دليل عليه، فلو قصد الإخبار عن السلام وحكايته ولم يقصد الإنشاء فأي محذور فيه ؟ فإن الإخبار عن السلام سلام كما أن الإخبار عن الحمد حمد، بل هذا أتم وأكمل، فإن فيه إشارة إلى أن المصلي كأنه يعترف بأنه لا يقدر على سلام النبي صلى الله عليه وسلم كما ينبغي ويليق بشأن الرسول صلى الله عليه وسلم وحقه فيقتصر على حكاية سلام الله تعالى على حبيبه[2]، وقد علم أن الاعتراف بالعجز على آلاء الله تعالى من أكمل أفراد الشكر، فكذلك الاعتراف بالعجز عن سلام النبي صلى الله عليه وسلم ن أكل أفراد السلام فيحصل الامتثال بقوله تعالى: ﴿ يا أيها الذين

---

[1] الوجه أن يقال بالنصب كما قال الحافظ في الفتح، فإن عشراً ما نصبت إلى بعطفها على أربعة عشر. وكتبه محمد رشيد رضا.

[2] الحق أن هذا وما بعده تنطع، والقول ما قاله الفقهاء، فإننا أمرنا أن نسلم وأن نصلي بهذه الألفاظ، أي ننشئ السلام والصلاة بها، فقولهم لا يحتاج إلى دليل لأنه هو مفهوم الأمر، والإخبار بالسلام بقصد الحكاية دون الإنشاء ليس سلاماً، كما أن حكاية لفظ الحمد أو الإيمان أو الكفر ليس حمداً ولا إيماناً ولا كفراً بالبداهة، وقوله بل هذا أتم وأكمل، وما علله به، كلاهما تنطع ولا يصح، فهو لا يتضمن الاعتراف بعدم القدرة لغة، وهو يشبه تنطع بعض الصوفية إذ قال: اللهم احمد نفسك عمن أمرته أن يتخذك وكيلاً، ولو قال: إن قصد الجمع بأن الإنشاء والحكاية أكمل لصح قوله وتم مراده، وكتبه محمد رشيد رضا.

آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً ﴾. على تقدير الحكاية والإخبار أيضاً، وكيف لا يحصل الامتثال بالأمر بهذه الحكاية وقد علمها الله نبيه صلى الله عليه وسلم وعلم نبيه أمته ؟

و(الثاني) أن هذا الخطاب علمه النبي صلى الله عليه وسلم الحاضرين من الصحابة أولاً ثم أبقى على حاله، وأمثال هذا كثير في الشرع، منها المرمل فإنه كان أولاً للصحابة الذين قال المشركون فيهم "إنه يقدم عليكم وفد وهنهم حمى يثرب" ومن ثم قال عمر رضي الله عنه ما لنا وللرمل إنما كنا رأينا المشركين وقد أهلكم الله ثم أبقى على غيرهم، ولذا قال عمر رضي الله عنه بعده: شيء صنعه النبي صلى الله عليه وسلم فلا نحب أن نتركه، ومنها رمي الجمار إذ أصله رمي الخليل عليه السلام الشيطان عند الجمار لما عرض له عندها بالإغواء للمخالفة في ذبح الولد.

قال الإمام أحمد: حدثنا شريح ويونس قالا حدثنا حماد بن سلمة عن أبي عاصم الغنوي عن أبي الطفيل عن ابن عباس رضي الله عنهما، أنه قال: لما أمر إبراهيم عليه الصلاة والسلام بالمناسك عرض له الشيطان عند السعي فسابقه فسبقه إبراهيم عليه السلام ثم ذهب به جبرائيل إلى جمرة العقبة فعرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات حتى ذهب، ثم عرض له عند الجمرة الوسطى فرماه بسبع حصيات، ثم تله للجبين وعلى إسماعيل عليه السلام قميص أبيض، فقال له: يا أبت إنه ليس لي ثوب تكفنني فيه غيره فأخلعه حتى تكفنني فيه، فعالجه ليخلصه، فنودي من خلقه: ﴿أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا﴾. فالتفت إبراهيم فإذا بكبش أبيض أقرن أعين، كذا في تفسير ابن كثير وفي معالم التنزيل.

وروى أبو الطفيل عن ابن عباس رضي الله عنهما عن إبراهيم لما أمر بذبح ابنه عرض له الشيطان بهذا المشعر فسابقه فسبقه إبراهيم ثم ذهب إلى جمرة العقبة فعرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات حتى ذهب، ثم عرض له عند الجمرة الوسطى فرماه بسبع حصيات حتى ذهب، ثم أدركه عند الجمرة الكبرى فرماه بسبع حصيات حتى ذهب، ثم مضى إبراهيم لأمر الله عز وجل: ﴿ فلم ا أسلما وتله للجبين ﴾. اه

ومنها قصر الصلاة في السفر فإنه شرع للخوف، قال الله تعالى: ﴿ وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا ﴾.

وروى مسلم في صحيحه عن يعلى قال: قلت لعمر بن الخطاب: ﴿ ليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا ﴾. فق د أمن الناس، فقال: عجبت مما عبجت منه فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال: "صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته ﴾. اه

وقال الحافظ في الفتح: قيل هو من الأشياء التي شرع الحكم فيها بسبب ثم زال السبب وبقي الحكم كالرمل، وفي جواب عمر إشارة إليه، وروى السراج من طريق إسماعيل بن أبي خالد عن أبي حنظلة وهو الحذاء لا يعرف اسمه قال: سألت ابن عمر عن الصلاة في السفر فقال: فقلت إن الله عز وجل قال: ﴿ إن خفتم ﴾. ونحن آمنون ؟ فقال: سنة النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا يرجح ما قيل اه ملخصاً، ولعل هذا الاحتمال أراد الطيبي حيث قال: نحن نتبع لفظ الرسول بعينه الذي كان علمه الصحابة الحاضرين.

و(الثالث) ما ذكره الطيبي من أنه يحتمل أن يقال على طريق أهل العرفان: إن المصلين الخ. وقد سبق نقل عبارته فيما تقدم من الفتح، وحاصله أن الخطاب والنداء مجازي، ولعل شيخ الإسلام ابن تيميه أراد هذا المعنى أو نحوه حيث قال: هذا وأمثاله نداء يطلب به استحضار المنادى في القلب فيخاطب المشهود بالقلب اهـ. وقد نقل عبارته فيما تقدم.

و(الرابع) أنه صلى الله عليه وسلم نصبُ العين للمؤمنين، وقرة العين للعابدين، دائماً في جميع الأحوال والأوقات سيما حالة العبادة، فإن النورانية والانكشاف في هذه الحال أكثر وأقوى، كذا في مسك الختام.

ويؤيد هذا المعنى ما ورد في الحديث الصحيح في عذاب القبر من أن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه وإنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان ما كنت تقول في هذا الرجل؟ لمحمد صلى الله عليه وسلم، رواه البخاري من حديث أنس بن مالك.

قال القسطلاني: وعبر بذلك امتحاناً لئلا يتلقن تعظيمه من عبارة القائل، والإشارة في قوله "هذا" لحاضر فقيل: يكشف للميت حتى يرى النبي صلى الله عليه وسلم، وهي بشرى عظيمة للمؤمن إن صح ذلك، ولا نعلم حديثاً صحيحاً مروياً في ذلك، والقائل به إنما استند لمجرد أن الإشارة لا تكون إلا لحاضر، لكن يحتمل أن تكون الإشارة لما في الذهن فيكون مجازاً اهـ. وهذا الاحتمال أيضاً يؤول إلى أن هذا الخطاب والنداء مجازي.

و(الخامس) ما قاله بعض العرفاء أن هذا الخطاب وجهه سريان الحقيقة المحمدية عليها الصلاة والسلام في ذرائر الموجودات، وأفراد الممكنات، فهو صلى الله عليه وسلم موجود في ذوات

المصلين، فلابد للمصلي أن يتنبه إلى هذا المعنى، ولا يغفل عن هذا الشهود، ليتنور بأنوار القرب وأسرار المعرفة، ذكره صاحب مسك الختام.

قلت: هذا مما لا دليل عليه من الكتاب والسنة، بل عسى أن يكون باطلاً فلا يصغي إليه[1].

وتحقيق المقام يقتضي تمهيداً، وهو أن تشهده صلى الله عليه وسلم كان مثل ما علم الأمة فيقول صلى الله عليه وسلم في التشهد "السلام عليك أيها النبي" ما أمر الأمة. قال الطحاوي في (شرح معاني الآثار): حدثنا محمد بن حميد أبو قرة قال حدثنا سعيد بن أبي مرج قال أخبرنا ابن لهيعة قال حدثني الحارث بن يزيد أن أبا أسلم المؤذن حدثه أنه سمع عبدالله بن الزبير يقول: إن تشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كان يتشهد به "بسم الله وبالله خير الأسماء، التحيات الطيبات الصلوات لله، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، اللهم اغفر لي واهدني". اهـ

وفي مجمع الزوائد عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتشهد في الصلاة، قال فكنا نحفظ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما نحفظ حروف القرآن الواوات والألفات إذا جلس على وركه اليسرى. رواه الطبراني في الكبير هكذا.

---

[1] أحسن المصنف وأصاب في رد هذا الباطل المشتق من كلام أصحاب الوحدة وأهل الغلو، ولو لم يكن فيه سوى أنه قول على الله وعلى رسوله بغير علم لكفى في رده والإعراض عنه اهـ. في حاشية خطية على نسخة الأصل.

وأيضاً في مجمع الزوائد عن أبي الورد أنه سمع عبدالله بن الزبير يقول: إن تشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتشهد "ببسم الله وبالله خير الأسماء، التحيات الطيبات الصلوات لله، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، السلام عليك أيها النبي الكريم ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، اللهم اغفر لي واهدني". رواه البزار والطبراني في الكبير والأوسط وزاد فيه: وحده لا شريك له، وقال في آخره: هذا في الركعتين الأوليين، ومداره على ابن لهيعة وفيه كلام. اه

وأيضاً في مجمع الزوائد: وعن عبدالله بن مسعود قال: علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم التشهد في وسط الصلاة وفي آخرها قال فكان يقول إذا جلس في وسط الصلاة، وفي آخرها على وركه اليسرى: "التحيات لله والصلوات والطيبات، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا اله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله". قال ثم إن كان في وسط الصلاة نهض حين يفرغ من تشهده، وإن كان في آخرها دعا بعد تشهده ما شاء الله أن يدعو ثم يسلم.

قلت: هو في الصحيح باختصار عن هذا، رواه أحمد ورجاله موثقون، ورواه بسند آخر وقال بعد قوله "وأشهد أن محمداً عبده ورسوله" قال: "فإذا قضيت هذا – أو فعلت هذا – فقد قضيت صلاتك، فإن شئت أن تقوم فقم، وإن شئت أن تقعد فاقعد". رواه الطبراني في الأوسط، وبين أن ذلك من قول ابن مسعود من قوله: فإذا فرغت عن هذا فقد قضيت صلاتك، كذلك لفظه عند الطبراني، ورجال أحد موثقون اه. وبعض هذه الروايات وإن كانت ضعيفة لكن تكفي للتأييد.

وفـي (المـواهب) وشـرحها للسـيد محمـد الزرقـاني نقلاً عـن النووي بعد ذلك ألفاظ التشهد ما نصه: وفي هذا فائدة حسنة وهي أن تشهده عليه السلام بلفظ تشهدنا. اه

ويقوي هذا أن النبي صلى الله عليه وسلم مأمور بجميـع مـا أمـر به أمته، إلا ما ورد فيه دليل دال على أنه صلى الله عليـه وسـلم خـارج عنه، والأمة مأمورة بالسلام لقوله تعالى: ﴿يا أيهـا الـذين آمنـوا صـلوا عليه وسلموا تسليماً ﴾. والس لام كـان مجملاً فوقـع قـوله صـلى اللـه عليه وسلم "فإذا صلى أحدكم فليقل التحيات لله" اه. وقـوله "ولكـن قولوا التحيات لله" اه. رواهما البخاري في صحيحه من حديث عبد بن مسعود بياناً له، وليس هناك دليل يدل على أنه صلى الله عليـه وسـلم خارج عن هذا الحكم، فعلم منه أن تشهد النبي صلى الله عليـه وسـلم كان مثل تشـهدنا، وأيضـاً هـذا التشـهد عـام للحاضـرين مـن الصـحابة والغائبين والموجودين في زمن النبي صـلى اللـه عليـه وسـلم ولمـن جاءوا بعده، إذ الخطاب فـي قـوله "إذا صـلى أحـدكم" وقـوله "ولكـن قولوا" يشمل الحاضرين والغائبين والموجودين والمعدومين إلى يوم القيامة، مثل سائر الخطابات الـواردة فـي الوضـوء والصـلاة والزكـاة والحج وغيرها، وليس هنك حديث يدل علـى أن الغـائبين والمعـدومين تشهداً آخر غير هذا التشهد.

إذا عرفت هـذا فقـد علمـت بطلان الاحتمـالات الأربعـة الأخيـرة، والملازمة ظاهرة فلا نطول الكلام ببيانها، وفجـه الخطـاب حينئـذ إمـا الاحتمـال الأول إن ثبـت مـا روي فيـه وإلا فهـو ممـا لـم نـؤت علمـه، فينبغي لنا أن لا نبحث فيه ونكل أمره إلى الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كـان عنه مسئولاً ﴾. وإذاً يكون هذا الخطاب معـدولاً عـن العقـل والقيـاس،

فيكون مقصوراً على مورده، فلا يقتضي هذا الخطاب جواز خطابه صلى الله عليه وسلم وندائه في غير تشهد الصلاة.

قوله: وصح عن بلال بن الحارث رضي الله عنه أنه ذبح شاة عام القحط المسمى الرمادة فوجدها هزيلة، فصار يقول: وامحمداه، وامحمداه.

أقول: فيه كلام من وجهين:

(الأول) أن دعوى صحة هذا الأثر مفتقرة إلى إقامة الحجة عليها، ودونها لا يلتفت إليها.

و(الثاني) أن هذا ليس نداء بل ندبة، كما تقرر في مقره من أن "وا" إنما تدخل على المندوب لا على المنادى، فإن قلت: المندوب عند البعض داخل في المنادى، فالجواب أن من يدخله في المنادى لدخله في المنادى الحكمي لا الحقيقي، فلم يكن مما نحن فيه في شيء.

قوله: وصح أيضاً أن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لما قاتلوا مسليمة الكذاب كان شعارهم: وامحمداه وامحمداه.

أقول: الكلام عليه بوجهين:

(الأول) أن القول بصحة هذا الأثر كلام بلا دليل فلا يقبل.

و(الثاني) أن هذا مندوب أو منادى حكمي فلم يكن مما نحن فيه في شيء.

قوله: وفي (الشفاء) للقاضي عياض أن عبدالله بن عمر رضي الله عنه خدلت رجله مرة فقيل له اذكر أحب الناس إليك، فقال: وامحمداه فانطلقت رجله.

أقول فيه كلام من وجوه:

(الأول) أن نص الشفاء هكذا: وروي أن عبدالله بـن عمـر خـدرت رجله فقيل له: اذكر أحب الناس إليك يزل عنـك، فصـاح: يـا محمـداه، فانتشرت. اه

فالمؤلف قد أخطأ في نقـل هـذه العبـارة القصـية فـي مواضـع، فكتب خدلت وإنما هي خدرت، وزاد لفظ مرة قبل فقيل، وحذف لفظ يزل عنك، وبدل لفظ فقال مكان فصاح، ولفـظ وا موضـع يـا، ولفـظ فانطلقت رجله محل فانتشرت، ولعل الخطأ الأول من الناسخ، ولفظ الحديث في الأذكار هكذا: عن الهيثم بن حبش قال: كنـا عنـد عبـدالله بن عمر فخدرت رجله، فقال له رجل: اذكر أحب النـاس إليـك، فقـال: يا محمد صلى الله عليه وسلم فكأنما نشـط مـن عقـال اه. قـال فـي النهاية: ومنه حديث ابن عمر أنها خدرت رجله فقيـل لـه ما لرجلـك ؟ فقال اجتمـع عصـبها، قيـل اذكـر أحـب النـاس إليـك فقـال يـا محمـد فبسطها اه. أخرجه ابن السني في (عمـل اليـوم والليلـة) وكـذا فـي (الحصن الحصين) و (منهال الصفا في تخريج أحاديث الشفا).

و(الثـاني) المطالبـة بإثبـات صـحة هـذا الأثـر أو حسـنه ودونـه لا يصغى إليه.

و(الثالث) أن هذا ليس نداء حقيقياً، إنما هو ندبة أو نداء مجازي.

قوله: وجاء الخطاب والنداء للجمادات في أحـاديث كـثيرة، منهـا أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا نزل أرضاً قال "يـا أرض، ربـي وربـك الله" فهذا نداء وخطاب لجماد، ولا كفر ولا إشـراك فيـه، إذ ليـس فيـه اعتقاد ألوهية واستحقاق عبادة ولا اعتقاد تأثير لغير الله تعالى.

أقول: هذا الخطاب والنداء مجازي، وقد تقـدم شـيء مـن بيـانه، وسيأتي مزيد تحقيق لذلك الحديث.

قوله: وقد ذكر الفقهاء في آداب السفر أن المسافر إذا انفلتت دابته بأرض ليس بها أنيس فليقل: يا عباد الله احبسوا، وإذا أضل شيئاً أو أراد عوناً فليقل: يا عباد الله أعينوني أو أغيثوني فإن لله عباداً لا نراهم، واستدل الفقهاء على ذلك بما رواه ابن السني عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إذا انفلتت دارة أحدكم بأرض فلاة فليناد: يا عباد الله احبسوا، فإن لله عباداً يجيبونه" ففيه نداء وطلب نفع.

أقول: هذا الحديث ضعيف، قال في مجمع الزوائد: وعن عبدالله بن مسعود أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فلاة فليناد: يا عباد الله احبسوا، يا عباد الله احبسوا، فإن لله حاضراً في الأرض ليحسبه". رواه أبو يعلى والطبراني، وفيه معروف بن حسان وهو ضعيف اهـ. قال الذهبي في الميزان: معروف بن حسان أبو معاذ السمرقندي عن عمر بن ذر، قال ابن عدي: منكر الحديث، قد روى عن مر بن ذر نسخة طويلة كلها غير محفوظة، وقال قاسم بن حنبل السرخسي حدثنا إسحاق بن إسماعيل السمرقندي حدثنا معروف بن حسان عن ابن أبي ذئب عن نافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من ربى شجرة كان له كأجر قائم الليل صائم النهار، كأجر غاز في سبيل الله دهره". اهـ.

وعلى تقدير ثبوته ففيه نداء للأحياء وطلب منهم ما يقدرون عليه، وهذا مما لا نزاع في جوازه، والعجب من المؤلف أنه ذكر هذا الحديث في باب الخطاب والنداء للجمادات، وعباد الله الذين وقع ذكرهم في الحديث ليسوا بجمادات.

قوله: وفي حديث آخر رواه الطبراني أنه صلى الله عليه وسلم قال: "إذا ضل أحدكم شيئاً أو أراد عوناً وهو بأرض ليس فيها أنيس فليقل: يا عباد الله أعينوني" وفي رواية "أغيثوني، فإن لله عباداً لا ترونهم" قال العلامة ابن حجر في حاشيته على (إيضاح المناسك): وهو مجرب كما قاله الراوي للحديث المذكور.

أقول: قال في (مجمع الزوائد) وعن عتبة بن غزوان عن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: "إذا ضل أحدكم شيئاً –أو أراد أحدكم عونا- وهو بأرض ليس بها أنيس فليقل: يا عباد الله أعينوني، ويا عباد الله أعينوني، يا عباد الله أعينوني، فإن لله عباداً لا نراهم" وقد جرب ذلك، رواه الطبراني ورجاله وثقوا على ضعف في بعضهم، إلا أن زيد بن علي لم يدرك عتبة. اهـ.

فالحديث ضعيف بسبب الانقطاع، فادعاء المؤلف فيما تقدم صحته ليس بشيء، وعلى تقدير ثبوته فليس فيه إلا نداء الأحياء، والطلب منهم مما يقدر هؤلاء الأحياء عليه، وذلك مما لا يجحده أحد، وذكر هذا الحديث أيضاً في نداء الجمادات دال على أن ذاكره ليس له حظ من العقل.

قلت: وفي الباب عن ابن عباس رضي الله عنهما قال في مجمع الزوائد: وعن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن لله ملائكة في الأرض –سوى الحفظة- يكتبون ما سقط من ورق الشجر، فإذا أصاب أحدكم بأرض فلاة فليناد: أعينوني عباد الله" رواه البزار ورجاله ثقات. اهـ.

قلت: كون الرجال ثقات لا يقتضي صحة الحديث أو حسنه، لاحتمال أن يكون فيه انقطاع أو شذوذ،وعلى تقدير الحديث فالثابت

منه جواز نداء الأحياء أو طلب ما يقدرون عليه منهم، وذلك لا ينكره أحد.

قوله: وروى أبو داود وغيره عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سافر فأقبل الليل قال: "يا أرض، ربي وربك الله، أعوذ بالله من شرك ومن شر ما فيك وشر ما خلق فيك، وشر ما يدب عليك، أعوذ بالله من أسد وأسود، ومن الحية والعقرب، ومن شر ساكن البلد، ووالد وما ولد".

أقول: هكذا قال النووي في الأذكار، رواه أبو دود وغيره، وعزاه صاحب المشكاة إلى أبي داود فقط ورمز له في الحصن الحصين (د، س، مس) وهو دال على أنه أخرجه من داود في سننه والنسائي والحاكم في المستدرك. وقال في نزل الأبرار: قلت: أخرجه أيضاً أبو داود والترمذي والحاكم في المستدرك من حديث ابن مسعود وقال صحيح الإسناد. اهـ.

قلت: وإني راجعت سنن أبي داود والمجتبى والترمذي فما وجدته إلا في سنن أبي داود ونصه هكذا: حدثنا عمرو بن عثمان أخبرنا بقية حدثني صفوان حدثني شريح بن عبيد عن الزبير بن الوليد عن عبد الله بن عمر قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سافر فأقبل الليل قال: "يا أرض ربي وربك الله، أعوذ بالله من شرك وشرما فيك وشر ما خلق فيك وشر ما يدب عليك، وأعوذ بالله من أسد وأسود ومن الحية والعقرب ومن ساكني البلد ومن والد وما ولد". اهـ.

وفي هذا السند الزبير بن الوليد وهو مجهول، لأنه تفرد عنه شريح بن عبيد، كذا في الميزان، قال في الخلاصة: وثقه ابن حبان، وقال الحافظ في التقريب: مقبول. قلت: قد عرفت فيما تقدم أن

توثيق ابن حبان لا اعتداد به، وأن التعديل بلفظ مقبول من أدنى مراتب التعديل، وحكمه أنه يكتب حديثه للاعتبار لا للاحتجاج به.

قوله: وروى الترمذي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما والدارمي عن طلحة ابن عبيد الله رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا رأى الهلال قال: "ربي وربك الله" ففيه خطاب للجماد.

أقول: رمز لهذا الحديث في الحصن الحصين (ت، حب، مي) وهو يدل على أنه أخرجه الترمذي وابن حبان في صحيحه والدارمي، وعزاه صاحب المشكاة إلى الترمذي من حديث طلحة، وقد راجعت الترمذي والدارمي، فنص الترمذي هكذا: حدثنا محمد بن بشار أخبرنا أبو عامر العقدي أخبرنا سليمان بن سفيان المديني قال حدثني بلال بن يحيى بن طلحة بن عبيد الله عن أبيه عن جده طلحة بن عبيد الله أن النبي ربي وربك الله، هذا حديث حسن غريب، هذا آخر كلام الترمذي.

ولفظ الدارمي هكذا: أخبرنا سعيد بن سليمان عن عبد الرحمن بن عثمان بن إبراهيم حدثني أبي عن أبيه وعمه عن ابن عمر قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رأى الهلال قال: "الله أكبر، اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام والتوفيق لما يحب ربنا ويرضى، ربنا وربك الله" أخبرنا محمد بن يزيد الرفاعي وإسحاق بن إبراهيم العقدي حدثنا سليمان بن سفيان المديني عن بلال بن يحيى بن طلحة عن أبيه عن طلحة قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا رأى الهلال قال: "اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام، ربي وربك الله" هذا آخر كلام الدارمي.

فعلم من هنا أن الترمذي إنما أخرجه من حديث طلحة بن عبيد الله لا من حديث ابن عمر، والدارمي أخرجه من حديث ابن عمر أولاً ثم من حديث طلحة، فعزو رواية حديث ابن عمر إلى الترمذي وعدم

عزو رواية حديث طلحة إليه والقصر على عزو رواية حديث طلحة إلى الدارمي كما فعله المؤلف خطأ بين دال على غاية قصور باعه في علم الحديث، وحديث طلحة حسنه الترمذي وفي تحسينه نظر، فإن في سنده سليمان بن سفيان المديني قال الذهبي: سلميان بن سفيان أبو سفيان المدني عن عبد الله ابن دينار، وبلال بن يحبى قال أبن عين: ليس بشيء وقال مرة: ليس بثقة، وكذا قال النسائي، وقال أبو حاتم والدار قطني: ضعيف، العقدي حدثنا سليمان بن سفيان حدثنا بلال بن يحيى بن طلحة بن عبيد الله عن بأبيه عن جده أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا رأى الهلال قال: "اللهم أهله علينا بالأمن والأمان والإسلام ربي وربك الله". اهـ.

وأيضاً: في سنده بلال بن يحيى، قال الحافظ في التقريب بلال بن يحيى بن طلحة ابن عبيد الله التميمي المدني لين.

وحديث ابن عمر أيضاً ضعيف، لأن سنده عثمان بن إبراهيم الحاطبي، قال الذهبي في الميزان: عثمان ابن إبراهيم الحاطبي مدني رأى ابن عمر، له ما ينكر.

وقال أبو حاتم: روى عن أبيه أحاديث منكرة اهـ. وأيضاً سنده عبد الرحمن ابن عثمان الحاطبي، قال الذهبي في الميزان: ضعفه أبو حاتم الرازي.

قلت: وحديث ابن عمر رواه الطبراني أيضاً، قال في مجمع الزوائد: وعن ابن عمر قال: كان رسو ل الله صلى الله عليه وسلم إذا رأى الهلال قال: "اللهم أهله علينا بالأمن والأمان والسلامة والإسلام والتوفيق لما تحب وترضى، ربنا وربك الله" رواه الطبراني، وفيه عثمان بن إبراهيم الحاطبي وفيه ضعف وبقية رجاله ثقات. اهـ.

وفي سنن أبي داود حدثنا موسى بن إسماعيل أخبرنا أبان أخبرنا قتادة أنه بلغه أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان إذا رأى الهلال قال: "هلال خير ورشد، هلال خير ورشد، آمنت بالذي خلقتك" ثلاث مرات ثم يقول: "الحمد لله الذي ذهب بشهر كذا وجاء بشهر كذا"... اهـ.

قلت: هذا أيضاً ضعيف لأنه مرسل، وفي بعض نسخ أبي دود قال أبو داود: ليس عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الباب حديث مسند صحيح اهـ. وعلى تقدير ثبوت الحديث الذي ذكره المؤلف فالخطاب فيه مجازي والمقصود بالخطاب فيه غير المخاطب كما تقدم.

قوله: وصح أنه لما توفي صلى الله عليه وسلم أقبل أبو بكر رضي الله عنه حين بلغه الخبر فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فكشف عن وجهه ثم أكب عليه يقبله ثم بكى وقال: بأبي وأمي طبت حياً وميتاً، اذكرنا يا محمد عند ربك، ولنكن من بالك. وفي رواية للإمام أحمد فقبل جبهته ثم قال: وانبياه. ثم قبلها ثانياً وقال واصفياه، ثم قبلها ثالثاً وقال: واخليلاه، ففي ذلك نداء وخطاب له صلى الله عليه وسلم بعد وفاته.

أقول: لا يخفى عليك أن لفظ "بأبي أنت وأمي طبت حياً وميتاً والله الذي نفسي بيده لا يذيقك الله الموتتين أبداً" رواه البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها في حديث طويل في مناقب الصديق رضي الله عنه، وفيه خطاب لكن هذا الخطاب مجازي من جنس ما يخاطبون المندوب ويعدون محاسنه الواقعية، كما روي عن ابن عباس، يقول: وضع عمر على سريره فتكففه الناس يدعون ويصلون قبل أن يرفع وأنا فيهم، فلم يرعني إلا رجل أخذ منكبي فإذا علي بن

أبي طالب، فترح على عمر، وقال: ما خلفت أحداً أحب إليّ أن ألقى الله بمثل عمله منك، وايم الله إن كنت لأظن أن يجعلك الله مع صاحبيك، وحسبت أني كنت كثيراً أسمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "ذهبت أنا وأبو بكر وعمر، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر، وخرجت أنا وأبو بكر وعمر".

وكما روي عن أنس رضي الله عنه أنه لما مات صلى الله عليه وسلم قالت فاطمة: يا أبتاه أجاب رباً دعاه، يا أبتاه من جنة الفردوس مأواه، يا أبتاه إلى جبريل ننعاه. رواه البخاري، قال الحافظ في الفتح فيؤخذ منه أن تلك الألفاظ إذا كان الميت متصفاً بها لا يمنع ذكره لها بعد موته، بخلاف ما إذا كانت فيه ظاهراً وهو في الباطن بخلافه أو لا يتحقق اتصافه بها فيدخل في المنع. اه

ويؤيد هذا المعنى قوله رضي الله عنه: بأبي أنت وأمي، فإن حقيقة التفدية لا تتصور بعد الموت، فكما أن المراد بالتفدية معناها المجازي كذلك الخطاب، وأيضاً يؤيده قوله رضي الله عنه: وانبياه، واصفياه، واخليلاه، فإن لفظ "وا" لا تستعمل في النداء، إنما تستعمل في الندبة، ويحتمل أن يكون ذلك الخطاب والنداء مثل الخطاب والنداء الواقعين في الأحاديث الواردة في زيارة القبور، والتوجيه فيه مثل ما ذكر في الأحاديث المذكورة.

بقي قوله رضي الله عنه اذكرنا يا محمد عند ربك، ولتك من بالك، وظاهره مشكل، فإن فيه نداء مع الطلب من الميت هو غير جائز عندنا، والجواب هو الكلام في ثبوت هذا اللفظ، فإني لا أعلم أحداً رواه بسند صحيح أو حسن خال عن العلة، إنما ذكره صاحب المواهب بغير سند، وعبارته هكذا: وقال ابن المنير: لما مات صلى الله عليه وسلم طاشت العقول، فمنهم من خبل، ومنهم من أقعد فلم يطق

القيام، ومنهم من أخرس فلم يطق الكلام، ومنهم من أضنى. وكان عمر ممن خبل، وكان عثمان ممن أخرس يذهب ويجيء ولا يستطيع كلاماً، وكان علي ممن أقعد فلم يستطع حراكاً، وأضنى عبد الله بن أنيس فمات كمداً، وكان أثبتهم أبو بكر جاء وعيناه تهملان، وزفراته تتردد، وغصصه تتصاعد وترتفع، فدخل على النبي صلى الله عليه وسلم فأكب عليه، وكشف الثوب عن وجهه وقال: طبت حياً وميتاً، وانقطع لموتك ما لم ينقطع لموت أحد من الأنبياء قبلك، فعظمت عن الصفة، وجللت عن البكاء، ولو أن موتك كان اختيارياً لجدنا لموتك بالنفوس، اذكرنا يا محمد عند ربك، ولنكن من بالك، هكذا ذكره صاحب المواهب بلا سند، ولم يتعرض شارحه العلامة محم د بن عبد الباقي الزرقاني أيضاً لسنده بل هناك قرينة تدل على أنه ليس من كلام الصديق رضي الله عنه وهي أن الله تعالى حرم على الأمة نداءه باسمه، قال تعالى: ﴿لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً ﴾ أي لا تجعلوا دعاءه وتسميته كنداء بعضكم بعضاً باسمه ورفع الصوت به والنداء وراء الحجرات، ولكن قولوا: يا رسول الله يا نبي الله، مع التوقير والتواضع وخفض الصوت، فكيف يقول أفضل الأمة بعد الرسول صلى الله عليه وسلم "يا محمد"؟ ومن ثم وقع لفظ "يا نبي الله" في قول الصديق رضي الله عنه في حديث عائشة الذي رواه البخاري في الجنائز ولفظه هكذا: "ثم بكى فقال: بأبي أنت وأمي يا نبي الله، لا يجمع الله عليك موتتين إلا الموتة التي كتبت عليك فقد متها.

قال بعض المحققين[1] في الرد على كتاب (جلاء الغمة): وفي نفس هذا الأثر الذي أورده ما يرد عليه من وجوه: (منها): قوله اللهم

---

[1] هو الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن، وكتابه (مصباح الظلام) اهـ من حاشية خطية على الأصل.

أبلغه عنا، فإذا سأل الله أن يبلغ نبيه عنهم فكيف يقول بعدها اذكرنا يا محمد عند ربك؟ وهل ه ذا إلا عكس ما قبله؟ ومن دون أبي بكر يتحاشى العاقل من نسبته إليه، فكيف بصديق الأمة؟

وقد ثبت في الصحيح وغيره أن الشهداء قالوا: ألا بلغوا عنا قومنا أنا قد لقينا ربنا فرضى عنا وأرضانا، ولم يأتي أحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى شهيد من الشهداء وطلب منه أن يبلغ عنه ربه، وهم أجل وأفقه من ذلك، فكيف بالصديق رضي الله عنه فإذا جاءت السنة بأن الله هو الذي يبلغ عمن عنده من الشهداء فكيف يعكس القضية ويجعل النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي يبلغ ربه؟ هذا لو صح سنده، فكيف وهو عمن لا يحتج به؟ قال بن السكن: سيف بن عمر ضعيف، وقال أبو حاتم: قعقاع بن عمرو قال: شهدت وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم. هذا فيما رواه سيف بن عمر بن عمرو بن تمام عن أبيه عنه، وسيف متروك فبطل الحديث. اه.

وعلى تقدير ثبوت اللفظ المذكور فلا يبعد كل البعد أن يكون هذا النداء والطلب كلاهما مجازيين كما يتصور الحبيب كثيراً حبيبه في نفسه فيخاطبه بأمور ويطلب منه أشياء، ولا يقصد هناك إلى مجرد التذاذ نفسه بتلك التصورات والألفاظ لا معانيها الحقيقية، أو يكون المقصود بالخطاب غير المخاطب كما تقدم فكأنه خاطب الله وطلب منه أن يجعل نبيه ذاكرنا عنده تعالى وشفيعنا لديه، وهذا احتمالان وإن كانا لا يخلوان عن بعد، لكنهما ليسا بأبعد من الاحتمالات التي وضعها المؤلف لتصحيح كلام المشركين.

قوله: ولما تحقق عمر رضي الله عنه من وفاته صلى الله عليه وسلم بقول أبي بكر رضي الله عنه قال هو يبكي: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لقد كان لك جذع تخطب الناس عليه، فلما كثروا واتخذت

منبرا لتسمعهم حن الجذع لفراقك حتى جعلت يدك عليه فسكن، فأمتك أولى بالحنين عليك حين فارقتهم –إلى قوله- فنظر إلى هذه الألفاظ التي نطق بها عمر رضي الله عنه فقد تعدد فيها النداء له صلى الله عليه وسلم بعد وفاته، وقد رواه كثير من أئمة الحديث وذكرها القاضي عياض في الشفاء والقسطلاني في المواهب والغزالي في الإحياء وابن الحاج في المدخل.

أقول: في المواهب بعد ذكر هذا الخبر ما نصه: الخبر ذكره أبو العباس القصار في شرحه لبردة الأبوصيري ونقله عن الرشاطي في كتابه (اقتباس الأنوار والتماس الأزهار) وذكره ابن الحاج في المدخل وساقه بتمامه، والقاضي عياض في الشفاء لكنه ذكر بعضه اهـ. فعلى من يحتج به ذكر سنده وتوثيق رجاله، وبيان أنه خال من جميع العلل القادحة في التصحيح والتحسين ودونه خرط القتاد، على أن هذا من الرثاء المشروع والتحزن والتوجع المباح كما في قول فاطمة والصديق رضي الله عنهم، فليس هذا النداء في شيء، بل هو ندبة.

قوله: فيبطل بها وبغيرها من الأدلة قول المانعين للنداء مطلقاً.

أقول: المانعون للنداء لا يمنعون النداء مطلقاً، بل يمنعون النداء الحقيقي الذي فيه يطلب من المنادى ما لا يقدر عليه إلا الله.

قوله: وروى البخاري عن أنس رضي الله عنه أن فاطمة رضي الله عنها بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا أبتاه –إلى قوله- ففي هذا الحديث أيضاً نداؤه صلى الله عليه وسلم بعد وفاته.

أقول: هذا ليس من النداء في شيء، بل هو ندبة، يرشدك إلى هذا كون هذا الكلام صادر وقت الوفاة، ووقوع لفظ النعي فيه وزيادة

الألف في آخره لمد الصوت المطلوب في الندبة، فالقول بكونه نداء أدل دليل على جهل قائله.

قوله: ورثته عمته صفية بمرات كثيرة –إلى قوله-: ففي هذا البيت أيضاً نداؤه صلى الله عليه وسلم بعد وفاته.

أقول: القول بكونه نداء أوضح برهان على سوء فهم قائله، فإن وقوعه في الرثاء دليل واضح على كونه ندبة.

قوله: ومما جاء من النداء للميت التلقين له بعد الدفن، وقد ذكره كثير من الفقهاء، واستندوا في ذلك إلى حديث الطبراني عن أبي أمامة رضي الله عنه واعتضد بشواهد كثيرة –إلى قوله- ففي التلقين الخطاب والنداء للميت، فكيف يمنعون النداء مطلقاً؟

أقول: في مجمع الزوائد عن سعيد بن عبد الله الأودي قال: شهدت أبا أمامة وهو في النزع فقال: إذا أنا مت فاصنعوا بي كما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "إذا مات أحد من إخوانكم فسويتم التراب على قبره فليقم أحدكم على رأس قبره ثم ليقل: يا فلان ابن فلانة، فإنه يسمعه ولا يجيب، ثم يقول: يا فلان ابن فلانة فإنه يستوي قاعداً، ثم يقول: يا فلان ابن فلانة، فإنه يقول: أرشدنا رحمك الله، ولكن لا تشعرون، فليقل: اذكر ما خرجت عليه من الدنيا، شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، وانك رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً وبالقرآن إماماً، فإن منكراً ونكيراً يأخذ كل واحد منهما بيد صاحبه ويقول: انطق بنا، ما نقعد عند من لقن حجته؟ فيكون الله حجيجه دونهما، قال رجل: يا رسول الله فإن لم يعرف أمه؟ قال: "فينسبه إلى حواء يا فلان ابن حواء" رواه الطبراني في الكبير، وفي إسناده جماعة لم أعرفهم.

وقال الحافظ ابن القيم في (زاد المعاد): ولم يكن يجلس يقرأ عند القبر، ولا يلقن الميت كما يفعله الناس اليوم، وأما الحديث الذي رواه الطبراني في معجمه من حديث أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم: "إذا مات أحد من إخوانكم فسويتم التراب على قبره فليقم أحدكم على رأس قبره ثم ليقل: يا فلان ابن فلانة، فإنه يسمعه ولا يجيب، ثم يقول: يا فلان ابن فلانة فإنه يستوي قاعداً، ثم يقول: يا فلان ابن فلانة، فإنه يقول: أرشدنا رحمك الله، ولكن لا تشعرون، فليقل: اذكر ما خرجت عليه من الدنيا، شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، وانك رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً وبالقرآن إماماً، فإن منكراً ونكيراً يأخذ كل واحد منهما بيد صاحبه ويقول: انطق بنا، ما نقعد عند من لقن حجته؟ فيكون الله حجيجه دونهما، فقال رجل: يا رسول الله فإن لم يعرف أمه؟ قال: "فينسبه إلى حواء يا فلان ابن حواء" فهذا حديث لا يصح رفعه، ولكن قال الأثرم قلت لأبي عبد الله: فهذا الذي يصنعونه إذا دفن الميت يقف الرجل ويقول يا فلان ابن فلان اذكر ما فارقت عليه: شهادة أن لا إله إلا الله، فقال: ما رأيت أحد فعل هذا إلا أهل الشام حين مات أبو المغيرة جاء إنسان فقال ذلك؛ وكان أبو المغيرة يروي فيه عن أبي بكر بن أبي مريم أنهم كانوا يفعلونه، وكان ابن عياش يروي فيه ، قلت: يريد حديث إسماعيل بن عياس هذا الذي رواه الطبراني عن أبي أمامة.

وقد ذكر سعيد بن منصور في سننه عن راشد بن سعد وضمرة بن حبيب وحكيم ابن عمير قال: إذا استوى على الميت قبره وانصرف الناس عنه فكانوا يستحبون أن يقال للميت عند قبره: يا فلان، قل لا

إله إلا الله، أشهد أن لا إله إلا الله –ثلاث مرات- قل ربـي اللـه، ودينـي الإسلام، ونبيي محمد، ثم ينصرف. انتهى.

قال الحافظ في التلخيص وإسناده صالح وقـد قـواه الضـياء فـي أحكامه، وفي إسناده سعيد الأزدي بيض له أبـو حـاتم، وقـال الهيثمـي بعد أن ساقه: في إسناده جماعة لم أعرفهم. اهـ. وفـي إسـناده أيضـاً عاصم بن عبيد الله وهو ضعيف.

قال الأثرم: قلت لأحمد هذا الذي يصنعونه إذا دفـن الميـت يقـف الرجل ويقول يا فلان ابن فلانة؟ قال: مـا رأيـت أحـداً يفعلـه إلا أهـل الشام حين مات أبو المغيرة يروي فيه عن أبي بكر بن أبي مريـم عـن أشياخهم أنهم كانوا يفعلونه، وكان إسماعيل ابن عياش يرويه، يشـير إلى حديث أبي أمامة. اهـ. هكذا نقله في النيل وفي تفـح العلام شـرح بلوغ المرام، وقال في المنار: إن حديث التلقيـن هـذا حـديث لا يشـك أهل المعرفة في وضعه.

وقال ابن القيم في كتاب الروح: إنه حديث ضعيف، ويتحصل من كلام أئمة التحقيق أنه حديث ضعيف والعمل به بدعـة، ولا يغـتر بكـثرة من يفعله، انتهى ملتقطاً.

وفي نزل الأبرار: وقد أنكر هذا التلقين جماعـة مـن أهـل العلـم وبدعوه، انظر ذلك في الهدى النبوي وغيره كثمار التنكيت لهذا العبـد الضعيف. اهـ.

قلت: لاشك في ضعف هذا الحديث لأن فـي سـنده مجاهيـل كمـا قال الهيثمي في مجمع الزوائد، ولأن في سنده عاصم بـن عبيـد اللـه كما قال الحافظ في التلخيص على ما نقله الشوكاني رحمه الله وهـو ضعيف.

قال الذهبي في الميزان: عاصم بن عبيد الله بن عاصم بن عمر بن الخطاب العدوي عن أبيه وعبد الله بن عامر بن ربيعة وجماعة، وعنه شعيب ومالك، ثم ضعفه مالك، وقال يحيى: ضعيف لا يحتج به، وقال ابن حبا: كثير الوهم فاحش الخطأ فترك، وقال أحمد قال بان عيينة: كان الأشياخ يتقون حديث عاصم بن عبيد الله، وقال النسائي: ضعيف. اهـ.

وقد صرح بضعفه النووي في الأذكار وغيره في غيره، وإنما قواه من قوى لاتصال عمل أهل الشام به، فلننظر فيه فنقول: منا ما روى أبو المغيرة الحمصي عن أبي بكر بن أبي مريم أنهم كانوا يفعلونه، وهذا لا يثبت، فإن في سنده أبا بكر بن عبد الله بن أبي مريم الغساني الحمصي، قال الذهبي: ضعيف عندهم، قلت: وكان من العباد، عن راشد بن سعد وخالد بن معدان، وعنه بقية وأبو اليمان وطائفة، ضعفه أحمد وغيره لكثرة ما يغلط، وكان أحد أوعية العلم، وقال ابن حبان: رديء الحفظ لا يحتج به إذا انفرد.

وقال أبو داود: سرق لأبي بكر بن أبي مريم حلي فأنكر عقله، وسمعت أحمد يقول: ليس بشيء اهـ. ملخصاً. وفي الخلاصة وهامشها: قال الحافظ أبو عبد الله: ضعيف، وكذا قال ابن معين وأبو حاتم وأبو زرعة الخ تهذيب. اهـ.

قال الحافظ ابن حجر في التقريب: ضعيف، وكان قد سرق بيته فاختلط. اهـ.

ومنه ما أخرجه سعيد بن منصور في سننه عن راشد بن سعد وحمزة بن حبيب وحكيم بن عمير قال: إذا استوى على الميت قبره وانصرف الناس عنه فكانوا يستحبون الخ. وراشد هذا وإن كان ثقة لكنه كثير الإرسال، وحكيم بن عمير الحمصي صدوق يهم قاله الحافظ

في التقريب، على أنه لا يعلم سنده إلى هؤلاء التابعين، فعلى من يحتج به بيان السند حتى ينظر فيه.

وبالجملة فثبوت عمل أهل الشام أو لا ممنوع، وعلى تقدير ثبوته لا نسلم كونه مقتضياً لكون الحديث الضعيف قابلاً لأن يحتج به، ومن يدعي فعليه الإثبات، وأما مجرد عمل بعض أهل الشام فليس من الدليل الشرعي في شيء، وعلى تقدير ثبوت حديث التلقين فليس فيه طلب شيء من الميت مما لا يقدر عليه إلا الله، إنما فيه نداء وإرشاد للميت، وهو قد ثبت مخالفاً للقياس فيكون مقصوراً على المورد فلا يقاس عليه غيره.

قوله: ومن النداء للميت ما جاء في الحديث المشهور حديث نادي النبي صلى الله عليه وسلم كفار قريش المقتولين يوم بدر بعد إلقائهم في القليب، رواه البخاري وأصحاب السنن.

أقول: الجواب عنه من وجوده:

(الأول): أن الله تعالى أحياهم حتى أسمعهم قول النبي صلى الله عليه وسلم على طريق خرق العادة، والدليل عليه ما روى البخاري في المغازي عن ابن عمر قال: وقف النبي صلى الله عليه وسلم على قليب بدر فقال: "هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً" ثم قال "إنهم الآن يسمعون ما أقول" الحديث، فإن لفظة "الآن" دليل واضح عليه، والتخصيص بما أقول يمكن الاستئناس به على أن ذلك كان من قبيل خرق العادة، وقال قتادة: أحياهم الله حتى أسمعهم قوله توبيخاً وتصغيراً ونقمة وحسرة وندماً رواه البخاري في صحيحه، ورواه أحمد بلفظ: قال قتادة: أحياهم الله له حتى سمعوا قوله توبيخاً وتصغيراً، ورجاله رجال الصحيح، كذا في مجمع الزوائد.

قال السهيلي ما محصله: إن في نفس الخبر ما يـدل علـى خـرق العادة بذلك للنبي صلى الله عليه وسلم لقول الصـحابة لـه: أتخـاطب أقواماً جيفوا؟ فأجابهم. كذا في الفتح، وإذا كان الذي وقع حينئذ مـن خوارق العادة للنبي صلى الله عليه وسلم حينئذ لم يصـح التمسـك بـه على جواز نداء الميت.

و(الثاني): أن هذا النداء لم يكن لطلب ما لا يقـدر عليـه إلا اللـه، بل إنما كان توبيخاً وتصغيراً، فعلى تقدير عدم كونه من خوارق العادة إنما يثبت به جواز نداء من علـم مـوته علـى الكفـر قطعـاً علـى قـبره وقول مـا قـال رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم لقتلـى بـدر مـن المشركين توبيخاً وتصغيراً، وهذا لا نزاع فيه، إنما النـزاع فـي نـدائهم الأمـوات مـن الأنبيـاء والصـالحين تعظيمـاً وإكرامـاً لهـم متضـرعين خاشعين طالبين لما لا يقدر عليه إلا اللـه،وهـذا لا يـدل عليـه الحـديث أصلاً.

و(الثالث): أن هذا النداء معدول عن القياس مخالف لـه، فيكـون مقصوراً على المورد فلا يقاس عليه غيره، وقد صدر مثل هذا التقريع والتوبيخ من الأنبياء السابقين أيضـاً كصـالح عليـه السـلام، قـال اللـه تعالى في سورة الأعراف: ﴿فتولى عنهم وقال يـا قـوم لقـد أبلغتكـم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين﴾.

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره: هـذا تقريـع مـن صـالح عليـه السلام لقومه لما أهلكهم اللـه بمخـالفتهم إيـاه وتمردهـم علـى اللـه وإبائهم عن قبول الحق وإعراضهم عن الهدى إلى العمـى، قـال لهـم صالح ذلك بعد هلاكهم تقريعاً وتوبيخاً هم يسمعون ذلك. اهـ. وكشعيب عليه السلام، قال تعالى في سورة الأعراف: ﴿فتولى عنهـم وقـال يـا

قوم لقد أبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فيكف آسي على قوم كافرين﴾.

قال الحافظ بن كثير: أي فتولى عنهم شعيب عليه السلام بعدما أصابهم ما أصابهم من العذاب والنقمة والنكال، وقال مقرعاً لهم وموبخاً: ﴿يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم﴾. اهـ.

ولا يخفاك أن المؤلف عزا روايته إلى البخاري وأصحاب السنن، وهذا دال على أن مسلماً لم يخرجه، وهو غفلة فاحشة، فإن مسلماً أخرجه في (باب عرض مقعد الميت من الجنة والنار عليه وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه) ولفظه هكذا:

عن أنس بن مالك قال: كنا مع عمر بين مكة والمدينة فترائينا الهلال، وكنت رجلاً حديد البصر فرايته، وليس أحد يزعم أنه رآه غيري، قلت فجعلت أقول لعمر: أما تراه؟ فجعل لا يراه، قال يقول عمر: سأراه وأنا مستلق على فراشي، ثم أنشأ يحدثنا عن أهل بدر فقال:إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرينا مصارع أهل بدر بالأمس يقول: "هذا مصرع فلان غداً إن شاء الله، قال فقال عمر: فوالذي بعثه بالحق ما أخطؤا الحدود التي حد رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فجعلوا في بئر بعضهم على بعض، فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهى إليهم فقال: "يا فلان ويا فلان ويا فلان، هل وجدتم ما وعدكم الله ورسوله حقاً فإني قد وجدت ما وعدني الله حقا قال عمر: يا رسول الله كيف تكلم أجساداً لا أرواح فيه، قال: ما أنتم بأسمع لما أقول منه، غير أنهم لا يستطيعون أن يردوا علي شيئاً" وفي رواية أخرى له عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك قتلى بدر ثلاثا ثم أتاهم فقام عليهم فناداهم فقال: "يا أبا جهل بن هشام، يا أمية ابن خلف، يا عتبة بن

ربيعة، يا شيبة بن ربيعة، أليس قد وجدتم ما وعدكم ربكم حقا؟" فسمع عمر قول النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله كيف يسمعون، أو أنى يجيبون وقد جيفوا؟ قال: "والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منه، ولكنهم لا يقدرون أن يجيبوا" ثم أمر بهم فسحبوا فألقوا في قليب بدر. اهـ.

وفي جنائز مسلم عن هشام عن أبيه قال: ذكر عند عائشة رضي الله عنها أن ابن عمر يرفع إلى النبي صلى الله عليه وسلم: "أن الميت يعذب في قبره ببكاء أهله" فقالت: وهل، إنما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنه ليعذب بخطيئته أو بذنبه وأن أهله ليبكون عليه الآن، وذلك مثل قوله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام على القليب يوم بدر وفيه قتلى بدر من المشركين فقال لهم ما قال إنهم ليسمعون ما أقول وقد وهل، إنما قال إنهم ليعلمون أن ما كنت أقول لهم حق، ثم قرأت: ﴿إنك لا تسمع الموتى وما أنت بمسمع من القبور﴾ يقول حين تبوؤا مقاعدهم من النار. اهـ.

وأيضاً القول المذكور يدل على أن أصحاب السنن كلهم أخرجوا هذا الحديث، مع أني راجعت السنن الأربعة، وتتبعت مظانه ولم آل جهداً فيه فلم أجده إلا في سنن النسائي، قال القسطلاني تحت حديث ابن عمر: وأخرجه أيضاً في المغازي مطولاً، ومسلم في الجنائز، وكذا النسائي، ولم يذكر أحد فيما أعلم أن الحديث أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه، فهذا أوضح دليل على قصور نظر المؤلف وقلة علمه وكثرة غلطه وخطئه.

قوله: وأما ما جاء من الآثار، عن الأئمة الأحبار، والعلماء الأخيار، والأولياء الكبار، مما يدل على جواز ذلك النداء والخطاب فشيء كثير

تنقضي دون نقله الأعمار، ومضى على ذلك القرون والأعصار، ولا وقع منهم إنكار.

أقول: دلالة ما جاء من الآثار على جواز نداء الأموات والجمادات نداء حقيقياً بحيث يطلب فيه منهم ما لا يقدر عليه إلا الله ممنوعة، ومن يدعي فعليه البيان، وأما مطلق النداء فلا يمنعه أحد.

قوله: فكيف يجوز الإقدام على تكفير المسلمين، بشيء قام ثبوته بالبراهين؟

أقول: إنما نكفر بالنداء الحقيقي الذي يطلب فيه من الأموات والجمادات ما لا يقدر عليه إلا الله وهذا شيء لم يثبت بعد بالبراهين بل قام الدليل على كونه كفراً.

قوله: وفي الحديث الصحيح: من قال لأخيه المسلم يا كافر فقد باء بها أحدهما إن كان كما قال وإلا رجعت عليه.

أقول: من نادى الأموات والجمادات نداء حقيقياً وطلب منهم ما لا يقدر عليه إلا الله فقد انسلخ من الإسلام فلا يكون مكفره مصداقاً لهذا الحديث.

قوله: فلا يحكم على أحد من أهل القبلة بالكفر إلا بأمر واضح قاطع للإسلام.

أقول: لا شك أن عبادة غير الله أمر واضح قاطع للإسلام، والنداء المذكور عبادة غير الله بلا مرية، فكيف لا يحكم على من يرتكبه بالكفر؟

قوله: ورأيت رسالة للشيخ محمد بن سليمان الكردي المدني صاحب الحواشي على مختصر "بافضل" في الفقه على مذهب الإمام الشافعي رحمه الله، قال في تلك الرسالة يخاطب محمد بن عبد الوهاب حين قام بالدعوة، وكان محمد بن عبد الوهاب من تلامذة

الشيخ محمد بن سلميان المذكور وقرأ عليه بالمدينة المنورة، قال في تلك الرسالة: يا ابن عبد الوهاب، سلام على من ابتع الهدى، فإني أنصحك لله تعالى أن تكف لسانك عن المؤمنين، فإن سمعت من شخص أنه يعتقد تأثير ذلك المستغاث به من دن الله فعرفه الصواب، وأذكر هل الأدلة على أنه لا تأثير لغير الله تعالى، فإني أبي فكفره حينئذ بخصوصه ولا سبيل لك إلى تكفير السواد الأعظم من المسلمين، وأنت شاذ عن السواد الأعظم، فنسبة الكفر إلى من شذ عن السواد الأعظم أقرب لأنه اتبع غير سبيل المؤمنين، قال تعالى: ﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً﴾. وإنم ا يأكل الذئب من الغنم القاصية.

أقول: لم يكفر الشيخ محمد بن عبد الوهاب أحداً منا لمؤمنين ابتداء، إنما دعا عباد القبور إلى إخلاص العبادة لله، ونهاهم عن دعاء الأنبياء والأولياء والصالحين، بحيث يطلب فيه منهم ما لا يقدر عليه إلا الله من قضاء الحاجات، وتفريج الكربات، وبين أنه من أعظم الشرك الذي كفر الله به المشركين، وإذا دعا أحدهم لديه الأنبياء والصالحين الذين كانوا يعبدونهم مع رب العالمين نهاه عن ذلك وزجره وعرفه الصواب وحذره، فقالوا إن كان الذي نحن عليه من الدعوات والاعتقادات بأهل القبور كفراً وشركاً فنحن كفار ومشركون، فهم هم الذين شهدوا على أنفسهم بالكفر.

فها أنا أذكر من ترجمته (رحمه الله) ما يتضح به عندك صحة ما ادعيناه، فأقول:

خلاصة ترجمة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله

ودعوته إلى التوحيد[1]

قال الشيخ حسين بن غنام الاحسائي في (روضة الأفكار والإفهام، لمرتاد حال الإمام، وتعدد غزوات ذوي الإسلام):

أما نسبه رحمه الله تعالى، وأفاض عليه سحائب غفرانه ووالى، فهو: محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بي محمد بن أحمد بن راشد بن بريد بن محمد بن بريد بن مشرف، ولد رحمه الله تعالى سنة خمس عشرة بعد المائة والألف من الهجرة النبوية في بلد العيينة من البلدان النجدية، فأنبته الله نباتاً حسناً، وجلا به عن طرف الدهر وسنا، وبقي بعد سن الطفولة زمناً يتعلم في تلاوة القرآن، معتزلاً في غالب الأوقات لعب الصبيان، ولهو الجهال والغلمان، حتى حفظ القرآن عن ظهر قلب قبل بلوغ العشر، وكان حاد الفهم سريا وقاد الذهن ذكياً، سريع الحفظ، فصيح اللفظ، ألمعي الفطنة.

اشتغل في العلم على أبيه وجد في الطلب، وأدرك بعض الأرب، وهو في بلد العيينة في تلك الحال، قبل رحلته لطلب العلم والارتحال، وتطوافه له في كثير من البلاد، حتى نال منه المراد، وفاز بالسعد والإسعاد، وحاز الرشد والإرشاد.

وكان والده قد توسم ذلك، ويحدث بذلك ويبديه: ويؤمل ذلك منه ويرجوه، كما حدث به سليمان أخوه، قال: كان عبد الوهاب أبوه يتعجب من فهمه وإدراك، قبل بلوغه وإدراكه، ومناهزته الاحتلام وأفراكه، ويقول أيضاً: لقد استفدت من ولدي محمد فوائد من الأحكام، أو قريباً من هذا الكلام.

وقد كتب والده إلى بعض إخوانه رسالة نوه فيها بشأنه يثني فيه عليه وأن له فهماً جيداً أو لديه، ولو يلازم الدرس سنة على الولاية،

---

[1] **العنوان للمصحح.**

لظهر في الحفظ والإتقان آية، وقد تحققت أنه بلغ الاحتلام، قبل إكمال اثنتي عشرة سنة على الإتمام، ورايته أهلاً للصلاة بالجماعة والإئتمام، فقدمته لمعرفته بالأحكام، وزوجته بعد البلوغ في ذلك العام، ثم طلب مني الحج إلى بيت الله الحرام، فأجبته بالإسعاف لذلك المرام، فحج وقضى ركن الإسلام، وأدمى المناسك على التمام، ثم قصد مدينته عليه الصلاة والسلام، وأقام فهيا شهرين ثم رجع بعد ذلك ، فائزاً بأجر الزيارة والمناسك، وأخذ في القراءة علة والده في الفقه على مذهب الإمام أحمد، فسلك فيه الطريق الأحمد، ورزق مع الحفظ سرعة الكتابة، فكان يحير أصحابه، بحيث أنه يخط بالخط الفصيح في المجلس الواحد كراس[1]، من غير سآمة ولانصب ولا التباس.

ثم بعد ذلك رحل في العلم وسار، وجد في الطلب إلى ما يليه من الأمصار، وما يحاذيه من الأقطار، فزحم فيه العلماء الكبار، وأشرق طالعه واستنار، وصار لهلاله إقمار، ووطئ الحجاز والبصرة لذلك مرراً، وإلى الإحساء لتكل الأوطار وأخذ العلم عن جماعة منهم الشيخ عبد الله بن إبراهيم النجدي ثم المدنين وأجازه من طريقين، وأول حديث سمعه منه الحديث المشهور المسلسل بالأولية، نقلت من خطه ما نصه. اه. الخ

وأيضاً قال فيه: وقد سمع رحمه الله الحديث والفقه من جماعة بالبصرة كثيرة، وقرأ بها النحو وأتقن تحريره، وكتب الكثير من اللغة والحديث في تلك الإقامة، ويحث على طريق الهدى والاستقامة، وكان أكثر لبثه لأخذ العلم بالبصرة ومقامه، وقد نشر للتوحيد فيها لدى بعض الناس أعلامه، وحقق لهم في ذلك الشأن إتقانه وإعلامه،

---

(1) لم ينصب كلمة كراس أجل النطق بها ساكنة لمناسبة السجع، وهي لغة ربيعة، وسيأتي مثل هذا في أسجاعه، وكتبه محمد رشيد رضا.

وأوضح لهم سبيله وأحكامه، فقال إن الدعوة كلها لله، يكفر من صرف شيئاً منها إلى سواه، وإذا ذكر أحد بمجلسه بشارات الطواغيت والصالحين، الذين كانوا يعبدونهم مع رب العالمين، نهاه عن ذلك وزجره، وبين له الصواب وحذره، وقال له:محبة الأولياء والصالحين إنما هي اتباع هديهم وآثارهم، والاستنارة بضياء أنوارهم ، لا صرف الحقوق الربانية، إلى الأجسام الوثنية، وقد وقع ذلك بمجلسه مرة فأبدى للقائل نهيه وزجره، وأظهر عليه أغلاطه ونكره، فتغير وجه القائل وحال، واستغرب ذلك المقال، وقال: إن كان ما يقوله حقاً هذا الإنسان، فالناس ليسوا على شيء من زمان.

قال رحمه الله: وكان ناس من مشركي البصرة يأتون إلي، بشبهات يلقونها علي، فأقول وهم قعود لدي: لا تصلح العبادة كلها إلا لله، فيبهت كل منهم فلا ينطق فاه.

ثم رجع بعد ذلك السفر، فإذا والده عبد الوهاب قد رفض سكنى العيينة وهجر، واختار سكنى حريملا فأقام بها واستقر، فأقام فيها مع أبيه، يعلن التوحيد ويبديه، وينادي بإبطال دعوة غير الله ويفشيه، وينصح من عدل عن الحق والرشاد، ويسلك في ذلك سبيل السداد، ويزجر الناس عن الشرك والباطل والفساد، حتى رفع الله شأنه فساد، وجد رحمة الله في تعليم الواجب وبذل المناصحة للخاص والعام، ونشر شرائع الإسلام، ومهد سنة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، وأزال ما غطى القلوب من رين الشرك الذي هو أعظم الذنوب، وكشف الذنوب المظلمة للناس، وأماط أذى اللبس والالتباس، ويحذرهم إن داموا على ما هم فيه من وقوع النقمة والبأس، ورفض منهج الغلول والخيانة، وأدى من العلم الأمانة، وترك ما كان علماء السوء قبله له سالكون وفي قعره العملي راكسون،

وفي أرجائه المغبرة ماكثون، وخشي الوقوع في تغليظ الوعيد، كما نطق به القرآن المجيد: ﴿إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بنياه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون﴾. فأي وعيد فوق هذا الوعيد، وأي تهدي وراء هذا التهديد؟ كلا ما على لعنة من مزيد، فلله دره من جهبذ عالم وداع إلى التوحيد قائم، وناصح له ملازم، ومجدد لتلك المشاهد السنية والمعالم، ومحي لآثار سلفية لم يبق منها سوى الأطلال والمراسم، ومميت لبدع رفضية، شابهت المجوسية، وأمور شركية، اعتقدها أكثر البرية، أمروا حسنة دينية، فأقاموا بها أعياداً مواسم، وعكفوا عليها والأغلب لها سائم، ولتشييدها والذب عنها رائم، فانتدب هاذ الإمام الذي أضحى الحق بهديه مشرقاً باسم، والباطل بحججه مظلماً سادم، منادياً لعلى رءوس العوالم، بإخلاص العبادة وتنكير الإشراك والمظالم، وإبطال دعوة غيره من نبي وولي وظالم وحاكم، فلم يخف في الله لومة لائم، حتى نال من ولاه المنح العظائم،والعطايا الكرام الجسائم. اهـ.

وايضاً قال فيه:

مهمات

(الأولى): أنه -رحمه الله- لما تظاهر بذلك الأمر والشأن في تلك الأوقات والأزمان، والناس قد أشربت منهم القلوب، بمحبة المعاصي والذنوب، وتولعوا بما كانوا عليه من العصيان، وقبائح الأهواء الغالبة على كل إنسان، لم يسرع لها لسان، ولم يصم منه لب وجنان، على تكفير أولئك العربان، بل توقف تورعاً عن الإقدام في ذلك الميدان، حتى نهض عليه جميع العدوان، وماجوا وصاحوا بتكفيره وجماعته في جميع البلدان، ولم يتثبتوا فيما جاءوا من الإفك والبهتان، ولم يكترثوا بما حكوا عليه من الزور، وما اقترفوه من الفجور، بل كان لهم على

شنيع ذلك المقال، إقدام وإسراع وإقبال، ولم يأمر بسفك دم ولا قتال، على أكثر أهل الأهواء والضلال، حتى بدءوه بالحكم عليه وأصحابه بالقتل والتكفير وكان ذلك سبب حسن العاقبة للإمام من العليم الخبير، ومساعدة القضاء له والتدبير، وشؤم ذلك على العداء الذين تمالؤا على ذلك الأمر المبير، الذي كان عقباه عليهم الهلاك والتدمير: ﴿جزاء بما كانوا يكسبون، ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوءى أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون﴾.

نعم ثبت لدينا، ونقل نقلاً صحيحاً إلينا أنهم ه م الذين شهدوا على أنفسهم وألقوها في مظالم قعر المهالك، ونظموا أرواحهم مع الكفار في تلك المسالك، وألحقوا من عند أنفسهم بأولئك، فقالوا إن كان كفراً الذي نفعل من الدعوات والاعتقادات بأهل القبور، في تلك الأزمنة الماضية والدهور، فنحن كفار ضلال، من غير ريب ولا إشكال، ولقد لهج بتلك الأحوال ذوو الأحلام منا والجهال، فهم الذين ألزموا أنفسهم بتلك المقالة، ووسموا أنفسهم بميسم الكفر والضلالة. اه.

اتهام خصوم الشيخ إياه اثنتي عشرة تهمة وجوابه عنها

قال الشيخ في الرسالة التي كتبها إلى عبد الله بن سحيم ما نصه:

إذا تبين هذا فالمسائل التي شنع بها منها ما هو البهتان الظاهر وهي قوله أني مبطل كتب المذاهب، (وقوله): أني أقول إن الناس من ستمائة ليسوا على شيء، (وقوله): أني أدعي الاجتهاد، (وقوله): إني خارج عن التقليد، (وقوله): أني أقول أن اختلاف العلماء نقمة، (وقوله): أني أكفر من توسل بالصالحين، (قوله): أني أكفر البوصيري لقوله يا أكرم الخلق، (قوله): أني أقول لو قدر على ه دم حجرة الرسول صلى الله عليه وسلم لهدتها، ولو أقدر على الكعبة

لأخذت ميزابها وجعلت لها ميزاباً من خشب، (وقوله): أني أنكر زيـارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم وأنكـر زيـارة قـبر الوالـدين وغيرهـم وني أكفر من يحلف بغير الله، فهذه اثنتا عشرة مسـألة جـوابي فيهـا أن أقول:

﴿سبحانك هذا بهتان عظيم﴾. ولكن قبلـه مـن بهـت محمـداً صـلى اللـه عليـه وسـلم أنـه يسـب عيسـى ابـن مريـم ويسـب الصـالحين: ﴿تشابهت قلوبهم﴾، وبهتوه بأنه يزعم أن الملائكة وعيسى وعزيرا في النار، فأنزل الله تعالى في ذلك: ﴿إن الذين سبقت لهـم منـا الحسـنى أولئك عنها مبعدون﴾. الآية. اهـ.

<u>تكذيب الشيخ اتهامه بتكفير كل من يخالفه:</u>

وأيضاً قال في تلك الرسالة: وأضيف إليها مسألة سادسـة وهـي إفتائي بكفر شمسان وأولاده ومن شابهه وسميتهم طـواغيت،وذلـك أنهم يدعون الناس إلى عبادتهم من دون الله عبادة أعظم مـن عبـادة اللات والعزى بأضعاف،وليس في كلامـي مجازفـة، بـل هـو الحـق لأن عبادة اللات والعزى يعبدونهما في الرخاء ويخلصون للـه فـي الشـدة، وعبادة هؤلاء أعظم من عبادتهم إياهم في شدائد البر والبحر. اهـ.

قال الشيخ حسين بن غنام في روضة الأفكـار: وأمـا قـوله ومـن أعظمها أن من لم يوافقه في كـل مـا قـال ويشـهد أن ذلـك[1] يقطـع بكفره، ومن وافقه وصدقه في كل ما قال، قال أنت موحـد ولـو كـان فاسقاً محضاً أو مكاساً، وبهذا يظهر أنه يدعو إلى توحيد نفسه إلا إلى توحيد الله، فمراده بذلك أن من وافق الشيخ علـى توحيـد اللـه وتـبرأ من عبادة الأوثان تاج وشمسان وإدريس وقريوه والمغربي وتبرأ مـن الشرك وأهله سـماه موحـداً، ولـم يـوافقه علـى توحيـد اللـه وإخلاص

---

(1) كذا في الأصل فيراجع في روضة الأفكار.

العبادة له بجميع أنواعها واستمر على عبادة المخلوقين مع الله وسب دين الله الذي يدعو إليه هذا الشيخ يقطع بكفره، وهذا الخبيث وأشباهه لا يعرفون الشرك في العبادة ويظنون أن المشرك[1] إذا جعل الإنسان مخلوقاً مع الله في التدبير والملك والإحياء والإماتة والنفع والضر.

وأما كونه يجعل المخلوقين وسائط بينه وبين الله يدعوهم ويتوكل عليهم، ويسألهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات، وقصده بذلك التقرب إلى الله وطلب شفاعتهم، فهذا عند هؤلاء المشركين من أعظم القربات، وأفضل الطاعات، ومن أنكر هذا كفروه وبدعوه وخرجوه ونسبوه إلى السفه والضلال. اهـ.

وأيضاً قال فيها: وأما قوله ومن وافقه في كل ما قال، قال أنت موحد ولو كان فاسقاً أو مكاساً، فمراده بذلك أن من وافقه على إخلاص العبادة والدعوة لله وتاب وأناب إلى الله مما كان يفعله من الشرك بالله ودعوة الصالحين وغيرهم من الأحياء والأموات وعرف قول لا إله إلا الله وأنها نفي وإثبات، فشطرها الأول نفي الإلهية مطلقاً، والثاني إثباتها لله دون ما سواه من أهل السموات والأرض ومن الأحياء والأموات سماه موحداً، ولو كان فاسقاً أو مكاساً وهو صادق في ذلك، وذلك أن الإنسان إذا عرف التوحيد وشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صدقا من قلبه والتزم مضمون هاتين الشهادتين، فهو عند الشيخ رحمه الله مؤمن موحد ولو كان فاسقاً مكاساً، وكذلك عند سائر العلماء من أهل السنة والجماعة، وذلك أن الإنسان إذا دخل في الإسلام وحكم بإسلامه لا يخرجه من الإسلام ما يفعله من الكبائر كالسرقة والزنا وشرب المسكر، وأخذ الأموال ظلماً

---

(1) **لعله أصله الشرك بدون ميم.**

وعدواناً، وإنما يخرجه من الإسلام إلى الكفر هو الشرك بالله وإنكار ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من الدين بعد معرفته بذلك وإقامة الحجة عليه. اهـ.

اتخاذ الوسائط بين الله وعبادة كفر بشرطه:

وقال الشيخ في الرسالة التي كتبها إلى سليمان بن سحيم: وأما الثانية وهي أن الذي يجعل الوسائط هو الكافر، وأما المجعول فلا يكفر، فهذا كلام تلبيس وجهالة، ومن قال أن عيسى وعزيرا وعلي بن أبي طالب وزيد بن الخطاب وغيرهم من الصالحين يلحقهم نقص يجعل المشركين إياهم وسائط؟ حاشا وكلا: ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾.

وأنا كفرنا هؤلاء الطواغيت أهل الخرج وغيرهم بالأمور التي يفعلونها هم: (منها): أنهم يجعلون آبائهم وأجدادهم وسائط، (ومنها): أنهم يدعون الناس إلى الكفر، (ومنها): أنهم يبغضون عند الناس دين محمد صلى الله عليه وسلم ويزعمون أهل العارض كفروا لما قالوا لا يعبد إلا الله، وغير ذلك من أنواع الكفر، وهذا أمر أوضح من الشمس لا يحتاج إلى تقرير، ولكن أنت رجل جاهل مشرك مبغض للحق وتلبس على الجهال، الذين يكرهون دين الإسلام ويحبون الشرك ودين آبائهم، وإلا فهؤلاء الجهال لو مرادهم اتباع الحق عرفوا أن كلامك من أفسد ما يكون.

مسألة عدم تكفير المسلم بالذنب:

وأما المسألة الثالثة: وهي من أكبر تلبيسك الذي تلبس به على العوام أن أهل العلم قالوا لا يجوز تكفير المسلم بالذنب، وهذا حق، وليس هذا مما نحن فيه، وذلك أن الخوارج يكفرون من زنى وسرق أو سفك الدم، بل كل كبيرة إذا فعلها المسلم كفر.

وأما أهل السنة فمذهبهم أن المسلم لا يكفر إلا بالشرك، ونحن ما كفرنا الطواغيت وأتباعهم إلا بالشرك، لكنك رجل من أجهل الناس تظن أن من صلى وادعى أنه مسلم لا يكفر، فإذا كانت تعتقد ذلك فما تقول في المنافقين الذين يصلون ويصومون ويجاهدون؟ قال الله تعالى فيهم: ﴿إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار﴾.

وما تقول في الخوارج الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد، أينما لقيتموهم فاقتلوهم" أتظنهم ليسوا من أهل القبلة؟

ما تقول في الذين اعتقدوا في علي بن أبي طالب رضي الله عنه مثل اعتقاد كثير من الناس في عبد القادر وغيره فأضرم لهم علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ناراً فأحرقهم بها، وأجمعت الصحابة على قتلهم، لكن ابن عباس رضي الله عنهما أنكر تحرقيهم بالنار وقال: يقتلون بالسيف، أتظن أن هؤلاء ليسوا من أهل القبلة؟ أم أنت تفهم الشرع وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يفهمونه؟ أرأيت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قاتلوا من منع الزكاة، فلما أرادوا التوبة قال أبو بكر: لا نقبل توبتكم حتى تشهدوا أن قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار.

وقال الشيخ في الرسالة التي كبتها إلى عبد الرحمن بن عبد الله: منها ما ذكرتم أني أكفر جميع الناس إلا من اتبعني وأزعم أن انكحتهم غير صحيحة، ويا عجباً كيف يدخل هذا في عقل عاقل؟ هل يقول هذا مسلم أو كافر أو عارف أو مجنون؟ اهـ.

وأيضاً قال الشيخ في جواب مسألة: وأما الكذب والبهتان فمثل قولهم إنا نكفر بالعموم، ونوجب الهجرة إلينا على من قدر على إظهار دينه، وإنا نكفر من لم يكفر ولم يقاتل، ومثل هذا وأضعاف

أضعافه، فكل هذا من الكذب والبهتان الذي يصدون بـه عـن ديـن اللـه ورسوله.

وإذا كنا لا نكفر من عبد الصنم الذي على قبر عبد القادر والصـنم الذي على قبر أحمد البدوي وأمثالهم لأجل جهلهم وعدم مـن ينبههـم فكيف نكفر من لم يشرك بالله إذا لم يهاجر إلينا أو لم يكفر ويقاتـل؟ سبحانك هذا بهتان عظيم. اهـ.

وقال الشيخ في الرسالة التي كتبها لأهـل مكـة بعـد منـاظرتهم: إذا عرف هذا فالذي نعتقده ندين اللـه بـه أن مـن دعـا نبينـاً أو لويـاً أو غيرهما وسأل منهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات أن هذا من أعظم الشرك الذي كفـر اللـه بـه المشـركين حيـث اتخـذوا أوليـاء وشـفعاء، ويستجلبون بهم النافع ويستدفعون بهـم الضـار بزعمهـن، قـال اللـه تعالى: ﴿ويعبـدون مـن دون اللـه مـا لا يضـرهم ولا ينفعهـم ويقولـون هؤلاء شفعاؤنا عند الله﴾.

فمن جعل الأنبيـاء أو غيرهـم كـابن عبـاس أو المحجـوب أو أبـي طالب وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم جلب المنـافع بمعنـى أن المخلوق يسألهم وهم يسألون الله، كما أن الوسائط عنـد الملـوك يسألون الملوك حوائج الناس لقربهم منهم، والنـاس يسـألونهم أدبـاً منهم أن يباشروا سؤال الملـك، أو لكـونهم أقـرب إلـى الملـك، فمـن جعلهم وسائط على هذا الوجه فهو كافر مشـرك حلال الـدم والمـال. اهـ.

قال الشيخ عبد الله بن ابـن الشـيخ محمـد بـن عبـد الوهـاب فـي ديباجة رسالة اختصرت من الرسائل المؤلفة للشيخ[1].

---

[1] قوبل المنقول من تلك الرسالة هنا إلى قوله اعلم على (الهدية السنية).

أما بعد فأنا معاشر غزو الموحدين لما من الله علينا وله الحمد بدخول مكة المشرفة نصف النهار يوم السبت ثمن شهر المحرم الحرام سنة 1218 بعد أن طلب أشراف مكة وعلماؤها وكافة العامة من أمير الغزو سعود حماه الله الأمان، وقد كانوا تواطؤا مع أمراء الحجيج وأمير مكة على قتاله أو الإقامة في الحرم الشريف ليصدوه عن البيت، فلما زحفت أجناد الموحدين ألقى الله الرعب في قلوبهم فتفرقوا شذر مذر، كل واحد يعد الإياب غنيمة، وبذل الأمير حينئذ الأمان لمن بالحرم الشريف، ودخلنا شعارنا التلبية آمنين محلقين رؤوسنا ومقصرين، غير خائفين، من أحد المخلوقين، بل من مالك يوم الدين، ومن حين دخل الجند الحرم وهم على كثرتهم مضبوطون متأدبون، لم يعضدوا به شجرة، ولم ينفروا به صيداً، ولم يريقوا به دماً إلا دم الهدي أو ما أحل الله من بهيمة الأنعام على الوجه المشروع.

ولما تمت عمرتنا جمعنا الناس ضحوة الأحد وعرض الأمير عافاه الله تعالى على العلماء ما نطلب الناس ونقاتلهم عليه وهو إخلاص التوحيد لله تعالى وحده، وعرفهم أنه لم يكن بيننا وبينهم خلاف له وقع إلا في أمرين:

(أحدهما): إخلاص التوحيد ومعرفة أنواع العبادة وأن الدعاء من جملتها، وتحقيق معنى الشرك الذي قاتل الناس عليه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم واستمر دعاؤه برهة من الزمان بعد النبوة إلى ذل التوحيد وترك الإشراك قبل أن تفرض عليه أركان الإسلام الأربعة.

و(الثاني): الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي لم يبق عندهم إلا اسمه، وانمحى أثره ورسمه، فوافقونا على استحسان ما نحن عليه جملة وتفصيلاً، وبايعوا ذلك الأمير على الكتاب والسنة، وقبل منهم وعفا عنهم كافة، فلم يحصل على أحد منهم أدنى مشقة،

ولم يزل يرفق بهم غاية الرفق ولا سيما العلماء ويقرر لهم حال اجتماعهم وحال انفرادهم لدينا أدلة ما نحن عليه. ويطلب منهم المناصحة والمذاكرة، وبينا لهم الحق، وعرفناهم بأن صرح لهم الأمير حال اجتماعهم بأن قابلون ما وضحوا برهانه من كتاب أو سنة أو أثر عن السلف الصالح كالخلفاء الراشدين المأمورين باتباعهم بقوله صلى الله عليه وسلم: "فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي" وعن الأئمة الأربعة المجتهدين ومن تلقى العلم عنهم إلى آخر القرن الثالث، لقوله صلى الله عليه وسلم: "خيركم قرني، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم"، وعرفناهم أنا دائرون مع الحق أينما دار، وتابعون للدليل الجلي الواضح، ولا نبالي حينئذ بمخالفة ما سلف عليه من قبلنا، قلم ينقموا علينا أمراً فألححنا عليهم في مسألة طلب الحاجات من الأموات إن بقي لديهم شبة، فذكر بعضهم شبهة أو شبهتين فرددناها بالدلائل القاطعة من الكتاب والسنة حتى أذعنوا ولم يبق عند أحد منهم شك ولا ارتياب فيما قاتلنا الناس عليه أنه الحق الجلي الذي لا غبار عليه، وحلفوا لنا الأيمان المعقدة من دون استحلاف لهم على انشراح صدورهم وجزم ضمائرهم أنه لم يبق لديهم شك فيمن قال يا رسول الله أو يا ابن عباس أو يا عبد القادر أو غيرهم من المخلوقين طالباً بذلك دفع شر أو جلب خير من كل ما لا يقدر عليه إلا الله تعالى من شفاء المريض والنصر على العدو والحفظ من المكروه ونحو ذلك أنه مشرك الشرك الأكبر يهدر دمه ويبيح ماله وإن كان يعتقد أن الفاعل المؤثر في تصريف الكون هو الله تعالى، لكنه يقصد المخلوقين بالدعاء متشفعاً بهم متقرباً لهم لقضاء حاجته من الله بسرهم وبشفاعتهم له فيها أيام البرزخ، وأن ما وضع من البناء على قبور الصالحين صارت في هذه الأزمان أصناماً

تقصد لطلب الحاجات ويتضرع عندها ويهتف بأهلها في الشدائد كما كانت تفعله الجاهلية الأولى.

وكان من جملتهم مفتي الحنفية الشيخ عبد الملك القليعي وحسين المغربي مفتي المالكية وعقيل بن يحيى العلوي، فبعد ذلك أزلنا جميع البناء على القبور وغيرها حتى لم يبق في البقعة الطاهرة طاغوت يعبد، فالحمد لله على ذلك، ثم رفعت المكوس والرسوم وكسرت آلات التنباك ونودي بتحريمه، وأحرقت أماكن الحشاشين والمشهورين بالفجور، ونودي بالمواظبة على الصلاة في الجماعات، وعدم التفرق في ذلك بأن يجتمعوا في كل صلاة على إمام واحد يكون ذلك الإمام من أحد المقلدين للأربعة رضوان الله عليهم. واجتمعت الكلمة حينئذ وعبد الله وحده وحصلت الألفة، وسقطت الكلفة، وأمر عليهم واستتب الأمر من دون سفك دم ولا هتك عرض، ولا مشقة على أحد. والحمد لله رب العالمين.

ثم دفعت لهم الرسائل المؤلفة للشيخ محمد رحمه الله في التوحيد المتضمن للبراهين وتقرير الأدلة على ذلك بالآيات المحكمة والأحاديث المتواترة مما يثلج الصدر.

واختصر من ذلك رسالة مختصرة للعوام تنتشر في مجالسهم وتدرس في محافلهم ويبين لهم العلماء معانيها ليعرفوا التوحيد فيتمسكوا بعروته الوثيقة، ويتضح لهم الشرك فينفروا عنه وهم على بصيرة آمنين. اهـ.

ثم نقل تلك الرسالة وفيها: فإذا عرفت هذه فاعرف أن المشركين الذين كانوا في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخف شركاً من عباد[1] مشركي زمننا، لأن أولئك كانوا يخلصون[2] لله

---

[1] في الأصل عقلاء.

[2] في نسخة يخضعون.

فـي الشـدائد وهـؤلاء يـدعون مشـايخهم فـي الشـدة والرخـاء، واللـه المستعان.

وكان فيمن حضر مع علماء مكة وشاهد غالب ما صار حسـين بـن محمد بن الحسين الأبريقي الحضرمي ثم الحيان، ولم يزل يتردد علينا ويجتمع بسعود وخاصته من أهل المعرفة ويسأل عن مسألة الشـفاعة التي جرد السيف بسببها دون حيـاء ولا خجـل لعـدم سـابقة جـرم لـه، فأخبرناه بأن مذهبنا في أصول الدين مـذهب أهـل السـنة والجماعـة، وطريقتنا طريقة السلف التي هي الطريقة الأسلم والأعلم والأحكـم خلافاً لمن قال طريقة الخلف اعلم. اه.

وأيضاً فيهـا: وأمـا مـا يكـذب علينـا سـتراً للحـق، وتلبيسـاً علـى الخلق، بأنا نفسر القرآن برأينا، ونأخذ من الحديث ما وافق فهمنا، من دون مراجعة شرح، ولا نعول على شيخ، وأنا نضع من رتبة نبينـا محمـد صلى الله عليه وسلم بقولنا النبي رمة في قبره، وعصا أحدنا أنفع لـه منه، وليس له شـفاعة، وأن زيـارته غيـر مندوبـة، وأنـه كـان لا يعـرف معنى لا إله إلا الله حتى أنزل عليه: ﴿فاعلم أن لا إله إلا الله﴾ مـع كـون الآية مدنية، وأنا لا نعتمد أقوال العلماء، ونتلف مؤلفات أهل المـذاهب لأن فيها الحق والباطل، وأنا مجسمة، وأنا نكفر النـاس علـى الإطلاق ومن بعد الستمائة إلا من هو على ما نحن عليه، ومن فروع ذلـك أنـا لا نقبل بيعة أحد حتى نقرر عليه بأنه كان مشـركاً، وأن أبـويه ماتـا علـى الإشراك بالله، وأنا ننهي عن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، ونحرم زيارة القبور المشروعة مطلقـاً، وأن مـن دان بمـا نحـن عليـه سقط عنه جميع التبعات حـتى الـديون وأنـا لا نـرى حقـاً لأهـل الـبيت رضوان الله عليهم، وأنا نجبر على تزويج غير الكفـء لهـم، وأنـا نجـبر بعض الشيوخ على فراق زوجته الشـابة لتنكـح علـى مرافعـة لـدينا ولا

وجه لذلك، فجميع هذه الخرافات وأشباهها لما استفهمنا عنها من ذكر أولاً كان جوابنا عليه في كل مسألة من ذلك: ﴿سبحانك هذا بهتان عظيم﴾ فمن روى عنا شيئاً من ذلك أو نسبه إلينا فقد كذب علينا وافترى: ومن شاهد حالنا ورأى مجلسنا، وتحقق ما عندنا علم قطعاً أن جميع ذلك وضعه علينا جماهير أعداء الدين وإخوان الشياطين، تنفيراً للناس عن الإذعان لإخلاص التوحيد لله بالعبادة، فإنا نعتقد أن من فعل أنواعاً من الكبائر كالقتل للمسلم بغير حق والزنا وشرب الخمر وتكرار ذلك منه لا يخرج بفعل ذلك عن دائرة الإسلام، ولا يخلد به في دار الانتقام، إذا كان موحداً لله في جميع أنواع العبادة. اهـ.

وأيضاً فيها: إن قال قائل منفر عن قبول الحق والإذعان له: يلزم من تقريركم وقطعكم في أن من قال يا رسول الله أسألك الشفاعة أنه مشرك مهدر الدم أن يقال غالب الأمة لا سيما المتأخرين[1] لتصريح علمائهم المعتبرين من أن ذلك مندوب، وشنوا الغارة على من خالف ذلك. قلت: لا يلزم ذلك لأن لازم المذهب ليس بمذهب كما هو مقرر، ومثل ذلك لا يلزم أن نكون مجسمة وإن قلنا بالجهة كما ورد الحديث بذلك،ونحن نقول فيمن مات: ﴿تلك أمة قد خلت﴾ ولا نكفر إلا من بلغته دعوتنا ووضحت له المحجة، ومات وعليه الحجة[2] وأصر مستكبرا معانداً، كغالب من نقاتلهم: يصرون على ذلك الإشراك ويمتنعون من فعل الواجبات.

ويتظاهرون بأفعال الكبائر المحرمات، وغير الغالب إنما نقاتلهم لمناصرته لمن هذا حاله ورضاه به وبتكثير سواد من ذكر والتغلب معه

---

[1] يظهر أنه سقط من هنا كلمة خبر المتبدأ، وأن الأصل: غالب الأمة ولا سيما المتأخرين من المشركين.

[2] كذا في النسخة ولعل أصله: وقامت عليه الحجة.

حينئذ حكمة في حد قتاله[1]، ونعتذر عمن مضى بأنهم مخطئون معذورون لعدم عصمتهم من الخطأ والإجماع في ذلك قطعاً، ومن شن الغارة فقد غلط، ولا بدع أن يغلط فقد غلط من هو خير منه مثل عمر بن الخطاب، فلما نبأته[2] امرأة رجع في مسالة المهر وفي غير ذلك يعرف ذلك من سيرته، بل غلط الصحابة وهم جمع وبنا محمد صلى الله عليه وسلم بين أظهرهم سار فهم نوره فقالوا:اجعل نا ذات أنواط، فردهم.

فإن قلت: هذا فيمن ذهل ولما نبه انتبه، فما القول فيمن حرر الأدلة، واطلع على كلام الأئمة القدوة، فاستمر مصراً على ذلك إلى أن مات؟

قلت: ولا مانع أن يعتذر لمن ذكر ولا نقول أنه كافر، أولا لما تقدم أنه مخطئ، وان استمر على خطئه، لعدم من يناضل عن هذه المسألة في وقته بلسانه وسيفه وسنانه، فلم تتم عليه حجة، ولا وضحت له المحجة، بل الغالب على من ألف زمن المؤلفين المذكورين التواطؤ على وهي[3] كلام أئمة السنة في ذلك رأسا، ومن اطلع عليه أعرض عنه قبل أن يتمكن قلبه، ولم تزل أكابرهم تنهى أصاغرهم عن مطلق النظر في ذلك، وصولة الملوك ظاهرة[4] لمن وقر في قلبه شيء من ذلك إلا من شاء الله منهم.

هذا وقد روي عن معاوية وأصحابه منابذة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في وقته ومشاجرته في الحرب وهم في ذلك مخطئون إجماعاً، واستمروا على ذلك الخطأ حتى ماتوا ولم يشتهر عن أحد من

---

(1) هكذا في النسخة، وهو كما ترى، ففيه تحريف في النقل يعسر تصحيحه بالرأي، وكتبه وما قبله محمد رشيد رضا.

(2) في نسخة: نبهته.

(3) في نسخة: هجر.

(4) في نسخة: قاهرة.

السلف تكفير أحد منهم إجماعاً ولا تفسقه، بل أثبتوا لهم أجر الاجتهاد وإن كانوا مخطئين كما ذلك مشهور عند أهل السنة، ونحن كذلك لا نقول بكفر من صحت ديانته وشهر صلاحه وورعه وزهده، وحسنت سيرته، وبالغ في نصح الأمة، وببذل نفسه في تدريس العلوم النافعة والتأليف فيها وإن كان مخطئاً في هذه المسألة أو غيرها، كابن حجر الهيثمي، فإنا نعلم كلامه في (الدر المنظم) ولا ننكر سعة علمه، ولهذا نعتني بكتبه كشرح الأربعين والزواجر وغيرهما ونعتمد على نقله إذا نقل لأنه من جملة علماء المسلمين.

هذا ما نحن عليه مخاطبين به من له عقل أو علم وهو متصف بالإنصاف، خال من الميل إلى التعصب والاعتساف، ينظر إلى ما يقال لا إلى من قال، وأما من شأنه لزوم مألوفه وعادته سواء كان حقاً أو غير حق، مقلداً لمن قال تعالى فيهم: ﴿إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون﴾. وع ادته وجبلته أن يعرف الحق بالرجال لا الرجال بالحقن فلا نخاطبه وأمثاله إلا بالسيف حتى يستقيم أوده ويصلح معوجه، فجنود التوحيد منصورة، ورايتهم بالسعد منشورة: ﴿وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون﴾ وأن حزب الله هم الغالبون: ﴿وكان حقاً علينا نصر المؤمنين – والعاقبة للمتقين﴾ اهـ.

قال بعض أهل التحقيق[1] في الرد على بعض معاصريه: وقد رأيت لبعض المعاصرين كتاباً يعارض به ما قرره شيخنا من أصول الدين، ويجادل بمنع تضليل عباد الأولياء والصالحين، ويناضل عن غلاة الرافضة والمشركين، الذين أنزلوا العباد بمنزلة الله رب العالمي، وأكثر التشبيه بأنهم من الأمة، وأنهم يقولون لا غلاه إلا الله، وأنهم

---

[1] هو الشيخ عبد اللطيف ابن الشيخ عبد الرحمن بن حسن في كتابه (مصباح الظلام) في الرد على صاحب (كشف الغمة) عثمان بن منصور. اهـ من حاشية خطية على الأصل.

يصلون ويصومون، ونسي في ذلك عهود الحمى وما قرره كافة الراسخين من العلماء، وأجمع عليه الموافق والمخالف من الجمهور والدهما، ونص عليه الأكابر والخواص، ومن اشتراط العلم والعمل في الإتيان بكلمة الإخلاص، والحكم، بموجب الردة على فاعل ذلك من سائر العبيد والأشخاص، وسمى كتابه (جلاء الغمة عن تكفير هذه الأمة) ومراده بالأمة هنا من عبد آل البيت، وإلا فيهم وعبد الصالحين ودعا واستغاث بهم، وجعلهم وسائط بينه وبين الله يدعوهم ويتوكل عليهم، وهذا مراده، ولكنه أوقع عليهم لفظ الأمة ترويجاً على الأغمار والجهال، ولبساً للحق بالباطل، وهو يعلم ذلك، وسيجزيه الله ما وعد به أمثاله من المفترين، قال الله تعالى: ﴿إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا وكذلك نجزي المفترين﴾ فلكل مفتر نصيب حسب جرمه، وعلى قدر ذنبه، وقد رأيت على هذا الرجل من الذلة والمهانة مدة حياته ما هو ظاهر بين يعرفه من عرفه.

فصل

قال المعترض: قد ابتلى الله أهل نجد بل جزيرة العرب بمن خرج عليهم ولم يتخرج على العلماء الأمناء، كما صح عندنا وثبت عن مشايخنا الأمجاد النقاد، وسعى بالتكفير للأمة خاصها وعامها، وقاتلها على ذلك جملة إلا من وافقه على قوله، لما وجد من يعينه على ذلك بجهله.

و(الجواب) أن يقال: إنه من المعلوم عند كل عاقل خبر الناس وعرف أحوالهم وسمع شيئاً من أخبارهم وتواريخهم أن أهل نجد وغيرهم ممن تبع دعوة الشيخ واستجاب لدعوته من سكان جزيرة العرب كانوا على غاية من الجهالة والضلالة، والفقر والعالة، لا

يستريب في ذلك عاقل، ولا يجادل فيه عارف، كانوا من أمر دينهم في جاهلية،ويدعون الصالحين، ويعتقدون في الأشجار والأحجار والغيران[1] يطوفون بقبور الأولياء ويرجون الخير والنصر من جهتها، وفيهم من كفر الاتحادية والحولية وجهالة الصوفية ما يرون أنه من شعب الإيمان والطريقة المحمدية، وفهيم من إضاعة الصلوات ومنع الزكاة وشرب المسكرات ما هو معروف مشهور، فمحا الله بدعوته شعار الشرك ومشاهدة، وهدم به بيوت الكفر الشرك ومعابدة، وكبت الطواغيت والملحدين، وألزم من ظهر عليه من البوادي وسكان القرى بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من التوحيد والهدى، وكفر من أنكر البعث واستراب فيه من أهل الجهالة والجفا، وأمر بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وترك المنكرات والمسكرات ونهى عن الابتداع في الدين، وأمر بمتابعة السلف الماضين، في الأصول والفروع من مسائل الدين، حتى ظهر دين الله واستعلن، واستبان بدعوته منهاج الشريعة والسنن، وقام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وحدت الحدود الشرعية، وعزرت التعازير الدينية، وانتصب علم الجهاد، وقاتل لإعلاء كلمة الله أهل الشرك والفساد، حتى سارت دعوته وثبت نصحه لله ولكتابه ولرسوله ولعامة المسلمين ولأئمتهم، فأعطاهم الله بذلك من النصر والعز والظهور، ما لا يعرف مثله لسكان تلك الفيافي والصخور، وفتح عليهم الاحساء والقطيف، وقهروا سائر العرب من عمان إلى عقبة مصر، ومن اليمن إلى العراق والشام، دانت لهم عربها، وأعطوا الزكاة فأصبحت نجد تضرب إليها أكباد الإبل في طلب الدين والدنيا، وتفتخر بما نالها من العز والنصر والإقبال والسنا، كما قال عالم صنعاء وشيخها:

---

[1] **الغيران جمع غار: اهـ من الأصل.**

قفي واسألي به يهتدي من
عالم حل سوحها ضل عن منهج الرشد
محمد الهادي لسنة فيا حبذا الهادي ويا
أحمد حبذا المهدي
لقد سرني ما وكنت أرى هذي
جاءني من طريقه الطريقة لي وحدي

وقال عالم الاحساء وشيخها:

لقد رفع بوقت به
المولى به ربتة يعلو الضلال
الهدى ويرفع
وجرت به نجد وحق لها
ذيول افتخارها بالألمعي ترفع

وهذا في أبيات لهما لا نطيل بذكرها، وقد شهد غيرهما مثل ذلك واعترفوا بعلمه وفضله وهدايته، وقد قال الله تعالى: ﴿قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بين إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾.

وما أحسن ما قاله قتادة عن حال أول هذه الأمة أن المسلمين لما قالوا لا إله إلا الله أنكر ذلك المشركون وكبر عليهم، فأبى الله إلا أن يمضيها وينصرها، ويظهرها على من ناوأها، إنها كلمة من خاصم بها فلج ومن قاتل بها نصر، إنما يعرفها أهل هذه الجزيرة من المسلمين التي يقطعها الراكب في ليال قلائل، ويسير الراكب في فئام من الناس لا يعرفونها ولا يقرون بها..

وهذا المعترض[1] عاش في ظل ذلك وتولى القضاء وصارت له الرياسة عند أهل محلته بانتسابه إلى هذا الدين، ودعواه محبة الشيخ، وأنه شرح بعض كتبه، ومع ذلك تجرد لمسبته ومعاداته، وجحد ما جاء به وقرره من الهدى ودين الحق قال الله تعالى: ﴿وهم ينهون عنه وينأون عنه وإن يهلكون إلا أنفسهم وما يشعرون﴾.

وما ضر نور إليها عيون لم

الشمس إن كان تزل دهرها عمياً

ناظراً

ولا ينكر ما قررناه إلا مكابر في الحسيات ومباهت في الضرويات، يرى أن عبادة الصالحين ودعاءهم والتوكل عليهم وجعلهم، وسائط بينهم وبين الله مما جاءت به الرسل ونزلت به الكتب، وأنه هو الإسلام، وأهله هم الأمة المحمدية، ومن أنكر عليهم وضللهم فهو خارج مارج، كما قال هذا الرجل وصاحبه ابن سند في منظومته التي انشدها لما استولت العساكر المصرية على بلاد الدرعية.

ل

للدين

ثم أخذ في سب المسلمين وتضليلهم والشماتة بهم، ومدح من عبد الصالحين ودعاهم مع الله وجعلهم أنداداً تعبد.

وقد أجابه الزكي الأديب الشيخ أحمد بن مشرف بمنظومة ذكر فيها حال العساكر المصرية وما اشتهر عنهم من اللواطة والشركيات والزنا وشرب المسكرات وإضاعة الصلاة، ثم أنشد في أثناء رده:

فإن كان هذا لقد فتحت

---

[1] هو عثمان بن منصور الذي تقدم ذكره في صفحة 414، كتبه محمد رشيد رضا.

عندك الرشد والهدى للدين أعينه الرمد

وبالجملة فلا يقول مثل هذا في الشيخ رحمه الله إلا رجل مكابر، لا يتحاشا من البهت والافتراء، وغلى الله ترجع الأمور وعنده تنكشف السرائر.

زعمه أن الشيخ لم يتخرج على العلماء الأمناء

وأما قوله: "ولم يتخرج على العلماء الأمناء" فهذه الدعوى الضالة نشأت من سوء المعتقد وخبث الطوية، وهذا الرجل لا زمام ولا خطام لأكاذيبه وأباطيله، ويرسلها حيث يشاء، ويكابر أهل العلم ولا يتحاشى، وقد عرف طلب الشيخ للعلم ورحلته في تحصيله كما ذكره صاحب التاريخ الشيخ حسين بن غنام الاحسائي.

وقد اجتمع بأشياخ الحرمين في وقته ومحدثيهما وأجازه بعضهم، ورحل إلى البصرة وسمع وناظر وإلى الاحساء، وهي إذ ذاك آهلة بالعلماء، فسمع من أشياخها وباحث في أصول الدين ومقالات الناس في الإيمان وغيره، وسمع من والده ومن فقهاء نجد في وقته، واشتهر عندهم بالعلم والذكاء وعرف به على صغر سنه، وأيضاً فقد كان أهل العلم –سلفاً وخلفاً- يسمعون الأحاديث ويروونها ويحفظون السنن ويستنبطون منها الأحكام، وهذا عندهم هو الغاية التي يرحل إليها المحدثون، وينتهي إليها الطالبون، وليس من عادتهم القراءة في كتب الرأي والفروع كما هو المعروف عند الناس، رحل الشافعي إلى المدينة وسمع الموطأ وتصدى للفتيا، وأنكر على من لم يطمئن في صلاته لما دخل مسجد محمد بن الحسن بالكوفة، ولم يسمع من مالك ولا غيره كتاباً في الرأي والمذهب، وهكذا غيره من أهل العلم والفتوى.

وأما قوله: "كما صح وثبت عن مشايخنا الأمجاد النقاد". فجوابه أن هذه الدعوى في مشايخه كل يدعيها، فالقدرية والرافضة والجهمية والمعتزلة وغلاة عباد القبور يرون أن مشايخهم أمجاد نقاد يؤخذ عنهم ويحفظ عنهم، ويسمون أهل السنة والجماعة وأهل الحديث حشوية مجسمة وناصبة ومجبرة، وعباد القبور يسمون الموحدين متنقصة للأنبياء والصالحين، ويقرر ذلك أشياخ كل طائفة وأتباعهم يرون أنهم بذلك أمجاد نقاد، ولو يعطى الناس بدعواهم لادعى رجال دماء قوم وأموالهم قال تعالى: ﴿وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصاري، تلك أمانيهم، قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين﴾.

إذا عرفت هذا فمشايخ هذا الرجل الذي أثنى عليهم من أكابر المعاندين، ورءوس المخالفين، وقد عرف ذلك عن ابن سند وابن سلوم وأمثالهم من أشياخه الذين كثر في هذا الباب سبابهم، وغلظ عن معرفة الله ومعرفة حقه حجابهم.

افتراؤه على تكفير الأمة إلا من وافقه

وأما قوله: "فسعى بالتكفير للأمة خاصها وعامها، وقاتلها على ذلك جملة إلى من وافقه على قوله". فهذه العبارة تدل على تهور في الكذب ووقاحة تامة، وفي الحديث: "إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستح فاصنع ما شئت".

وصريح هذه العبارة أن الشيخ كفر جميع الأمة[1] من المبعث النبوي إلى قيام الساعة إلا من وافقه على قوله الذي اختص به، وهل

---

[1] **وزعم غير هذا المعترض أنه كفر الأمة منذ مئات السنين لا من أولها كما اقتضاه إطلاقه، بل منذ فشا فيها تشييد القبور، وبناء المساجد عليها والطواف بها ودعاء الموتى، فإن هذا لم يكن في القرون الأولى، ولكن الحق الواقع أن الشيخ لم يكفر الأمة كلها في زمنه فضلاً عما قبله، وإنما كفر من أشرك بالله بغير عذر الجهل، وكتبه محمد رشيد رضا.**

يتصور هذا عاقل عرف حال الشيخ وما جاء به ودعا إليه، بل أهل البدع كالقدرية والجهمية والرافضة والخوارج لا يكفرون جميع من خالفهم، بل لم أقوال وتفاصيل يعرفها أهل العلم، والشيخ رحمه الله لا يعرف له قول انفرد به عن سائر الأمة ولا عن أهل السنة والجماعة منهم، وجميع أقواله في هذا الباب، -أعنى ما دعا إليه من توحيد الأسماء والصفات وتوحيد العمل والعبادات- مجمع عليه عند المسلمين، لا يخالف فيه إلا من خرج عن سبيلهم، وعدل عن مناهجهم، كالجهمية والمعتزلة وغلاة عباد القبور، بل قوله مما اجتمعت عليه الرسل واتفقت عليه الكتب كما يعلم ذلك بالضرورية من عرف ما جاءوا به وتصوره، ولا يكفر إلا على هذا الأصل بعد قيام الحجة المعتبرة، فهو في ذلك على صراط مستقيم متبع لا مبتدع، وهذا كتاب الله وسنة رسوله وكلام أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن بعدهم من أهل العلم والفتوى معروف مشهور مقرر في محله في حكم من عدل بالله وأشرك به وتقسيمهم الشرك إلى أكبر وأصغر، والحكم على المشرك الشرك الأكبر بالكفر مشهور عند الأمة لا يكابر فيه إلا جاهل لا يدري ما الناس فيه من أمر دينهم وما جاءت به الرسل.

وقد أفرد هذه المسألة بالتصنيف غير واحد من أهل العلم، وحكى الإجماع عليها وأنها من ضروريات الإسلام كما ذكره تقي الدين بن تيمية وابن القيم الجوزية وابن عقيل وصاحب الفتاوى البزازية وصنع الله الحلبي والمقريزي الشافعي ومحمد بن حسين النعمي الزبيدي ومحمد بن إسماعيل الصنعاني ومحمد بن علي الشوكاني وغيرهم من أهل العلم[2].

---

[2] يعني أن هؤلاء وأمثالهم صرحوا بأن ما عليه كثير من المسلمين الجاهلين من عبادة القبور ودعاء الموتى شرك جلي، وأما أصل المسألة فقد أجمع عليها الفقهاء قبلهم.

افتراؤه عليه جعل بلاد المسلمين دار كفر

وأما قوله وجعل بلاد المسلمين كفاراً أصليين، فهذا كذب وبهت ما صدر ولا قيل ولا أعرفه عن أحد من المسلمين، فضلاً عن أهل العلم والدين، بل كلهم مجمعون على أن بلاد المسلمين لها حكم الإسلام في كل مكان وزمان، إنما تكلم الناس في بلاد المشركين الذين يعبدون الأنبياء والملائكة والصالحين، ويجعلونهم أنداداً لله رب العالمين، ويسندون إليهم التصرف والتدبير كغلاة القبوريين، فهؤلاء تكلم الناس في كفرهم وشركهم وضلالهم، والمعروف المتفق عليه عند أهل العلم أن من فعل ذلك ممن يأتي بالشهادتين يحكم عليه بعد بلوغ الحجة بالكفر والردة، ولم يجعلوه كافراً أصلياً، وما رأيت ذلك لأحد سوى محمد بن إسماعيل في رسالته تجريد التوحيد المسمى بتطهير الاعتقاد، وعلل هذا القول بأنهم لم يعرفوا ما دلت عليه كلمة الإخلاص فلم يدخلوا بها في الإسلام مع عدم العلم بمدلولها وشيخنا لا يوافقه على ذلك، ولكن هذا المعترض لا يتحاشى من الكذب ولو كان من الميتة والموقوذة والمتردية، وما رأيت شيخ الإسلام أطلق على بلد من بلاد المنتسبين إلى الإسلام أنها بلد كفر، ولكنه قرر أن دعاء الصالحين وعبادتهم بالاستعانة بالاستغاثة والذبح والنذر والتوكل على أنهم وسائط بين العباد وبين الله في الحاجات والمهمات هو دين المشركين، وفعل الجاهلية الضالين، ومن الأميين والكتابيين، فظن هذا أن لازم قوله أنه يحكم على هذه البلاد أنها بلاد كفر وهذا ليس بلازم، ولو لزم فلازم المذهب ليس بمذهب، ونحن نطالب الناقل بتصحيح نقله. انتهى.

وأيضا قال: وأما قول المعترض: "لما رأى في هذه الأمة من الأحداث التي لا تزال موجودة فيها تقل وتكثر، ولا تزال علماؤها تحد

لها دينها من الباب الواسع هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتتحاشى عن الدخول من الباب الضيق وهو تكفيرها الذي حذر عنه نبيها" إلى آخر عبارته.

فالجواب: أن يقال: قضية هذا الكلام أن الشيخ إنما كفر وقاتل وأخذ الأموال بأحداث لا تزال موجودة في الأمة تقل وتكثر، وأنها لا يكفر بها أحدا، وأن تكفير الصحابة[1] لمن كفروه من أهل الردة على اختلافهم وتكفير علي للغلاة، وتكفيرهم للسحرة، وقتلهم، وتكفير من بعدهم للقدرية ونحوهم، وتكفير من بعد أولئك للجهمية وقتلهم لجعد بن درهم بن صفوان ومن على رأيهم وقتلهم للزنادقة وهكذا في كل قرن وعصر من أهل العلم والفقه والحديث طائفة قائمة تكفر كفره الله ورسوله وقام الدليل على كفره، لا يتحاشون عن ذلك بل يرونه من واجبات الدين وقواعد الإسلام، وفي الحديث: "من بدل دينه فاقتلوه"[1] وبعض العلماء يرى أن هذا والجهاد عليه ركن لا يتم الإسلام بدونه، وقد سلك سبيلهم الأئمة الأربعة المقلدون وأتباعهم في كل عصر ومصر، وكفروا طوائف من أهل الأحداث كالقرامطة والباطنية، وكفروا العبيديين ملوك مصر وقاتلوهم يبنون المساجد ويصلون ويؤذنون ويدعون نصرة أهل البيت، وصنف ابن الجوزي كتاباً سماه "النصر على مصر" ذكر فيه وجوب قتالهم وردتهم، وقد عقد الفقهاء في كل كتاب من كتب الفقه المصنفة على مذاهبهم باباً مستقلاً في حكم أهل الأحداث التي توجب الردة وسماه باب الردة

---

[1] قوله وأن تكفير الصحابة وما عطف عليه لم يأت فيما بعده خبر له تتم به الفائدة، فلعله سقط من الكلام أو وقع في تحريف، والمعنى أن مقتضى تخطئة هذا المعترض للشيخ في تكفير الناس بما ذكر وزعمه أن المسلم لا يكفر بشيء صدر عنه مهما يكن يقتضي أن الصحابة كانوا مخطئين في تكفير أهل الردة وكذا علي في تكفير من عبدوه من الغلاة، وكذا سائر الأئمة والخلفاء فيمن كفروهم، وكتبه محمد رشيد رضا.

[1] رواه أحمد والبخاري وأصحاب السنن الأربعة عن ابن عباس رضي الله عنهما.

أكثرهم، وعرفوا المرتد بأنه الـذي يكفـر بعـد إسـلامه، وذكـروا أشـياء دون ما نحن فيه من المكفرات حكموا بكفر فاعلهـا وإن صـلى وصـام وزعم أنه مسلم. انتهى.

وأيضاً قال فيه وأمـا قـوله: "إن تكفيرهـا حـذر منـه نبيهـا محم د صلى الله عليه وسلم غاية التحذير".

فيقال: إن زعمت أن النبي صلى الله عليه وسلم حذر من تكفيـر من أتى ما يوجب الكفر ويقتضيه ممن بدل دينه، فهـذا مكـابرة وجحـد للضـروريات والحسـيات، وقـائله إلـى أن يعالـج أحـوج منـه إلـى تلاوة الآيات والأحاديث وحكايـة الإجمـاع وفعـل الأمـة طبقـة طبقـة وقرنـاً قرناً، وإذا أراد النهي عن تكفير عموم الأمة وجميعها، فهـذا لـم يقلـه أحد ولم نسمع عنه من مارق ولا مبتدع، وهل يقول هـذا مـن لـه عقـل يدرك به ويعرف ما في الأمة من العلم والإيمـان والـدين؟ وأمـا بعـض الأمة فلا مانع مـن تكفيـر مـن قـام الـدليل علـى كفـره كبنـي حنيفـة وسائر أهل الردة في زمن أبي بكر وغلاة القدريـة والمـارقين الـدين مرقوا في زمن علي رضي الله عنه وغلوا فيه، وهكذا الحـال فـي كـل وقت وزمان، ولولا ذلـك لبطـل الجهـاد وتـرك الكلام فـي أهـل الـردة وأحاكمهم. اهـ.

وأيضاً قال فيه: قال الشيخ رحمه الله في رسالة إلـى السـويدي البغدادي: وما ذكرت أني أكفر جميع الناس إلا مـن ابتعنـي وأزعـم أن أنكحتهم غير صحيحة، فيا عجباً كيف يدخل هذا في عقـل عاقـل؟ هـل يقـول هـ ذا مسـلم أو كـافر أو عـارف أو مجنـون؟ إلـى أن قـال: وأمـا التكفير، فأنا أكفر من عرف دين الرسل، ثم بعد ما عرفه سـبه ونهـى الناس عنه وعادى من فعله، فهذا هو الذي أكفـره، وأكـثر الأمـة ولله الحمد ليس كذلك.

وقال رحمه الله في رسالته للشريف: وأما الكذب والبهتان مثل قولهم إنا نكفر بالعموم ونوجب الهجرة إلينا على من قدر على إظهار دينه، وإنا نكفر من لم يكفر ومن لم يقاتل، ومثل هذا وأضعاف أضعافه، فكل هذا من الكذب والبهتان الذي يصدون به الناس عن دين الله ورسوله، وإذا كنا لا نكفر من عبد الصنم الذي على قبر عبد القادر والصنم الذي على قبر أحمد البدوي وأمثالهم لأجل جهلهم وعدم من ينبههم، فكيف نكفر من لم يشرك بالله إذا لم يهاجر إلينا ولم يكفر ويقاتل؟ سبحانك هذا بهتان عظيم.

فإذ كان كلام الشيخ رحمه الله فيمن عبد الصنم الذي على القبور إذا مل يتيسر له من يعلمه ويبلغه الحجة، كفيف يطلق على الحرمين أنها بلاد كفر؟ اه.

وإذا ما عرفت ما ذكرنا لك من العبارات، فاعلم أن الكلام على ما نقل المؤلف عن الشيخ محمد بن سليمان الكردي المدني بوجوه:

(الأول): أنه يطالب بتصحيح النقل فالاعتماد مرتفع عن نقله.

و(الثاني): أن دعوى كون محمد بن عبد الوهاب من تلامذة الشيخ المذكور مفتقرة إلى التبيين.

و(الثالث): أنه لا يعلم من حال الشيخ المذكور ما يدل على أنه من أهل العلم والديانة حتى يعلو على قوله.

و(الرابع): أنه بعد ثبوت صحة ما نقل وكون الشيخ محمد بن عبد الوهاب من تلامذة الشيخ المذكور، وكون الشيخ المذكور من العلماء الراسخين المتدينين، يحتمل أن يكون نصحه المذكور مبينا على ما اشتهر على ألسنة أعداء الشيخ محمد بن عبد الوهاب من تكفيره السواد الأعظم من المسلمين لا على التحقيق.

و(الخامس): لو سلمنا هذا النقل فأي حجة فيه على أن الحق مع أستاذه في ذلك؟ ومتابعة الأساتذة لا تحمد مطلقاً.

و(السادس): أنك قد عرفت تقدم أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب لم يكفر السواد الأعظم من المسلمين، ومن كفره فلم يكفره بارتكاب ذنب من الكبائر كما هو مذهب الخوارج، إنما كفره بدعوة غير الله بحيث يطلب فهيا منه ما لا يقدر عليه إلا الله، وهذا لا يستريب أحد من أهل العلم والديانة أنها عبادة لغير الله، وعبادة غير الله لا شك في كونها كفراً، مع أنه لم يكفره أيضاً حتى عرفه الصواب ونبهه.

وأيضاً قد عرفت فيما مر أن الشيخ ليس بمنفرد في هذا التكفير، بل جميع أهل العلم من أهل السنة والجماعة يشاركونه فيه لا أعلم أحداً مخالفاً له، منهم تقي الدين بن تيمية، وابن قيم الجوزية، وابن عقيل، وصاحب الفتاوى البزازية، وصنع الله الحلبي، والمقريزي الشافعي، ومحمد بن حسين النعمي الزبيدي، ومحمد بن إسماعيل الصنعاني، ومحمد علي الشوكاني، وصاحب الإقناع، وابن حجر المكي، وصاحب النهر الفائق، والإمام البكري الشافعي، والحافظ عماد الدين بن كثير، وصاحب الصارم المنكي، والشيخ حمد ناصر، والعلامة الإمام الحسن بن خالد، والشيخ العلامة محمد بن الحفظي وغيرهم.

(السابع): قول الشيخ محمد بن سليمان المذكور، فإن سمعت من شخص أنه يعتقد تأثير ذلك المستغاث به من دون الله تعالى فعرفه الصواب. أهـ. فيه أن الكفر لا يتوقف على اعتقاد تأثير المستغاث به من دون الله تعالى، بل مجرد دعاء غير الله بحيث يشتمل على طلب ما لا يقدر عليه إلا الله كفر، كما تقدم غير مرة.

(الثامن): قول ذلك الشيخ: ولا سبيل لك إلى تكفير السواد الأعظم من المسلمين وأنت شاذ عن السواد الأعظم، فنسبة الكفر إلى من شذ عن السواد الأعظم أقرب. أهـ. فيه أنه لم يعرف معنى السواد الأعظم، فإنه ليس معناه جمهور من يدعي الإسلام، بل هو أهل الحق وإن قلوا، كما مر تحقيقه بما لا يزيد عليه فتذكر.

وقال العلامة الإمام الحسن بن خالد في كتاب (منفعة قوت القلوب، وفي إخلاص توحيد علام الغيوب): وليس السواد الأعظم إلا أهل الحق وإن قلوا. اهـ.

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله في الكلام على قوله تعالى: ﴿فلولا كان من القرون من قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد في الأرض إلا قليلاً ممن أنجينا﴾. الآية: الغرباء في هذا العالم هم أهل الصفة المذكورة في هذه الآية، وهم الذين أشار إليهم النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: "بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء". قيل: ومن الغرباء يا رسول الله؟ قال: "الذين يصلحون إذا أفسد الناس" وفي حديث عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ونحن عنده: "طوبى للغرباء" قيل: ومن الغرباء يا رسول الله؟ قال: "ناس صالحون قليل في ناس سوء كثير، من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم" فأهل الإسلام بين أ:ثر الناس غرباء، وأهل الإيمان بين أهل الإسلام غرباء، وأهل العلم في المؤمنين غرباء، وأهل السنة الذين يتميزوا بها عن الأهواء والبدع فيهم غرباء، والداعون إليها الصابون على الأذى فهيا أشد غربة، ولكن هؤلاء المخالفين لهم هم أهل الله حقا، فلا غربة عليهم، وإنما غربتهم بين الأكثرين، قال الله تعالى فيهم: ﴿وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله﴾ فأولئك هم الغرباء إلى الله

ورسوله، وغربتهم هي الرغبة الموحشة الوحشة، وإن كانوا هم المعروفين المشار إليهم، فالغربة على ثلاثة أنواع: غربة أهل الله وأهل سنة رسوله بين هذا الخلق وبين الغربة التي مدح رسوله صلى الله عليه وسلم وأخبر عن الدين الذي جاء به أنه بدأ غريباً وأنه سيعود غريباً وأن أهله يصيرون غرباء، وقال الحسن: المؤمن في الدنيا كالغريب لا يجزع من ذلها ولا يناقش في عزها، للناس حال وله حال، ومن صفات هؤلاء الغرباء الذين غبطهم النبي صلى الله عليه وسلم التمسك بالسنة إذا رغب عنها الناس، وترك ما أحدثوه وإن كان هو المعروف عندهم وتجريد التوحيد وإن أنكر ذلك أكثر الناس، وترك الانتساب إلى أحد غير الله ورسوله، لا طريق ولا مذهب ولا طائف، بل هؤلاء الغرباء ينتسبون إلى الله تعالى بالعبودية له وحده، وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم بالاتباع لما جاء به وحده، وهؤلاء القابضون على الجمر حقاً، فلغربتهم بين هذا الخلق يعدونهم أهل الشذوذ وبدعة ومفارقة السواد الأعظم، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "إنهم النزاع من القبائل" اهـ. هكذا نقله بعض المحققين في الرد على جلاء الغمة.

قوله: والحاصل أن المانعين للزيارة والتوسل قد تجاوزوا الحد فكفروا أكثر الأمة واستحلوا دماءهم وأموالهم وجعلوهم مثل المشركين الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا: إن الناس مشركون في توسلهم بالنبي صلى الله عليه وسلم وبغيره من الأنبياء والأولياء والصالحين، وفي زيارتهم قبره صلى الله عليه وسلم، وندائهم له بقولهم: يا رسول الله نسألك الشفاعة.

أقول: المانعون للزيارة والتوسل لم يتجاوزوا الحد قط، وإنما كفروا من كفروا لأجل عبادتهم لغير الله كدعائهم الأموات بحيث

يطلب فيه منهم ما لا يقدر عليه إلا الله، وكالذبح لهم والنذر لهم والتوكل عليهم بعد تعريف الصواب والتنبيه عليه، ولم يقولوا إن الناس هم مشركون في مجرد توسلهم بالنبي صلى الله عليه وسلم وبغيره من الأنبياء والأولياء والصالحين، وفي مجرد زيارتهم قبره صلى الله عليه وسلم، هذا افتراء بحت وبهت محض، إنما أشركوا بالتوسل والزيارة اللذين يشتملان على عبادة غير الله من الدعاء والذبح والنذر.

وأما التوسل كأن يتوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم بتصديقه على الرسالة والإيمان بما جاء به وطاعته في أمره ونهيه، وكأن يتوسل بدعائه صلى الله عليه وسلم في حياته، وكأن يدعو الرب سبحانه بإضافته إلى عباده الصالحين، وكأن يتوسل بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، كذلك الزيارة الشرعية فلا يمنعها أحد، نعم التوسل بأن يقول: اللهم أني أسألك بحق فلان عبدك، وشد الرحال لمجرد الزيارة، فيه اختلاف لأهل العلم، والمحققون يمنعونهما ويقولون إنهما ليسا بثابتين، وإنهما من البدع، ولكن لا يكفرون من ارتكبه، وأما النداء وطلب الشفاعة فلا يكفرون بهما مطلقاً، بل إذا كانا متضمنين لعبادة غير الله، وقد مر تفصيله فتذكر.

قوله: وحملوا الآيات القرآنية التي نزلت في المشركين على خواص المؤمنين وعوامهم كقوله تعالى: ﴿فلا تدعوا مع ا لله أحداً﴾ وقوله تعالى: ﴿ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون، وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين﴾. إلى قوله: كلها، حملوا الدعاء فيها على النداء ثم حملوها على المؤمنين الموحدين.

أقول: الكلام عليه بوجوه:

(الأول): أن نزول جميع الآيات المتلوة هنا في المشركين غير مسلم، ألا ترى أن الآية الأولى: ﴿وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً﴾. المخاطب فيها النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون، قال الحافظ ابن كثير: يقول الله تعالى آمراً عباده أ، يوحدوه في مجال عبادته ولا يدعى معه أحد ولا يشرك به كما قال قتادة في قوله تعالى: ﴿وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً﴾. قال: كانت اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم وبيعهم أشركوا بالله، فأمر الله بنيه صلى الله عليه وسلم أن يوحدوه وحده. اهـ.

وفي فتح البيان: قال مجاهد كانت اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم وبيعهم أشركوا بالله، فأمر الله نبيه والمؤمنين أن يخلصوا لله الدعوة إذا دخلوا المساجد كلها، يقول: فلا تشركوا فيها صنماً أو غيره مما يعبد. اهـ.

وأما كون اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم وبيعهم أشركوا بالله فنزول الآية فيه لا يقتضي أن لا يكون الدعاء المذكور منهياً عنه في حق المؤمنين.

وكذلك المأمور والمخاطب في قوله تعالى: ﴿فلا تدع مع الله إلها آخر فتكون من المعذبين﴾ هو النبي صلى الله عليه وسلم. قال في فتح البيان: ثم لما قرر الله سبحانه حقية القرآن وأنه منزل من عنده، أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بدعاء الله وحده فقال: ﴿فلا تدع مع الله إلها آخر فتكون من المعذبين﴾ إن فعلت ذلك الذي دعوك إليه، وخاطب النبي صلى الله عليه وسلم بهذا –مع كونه منزها عنه، معصوماً منه- لحث العباد على التوحيد، ونهيهم عن شوائب الشرك، وكأنه قال أنت أكرم الخلق وأعزهم عندي، ولو اتخذت معي إلهاً لعذبتك، فكيف بغيرك من العباد؟

وقد أخطأ المؤلف في نقل هذه الآية فكتب الواو بدل الفاء، وكذلك ورد الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم في غير هذه الآية مما لم يذكره المؤلف، منه قوله تعالى في سورة يونس: ﴿ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذاً من الظالمين﴾. ومنه قوله تعالى في سورة القصص: ﴿وادع إلى ربك ولا تكونن من المشركين، ولا تدع مع الله إلهاً آخر لا إله إلا هو﴾. ومنه قوله تعالى في سورة النساء: ﴿قل أتدعو من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على أعقابنا بعد إذ هدانا الله كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران له أصحاب يدعونه إلى الهدى ائتنا﴾.

وبالجملة كفى بتلك الآيات حجة على منع دعاء غير الله، سواء قيل أنها أنزلت في المشركين أو غيرهم، إذا المأمور فيها هو النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون.

و(الثاني): أنا ما حملنا الآيات على خواص المؤمنين وعوامهم، إنما جملناها على من يدعون غير الله رغبة ورهبة، ويطلب منه ما لا يقدر عليه إلا الله، وينحر له، وينذر له، وهم مشركون قطعاً كما مر تقريره.

و(الثالث): أنه لو سلم أن بعض الآيات نزلت في المشركين فألفاظها عامة كلفظ من يدعو من دون الله، والذين يدعون من دونه، وقد تقرر في محله أن العبرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب، ولو خصصت الآيات فيه لبطل معظم أحكام الإسلام.

قوله: وكلامهم كلمة باطل لأن الدعاء الذي في الآيات بمعنى العبادة، وهم لبسوا على الخلق، وجعلوه بمعنى النداء، وقد علمت بطلانه من النصوص السابقة.

أقول: الدعاء كونه في الأصل بمعنى النداء والطلب مما لا مرية فيه، وأما كونه بمعنى العبادة فلم يثبت بعد حقيقة لا لغة ولا شرعاً، فإن ثبت إطلاقه عليها فإنما يكون مجازاً، ويرشدك إلى هذا أنه ليس في كتاب من كتب اللغة فيما أظن أن الدعاء معناه العبادة ولا في كلام أحد من فصحاء الجاهلية لا في نظم ولا نثر ما يقتضي ذلك فضلاً عن كونه نصاً عليه، ولنذكر هنا عبارات كتب اللغة لتتضح لديك معانيه الحقيقية فنقول:

قال الجوهري: في الصحاح: ودعوت فلاناً أي صحت به واستدعيته، ودعوت الله له وعليه دعاء، والدعوة المرة الواحدة، والدعاء واحد الأدعية. اهـ. وقال في القاموس: الدعاء الرغبة إلى الله تعالى، دعاه دعاء ودعوى، والدعاءة السبابة، وهو مني دعوة الرجل أي قدر ما بين وبينه ذاك، ولهم الدعوة على غيرهم أي بيدأ بهم في الدعاء، وتداعوا عليهم تجمعوا. ودعاه ساقه. والنبي صلى الله عليه وسلم داعي الله، ويطلق على المؤذن، والداعية صريخ الخيل في الحروب، وداعية اللبن بقيته التي تدعو سائره، ودعاها في الرضع أبقاها فيه، ودعاه الله بمكروه أنزله به، ودعوته زيداً وبزيد سمتيه به. اهـ.

وقال الفيومي في المصباح المنير: دعوت الله أدعوه دعاء ابتهلت إليه بالسؤال ورغبت فيما عنده من الخير، ودعوت زيداً ناديته وطلبت إقباله، ودعا المؤذن الناس إلى الصلاة فهو داعي الله والجمع دعاة وداعون مثل قاضي وقضاة وقاضون، والنبي داعي الخلق إلى التوحيد، ودعوت الولد زيداً وبزيد أسميته بهذا الاسم. اهـ.

وبالجملة ليس في شيء من كتب اللغة الدعاء بمعنى العبادة، نعم قال الحافظ ابن حجر: ويطلق الدعاء أيضاً على العبادة، ونصه

في دعوات الفتح هكذا: بفتح المهملتين جمع دعـوة بفتـح أولـه وهـي المسألة الواحدة، والدعاء الطلب إلى الشيء الحث على فعله، دعـوت فلاناً سألته، ودعوته استغثته، ويطلق أيضاً علـى رفعـة القـدر كقـوله تعالى: ﴿ليس له دعوة في الدنيا والآخـرة﴾ كـذا قـال الراغـب، ويمكـن رده إلـى الـذي قبلـه، ويطلـق الـدعاء أيضـاً علـى العبـادة، والـدعوى بالقصر الدعاء كقوله تعالىك ﴿وآخر دعواهم﴾ والإدعـاء كقـوله تعـالى: ﴿فما كان دعواهم إذ جاءهم بأسنا﴾ وقال الراغب: الدعاء والنداء واحد، قد يتجرد النداء عن الاسـم والـدعاء لا يكـاد يتجـرد. وقـال الشـيخ أبـو القاسم القشيري في شرح الأسماء الحسنى ما ملخصـه: جـاء الـدعاء في القرآن على وجوه: (منها) العبـادة: ﴿ولا تـدع مـن دون اللـه مـا لا ينفعـك ولا يضـرك﴾، ومنهـا الاسـتغاثة: ﴿وادعـوا شـهداءكم﴾، ومنهـا السؤال: ﴿ادعوني استجب لكم﴾، ومنه القول: ﴿دعواهم فيها سـبحانك اللهـم﴾، والنـداء: ﴿يـوم يـدعوكم﴾، والثنـاء: ﴿قـل ادعـوا اللـه أو ادعـوا الرحمن﴾. اهـ[1]).

وقال[2] تحت قوله: وقول اللـه تعـالى: ﴿ادعـوني اسـتجب لكـم﴾ الآية: وهذه الآية ظـاهرة فـي ترجيـح الـدعاء علـى التفـويض،وقـالت طائفة: الأفضل ترك الدعاء والاستسـلام للقضـاء، وأجـابوا عـن الآيـة بـأن آخرهـا دل علـى أن المـراد بالـدعاء العبـادة لقـوله: ﴿إن الـذين يستكبرون عن عبادتي﴾ واستدلوا بحديث النعمان بن بشير عـن النـبي صلى الله عليه وسلم قال: "الدعاء هو العبادة" ثم قرأ: ﴿وقـال ربكـم ادعوني استجب لكم، إن الذين يستكبرون عن عبـادتي﴾.الآيـة، أخرجـه الأربعـة وصـححه الترمـذي والحـاكم، وشـذت طائفـة فقـالوا المـراد بالدعاء في الآية ترك الذنوب، وأجاب الجمهـور أن الـدعاء مـن أعظـم

---

(1) أي كلام العسقلاني في الفتح.
(2) قال أي العسقلاني أيضاً فيه.

العبادة فهو كالحديث الآخر "الحج عرفة" أي معظم الحج وركنه الأكبر، ويؤيده ما أخرجه الترمذي من حديث أنس رفعه: "الدعاء مخ العبادة" اهـ.

وقال القسطلاني في (إرشاد الساري): كتاب الدعوات بفتح الدال والعين المهملتين جمع دعوة بفتح أوله مصدر يراد به الدعاء، يقال: دعوت الله أي سألته. اهـ.

وقال تحت قوله تعالى: ﴿ادعوني استجب لكم﴾: لما كان من أشرف أنواع الطاعات الدعاء والتضرع أمر الله تعالى به فضلاً وكرماً، وتكفل لهم بالإجابة، وقيل: المراد بقوله: ﴿ادعوني استجب لكم﴾ الأمر بالعبادة بدليل قوله بعد: ﴿إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين﴾ صاغرين ذليلين. والدعاء بمعنى العبادة كثير في القرآن كقوله: ﴿إن يدعون من دونه إلا إناثاً﴾ وأجاب الأولون بأن هذا ترك الظاهر، فلا يصار إليه إلا بدليل.

وقال العلامة تقي الدين السبكي: الأولى حمل الدعاء في الآية على ظاهرة، وأما قوله بعد ذلك: ﴿عن عبادتي﴾ فوجه الربط أن الدعاء أخص من العبادة، فمن استكبر عن العبادة استكبر عن الدعاء، وعلى هذا فالوعيد إنما هو حق، من ترك الدعاء استكباراً ومنفعل ذلك كفر.اهـ.

وقال في مجمع البحار: والدعاء الغوث، ومنه : ﴿ادعوني استجب لكم﴾ أي استغيثوا إذا نزل بكم ضر، ﴿دعوا للرحمن ولداً﴾ أي جعلوا، ﴿لن ندعو من ندونه﴾ لن نعبد، يقال دعوته إذا ناديته وإذا سميته، وفيه: أن نساء يدعون أي يطلبن بالمصابيح من جوف الليل، وفيه: "أن ندعو لله ندا" الدعاء النداء ويستعمل استعمال التسمية والسؤال والاستغاثة، وهو هنا متضمن معنى الجعل، وفيه الدعاء وهو العبادة،

أي يستأهل أن يسمى عبادة لدلالته على الإقبال عليه والإعراض عما سواه، ويمكن إرادة لغته أي الدعاء ليس إلا إظهار التذلل: ﴿ادعوني استجب لكم﴾ اعبدوني أثبكم لقوله: ﴿إن الذين يستكبرون عن عبادتي﴾. اهـ. ملتقطاً.

إذا دريت تلك العبارات فقد عرفت أن الدعاء قد يطلق أيضاً على العبادة، ولكن هناك مباحث: (الأول): أن هذا الدعاء بلا دليل، وأما ما يذكر له من الشواهد والأمثلة من القرآن المجيد كقوله تعالى: ﴿ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك﴾ وقوله تعالى: ﴿ادعوني استجب لكم﴾ وقوله تعالى: ﴿إن يدعون من دونه إلا إناثاً﴾ وقوله تعالى: ﴿لن ندعو من دونه﴾ وغيرها من الآيات فلا يصلح شاهداً له، إذ يحتمل أن يراد بالدعاء في هذه الآيات كلها السؤال بجلب النفع ودفع الضرر الذي هو معناه الحقيقي، بل هو المتعين، لأنه ليس هناك صارف يصرف عن إرادة المعنى الحقيقي، وقد صرح غير واحد من أهل العلم بان المراد بالدعاء في قوله تعالى: ﴿ادعوني استجب لكم﴾ هو السؤال بجلب النفع ودفع الضرر لا العبادة وإن اختلف الناس فيه.

وذكر الإمام الرازي تحت قوله تعالى: ﴿ ولا تدع من دون الله من لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذاً من الظالمين ﴾. ما يقتضي أن المراد بالدعاء في هذه الآية طلب المنفعة والمضرة، ونصه هكذا: يعني لو اشتغلت بطلب المنفعة والمضرة من غير الله فأنت من الظالمين، لأن الظلم عبارة عن وضع الشيء في غير موضعه، فإذا كان ما سوى الحق معزولاً عن التصرف كانت إضافة التصرف إلى ما سوى الحق وضعاً للشيء في غير موضعه فيكون ظلماً. اهـ

فإن قلت: الصارف هناك ما قد ذكر صاحب الرسالة فيما تقدم من أنه لو كان كل نداء دعاء وكل عبارة شمل ذلك نداء الأحياء

والأموات، فيكون كل نداء ممنوعاً مطلقاً سواء كان للأحياء والأمـوات أم للحيوانات والجمادات، وليس الأمر كذلك.

قلنا: هذا لا يصلح صارفاً، فإن المراد بالدعاء عنـدنا ليـس مطلـق النداء بل النداء الذي فيه طلب ما لا يقـدر عليـه إلا اللـه كمـا تقـدم، لا يقال فعلى هذا ليس هذا المعنى حقيقياً، فإنه فرد مـن أفـراد مطلـق النداء، وإذا أطلق المطلق وأريد به الخاص فهو مجاز، لأنا نقـول: كمـا أن لفظ الدعاء وضع في الأصل لمطلق النداء كذلك وضع النـداء الـذي ذكرنـاه، يرشـدك، إلـى هـذه عبـارات الجـوهري وصـاحب القـاموس والفيـومي الـتي ذكـرت فيمـا تقـدم فتـذكر، فيكـون النـداء المـذكور حقيقة شرعية.

وعلى تقدير تسليم أن لفظ الدعاء ليس بحسـب اللغـة موضـوعاً للنداء المذكور يقال: لاشك في أن لفظ الدعاء بحسب الشرع موضوع للنداء المذكور، فإن الله تعالى ورسوله جعل الدعاء من أفراد العبادة، قال الله تعالى: ﴿ادعوني استجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين﴾ وقال رسول صلى الله عليه وسلم: "الدعاء هو العبادة"، وأيضاً: "الدعاء مخ العبادة".

وقد أمر الله تعالى ورسوله بالدعاء في غير ما موضع، وهـذا دال على أن الدعاء الشرعي عبـادة، ولا مريـة فـي أن مطلـق النـداء ليـس بعبادة، فإذا المراد به النداء المذكور، فيكـون النـداء المـذكور حقيقـة شرعية للفظ الـدعاء، ويمكـن أن يـراد بالـدعاء فـي الآيـات المـذكورة مطلق النداء ويخصص بمخصصات أخر، فيكون مـن قبيـل العـام الـذي خص منه البعض فيكون فيما بقى من الأفراد حجة ظنية، وليس هنـاك مخصص يخرج دعاء الأموات من الأنبياء والصالحين الذي يتضمن طلب ما لا يقدر عليه إلا الله من هذا العموم.

و(الثاني): أنه لو سلم إطلاق الدعاء على العبادة، فهذا مجاز، ومن ثم قال القسطلاني وأجاب الأولون بأن هذا ترك الظاهر فلا يصار إليه إلا بدليل، وهكذا قال الإمام الرازي.

وقال في فتح البيان: ﴿وقال ربكم ادعوني استجب لكم﴾ قال أكثر المفسرين: المعنى وحدوني واعبدوني أتقبل عبادتكم واغفر لكم وأجبكم وأثبكم، وقيل: هذا الوعد بالإجابة مقيد بالمشيئة، أي استجيب لكم إن شئت كقوله: ﴿فيكشف ما تدعون إن شاء﴾، وقيل: المراد بالدعاء السؤال بجلب النفع ودفع الضرر، قيل: الأول أولى، لأن الدعاء في أكثر استعمالات الكتاب العزيز هو العبادة، قلت: بل الثاني أولى، لأن معنى الدعاء حقيقة وشرعاً هو الطلب، فإن استعمل في غير ذلك فهو مجاز، على أن الدعاء في نفسه باعتبار معناه الحقيقي هو عبادة، بل مخ العبادة كما ورد بذلك الحديث الصحيح، فالله سبحانه قد أمر عباده بدعائه، ووعدهم بالإجابة، ووعده الحق، وما يبدل القول لديه، ولا يخلف الميعاد. اهـ.

وقال في (نزل الأبرار): وقد حقق العلامة الشوكاني في مؤلفاته أنها بمعنى الدعاء في القرآن وفي الحديث، وعليه الفحول من العلماء في القديم والحديث، وحيث تقرر أن الدعاء عبادة أفتى الراسخون في العلم بأن دعاء من سوى الله كائناً من كان شرك وعبادة لذلك الغير، والبحث في هذا يطول جداً، انظره في كتبا (الدين الخالص) فإن مؤلفه قضى الوطر بذلك. اهـ.

وقال الإمام الرازي: وحقيقة الدعاء استدعاء العبد ربه جل جلاله العناية، واستمداده إياه المعونة، وقال أيضاً: الدعاء مغاير للعبادة في المعنى. اهـ.

وإذا ثبت أن العبادة معنى مجازي للدعاء فلا يصار إليه إلا عند تعذر الحقيقة وفيما نحن فيه تعذر الحقيقة ممنوع.

و(الثالث): أن الدعاء إذا كانت العبادة معنى مجازياً له فما العلاقة بينهما؟ فنقول: العلاقة بينهما إما العموم والخصوص فإن العبادة عام والدعاء خاص، قال العلامة تقي الدين السبكي: الأولى حمل الدعاء في الآية على ظاهره، وأما قوله بعد ذلك: ﴿عن عبادتي﴾ فوجه الربط أن الدعاء أخص من العبادة، فمن استكبر عن العبادة استكبر عن الدعاء، كذا ذكره القسطلاني في (إرشاد الساري).

وأيضاَ: قال القسطلاني: لما كان من أشرف أنواع الطاعات الدعاء والتضرع أمر الله تعالى به فضلاً وكرماً وتكفل لهم بالإجابة.

وقال الإمام الرازي: وقال الجمهور الأعظم من العقلاء إن الدعاء أهم مقامات العبودية، ويدل عليه وجوه من النقل والعقل.

وأيضاً قال: ولما كان أشرف أنواع الطاعات الدعاء والتضرع، لا جرم أمر الله تعالى به في هذه الآية فقال: ﴿وقال ربكم ادعوني استجب لكم﴾. اهـ.

وأيضاً قال: واعلم أن الدعاء نوع من أنواع العبادة، وقال: بل نقول الدعاء يفيد معرفة ذلة العبودية، ويفيد عزة الربوبية، وهذا هو المقصود الأشرف الأعلى من جميع العبادات، وبيانه أن الداعي لا يقدم على الدعاء إلا إذا عرف من نفسه كونه محتاجاً إلى ذلك المطلوب وكونه عاجزاً عن تحصيله، وعرف من ربه وإلهه أنه يسمع دعاءه ويعلم حاجته وهو قادر على دفع تلك الحاجة، وهو رحيم تقتضي رحمته إزالة تلك الحاجة، وإذا كان كذلك فهو لا يقدم على الدعاء إلا إذا عرف كونه موصوفاً بالحاجة، وبالعجز، وعرف كون الإله سبحانه موصوفا بالكمال العلم والقدرة والرحمة، فلا مقصود من

جميع التكاليف إلا معرفة ذل العبودية وعز الربوبية، فإذا كان الدعاء مستجمعاً لهذين المقامين لا جرم كان الدعاء أعظم أنواع العبادات. اهـ. أو العلاقة بينهما السببية والمسببية، فإن العبادة سبب للدعاء، قال الغمام الرازي تحت قوله تعالى: ﴿إن يدعون من دونه إلا إناثاً﴾: ويدعون بمعنى يعبدون، لأن من عبد شيئاً فإنه يدعوه عند احتياجه إليه.

وقال أيضاً: إن الغالب من حال من يعبد غيره أن يلتجئ إليه في المسألة ليعرف مراده إذا سمع دعاءه ثم يستجيب له في بذل منفعة أو دفع مضرة. اهـ.

و(الرابع): أن الله تعالى قال بعد الأمر بالدعاء: ﴿إن الذين استكبروا عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين﴾ فلولا أن الدعاء بمعنى العبادة لما بقى لقوله: ﴿إن الذين يستكبرون عن عبادتي﴾ معنى.

فنقول: الربط لا يتوقف على ذلك، بل هناك ثلاثة احتمالات:

(الأول): ما ذكر، أي يراد بالدعاء العبادة.

و(الثاني): أن يراد بالعبادة الدعاء، فكما أن العبادة معنى مجازي للدعاء، كذلك الدعاء معنى مجازي للعبادة.

و(الثالث): أن يراد بكليهما معناهما الحقيقي، وإنما يشكل الربط على هذا التقدير فقط، فوجه الربط على هذا ما ذكره السبكي، وقد ذكرت عبارته فيما تقدم، وقريب منه أن يقال: إن العبادة أعم من الدعاء، فمن استكبر عن الدعاء استكبر عن العبادة فتقطن.

وجملة القول في الباب أن الدعاء معناه الحقيقي طلب جلب النفع ودفع الضر، وأما كونه بمعنى العبادة فممنوع، ولو سلم فهو معنى مجازي ولا يصار إلى المجاز مع إمكانية الحقيقة[1].

---

[1] أكثر ما أورده من النقول مباحث اصطلاحية لا حاجة إليها، والتحقيق أن الدعاء في أصل اللغة النداء الطلب، وهو قسمان: عادي، وعبادي. فما وجه الداعي إلى مثله من

قـوله: وأمـا جعلهـم التوحيـد نـوعين: توحيـد الربوبيـة، وتوحيـد الألوهية، فباطل أيضاً. فإن توحيد الربوبية هو توحيد الألوهية، ألا ترى قوله تعـالى: ﴿ألسـت بربكـم قـالوا بلـى﴾. ولـم يقـل ألسـت بـإلهكم، فاكتفى منهم بتوحيد الربوبية ومن المعلوم أن من أقر بالربوبية فقد أقر له بالألوهية، إذ ليس الرب غير الإله بل هو الإله بعينه.

أقول: لا مرية في أننا مأمورون باعتقاد أن اللـه وحـده هـو ربنـا ليس لنا رب غيره، وباعتقاد أن الله وحده هو معبودنا ليـس لنـا معبـود غيـره وأن لا نعبـد إلا إيـاه، والأمـر الأول هـو الـذي يقـال لـه توحيـد الربوبية، والأمر الثاني هو الذي يقال لـه توحيـد الألوهيـة، والإشـراك في الأول يسمى الإشراك في الربوبية والإشراك في الثـاني يسـمى الإشراك في الألوهية، والآيات الدالة على الأمر الأول كثيرة:

منها قـوله تعـالى فـي سـورة البقـرة: ﴿أَلَـمْ تَـرَ إِلَـى الَّـذِي حَـاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ المُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِ

يمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ المَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ المَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَـرَ﴾. ومنها قوله تعالى في آل عمران: ﴿وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْـرَائِيلَ أَنِّـي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْـرِ فَأَنفُـخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأبْرَصَ وَأُحْيِي المَوْتَى بِإِذْنِ

طلب يقدر المدعو إلى إجابته بمقتضى الأسباب العادية فهو دعاء عادي، وما وجهه إلى من يعتقد أن له قدرة أو سلطاناً غيبياً فوق الأسباب العادية فهو العبادة، سواء أكان المدعو يستجيب له بقدرته الذاتية أم بتأثيره وشفاعته، ووساطته عند ذي القدرة الذاتية. والأول دعاء الموحدين لا يتوجهون فيه إلا إلى ربهم وحده، والثاني دعاء المشركين الذين يتوجهون إلى اثنين فأكثر واحد قادر بذاته وغيره قادر بشفاعته ووساطته عند القادر بذاته وبهذا كان يصرح مشركو العرب كما حكى الله عنهم ومن العجيب أن يخفى هذا الشرك في أعلى أنواع العبادة والفرد الكامل منها على أدعياء العلم وهو الدعاء الديني منذ قرون مع دلالة الآيات الكثيرة عليه دلالة قطعية ومثل الدعاء غيره من الأقوال والأفعال التي يختلف حكمها وتسميتها باختلاف من توجه إليه كالاستغاثة والسجود والطواف، فإن توجهت إلى صاحب القدرة والسلطان الغيبي بالذات أو الوساطة كانت عبادة، وإلا كانت عادة، وكتبته محمد رشيد رضا.

اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ، وَمُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ، إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ. ومنها ا قوله تعالى فيه: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللَّهِ﴾، ومنها قوله تعالى فيه: ﴿وَلاَ يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا المَلاَئِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَاباً أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾، ومنها قوله تعالى في سورة النساء: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾ الآية، ومنها قوله تعالى في المائدة: ﴿وَقَالَ المَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾، ومنها قوله تعالى في الأنعام: ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾، ومنها قوله تعالى فيها: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَباً قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لاَ أُحِبُّ الآفِلِينَ، فَلَمَّا رَأَى القَمَرَ بَازِغاً قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأَكُونَنَّ مِنَ القَوْمِ الضَّالِّينَ، فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ، إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنَ المُشْرِكِينَ﴾، ومنها قوله تعالى فيها: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ، ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ﴾، ومنها قوله تعالى فيها: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَباًّ وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾، ومنها قوله تعالى في الأعراف: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى العَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلاَ لَهُ الخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ العَالَمِينَ﴾، ومنها

قوله تعالى فيها: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾، ومنها قوله تعالى في التوبة: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ﴾، ومنها قوله تعالى في سورة يونس: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى العَرْشِ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ﴾، ومنها قوله تعالى فيها: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ وَيُخْرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ، فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الحَقِّ إِلاَّ الضَّلالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾، ومنها قوله تعالى في سورة يوسف: ﴿أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الوَاحِدُ القَهَّارُ﴾، ومنها قوله تعالى في سورة الرعد: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللَّهُ﴾، ومنها قوله تعالى فيها: ﴿قُلْ هُوَ رَبِّي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾، ومنها قوله تعالى في الكهف: ﴿

لَكِنَّاْ هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلاَ أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَداً﴾ ومنها قوله تعالى فيها: ﴿وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَداً﴾ ومنها قوله تعالى في مريم: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا، رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ﴾ ومنها قوله تعالى في سورة طه: ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ ومنها قوله في سورة الأنبياء: ﴿قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾ ومنها قوله تعالى في الحج: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ ومنها قوله تعالى في الصافات: ﴿إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ، رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ المَشَارِقِ﴾ ومنها قوله تعالى في ص: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ اللَّهُ الوَاحِدُ القَهَّارُ، رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا العَزِيزُ الغَفَّارُ﴾ ومنها قوله

تعالى في الزمر غب بيان شيء من صفات الله تعالى: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ المُلْكُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ ومنها قوله تعالى في المؤمن : ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾ ومنها قوله تعالى في المؤمن بعد ذكر بعض صفات الله تعالى: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ ومنا قوله تعالى فيها: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ العَالَمِينَ، هُوَ الحَيُّ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ، قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ البَيِّنَاتُ مِن رَّبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ العَالَمِينَ﴾ ومنها قول تعالى حم السجدة: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَاداً ذَلِكَ رَبُّ العَالَمِينَ﴾ ومنها قوله تعالى في الشورى: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾.

وأما الآيات الدالة على الأمر الثاني فأكثر من أن تحصى، منها بعض ما ذكر لإثبات الأمر الأول من الآيات، ومنها ما أتلو عليك الآن، فنقول:

منها قوله تعالى: في الفاتحة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ وقوله تعالى في البقرة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُم لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ، الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ فَلاَ تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ وقوله تعالى فيها: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ ﴾ وقوله تعالى فيها: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ المَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهاً وَاحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾

وقوله تعالى فيها: ﴿وإلهكم إله واحد لا إله إلا هـو الرحمـن الرحيـم ﴾. وقوله تعالى فيها: ﴿يا أيها الذين آمنوا كلوا مـن طيبـات مـا رزقنـاكم واشكروا اله إن كنتم إياه تعبدون ﴾. وقوله تعالى فيهـا: ﴿ الل ه لا إلـه إلا هو الحي القيوم ﴾. وقوله تعالى في آل عمران: ﴿ وم ا مـن إلـه إلا الله ﴾. وقوله تعالى في النساء: ﴿إنما الله إلـه واحـد ﴾. وق وله تعـالى في المائدة: ﴿ وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا اللـه ربـي وربكـم إنه مـن يشـرك بـالله فقـد حـرم اللـه عليـه الجنـة ومـأواه النـار ومـا للظالمين من أنصار ﴾. وقوله تعالى فيها: ﴿وما من إله إلا إله واحـد ﴾. وقوله تعالى فيها:﴿ أتعبدون مـن دون اللـه مـا لا يملـك لكـم ضـراً ولا نفعاً ﴾. وقوله تعالى في الأنعام: ﴿قل إني نهيت أن أبعد الذين تدعون من دون الله ﴾. وقوله تعالى في الأعراف: ﴿ولقد أرسلنا نوحـاً – إلـى قوله – فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ﴾. وق وله تعـالى فيه: ﴿ وإلى عاد أخاهم هوداً قال يا قوم اعبدوا الله مـا لكـم مـن إلـه غيره ﴾. وقوله تعالى فيه: ﴿ قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كـان يعبد أباؤنا ﴾. وقوله تعالى فيه: ﴿ وإل ى ثمـود أخـاهم صـالحاً، قـال يـا قوم اعبدوا الله ما لكم مـن إلـه غيـره ﴾. وق وله تعـالى فيـه: ﴿ وإل ى مدين أخاهم شعيباً قال يا قوم اعبدوا اللـه مـا لكـم مـن إلـه غيـره ﴾. وقوله تعالى في التوبة: ﴿ وما أمروا إلا ليعبـدوا إلهـاً واحـداً لا إلـه إلا هو سبحانه عما يشركون ﴾.

ولا أظنك شاكاً في أن مفهـوم الـرب ومفهـوم الإلـه متغـايران، وإن كـان مصـداقهما فـي نفـس الأمـر وفـي اعتقـاد المسـلمين المخلصين واحداً، وذلك يقتضي تغاير مفهومي التوحيدين، فيمكن أن يعتقد أحد من الضالين توحيد الرب ولا يعتقد توحيد الإله، وأن يشـرك واحداً من المبطلين في الألوهية ولا يشـرك فـي الربوبيـة، وإن كـان

هذا باطلاً في نفس الأمر، ألا ترى أن مصداق الرازق ومالك السمع والأبصار، والمحيي والمميت، ومدبر الأمر، ورب السموات السبع ورب العرش الكريم، و من بيده ملكوت كل شيء، والخالق ومسخر الشمس والقمر ومنزل الماء من السماء – ومصدق الإله واحد ؟ ومع ذلك كان مشركو العرب يقرون بتوحيد الرازق ومالك السمع والأبصار وغيرهما، ويشركون في الألوهية والعبادة، والدليل عليه ما قال تعالى في سورة يونس: ﴿ قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون سيقولون لله قل أفلا تذكرون، قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل أفلا تذكرون، قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم، سيقولون لله قل أفلا تتقون، قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون ؟ سيقولون لله قل فأنى تسحرون ﴾. وقوله تعالى في سورة العنكبوت: ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون ﴾. وقوله تعالى فيها أيضاً: ﴿ ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله، قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعقلون ﴾. وقوله تعالى في سورة لقمان: ﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون ﴾. وقوله تعالى في سورة الزمر: ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله ﴾. وقوله تعالى في سورة الزخرف: ﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم ﴾. وقوله تعالى فيها أيضاً: ﴿ ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأنى يؤفكون ﴾.

فكذلك عباد القبور الذين لم يبق فيهم من الإسلام إلا اسمه يقرون بتوحيد الرازق والمحيي والمميت والخالق والمؤثر والمدبر

والرب[1]، ومع ذلك يدعون غير الله من الأموات خوفاً وطمعاً، ويذبحون لهم وينذرون لم ويطوفون بهم ويحلقون لهم، ويخرجون من أموالهم جزءاً لهم، وكون مصداق الرب عين مصداق الإله في نفس الأمر وعند المسلمين المخلصين لا يقتضي اتحاد مفهوم توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، ولا اتحاد مصداق الرب والإله عند المشركين من الأمم الماضية وهذه الأمة.

أما نعقل أن لفظ توحيد الربوبية، ولفظ توحيد الألوهية كلاهما مركبان إضافيان و المضاف في كليهما كلي ؟ وهذا غني عن البيان، وكذلك المضاف إليه كليهما، فإن الربوبية والألوهية معنيان مصدريان منتزعان من الرب والإله وهما كليان. أما الرب فلأن معناه المالك والسيد والمتصرف للإصلاح والمصلح والمدبر والمربي والجابر والقائم والمعبود، وكل واحد مما ذكر معنى كلي.

وأما الإله فلأن معناه المعبود بحق أو باطل، وهو معني كلي فالمنتزع منهما أيضاً يكون معناً كلياً، فتوحيد الربوبية اعتقاد أن الرب واحد سواء كان ذلك الرب عين الإله أو غيره، وتوحيد الألوهية اعتقاد أن الإله واحد سواء كان ذلك الإله عين الرب أو غيره.

وإذا تقرر هذا فنقول: يمكن أن يوجد في مادة توحيد الربوبية ولا يوجد في توحيد الألوهية، كمن يعتقد أن الرب واحد ولا يعتقد أن الإله واحد بل يعبد آلهة كثيرة، ويمكن أن يوجد في مادة توحيد الألوهية ولا يوجد توحيد الربوبية، كمن يعتقد أن المستحق للعبادة

---

[1] الأمر الواقع انهم يقرون بهذه الألفاظ كلفظ الإله، ولكنهم يعتقدون أن للأولياء تأثيراً غيبياً في معانيها، إما بالذات وإما بالشفاعة أو الكرامة عند الله، ولذلك يدعونهم وحدهم أو مع الله في طلب الرزق وتدبير الأمور، فدعاؤهم شرك في الألوهية، وعقيدتهم شرك بالربوبية، بل منهم من يسند إليهم التصرف في الكون كله، ففي بعض كتب الرفاعية: إن أحمد الرفاعي كان يفقر ويغني، ويسعد ويشقي، ويميت ويحيى. وفيها: إن السموات السبع في رجله كالخلخال. وكتبه محمد رشيد رضا.

واحد، ولا يعتقد وحدانية الرب، بل يقول إن الأربـاب كـثيرة متفرقـة، ويمكن أن يجتمعا في مادة واحدة كمن يعتقد أن الـرب والإلـه واحـد، فثبت أن مفهوم توحيد الربوبية مغاير لمفهوم توحيد الألوهية.

نعم توحيد الربوبية من حيث أن الرب مصداقه إنما هو الله تعالى لا غير يستلزم توحيد الألوهية من حيث أن الإله مصداقه إنما هـو اللـه تعالى لا غيـر، لكـن هـاتين الحيثيـتين زائـدتان علـى نفـس مفهـومي التوحيدين ثابتتان بالبرهان العقلي والنقلي.

على أنا لو قطعنا النظـر عـن بحـث تغـاير مفهـومي التوحيـدين فمطلوبنا حاصل أيضاً، فإن توحيد الألوهيـة لا يتـأتى إنكـاره مـن أحـد من المسلمين، وهو كاف لإثبات إشراك عباد القبور، فـإنهم إذا دعـوا غير الله رغبة ورهبة وخوفاً وطمعاً، وطلبوا منهم مالا يقـدر عليـه إلا الله، ونحروا لهم ونذروا لهم وطافوا لهم وحلقوا لهم، وأخرجوا مـن أموالهم جزءاً لهم، وصنعوا غير ذلك مـن العبـادات، فقـد عبـدوا غيـر الله واتخذوهم آلهة من دون الله.

فإن قلت: إن عباد القبـور لا يعتقـدون أن الأمـوات مـن الأنبيـاء والصالحين أرباب وآلهة أصلاً، ولا يطلقون لفظ الأرباب والآلهة أبـداً، فكيف يكونون مشركين ؟ قلت: في هذا ذهـول عـن معنـى الإشـراك في الألوهية والعبادة، فإن الإشراك في العبـادة – عبـادة غيـر اللـه – من الدعاء والذبح والنذر والطواف وغيرها سواء يعتقـده ربـاً أو إلهـاً أم لا ؟ وسواء يطلق لفظ الرب والإله عليـه أم لا ؟ تـدل عليـه الآيـات الكثيرة منها قوله تعالى: ﴿يا أيها الناس اعبدوا ربكـم الـذي خلقكـم – إلى قوله – فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون ﴾. وقوله تعـالى: ﴿قـل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ﴾. وقوله تعالى: ﴿وما أمـروا إلا ليعبـدوا إلهـاً واحـداً لا

إله إلا هو سبحانه عما يشركون ﴿. وقوله تعالى : ﴿ ويعبدون مـن دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عنـد اللـه، قـل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض سـبحانه وتعـالى عما يشركون ﴿. وقوله تعالى: ﴿ فم ن كـان يرجـو لقـاء ربـه فليعمـل عملاً صـالحاً ولا يشـرك بعبـادة ربـه أحـداً ﴿. وق وله تعـالى: ﴿وقـال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنـه مـن يشـرك بـالله فقد حرم الله عليه الجنـة ومـأواه النـار ﴿. وق وله تعـالى: ﴿ وأن أقـم وجهك للدين حنيفاً ولا تكونن من المشركين ﴿. وق وله تعـالى: ﴿ أإل ه مع الله تعالى الله عما يشـركون ﴿. وق وله تعـالى: ﴿ ف إذا ركبـوا فـي الفلك دعوا اللـه مخلصـين لـه الـدين، فلمـا نجـاهم إلـى الـبر إذا هـم يشركون ﴿. وقوله تعالى: ﴿ ولقد أوحى إليـك وإلـى الـذين مـن قبلـك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكـونن مـن الخاسـرين بـل اللـه فاعبـد وكن من الشاكرين ﴿. وقوله تعالى: ﴿ قل إنما أدعو ربي ولا أشرك به أحداً ﴿.

وأمـا اسـتدلال المؤلـف[1] علـى اتحـاد توحيـد الربوبيـة وتوحيـد الألوهية بقوله تعالى: ﴿ ألست بربكم قـالوا بلـى ﴿. ول م يقـل ألسـت بإلهكم بأنه تعالى اكتفى منهم بتوحيد الربوبيـة فليـس بشـيء، فـإن غاية ما يثبت من الآية أن الله تعـالى لـم يـذكر فـي ه ذه الآيـة توحيـد الألوهية، وهذا لا دلالة له بشيء مـن الـدلالات علـى اتحادهمـا، فـرب حكم يذكر في آية دون أخرى، وتوحيد الألوهية وإن لم يذكر فـي هـذه الآية فهو مذكور في الآيات التي تلوها آنفاً، وتوجيه الاكتفـاء بتوحيـد الربوبيـة ليـس منحصـراً فـي أنهمـا لمـا كانـا متحـدين اكتفـى بـذكر أحدهما، بل هناك احتمالات أخر:

---

[1] أي دحلان.

(الأول) أن الإقرار بتوحيد الربوبية مع لحاظ قضية بديهية وهي أن غير الرب لا يستحق العبادة يقتضي الإقرار بتوحيد الألوهية عند من له عقل سليم وفهم مستقيم، فيكون الإقرار المذكور حجة عليهم كما احتج الله تعالى على المشركين بتوحيد الرازق، ومالك السمع والأبصار، والمحي والمميت، ومدبر الأمر، ومن له الأرض ومن فيها، ورب السموات السبع ورب العرش العظيم، ومن بيده ملكوت كل شيء، ومن خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر، ومن نزل من السماء ماء، ومن خلقهم –في الآيات التي تليت فيما تقدم- على وحدانية الألوهية.

قال الحافظ ابن كثير تحت قوله تعالى: ﴿قل من يرزقكم من السماء والأرض أم من يملك السمع والأبصار﴾ الآية: يحتج تعالى على المشركين باعترافهم بوحدانية ربوبيته على وحدانية ألوهيته، وقال: ﴿فقل أفلا تتقون﴾ أي أفلا تخافون منه أن تعبدوا معه غيره بآرائكم وجهلكم؟ وقوله: ﴿فذلكم الله ربكم الحق﴾ الآية، أي فهذا الذي اعترفتم بأنه فاعل ذلك كله هو ربكم وإلهكم الحق الذي يستحق أن يفرد بالعبادة، فماذا بعد الحق إلا الضلال، أي فكل معبود سواه باطل لا إله إلا هو واحد لا شريك له: ﴿فأنى تصرفون﴾؟ أي فكيف تصرفون عن عبادته إلى عبادة ما سواه وأنتم تعلمون أنه الرب الذي خلق كل شيء والمتصرف في كل شيء؟ اهـ.

وقال تحت قوله تعالى: ﴿قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون، سيقولون لله﴾ الآية، يقرر تعالى وحدانيته واستقلاله بالخلق والتصرف والملك ليرشد إلى أنه الله الذي لا إله إلا هو، ولا تنبغي العبادة إلا له وحده لا شريك له، ولهذا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقول للمشركين العابدين معه غيره المعترفين له

بالربوبية: أنه لا شريك له فيها، ومع هذا فقد أشركوا معه في الألوهية فعبدوا غيره معه، مع اعترافهم أن الذين عبدوهم لا يخلقون شيئاً ولا يملكون شيئاً ولا يستبدون بشيء، بل اعتقدوا أنهم يقربونهم إليه زلفى: ﴿ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾ فقال: ﴿قل لمن الأرض ومن فيها﴾ أي من مالكها الذي خلقها ومن فيها من الحيوانات والنباتات والثمرات وسائر صنوف المخلوقات: ﴿إن كنتم تعلمون سيقولون لله﴾ أي فيعترفون لك بأن ذلك لله وحده لا شريك له، فإذا كان ذلك: ﴿قل أفلا تذكرون﴾ أنه لا تنبغي العبادة إلا للخالق الرازق لا لغيره: ﴿قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم﴾؟ أي من هو خالق العالم العلوي بما فيه من الكواكب النيرات، والملائكة الخاضعين له في سائر الأقطار والجهات، ومن هو رب العرش العظيم؟ يعني الذي هو سقف المخلوقات. قال وقوله: ﴿سيقولون لله قل أفلا تتقون﴾ أي إذا كنتم تعترفون بأنه رب السموات ورب العرش العظيم أفلا تخافون عقابه وتحذرون عذابه في عبادتكم معه غيره وإشراككم به؟

قال: وقوله: ﴿سيقولون لله﴾ أي سيعترفون أن السيد العظيم الذي يجير ولا يجار عليه هو الله تعالى وحده لا شريك له قل: ﴿فأنى تسحرون﴾ أي فكيف تذهب عقولكم في عبادتكم معه غيره مع اعترافكم وعلمكم بذلك. اهـ.

وقال تحت قوله تعالى: ﴿الله خير أما يشركون، أمن خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها، أإله مع الله بل هم قوم يعدلون﴾ استفهام إنكار على المشركين في عبادتهم مع الله آلهة أخرى، ثم شرع يبين أنه المتفرد بالخلق والرزق والتدبير دون غيره، أي لم

تكونوا تقدرون على إنبات أشجارها، وإنما يقدر على ذلك الخالق والرازق المستقل بذلك، المنفرد به دون سواه من الأصنام والأنداد كما يعترف به هؤلاء المشركين، كما قال الله تعالى في الآية الأخرى: ﴿ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله﴾ أي هم معترفون بأنه الفاعل لجميع ذلك وحده لا شريك له، ثم هم يعبدون معه غيره مما يعترفون أنه لا يخلق ولا يرزق، وإنما يستحق أن يفرد بالعبادة من هو المنفرد بالخلق والرزق، ولهذا قال تعالى: ﴿أإله مع الله﴾ يعبد؟ وقد تبين لكم ولك ذي لب مما يعترفون به أيضاً أنه الخالق الرازق. اهـ.

وقال تحت قوله تعالى: ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون﴾؟ الآية: يقول تعالى مقرراً أنه لا إله إلا هو، لأن المشركين الذين يعبدون معه غيره معترفون بأنه المستقل بخلق السموات والأرض والشمس والقمر وتسخير الليل والنهار، وأنه الخالق الرازق لعباده، ومقدر آجالهم واختلاف أرزاقهم، ففاوت بينهم فمنهم الغني والفقير، وهو العليم بما يصلح كلا منهم، ومن يستحق الغنى ممن يستحق الفقر، فذكر أنه المستقل بخلق الأشياء، المتفرد بتدبيرها، فإذا كان الأمر كذلك فلم يعبد غيره؟ ولم يتوكل على غيره؟ فكما أنه الواحد في ملكه فليكن الواحد في عبادته. وكثيراً ما يقرر تعالى مقام الإلهية بالاعتراف بتوحيد الربوبية، وقد كان المشركين يعترفون بذلك كما كانوا يقولون في تلبيتهم: لبيك لا شريك لك، إلا شريكاً هو لك، تملكه وما ملك. اهـ.

وقال تحت قوله تعالى: ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله، قل الحمد لله﴾ الآية: يقول تعالى مخبراً عن هؤلاء المشركين به أنهم يعرفون أن الله خالق السموات والأرض وحده لا شريك له، ومع هذا يعبدون معه شركاء يعترفون أنها خلق له وملك له، ولهذا قال تعالى: ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله، قل الحمد لله﴾ أي إذ قامت عليكم الحجة باعترافكم: ﴿بل أكثرهم لا يعلمون﴾ اهـ.

وقال تحت قوله تعالى: ﴿يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء لا إله إلا هو فأنى تؤفكون﴾: ينبه تعالى عباده ويرشدهم إلى الاستدلال على توحيده في إفراد العبادة له، كما أنه المستقل بالخلق والرزق فكذلك فليفرد بالعبادة، ولا يشرك به غيره من الأصنام والأنداد والأوثان، ولهذا قال تعالى: ﴿لا إله إلا هو فأنى تؤفكون﴾ أي فكيف تؤفكون بعد هذا البيان، ووضوح هذا البرهان؟ وأنتم بعد هذا تعبدون الأنداد والأوثان. اهـ.

وقال تحت قوله تعالى: ﴿ذلكم الله ربكم له الملك لا إله إلا هو فأنى تصرفون﴾: أي هذا الذي خلق السموات والأرض وما بينهما، وخلقكم وخلق آباءكم، وهو الرب له الملك والتصرف في جميع ذلك: ﴿لا إله إلا هو﴾ أي الذي لا تنبغي العبادة إلا له وحده لا شريك له: ﴿فأنى تصرفون﴾؟ أي فكيف تعبدون معه غيره؟ أين يذهب بعقولكم؟ اهـ.

وقال تحت قوله تعالى في الزمر: ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله﴾: يعني المشركين، كانوا يعترفون بأن الله عز وجل هو الخالق للأشياء كلها ومع هذا يعبدون معه غيره ممن لا يملك لهم ضراً ولا نفعاً. اهـ.

وقال تحت قوله تعالى في الزخرف: ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم﴾ يقول تعالى: ولئن سألت يا محمد هؤلاء المشركين بالله العابدين معه غيره: من خلق السموات والأرض؟ ﴿ليقولن خلقهن العزيز العليم﴾ أي ليعترفن بأن الخالق هو الله وحده لا شريك له، وهم مع هذا يعبدون معه غيره من الأصنام والأنداد. اهـ.

وقال تحت قوله تعالى فيه أيضاً: ﴿ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فانى يؤفكون﴾: أي ولئن سألت هؤلاء المشركين بالله العابدين معه غيره: من خلقهم؟ ﴿ليقولن الله﴾، أي هم يعترفون أنه الخالق للأشياء جميعها وحده لا شريك له في ذلك، ومع هذا يعبدون معه غيره ممن لا يملك شيئاً ولا يقدر على شيء، فهم في ذلك في غاية الجهل والسفاهة وسخافة العقل، ولهاذ قال تعالى: ﴿فأنى يؤفكون﴾؟ اهـ.

و(الاحتمال الثاني): أن في الآية اختصاراً، والمقصود: ألست بربكم وإلهكم؟ يدل عليه أثر ابن عباس: إن الله مسح صلب آدم فاستخرج منه كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة، فأخذ منهم الميثاق أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وتكفل هلم بالأرزاق الحديث، وأثر أبي بن كعب في قوله تعالى: ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم﴾ الآية، قال: فجمعهم له يومئذ جميعاً ما هو كائن منه إلى يوم القيامة فجعلهم في صورهم ثم استنطقهم فتكلموا، وأخذ عليهم العهد والميثاق، وأشهدهم على أنفسهم: ﴿ألست بربكم، قالوا بلى﴾ الآية، قال: فإني أشهد عليكم السموات السبع والأرضين السبع وأشهد عليكم أباكم آدم أن تقولوا يوم القيامة لم نعلم بهذا، اعلموا أنه لا إله غير ولا رب غيري ولا تشركوا بي شيئاً، وإني لأرسل

إليكم رسلي لينذروكم عهدي وميثاقي وأنزل عليكم كتبي، قالوا نشهد أنك ربنا وإلهنا لا رب لنا غيرك ولا إله لنا غيرك، فأقروا يومئذ بالطاعة، ذكر هذين الأثرين الحافظ بن كثير في تفسيره.

وقال أيضاً فيه: يخبر تعالى أنه استخرج ذرية بني آدم من أصلابهم شاهدين على أنفسهم أن الله ربهم ومليكهم وأنه لا إله إلا هو كما أنه تعالى فطرهم على ذلك وجبلهم عليه. اهـ.

و(الاحتمال الثالث): أن المراد بالرب المعبود، قال القرطبي: والرب المعبود، وعن عكرمة في تفسير قوله تعالى: ﴿ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ﴾قال: يسجد بعضنا لبعض، كذا قال الحافظ ابن كثير في تفسيره وغيره، وقال الله تعالى في سورة التوبة: ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح بن مريم، وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون﴾ فالمراد بالأرباب في تلك الآية هم المعبودون، بدليل قوله تعالى: ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون﴾ وكذلك فهم عدي بن حاتم رضي الله عنه وقرره النبي صلى الله عليه وسلم عليه، روى الإمام أحمد والترمذي وابن جرير من طرق عن عدي بن حاتم رضي الله عنه أنه لما بلغته دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فر إلى الشام وكن قد تنصر في الجاهلي، فأسرت أخته وجماعة من قومه، ثم من رسول الله صلى الله عليه وسلم على أخته وأعطاها، فرجعت إلى أخيها فرغبته في الإسلام وفي القدوم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدم عدي المدينة وكان رئيساً في قومه طيء: وأبوه حاتم الطائي المشهور بالكرم، فتحدث الناس بقدومه، فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي عنق عدي صليب من فضة وهو يقرأ هذه الآية: ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم

أرباباً من دون الله قال فقلت: أنهم لم يعبدوهم، فقال: بلى أنهم حرموا عليهم الحلال وأحلوا لهم الحرام فاتبعوهم، فذلك عبادتهم إياهم" الحديث.

وقوله[1]: ومن المعلوم أن من أقر لله بالربوبية فقد أقر له بالألوهية إذ ليس الرب غير الإله، بل هو الإله بعينه.

فيه أنه إن أراد أن مفهوم الرب عين مفهوم الإله فقد تبين بطلانه آنفاً فيما سلف، وإن أراد أن مصداقه عين مصداق الإله فهذا حق بحسب نفس الأمر واعتقاد المسلمين المخلصين، ولكن المشركين من الأمم الماضية وهذه الأمة لا يسلمون عينية مصداقهما، وإذا كان الأمر كذلك فأمكن منهم أن يقروا لله بتوحيد الربوبية ولا يقروا له بتوحيد الألوهية[2] وقد وقع كذلك، دل عليه قوله تعالى في المؤمنون: قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم، سيقولون لله قل أفلا تتقون ففي هذه الآية أن المشركين كانوا معترفين بأن الله هو رب السموات السبع ورب العرش العظيم ومع ذلك كانوا يعبدون الأصنام والأوثان. وهاهنا بحثان:

(الأول): أن الآية لا يثبت منها إلا ثبوت الربوبية لله تعالى، لا أن غيره تعالى ليس رباً، إذ ليس هناك أداة حصر.

و(الثاني): أن الثابت منها إنما هو ربوبيته تعالى للسموات السبع والعرش العظيم فحسب لا ربوبيته لجميع المخلوقات، فيحتمل أن يكون رب غير السموات السبع والعرش العظيم عندهم غير الله تعالى.

---

[1] أي دحلان.

[2] الصواب الواقع أنهم يقرون له تعالى وحده باسم الرب واسم الإله، ويشركون أولياءه معه في معناهما جهلاً منهم بمدلول اللغة لأنها ليست لغتهم بالسليقة، بخلاف عرب الجاهلية، فالرب هو المدبر لكل أمر والمتصرف فيه بكل شيء غير مقيد بالأسباب، وهؤلاء يشركون معه غيره في هذا التصرف الخاص بالربوبية ولكنهم يسمون أولياءهم متصرفين ومدبرين ولا يسمونهم أرباباً كما تقدم قريباً. وكتبه محمد رشيد رضا.

والجواب عن الأول: أن عدم ذكر المشركين غير الله تعالى في جواب السؤال برهان واضح على انحصار الربوبية، فإن السكوت في معرض البيان بيان، سيما فيما يتم به عليهم الحجة، فلو كان غير الله عندهم رباً لذكروه في الجواب البتة.

والجواب عن الثاني: أن المقصود أن رب جميع المخلوقات هو الله تعالى، وإنما خصوا السموات السبع والعرش العظيم بالذكر لأنها من أكبر الأجرام وأعظمها وأشدها خلقاً، يدل عليه أن معنى الرب هو المالك المتصرف، وكون الله تعالى وحده مالكاً متصرفاً لجميع المخلوقات ثابت بإقرار المشركين، قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ وَيُخْرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ، فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الحَقُّ﴾ وقال الله تعالى: ﴿قُل لِّمَنِ الأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ، سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ﴾ وقال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلاَ يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ، سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾ وقال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ وقال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ﴾.

فإن قلت: هناك آيات دالة على أن المشركين لم يكونوا مقرين بتوحيد الربوبية منها قوله تعالى: ﴿ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله﴾ فهذا دال على أن المشركين من أهل الكتاب كانوا هم يتخذ بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله، ومنها قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَباً قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لاَ أُحِبُّ الآفِلِينَ﴾ إلى

قوله تعالى: ﴿يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ فإن الخليل عليه السلام قال هذا في الثلاث الآيات مستفهماً لهم مبكتاً متكلماً على خطئهم حيث يسمون الكواكب أرباباً، ومنها قوله تعالى: ﴿أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَباًّ وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾؟ وهذا نص على أن المشركين كانوا يبغون غير الله من الأصنام والأوثان رباً، ومنها قوله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ﴾ ومنها قوله تعالى: ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الوَاحِدُ القَهَّارُ﴾ فإن يوسف عليه السلام سماهم أرباباً لأنهم كانوا يسمونهم كذلك، ومنها قوله تعالى: ﴿فقال أنا ربكم الأعلى﴾ فهذا يدل على أن فرعون كان يثبت الربوبية لنفسه ولغيره من الأوثان.

قلت جوابه بوجوه:

(الأول): أنه ليس في شيء من الآيات المذكورة أن مشركاً قال في حق غير الله تعالى أنه رب[1] غير أن فرعون قال أنا ربكم الأعلى، وهو لم يكن مشركاً بالله بل دهرياً منكراً لله تعالى حيث قال: وما رب العالمين؟ إنما هو في بعضها اتخاذ الأرباب، وهذا ليس نصاً على أنهم مقرون بربوبيتهم، بل يحتمل أن يكون اتخذهم الأرباب بمعنى صرف شيء من العبادة إليهم، أو بمعنى اتباع ما شرعوا لهم من تحريم الحلال وتحليل الحرام، لا أنهم كانوا يطلقون لفظ الرب عليهم.

قال العلامة الإمام حسن بن خالد (رحمه الله) في (منفعة قوت القلوب في إخلاص توحيد علام الغيوب): ومن هنا تعلم أن صرف

---

(1) هذا النفي العام غير مسلم، فإن بعض البشر اتخذوا أرباباً من دون الله فمن اتخذ رباً سماه رباً إن كانت هذه التسمية لغة قومه، وقريش ما كانت تتخذ آلهتها أرباباً، والنصارى يسمون المسيح ربهم ولا يطلقون اسم الرب على من عبدوهم من دونه وإن اتخذوهم أرباباً وآلهة، وكذلك من اتبع سنتهم من مبتدعة المسلمين كما تقدم، وراجع تفسير: [illegible]

شيئاً من العبادة إلى غير الله فقد اتخذه إلهاً رباً، أما كونه اتخـذه إلهـاً فقد صار له مألوهاً والمألوه المعبود، وإذا كان رسول الله صـلى اللـه عليه وسلم قال لأصحابه وقـد سـأله بعـض حـديثي الإسـلام منهـم أن يجعل لهم ذات أنواط فقال: "الله أكـبر، هـذا كمـا قـال بنـو إسـرائيل اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة لتركبن سنن من كان قبلكـم" أخرجـه ابـن أبي شيبة وأحمد والترمذي وصححه النسائي عن أبي واقد الليثي، مـع أنهـم لا يعبـدون الشـجرة ولا يسـألونها، بـل ينوطـون بهـا أسـلحتهم ومتاعهم، فجعـل اتخـاذهم لهـا لـذلك اتخـاذ آلهـة، فمـا الظـن بقصـد مخلوق معظـم لـدعائه والهتـف بـه عنـد الشـدائد، فـأي نسـبة للفتنـة بشجرة إلى الفتنة بمن توحي إليهم الشياطين؟ وأما كـونه قـد اتخـذه رباً فلتشبيهه لله في الربوبية، وقد قال اللـه تعـالى: ﴿ولا يـأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً﴾

وسبب نزول هذه الآية ما ذكروا أن اليهود والنصارى قالوا للنـبي صلى الله عليه وسلم: أتريد أن نعبدك كما تعبـد النصـارى عيسـى بـن مريم؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "معاذ الله أن يعبد غير الله، أو نأمر بعبادة غير الله، ما بذلك بعثني ولا بـذلك أمرنـي" فـأنزل الله تعـالى فـي ذلـك: ﴿مَـا كَـانَ لِبَشَـرٍ أَن يُـؤْتِيَهُ اللَّـهُ الكِتَـابَ وَالْحُكْـمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُـوا عِبَـاداً لِّـي مِـن دُونِ اللَّـهِ وَلَكِـن كُونُـوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الكِتَابَ وَبِمَـا كُنتُـمْ تَدْرُسُـونَ، وَلاَ يَـأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا المَلائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَاباً أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْـدَ إِذْ أَنتُـم مُّسْـلِمُونَ﴾ فالرسول نفى أن يعبد غير الله أو يـأمر بعبـادة غيـر اللـه فـي جـوابه عليهم، والقرآن نزل بنفي أمره باتخـاذ الملائكـة والنـبيين أربابـاً، لأن الربوبية من لوازم الإلهية، فنفي أحدهما نفي للآخر، وإثبـات أحـدهما إثبات للآخر، لان المعبود لابد أن يكون مالكاً للنفع والضر، ومـن يملـك

النفع والضر فهو المعبود، فمن أثبت العبادة لأحد فقد أثبت له الربوبية، ومن أثبت الربوبية لأحد لقد أوجب له العبادة. اهـ.

وقال أيضاً فيه: إذا علمت أن معنى الرب المتصرف المالك، وأن معنى الإله المعبود، وأن معنى الالاهة والألوهية العبادة والمعبودية، وأن العبادة هي أقصى مراتب الخضوع حباً وذلاً، علمت أن قصد غير الله بشيء من العبادة أو أثبت له بعض خواص الرب سبحانه وتعالى فقد اتخذه رباً وإلهاً، سواء أطلق عليه اسم الإله أم لم يطلقه، فإن الإله المعبود، وغلب على المعبود بحق وهو الله تعالى. اهـ.

وفي بعضا قول الخليل عليه السلام هذا ربي، وهذا ليس نصاً على أن قومه عليه السلام يسمون الكواكب أرباباً، إذ في الآية أقوال:

منها: أنه كان هذا منه عليه السلام عند قصور النظر، لأنه في زمن الطفولية، وقيل كان بعد بلوغ إبراهيم عليه السلام، ثم اختلف في تأويل هذه الآية: فقيل أراد قيام الحجة على قومه كالحاكي لما هو عندهم وما يعتقدونه لأجل إلزامهم، وقيل معناه أهذا ربي؟ أنكر أن يكون مثل هذا رباً، وقيل المعنى وأنتم تقولون هذا ربي فأضمر القول، وقيل المعنى على حذف مضاف أي هذا دليل ربي.

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره: وقد اختلف المفسرون في هذا المقام هل هو مقام نظر أو مناظرة؟ فروى ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ما يقتضي أنه مقام نظر، واختاره ابن جرير مستدلاً عليه بقوله: ﴿لئن لم يهدني ربي﴾ الآية، وقال محمد بن إسحاق: قال ذلك حين خرج من السرب الذي ولدته فيه أمه حين تخوفت عليه من نمرود بن كنعان لما كان قد أخبر بوجود مولود يكون ذهاب ملكه على يديه فأمر بقتل الغلمان عامئذ، فلما حملت أم إبراهيم به وحان وضعها ذهبت به إلى سرب ظاهر البلد فولدت فيه

إبراهيم وتركته هناك، وذكر أشياء من خوارق العادات كما ذكره غيره من المفسرين من السلف والخلف، والحق أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام كان في هذا المقام مناظراً لقومه مبيناً لهم بطلان ما كانوا عليه من عبادة الهياكل والأصنام، فبين في المقام الأول مع أبيه خطأهم في عبادة الأصنام الأرضية التي هي على صورة الملائكة السماوية ليشفعوا لهم إلى الخالق العظيم الذي هم عند أنفسهم أحقر من أن يعبدوه، وإنما يتوسلون إليه بعبادة الملائكة ليشفعوا لهم إلى الخالق عنده في الرزق وغير ذلك مما يحتاجون إليه، وبين في هذا المقام خطأهم ضلالهم في عبادة الهياكل وهي الكواكب السيارة السبعة المتحيرة. اهـ.

قلت: لا يخفى عليك أن عبارة الحافظ دالة على أن مقصود إبراهيم عليه السلام بهذا القول بيان بطلان ما كانوا عليه من عبادة الهياكل، وهذا لا يتوقف على كون قومه قائلين بربوبية الهياكل، بل يستقيم هذا البيان على تقدير كون قومه جاحدين لربوبيتها أيضاً بأن يقال: إن هذه الهياكل إذ لا تصلح للربوبية فكيف تصلح للإلهية؟ وفي بعضها أن الله تعالى أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقول: ﴿أغير الله أبغي رباً وهو رب كل شيء﴾ ففيه بغى غير الله رباً وهو مثل اتخاذ الرب.

وقد عرفت فيما تقدم أن اتخاذ شيء رباً ليس نصاً على إقرار ربوبيته لاحتمال أن يكون اتخاذ الرب بمعنى صرف شيء من العبادة إليه، أو بمعنى اتباع ما شرعوا لهم، يدل عليه ما في التفاسير من أنه جواب على المشركين لما دعوه إلى عبادة غيره سبحانه، قال الحافظ ابن كثير في تفسيره: يقول تعالى قل يا محمد لهؤلاء المشركين بالله في إخلاص العبادة والتوكل عليه: ﴿أغير الله أبغي رباً﴾ أي أطلب

رباً سواه وهو رب كل شيء يربيني ويحفظني ويكلؤني ويدبر أمري، أي لا أتوكل إلا عليه، ولا أنيب إلا إليه لأنه رب كل شيء ومليكه، وله الخلق والأمر، ففي هذه الآية الأمر بإخلاص العبادة والتوكل، كما تضمنت الآية التي قبلها إخلاص العبادة له لا شريك له. اهـ.

وفي بعضها أن يوسف عليه السلام قال لصاحبي السجن: ﴿أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار﴾؟ وهذا ليس فيه تصريح انهما كانا يطلقان لفظ الأرباب على الأصنام حتى يلزم إنكار توحيد الربوبية، بل يحتمل أن يكون المقصود بيان بطلان ما كانوا عليه من عبادة الأصنام بان القول بالأرباب المتفرقة باطل قطعاً لا يتأتى إنكاره من أحد من أهل العقل، وما لا يصلح للربوبية لا يصلح للعبادة، دل عليه قوله تعالى: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾.

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره: ثم إن يوسف عليه السلام أقبل على الفتيين بالمخاطبة والدعاء لهما إلى عبادة الله وحده لا شريك له وخلع ما سواه من الأوثان التي يعبدها قومهما فقال: ﴿أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار﴾؟ الذي ذل كل شيء لعز جلاله وعظمة سلطانه. اهـ.

وجملة القول أنه ليس في آية من الآيات أن واحداً من المشركين قال إن غير الله رب حتى يلزم إنكار توحيد الربوبية.

و(الوجه الثاني): أنه يحتمل أن يكون المراد بالرب في الآيات المذكورة المعبود، وقد عرفت فيما تقدم أن الرب ربما يجيء بمعنى المعبود.

و(الثالث): أن الكلام في مشركي العرب،والآيات المذكورة أكثرها في حق غيرهم من مشركي أهل الكتاب وقوم إبراهيم وقوم يوسف عليهما السلام[1] فلا يصح بتلك الآيات الاستدلال على أن مشركي العرب لم يكونوا مقرين بتوحيد الربوبية، ولعلك قد تفطنت من هاهنا فساد قول العلامة محمد بن إسماعيل الأمير حيث قال: "فإن قلت: أهل الجاهلية تقول في أصنامهما أنهم يقربونهم إلى الله زلفى كما تقوله القبوريون: ﴿يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله﴾ كما تقوله القبوريون قلت: لا سوء. فإن القبوريين مثبتون التوحيد لله قائلون إنه لا إله إلا هو، ولو ضربت عنقه على أن يقول إن الولي إله مع الله لما قالها، بل عنده اعتقاد جهل أن الولي لما أطاع الله كان له بطاعته عنده تعالى جاه به تقبل شفاعته ويرجى نفعه، لا أنه إله مع الله، بخلاف الوثني فإنه امتنع عن قول لا إله إلا الله حتى ضربت عنقه زاعماً ن وثنه إله مع الله ويسميه رباً وإلهاً، قال يوسف عليه السلام: ﴿أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار﴾ سماهم أرباباً لأنهم كانوا يسمونهم بذلك كما قال الخليل: ﴿هذا ربي﴾ في الثلاث الآيات، مستفهماً لهم مبكتاً متكلماً على خطئهم حيث يسمون الملائكة أرباباً وقالوا: ﴿أجعل الآلهة إلهاً واحداً﴾ وقال قوم إبراهيم: ﴿أإفكاً هذا بآلهتنا﴾؟ ومن هنا يعلم أن الكفار غير مقرين بتوحيد الألوهية والربوبية كما توهمه من توهم من قوله: ﴿ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله﴾ ،﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم﴾ ،﴿قل من يرزقكم من السماء والأرض – إلى قوله- ليقولن الله﴾ فهذا إقرار بتوحيد الخالقية والرازقية

---

[1] هذا أوجه الوجوه الثلاثة وأصحها في المسألة. وكبته محمد رشيد رضا.

ونحوهما، لا إنه إقرار بتوحيد الربوبية، لأنهم يجعلون أوثانهم أرباباً كما عرفت. اهـ.

وجه الفساد أن الإقرار بتوحيد الخالقية والرازقية ونحوهما إقرار بتوحيد الربوبية، لما عرفت فيما تقدم من أن معنى الرب هو المالك المتصرف، وكون الله تعالى وحده خالقاً ورازقاً ونحوهما يستلزم كونه تعالى وحده مالكاً متصرفاً في جميع المخلوقات، على أن قوله تعالى في المؤمنون: ﴿قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون الله﴾ نص على الإقرار بتوحيد الربوبية واضح، وقد علمت الجواب عما فيه من البحثين فتذكر، وأما قوله: "يجعلون أوثانهم أرباباً" فقد عرفت الجواب عنه فيما سلف بما لا يزيد عليه[1].

قوله: ومما يعتقده هؤلاء الملحدة المكفرة للمسلمين أن قصد الصالحين والاعتقاد فيهم والتبرك بهم شرك أكبر.

أقول: جوابه قراءة قوله تعالى: ﴿سبحانك هذا بهتان عظيم﴾، لم يقل أحد من الموحدين المتبعين للكتاب والسنة قط إن قصد الصالحين والاعتقاد فيهم والتبرك بمهم شرك، سينال إن شاء الله تعالى هذا المفتري غضب من ربه وذلة في الحياة الدنيا، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا العِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي المُفْتَرِينَ﴾ إنما منعوا الناس من أن يشدوا الرحال لزيارة قبور الصالحين وأين هذا من ذاك؟ ولم يقولوا فيه أيضاً إنه شرك أكبر، إنما قالوا إنه بدعة محرمة.

---

(1) وقد علمت مما سلف أيضاً الفرق بين المسلم والجاهلي في إطلاق اسم العبادة والإله أن التسمية عند الأول اصطلاحية وعند الثاني لغوية، فكل تعظيم ودعاء فيما هو فوق الأسباب يسمى عبادة، ويسمى المعظم المطلوب منه معبوداً وإلهاً، لأن هذا مقتضى لغته، والمسلم ليس كذلك، فهو لا يعرف لهذه الأسماء إلا المعنى الشرعي وإن جهل أصله اللغوي، وكتبه محمد رشيد رضا.

قوله: فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر صاحبيه عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما أن يقصدا أويس القرني ويسألاه الدعاء والاستغفار كما في صحيح مسلم.

أقول: ليس في صحيح مسلم في فضل أويس رضي الله عنه إلا حديث عمر رضي الله عنه وألفاظه مختلفة، وفي رواية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال: "إن رجلاً يأتيكم من اليمن يقال له أويس، لا يدع باليمين غير أم له، قد كان به بياض، فدعاء الله فأذهبه عنه إلا موضع الدينار أو الدرهم، فمن لقيه منكم فليستغفر لكم"، وفي لفظ: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن خير التابعين رجل يقال له أويس وله والدة، وكان به بياض فمروه فليستغفر لكم"، وفي لفظ: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "يأتي عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن من مراد ثم من قرن، كان به برص فبرأ منه إلا موضع درهم، له والدة هو بها بر، لو أقسم على الله لأبره، فان استطعت أن يستغفر لك فافعل" فاستغفر لي، فاستغفر له. اهـ.

وليس فيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر صاحبيه عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب أن يقصداً أويساً، ولو كان هذا اللفظ واقعاً في حديث لما كن فيه حجة الخصم أيضاً، فإن هذا اللفظ لا يقتضي جواز شد الرحال لزيارة الأحياء فضلاً عن جوازه لزيارة الأموات الذي كلامنا فيه، وما ورد في صحيح مسلم ليس فيه إلا أنه إن جاءنا أحد من أهل الخير والصلاح فمن لقيه منا فطلب الدعاء له منه جائز، وهذا لا ينكره أحد.

قوله: وأما التبرك بآثار الصالحين –إلى قوله- ليس فيه شيء من الإشراك ولا الحرمة، وإنما هؤلاء القوم يلبسون على المسلمين توصلاً إلى أغراضهم، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

أقول: هذه إطالة لا طائل تحتها، فإنه ليس أحد منا معاشر أهل التوحيد والسنة منكراً للتبرك بآثار الصالحين، إنما نمنع شد الرحال لزيارة قبور الصالحين ودعاء الأموات وطلب الدعاء منهم، والروايات المذكورة ليس فيها أثر من جواز هذه الأمور.

قوله: كان محمد بن عبد الوهاب الذي ابتدع هذه البدعة يخطب للجمعة في مسجد الدرعية ويقول في كل خطبة: ومن توسل بالنبي فقد كفر.

أقول: هذه المسألة من المسائل التي أجاب الشيخ نفسه عنها في الرسالة التي كتباه إلى عبد الله بن سحيم بما نصه:

فهذه اثنا عشر[1] مسألة جواب فيها أن أقول: سبحانك هذا بهتان عظيم، ولكن قبله من بهت محمداً صلى الله عليه وسلم أنه يسب عيسى بن مريم ويسب الصالحين: ﴿تشابهت قلوبهم﴾ وبهتوه بأنه يزعم أن الملائكة وعيسى وعزيز في النار فأنزل الله في ذلك: ﴿إن الذين سبقت لهم من الحسنى أولئك عنها مبعدون﴾ الآية.

قال الشيخ حسن بن غنام الاحسائي في روضة الأفكار والأفهام: (العاشرة) قولهم في الاستسقاء لا بأس بالتوسل بالصالحين،وقول أحمد يتوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم خاصة مع قولهم أنه لا يستغاث بمخلوق، فالفرق ظاهر جداً، وليس الكلام مما نحن فيه، فكون بعض يرخص بالتوسل بالصالحين، وبعضهم يخصه بالنبي صلى الله عليه وسلم وأكثر العلماء ينهى عن ذلك ويكرهه،

---

[1]) الصواب اثنتا عشرة

هذه المسألة من مسائل الفقه،ولو كان الصواب عندنا قول الجمهـور أنه مكروه فلا ننكر على من فعله ولا إنكار في مسائل الاجتهـاد، لكـن إنكار على من دعاء مخلوق أعظم مما يدعو الله تعـالى ويقصـد القـبر يتضرع عند الشـيخ عبـد القـادر أو غيـره يطلـب منـه تفريـج الكربـات، وإغاثة اللهفات، وإعطاء الرغبات، فأين هذا من يدعو اللـه مخلصـاً لـه الدين؟ لا يدعو مع الله أحداً، ولكن يقـول فـي دعـائه أسـألك بنبيـك أو بالمرسلين أو بعبادك الصالحين أو يقصد قـبر معـروف أو غيـره يـدعو عنده لكن لا يدعو إلا الله يخلص له الدين، فأين هذا مما نحن فيه؟ اهـ.

وقال بعض المحققين في الرد على كتاب (جلاء الغمة): إذا ظهر هذا وعرفت أن كلام الشيخ متجـه لا غبـار عليـه فـاعلم أن قـول هـذا الملحد "فجعل كلامه هاذ كما ترى التوسل بذوات الصـالحين والرسـل عليهم الصلاة والسلام وطلبه جل وعلا بأوليـائه مـن ديـن المشـركين الشرك الأكبر المخرج عن الملة وكفر به كما تـرى صـريحاً مـن قـوله" تمويه وتلبيس أدخل فيه قوله وطلبه جل وعلا بأوليائه ليوهم الجهـال ومن لا علم عندهم بحقيقة الحال.

وموضوع الكلام أن مراد الشيخ مسألة التوسل في دعاء الله بجاه الصالحين وهذه المسألة، ودعاء الصالح وقصده فيما لا يقـدر عليـه إلا الله مسألة أخرى، فخلطهما ليروج باطله فقبحا قبحاً، وسحقا سحقاً، لمن ورث اليهود وحرف الكلم عن مواضعه، وكلام الشيخ صريح فيمن دعاء مع الله إلهاً آخر في حاجاته وملماته، وقصده بعباداته فيما لا يقد عليه إلا الله تعالى، كحـال مـن عبـد عبـد القـادر، أو أحمـد البـدوي، أو العيدروس، أو علياً، أو الحسـين، ومـع هـذا الصـنيع الفظيـع والشـرك الجلي يقول أنا لا أشرك بالله شيئاً، وأشهد أنـه لا يخلـق ولا يـرزق ولا ينفع ولا يضر إلا الله، ظناً منهم أن ذلك هو الإسلام فقـط، وأنـه ينجـو

به من الشرك وما رتب عليه، فكشف الشيخ شبهته، وأدحض حجته، بما تقدم من الآيات: ﴿وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم﴾

وأما مسألة الله بحق أنبيائه وأوليائه أو بجاههم بان يقول السائل: اللهم إني أسألك بحق أنبيائك وأوليائك أو نحو هذا فليس الكلام فيه، ولم يقل الشيخ أنه شرك ولا له ذكر في كلامه، وحكمه عند أهل العلم معروف، وقد نص على المنع منه جمهور أهل العلم بل ذكر الشيخ[1] في رده على ابن البكري أنه لا يعلم قائلاً بجوازه إلا ابن عبد السلام في حق النبي صلى الله عليه وسلم ولم يجزم بذل بل علق القول به على ثبوت حديث الأعمى وصحته، وفيه من لا يحتج به عند أهل الحديث، وعلى تسليم صحته فليس الكلام فيه، وفي المثل: أريها السهى وتريني القمر[2]. اهـ.

وأيضاً قال فيها: والتوسل صار مشتركاً في عرف كثير، فبعض الناس يطلقه على قصد الصالحين ودعائهم وعبادتهم مع الله، وهذا هو المراد بالتوسل في عرف عباد القبور وأنصارهم وهو –عند الله ورسوله وعند أولي العلم من خلقه- الشرك الأكبر والكفر البواح، والأسماء لا تغير الحقائق، ويطلق أيضاً –في عرف السنة والقرآن وأهل العم بالله ودينه- على التوسل والتقرب إلى الله تعالى في شرعه من الإيمان به وتوحيده وتصديق رسله وكلام أهل العلم من خلقه فهذا هو المراد، لا ما اصطلح عليه المشركون الجاهلون بحدود ما أنزل الله على رسوله، فلبس هذا المعترض بكلمة مشتركة ترويجاً لباطله. اهـ.

---

(1) يعني شيخ الإسلام تقي الدين بن تيمية.

(2) السهى نجم صغير يقرب صورة الدب الأكبر يمتحن به حدة البصر لشدة صغرة.

قلت: وقد علمت تحقيق التوسل وحكمه، وما يجوز من أفراده وما لا يجوز، وما كان منها شركاً وما ليس بشرك فيما تقدم بما لا يزيد عليه فتذكر.

قوله: وكان أخوة الشيخ سليمان بن عبد الوهاب من أهل العلم، فكان ينكر عليه إنكاراً شديداً في كل ما يفعله أو يأمر به، ولم يتبعه في شيء مما ابتدعه، وقال له أخوه سليمان يوما: كم أركان الإسلام يا محمد بن عبد الوهاب؟ فقال: خمسة. فقال: أنت جعلتا ستة، السادس من لم يتبعكم فليس بمسلم، هذا عندك ركن سادس للإسلام.

أقول: لعل هذا وأمثاله مأخوذ من كتاب (جلاء الغمة عن تكفير هذه الأمة)، فلأنقل أولاً لفظ هذا الكتاب، ثم نذكر ما قل بعض المحققين في الرد عليه، قال المعترض في كتاب جلاء الغمة: ولكن هذا الرجل جعل طاعته ركناً سادساً للأركان الخمسة كما قال ذلك أخوه لأمه وأبيه الشيخ سليمان بن عبد الوهاب حين خطأه فلم يقبل، ونهاه عن سفك الدماء ونهب الأموال فلم يفعل.

وقال بعض المحققين في الرد عليه ما نصه: والجواب أن يقال: قد علم أهل العلم والإيمان براءة الشيخ من هذا، وأن دعوته إلى طاعة الله ورسوله، يأمر بتوحيده وينهى عن الشرك به وعن معصيته ومعصية رسوله، ويصرح بأن من عرف الإسلام ودان به فهو مسلم في أي زمان وأي مكان، ويشهد الله كثيراً في رسائله ويشهد أولي العلم من خلقه أن أعداءه إن جاءوه عن الله أو عن رسوله بدليل يرد شيئاً من قوله ويحكم بخطئه ليقبلنه على الرأس والعين، ويترك ما خالفه أو عارضه، وهذا معروف بحمد الله، وإنما يرميه بمثل هذا البهت وينسبه إليه من جعل زوره وقدحه في أهل العلم والإيمان

جسراً يتوصل منه ويعبر إلى ما انطوى عليه وزينه له الشيطان من عبادة الصالحين والتوسل بهم، وعدم الدخول تحت أمر أولي العلم وترك القبول منهم، والاستغناء بما نشأ عليه أهل الضلال واعتادوه من العقائد الضالة والمذاهب الجائرة، قال تعالى حاكياً عن فرعون وقومه فيما رموا به كليمه موسى ونبيه هارون عليهما السلام من قصد العلو والدعوة إلى أنفسهما: ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الكِبْرِيَاءُ فِي الأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ﴾ وقال: ﴿لقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين إلى فرعون وملئه فاستكبروا وكانوا قوما عالين، فقالوا أنؤمن لبشر مثلنا وقومهما لنا عابدون، فكذبوهما فكانوا من المهلكين﴾.

فانظر إلى ما أفادته اللام، إن كنت من ذوي الألباب والأفهام، وقال تعالى عن قوم نوح إنهم قالوا لنبيهم: ﴿ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم، ولو شاء لأنزل ملائكة، ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين﴾.

فانظر يا من نور الله عليه قلبه ما زعم هذا المعترض ونزله على هذه الآيات الكريمات تعرف أن آل فرعون وقوم نوح لهم ورثة وأتباع، وعصابة وأشياع، يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً، ويستكبرون على الرسل وأعلام الهدى تعاظماً وحرجاً، ولابد من الحساب يوم يقوم الناس لرب العالمين .

وقد رأيت رسالة لشيخنا رحمة الله تعالى تشهد لما قررناه ونصها:

من محمد بن عبد الوهاب إلى الأخ حمد التويجري، ألهمه الله رشده. وبعد: وصل الخط[1] أوصلك الله إلى ما يرضيه، وأشرفنا على

---

[1] أي الكتاب والخطاب والرسالة.

الرسالة المذكورة، وصاحبها ينتسب إلى مذهب الإمام أحمد رحمه الله وما تضمنته الرسالة من الكلام في الصفات مخالف لعقيدة الإمام أحمد رحمه الله، وما تضمنته من الشبه الباطلة في تهوين أمر الشرك بل في إباحته فمن أبين الأمور بطلاناً لمن سلم من الهوى والتعصب، وكذلك تمويهه على الطغام بان ابن عبد الوهاب يقول: الذي ما يدخل تحت طاعتي كافر، ونقول: سبحانك هذا بهتان عظيم بل نشهد الله على ما يعلمه من قلوبنا بأن من عمل بالتوحيد وتبرأ من الشرك وأهله، فهو المسلم في أي زمان وأي مكان، وإنما نكفر من أشرك بالله في الإلهية بعد ما تبين له الحجة على بطلان الشرك، وكذلك نكفر من حسنه للناس أو أقام الشبه الباطلة على إباحته، وكذلك من قام بسيفه دون هذه المشاهد التي يشرك بالله عندها، وقاتل من أنكرها وسعى في إزالتها، والله المستعان. اهـ. المقصود منه.

وأما نسبة ذلك إلى أخيه سليمان فلا مانع من ذلك لولا وجوب رد خبر هذا الفاسق وعدم قبوله إلا بعد التبين، ثم ول فرضت صحته فمن سليمان، وما سليمان؟

هذه دلائل السنة والقرآن تدفع في صدره، وتدرأ في نحره، وقد اشتهر ضلاله ومخالفته لأخيه مع جهله وعدم إدراكه لشيء من فنون العلم.

وقد رأيت له رسالة يعترض فيها على الشيخ وتأملتها فإذا هي رسالة جاهل بالعلم والصناعة، مزجى التحصيل والبضاعة، لا يدري ما طحاها، ولا يحسن الاستدلال بذلك على من فطرها وسواها.

هذا وقد من الله –وقت تسويد هذا- بالوقوف على رسالة سليمان فيها البشارة برجوعه عن مذهبه الأول، وأنه قد استبان له

التوحيد والإيمان، وندم على ما فرط من الضلال والطغيان، وهذا نصها.

بسم الله الرحمن الرحيم

من سليمان بن عبدالوهاب، إلى الأخوان أحمد بن محمد التويجري وأحمد ومحمد ابني عثمان بن شبانة.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

فأحمد إليكم الله تعالى الذي لا إله إلا هو، وأذكركم ما من الله به علينا وعليكم من معرفة دينه، ومعرفة ما جاء به رسوله صلى الله عليه وسلم من عنده، وبصرنا من العمى، وأنقذنا من الضلالة، وأذكركم بعد أن جئتمونا في الدرعية من معرفتكم الحق على وجهه، وابتهاجكم به، وثنائكم على الله الذي أنقدكم، وهذه آدابكم في سائر مجالسكم عندنا، وكل ما جاءنا من حمد الله[1] يثني عليكم والحمد لله على ذلك، وكتبت لكم بعد ذلك كتابين غير هذا أذكركم وأحضكم، ولكن يا إخواني معلومكم ما جرى منا من مخلفة الحق واتباعنا سبيل الشيطان ومجاهدتنا في الصد عن اتباع سبل الهدى، والآن معلومكم لم يبق من أعمارنا إلا اليسير، والأيام معدودة، والأنفاس محسوبة، والمأمول منا أن نقوم لله، ونفعل الهدى أكثر ما فعلنا مع الضلال، وأن يكون ذلك لله وحده لا شريك له، لا لما سواه، لعل الله سبحانه يمحو عنا سيئات ما مضى وسيئات ما بقي، ومعلومكم عظم الجهاد في سبيل الله وما يكفر من الذنوب، وأن الجهاد باليد والقلب واللسان والمال، وتفهمون أجر من هدى الله به رجلاً واحداً والمطلوب منكم أكثر مما تفعلون الآن، وأن تقوموا لله قيام صدق، وأن تبينوا للناس الحق على وجهه، وأن تصرحوا لهم تصريحاً بيناً بما

---

[1] في نسخة تصحيح خطي: جاءنا من المجمعة.

أنتم عليه من الغي والضلال، فيا إخواني الله الله، فالأمر أعظم من ذلك، فلو خرجنا نجأر إلى الله في الفلوات وعدّنا الناس من السفهاء والمجانين في ذلك لما كان بكثير منا، وأنتم رؤساء الدين، ومكانكم أعز من الشيوخ، والعوام كلهم تبع لكم، فاحمدوا الله على ذلك، ولا تعلثوا[1] بشيء من الموانع، وتفهمون أن الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر لابد أن يرى ما يكره، ولكن أرشدكم في ذلك إلى الصبر كما حكى عن العبد الصالح في وصيته لابنه، فلا أحق من أن تحبوا لله، وتبغضوا لله، وتوالوا لله، وتعادوا لله، وترى يعرض في هذا أمور شيطانية وهي أن من الناس من ينتسب لهذا الدين، وربما يلقي الشيطان لكم أن هذا ما هو بصادق وأن له ملحظاً دنيوياً، وهذا أمر ما يطلع عليه إلا الله، فإذا أظهر أحد الخير فاقبلوا منه ووالوه، فإذا ظهر من أحد شر وإدبار عن الدين فعادوه واكرهوه، ولو أحب حبيب، وجامع الأمر في هذا أن الله خلقنا لعبادته، وأعظم ما نهانا عنه الشرك بالله وعداوة أهله[2]، وبغضهم – وتبيين الحق وتبيين الباطل، فمن التزم ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم فهو أخوك، ولو أبغض بغيض، ومن نكب عن الصراط المستقيم فهو عدوك، ولو ولدك أو أخوك، وهذا شيء أذكركموه، مع أنى بحمد الله أعلم أنكم تعلمون ما ذكرت لكم، ومع هذا فلا عذر لكم عن التبيين الكامل الذي لم يبق معه لبس، وأن تذاكروا دائماً في مجالسكم ما جرى منا ومنكم أولاً، وأن تقوموا مع الحق أكثر من قيامهم مع الباطل، فلا أحق من ذلك ولا لكم عذر، لأن اليوم الدين والدنيا ولله الحمد مجتمعة في ذلك، فتذكروا ما أنتم فيه أولاً في أمور الدنيا من الخوف والأذى والاعتداء، واعتلاء الظلمة

---

[1] هكذا في الأصل بالثاء المثلثة يقال علث البر بالشعير إذا خلطه به، ويجوز أن تكون الكلمة محرفة أو مصحفة. وكتبه محمد رشيد رضا.

[2] هكذا في الأم ولا يستقيم معناه، فلعله سقط منه شيء. اهـ من حاشية الطبع وزاد فيه بعضهم بالخط. وأمرنا بعداوة أهله.

و الفسـقة عليكـم، ثـم رفـع اللـه ذلـك كلـه بالـدين، وجعلكـم السـادة والقادة، ثم أيضاً ما من الله به عليكم من الدين.

انظروا إلى مسألة واحدة، فمما نحن فيه من الجهالة كون البــدو نجري عليهم أحكام الإسلام مع معرفتنا أن الصحابة قاتلوا أهل الــردة وأكثرهم متكلمون بالإسلام، ومنهم من أتى بأركانه، ومع معرفتنــا أن من كذب بحرف من القرآن كفر ولو كان عابداً، وأن من استهزأ بالدين أو بشيء منه فهو كافر، وأن من جحد حكماً مجمعاً عليـه فهـو كـافر – إلى غير ذلك من الأحكام المكفـرات – وهـذا كلـه مجتمـع فـي البـدوي وأزيد، وتجري عليهم أحكام الإسلام اتباعاً لتقليد من قبلنا بلا برهان.

فيا إخواني تأملوا وتذاكروا في هذا الأصل يدلكم على ما هو أكثر من ذلك، وأنا أكثرت عليكم الكلام لوثوقي بكـم أنكـم مـا تشـكون فـي شيء فيما تحاذرون، ونصيحتي لكـم ولنفسـي، والعمـدة فـي هـذا أن يصير دأبكـم فـي الليـل والنهـار أن تجـأروا إلـى اللـه أن يعيـذكم مـن أنفسكم وسيئات أعمالكم، وأن يهديكم إلى الصراط المستقيم، الـذي عليه رسله وأنبياؤه وعباده الصالحون، وأن يعيذكم من مضلات الفتن، فالحق واضح وأبلولج وماذا بعد الحق إلا الضلال .

فالله الله تروا الناس اللـي[1] فـي جهـاتكم تبـع لكـم فـي الخيـر والشر، فإن فعلتوا ما ذكرت لكم ما قدر أحد من الناس يرميكـم بشـر، وصرتوا كالأعلام هداة للحيران، فإن الله سبحانه وتعالى هو المسئول أن يهدينا وإياكم سبل السـلام، والشـيخ وعيـاله وعيالنـا طيـبين وللـه الحمد ويسلمون عليكم، وسلموا لنا علـى مـن يعـز عليكـم، والسـلام، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم، اللهم اغفر لكاتبه ووالــديه

---

[1] اللي كلمة عامية بمعنى: الذي.

ولذريته، ولمن نظر فيه فدعا لـه بـالمغفرة والمسـلمين والمسـلمات أجمعين.

فأجابوه برسالة ينبغي أن تذكر ونصها:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد الله رب العالمين،وصلى الله على سيدنا سـيد المرسـلين، من كاتبه الفقير أحمد التويجري وأحمد بن عثمان وأخيـه محمـد، إلـى منْ منّ الله علينا وعليه باتباع دينـه، واقتفـاء هـدى محمـد صـلى اللـه عليه وسلم نبيه وأمينه، الأخ سليمان بن عبدالوهاب، زادنـا اللـه وإيـاه من التقـوى والإيمـان، وأعـذنا وإيـاه ممـن نزاعـات الشـيطان، سـلام عليكم ورحمة الله وبركاته، بعد إبلاغ الشيخ وعياله وعبـدالله وإخـوانه السلام.

وبعد فوصل إلينا نصيحتكم جعلكم الله من الأئمـة الـذين يهـدون بأمره الداعين إليه وإلى دين نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، فنحمـد الله الذي فتح علينا وهدانا لدينه، وعدلنا عن الشرك والضلال، وأنقذنا من الباطـل والبعـد المضـلة، وبصـرنا بالإسـلام الصـرف الخـالي عـن شوائب الشرك، فلقد من الله علينا وعليكم، فلـه الفضـل والمنـة بمـا نور لنا من اتباع كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وعدلنا عـن سـبيل مـن ضـل وأضـل بلا برهـان، ونسـأله أن يتـوب علينـا وعليكـم ويزيـدنا مـن الإيمـان، فلقـد خصـنا فيمـا مضـى بالعـدول عـن الحـق ودحضناه، وارتكبنـا الباطـل ونصـرناه، جهلاً منـا وتقليـداً لمـن قبلنـا، فحق علينا أن نقوم مع الحق قيام صـدق أكـثر ممـا قمنـا مـع الباطـل على جهلنا وضلالنا.

فالمأمول والمبغي منـا ومنكـم وجميـع إخواننـا التـبيين الكامـل الواضح، لئلا يغتر بأفعالنا الماضية من يقتدي بجهلنا، وأن نتمسك بمـا

اتضح وابلولج من نور الإسلام وما بين الشيخ محمد رحمه الله تعالى من شريعة النبي صلى الله عليه وسلم. فلقد حاربنا الله ورسوله واتبعنا سبيل الغي والضلال، ودعونا إلى سبيل الشيطان، ونكبنا كتاب الله وراء ظهورنا جهلاً منا وعداوة، وجاهدنا في الصد عن دين الله ورسوله، واتبعنا كل شطان تقليداً وجهلاً بالله، فلا حول ولا قوة إلا بالله ربنا ظلمنا أنفسها وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين، لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين .

فالواجب منا لم رزقنا الله معرفة الحق أن نقوم معه أكثر وأكثر من قيامنا مع الباطل، ونصرح بالتبيين للناس بأنا على باطل فيما فات، ونقوم له مثنى وفرادى، ونتوكل على الله عسى أن يتوب علينا، ويعيذنا من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، وأن يهدينا سبل السلام، ويجعلنا من الداعين إلى الهدى، لا من الدعاة إلى النار، فنحمد الله الذي لا غله إلا هو حيث من علينا بهذا الشيخ في آخر هذا الزمان، وجعله بإذنه وفضله هادياً للتائه الحيران، نسأل الله العظيم أن يمتع المسلمين به ويعيذه من شر كل حاسد وباغ، ويبارك في أيامه، وأن يجعل جنة الفردوس مأواه وإيانا، وأن ينفعنا بما بينه، فلقد بين دين نبيه صلى الله عليه وسلم على رغم أنف كل جاحد، وصار علماً للحق حين طمس، ومصباحاً للهدى حيث درست أعلامه ونكس، وأطفأ الله به الشرك بعد ظهوره حين عبدت الأوثان صرفاً بلا رمس، ولم يزل – من الله عليه برضاه – ينادي: أيها الناس هلموا إلى دين نبيكم الذي بعث به إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر، ثم لم ينقم مه وعليه ألا أن يقول: أيها الناس اعبدوا ربكم وأعطوه حقه الذي خلقكم لأجله، وخلق لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه، إن الله تعالى يقول: وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون . وق ال: ولق د بعثنا

في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ». وقال: « وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً ». وقال: «فإن حاجوك فقل أسلمت وجني لله ومن اتبعن ». وفسر إسلام الوجه بالقصد في العبادة، فإذا دعا غير الله أو نذر لغير الله أو استغاث بغير الله أو توكل على غير الله أو التجأ إلى غير الله، فهذه عبادة لمن قصد بذلك، هذا والله الشرك الأكبر، وإنا نشهد بذلك، وقمنا مع أهله ثلاثين سنة، وعادينا من أمر بتجريد التوحيد العداوة البينة، التي ما بعدها عداوة.

فالواجب علينا اليوم نصر الله ودينه وكتابه ورسوله، والتبري من الشرك وأهله، وعداوتهم وجهادهم اليد واللسان، لعل الله أن يتوب علينا ويرحمنا، ويستر مخازينا، وأكبر من هذا البدو الذين لا يدينون دن الحق، لا يصلون ولا يزكون ولا يورثون، ولا لهم نكاح صحيح، ولا حكم عن الله ورسوله يدينون به صريح، ونقول هم إخواننا في الإسلام « سبحانك هذا بهتان عظيم ». ومكابرة لما جاء به رسول رب العالمين، فنقول: لا خلاف أن التوحيد لابد أن يكون بالقلب واللسان والعمل، فإن اختل من هذا شيء لم يكن الرجل مسلماً، فإذا عرف التوحيد ولم يعمل به فهو كافر معاند كفرعون وإبليس، وإن عمل بالتوحيد ظاهراً وهو لا يفهمه ولا يعتقده بقلبه فهو منافق شر من الكافر، أعاذنا الله وإياكم من الخزي يوم تبلى السرائر.

فالواجب علينا وعلى من نصح نفسه أن يعمل العمل الذي يحصل به فكاك نفسه، وأن يعبد الله ولا يعبد غيره، فالعبادة حق الله على العبيد، ليس لأحد فيها شرك، لا ملك مقرب ولا نبي مرسل، فضلاً عن السفلة والشياطين، وحق الله علينا أن نجأر إليه بالليل والنهار والسر والعلانية في الخلوات والفلوات، عسى أن يتوب علينا ويعفو عنا ما فات، ويعيذنا من مضلات الفتن، فالحق بحمد الله وضح وابلولج

﴿ وماذا بعد الحق إلا الضلال ﴾. ولا حول ولا قوة إلا بـالله، وصـلى اللـه على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين، وسلم تسليماً كثيراً إلـى يـوم الدين. انتهى ما قاله بعض المحققين في الرد على (جلاء الغمة).

قوله: وقال رجل آخر يوماً لمحمد بن عبدالوهاب: كم يعتـق اللـه كل ليلة في رمضان ؟ فقال له يعتق كل ليلة مائة ألف، وفي آخر ليلـة يعتق مثل ما أعتق في الشهر كله، فقال له: لم يبلغ مـن اتبعـك عشـر عشر ما ذكرت، فمن هؤلاء المسلمون الذين يعتقهم اللـه تعـالى وقـد حصرت المسلمين فيك وفيمن اتبعك ؟ فبهت الذي كفر. اهـ.

أقول: جوابه على وجوه:

(الأول) عدم الاعتماد على خبر الفاسق الكاذب المفـتري إلا بعـد التبين.

و(الثاني) أن نفس هذا الخبر والحكاية مـا يقتضـي كـذبه مـن أن محمد بن عبدالوهاب قال له: "يعتق في كل ليلة مائة ألف، وفـي آخـر ليلة يعتق مثل ما أعتق في الشهر كله". فإن هـذا العـدد لـم يقـع فـي حديث صحيح ولا حسن، إنما وقع في رواية ضعيفة شـديدة الضـعف أو موضوعة[1]، ومحمد بن عبدالوهاب بحمد الله تعالى كان من نقاد أهل الحديث، فكيف يتصور أن يجيب هذا الجواب السـخيف السـاقط؟ نعـم جاء في حديث "ولله عتقاء من النار وذلك كل ليلة". وفي حـديث "إنـه يغفر لأمته في آخر ليلة من رمضان". وعلى هذا فليـس فيـه إشـكال، على أن هذين الحـديثين أيضـاً فهمـا مقـال، أمـا الأول فلأن الترمـذي قال في جامعه بعد ذكر هذا الحديث: وحديث أبي هريرة الذي رواه أبو بكر بن عياش حديث غير لا نعرفه من روايـة أبـي بكـر بـن عيـاش عـن

---

[1] **الرواية موضوعة قطعاً، ولو عقل هذا المفتري لعلم أن ما أورده على الشيخ يرد على أتباع النبي صلى الله عليه وسلم في عصره، إذ لم يكونوا يبلغون عشر هاذ العدد في الحديث الموضوع. وكتبه محمد رشيد رضا.**

الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة إلا من حديث أبي بكـر، وسـألت محمد بن إسماعيل عن هذا الحديث فقـال أخبرنـا الحسـن بـن الربيـع أخبرنا أبو الأحوص عن الأعمش عن مجاهـد قـوله قـال: "إذا كـان أول ليلة من شهر رمضان" فذكر الحديث. قال محمد: وهذا أصح عندي من حديث أبي بكر بن عياش، وأما الثاني فلأن في سنده هشـام بـن زيـاد أبا المقدام ضعفه أحمـد وغيـره، قـال النسـائي: مـتروك، وقـال ابـن حبان: يروي الموضوعات عن الثقات، وقال أبـو داود: كـان غيـر ثقـة، وقال البخاري: يتكلمون فيه. كذا في الميزان.

و(الثالث) أن عدد المعتقين الواقـع فـي الروايـة المـذكورة فـي هذه الحكاية إن كان في كل زمـان، فهـذا فـي غايـة السـقوط فـإنه لا يصدق في زمان بداية الإسلام حين كان المسلمون قليلون لـم يبلغـوا هذا العدد، وإن كان في بعض الزمان فقد بلغ أتبـاع الشـيخ محمـد بـن عبدالوهاب في بعض الزمان أضعاف العدد المذكور، على أنه لو فـرض عدم بلوغ أتباع الشيخ هذا العـدد فـأي محـذور علـى هـذا التقـدير ؟ إذ وجود المسلمين قبل زمان الشيخ أو بعده موافقاً لهذا العدد كاف في صدق هذه الرواية.

و(الرابع) أن صدقه في كل زمان من أوضـح الأباطيـل، إذ يجيـء في قرب الساعة زمان يقبض فيه روح كل مؤمن، فكيـف يصـدق هـذا الحديث ؟ فهو إما باطل أو مؤول بأن يحمل على زمان يبلـغ فيـه عـدد المسلمون هذا المبلغ أو يزيد، وهذا التأويل كما يمكن مـن جـانب مـن ليس من أتباع الشيخ كذلك يمكن من جانب أتباعه غير فرق.

و(الخامس) أن بناء هذا التشنيع على أن يكون الشيخ قائلاً بحصر المسلمين في نفسه وأتباعه، وقد علم فيما تقدم أن هذا افتراء علـى الشيخ صريح.

وأما قول المؤلف في حق الشيخ "فبهت الذي كفر" فجرأة عظيمة على النار والكفر، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "أيما رجل قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما" والشيخ رحمه الله بحمد الله تعالى بريء من الكفر فقد باء بها هذا المؤلف.

قوله: ولما طال النزاع بينه وبين أخيه خاف أخوه أن يأمر بقتله فارتحل إلى المدينة المنورة وألف رسالة في الرد عليه وأرسلها له فم ينته.

أقول: هذا كان حين تبين غيه وضلاله، ومخالفته للشيخ، وأما بعده فقد رجع أخوه عن مذهبه الأول، وقد استبان له التوحيد والإيمان، وندم على ما فرط من الضلال والطغيان، وقد علمته فيما تقدم.

قوله: وألف كثير من علماء الحنابلة وغيرهم رسائل في الرد عليه، وأرسلوها له فلم ينته.

أقول: جوابه من وجوه:

(الأول) أن كثيراً من العلماء المحققين أجابوا على تلك الرسائل وانتصروا للشيخ.

و(الثاني) أن رد كثير من العلماء على الشيخ لا يقتضي بطلان ما عليه الشيخ وأحقية ما عليه خصومه، إنما معيار الحقيقة شهادة الكتاب العزيز والسنة المطهرة، وإذا كان قوله وعمله موافقاً للثقلين[1]، فلا مبالاة بمخالفة أحد كائناً من كان.

و(الثالث) أن عير واحد من علماء الصحابة والتابعين وتبع التابعين قد خالفه كثير من العلماء فهذا مما يشارك الشيخ فيه غيره فلا وجه للطعن.

---

(1) أي كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

قوله: وقال له رجل آخر مرة وكان رئيساً على قبيلة بحيث أنه لا يقدر أن يسطو عليه: ما تقول إذا أخبرك رجل صادق ذو دين وأمانة وأنت تعرف صدقه بأن قوماً كثيرين قصدوك وهم وراء الجبل الفلاني فأرسلت ألف خيال ينظرون القوم الذين وراء الجبل فلم يجدوا أثراً ولا أحد منهم ، بل ما جاء تلك الأرض أحد، أتصدق الألف أم الواحد الصادق عندك ؟ فقال: أصدق الألف، فقال له: إن جميع المسلمين من العلماء الأحياء والأموات في كتبهم يكذبونك فيما أتيت به، ويزيفونه فنصدقهم ونكذبك؟ فلم يعرف جواباً لذلك.

أقول: الجواب عليه من وجوه:

(الأول) عدم الاعتماد على هذا النقل.

(الثاني) أن ما حكاه عن الشيخ في جواب الصورة المفروضة من أنه قال "أصدق الألف" لا يتصور أن يكون جواباً صحيحاً عموماً، بل إذا كان الألف ذوي صدق ودين وأمانة ممن لا يخافون في الحق لومة لائم، وأما من ليس بذي صدق أو دين أو أمانة أو يخاف الناس كخشية الله فليكن الجواب على عكس ما حكى الشيخ وحين حكى الجواب عموماً، فهذا أدل دليل على كذب هذه الحكاية.

(الثالث) أن هذا المثل ليس في محله، فإن ما عليه الشيخ ليس خبر رجل صادق ذي دين وأمانة، بل هو قول رسول كريم، ذي قوة عند ذي العرش مكين، مطاع ثم أمين، فلا اعتداد بقول من خالفه وإن كانوا ألوفاً، إذ الشيخ لم يدع إلى رأيه أو إلى رأي أحد من الصحابة أو التابعين، أو تبع التابعين، أو رأي غيرهم من العلماء، إنما دعا إلى إخلاص التوحيد الذي هو منطوق صريح لغير واحدة من الآيات[1].

---

[1] بل آيات التوحيد بأنواعها تعد بالمئات.

(الرابع) أن قول السائل "إن جميع المسلمين من العلماء الأحياء والأموات في كتبهم يكذبونك فيما أتيت به ويزيفونه" كذب صريح، هذا شيخ الإسلام ابن تيميه وابن القيم وابن كثير وابن عبدالهادي وغيرهم من أهل التوحيد ممن قبل الشيخ يصدقون الشيخ فيما أتى به، بل لو ادعى أن جميع المسلمين من العلماء الأحياء والأموات موافقون للشيخ لكان له وجه[1] فإن كلهم يقولون: إن الدعاء عبادة، وعبادة غير الله شرك.

قوله: وقال له رجل آخر مرة: هذا الدين الذي جئت به متصل أم منفصل ؟ فقال له مشايخي ومشايخهم إلى ستمائة سنة كلهم مشركون، فقال له الرجل: إذاً دينك منفصل لا متصل، فعمن أخذته ؟ فقال: وحي إلهام كالخصر، فقال له: إذاً ليس ذلك محصوراً فيك، كل أحد يمكنه أن يدعي وحي الإلهام الذي تدعيه.

أقول: هذا افتراء على الشيخ واضح، لم يقل الشيخ قط إن مشايخي ومشايخهم إلى ستمائة سنة كلهم مشركون، وإن ديني وحي إلهام، وراويه أحد الكاذبين، ومن يدعي صحته فعليه البيان.

قوله: ثم قال له: إن التوسل مجمع عليه – إلى قوله – فلا وجه لك في التفكير أصلاً.

---

[1] **الحق الواقع أن ما دعا إليه الشيخ من التوحيد هو ما دعا إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه وأصحابه وجميع المسلمين في خير القرون، ثم نجمت قرون الشرك وسمي بغير اسمه، فلما فشا في العوام كان شيخ الإسلام ابن تيميه أول من قاومه وأطال الحجج في دحض شهادته وتفنيد خرافاته، ولم يخالفه في هذا أحد من علماء عصره، بل قال بعضهم: إنه نبهنا لأمر كنا غافلين عنه، اللهم إلا ابن البكري ألف رسالة في الرد عليه وعرضها على علماء الأزهر وغيرهم ليجيزوها فلم يوافقه عليها أحد، وكان من فروعها بدع الزيارة وشد الرحال خالفه فيها تقي الدين السبكي، ولكنه لم يبح دعاء غير الله تعالى لا النبي صلى الله عليه وسلم ولا غيره، وإنما كثر المضلون في هذه المسألة بعد ظهور الشيخ محمد بن عبدالوهاب لأن الجهل بالتوحيد صار أعم، ولأن الله تعالى سخر له آل سعود، فأسسوا للإسلام دولة عربية أفزعت الدولة التركية فقاتلت الدولة العربية وجعلت دعوى الدين حجة لها. وكتبه محمد رشيد رضا.**

أقول: لعل هذه الحكاية مجعولة، فإن الشيخ قد قال في الرسالة التي كتبها إلى عبدالله بن سحيم في جواب هذا الطعن سبحانك هذا بهتان عظيم .

قوله: هذا حجة عليك، فإن استسقاء عمر بالعباس إنما كان لإعلام الناس بصحة الاستسقاء والتوسل بغير النبي صلى الله عليه وسلم.

أقول: هذا ادعاء بلا دليل، بل يرده لفظ الحديث، فإن فيه أن عمر رضي الله عنه قال: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا صلى الله عليه وسلم فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا. هذا لفظ البخاري، وهو عند الإسماعيلي من رواية محمد بن المثنى عن الأنصاري بإسناد البخاري إلى أنس قال: كانوا إذا قحطوا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم استقوا به فيستسقي لهم فيسقون، فما كان في إمارة عمر.. فذكر الحديث، هكذا في الفتح.

قوله: وكيف نحتج باستسقاء عمر بالعباس وعمر هو الذي روى حديث توسل آدم بالنبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يخلق ؟

أقول: قد عرفت فيما تقدم أن هذا الحديث واه جداً لا يصلح لأن يحتج به.

قوله: فبهت وتحير وبقي على عمارته ومقابحه الشنيعة.

أقول: هذا كذب فيما أظنه بيّن، كيف وقد يعلم ضعف حديث التوسل من له أدنى إلمام بفن الجرح والتعديل، فلا وجه للبهت و التحير.

قوله: ومن مقابحه أنه لما منع الناس من زيارة النبي صلى الله عليه وسلم خرج ناس من الأحساء وزاروا النبي صلى الله عليه وسلم.

أقول: هذا كذب وافتراء، فإن الشيخ قال في جواب اثنتي عشر مسألة، منها إنكار زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم ما نصه: فهذه اثنتا عشرة مسألة جوابي فيها أن أقول: ﷺ سبحانك هذا بهتان عظيم ﷺ. هكذا قال الشيخ في الرسالة التي كتبها إلى عبدالله ابن سحيم.

قوله: وبلغه مرة أن جماعة من الذين لم يتابعوه من الآفاق البعيدة قصدوا الزيارة والحج.

أقول: هذا افتراء بحت، ألم تر أن الشيخ نفسه قد قصد مدينته عليه الصلاة والسلام وأقام فيها شهرين ثم رجع بعد ذلك فائزاً بأجر الزيارة والمناسك، كذا في (روضة الأفكار) وقد نقلت فيما تقدم عبارتها الطويلة.

قوله: وكان ينهى عن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم – إلى قوله – وأحرق دلائل الخيرات وغيرها من كتب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم.

أقول: قد أجاب الشيخ في بعض رسائله عن هذا بقوله: وأما دلائل الخيرات فلذلك سبب، وذلك أني أشرت على من قبل نصيحتي من إخواني أن لا يصير في قلبه أجلّ من كتاب الله، ويظن أن القراءة فيه أنفع من قراءة القرآن[1].

---

[1] إن أصحاب الطرائق وضعوا للناس أوراداً وأحزاباً مدونة من أذكار وأدعية وصلوات يتعبدون بها في أوقات معينة كالصلوات الخمس، فهذا العمل منقد شرعاً من عدة وجوه: (1) أن فيها أوصافاً لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم مخالفة للثابت في الكتاب والسنة. (2) أن فيها ما لا يقبل مثله إلا بنص منهما، لأنه توقيفي على الراجح المختار عند أئمة الأمة كما قاله صاحب الجوهرة:

واختير أن اسماه توقيفية كذا الصفات فاحظ السمعيه

(3) أن التزامها وتقييدها في الأوقات المعينة، والاجتماع لبعضها ورفع الصوت بها، وجعلها من قبيل الشعائر، يدخلها في عموم البدعة الإضافية ويخرجها من عموم العبادات المطلقة على فرض ورودها فيها كما حققه الإمام الشاطبي في الاعتصام. (4) أنهم آثروها على التعبد بتلاوة القرآن التي هي أعلى العبادات المطلقة وأذكار السنة، كما حققناه في تفسير المنار. (راجع صفحة 374 جزء 10).

وأما إحراقه والنهي عن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بأي لفظ كان فهذا من البهتان، كذا في (روضة الأفكار). وأيضاً فيها: وأما قوله وأحرق أيضاً "روض الرياحين" وسماه روض الشياطين فهذا من الكذب والزور المبين. اه

وأما قوله وأبطل الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم الجمعة وليلتها، فهذا الكلام مع بشاعة لفظه فيه إيهام وإبهام، وتشنيع بظاهره عند العوام، وتنفير لهم من توحيد الملك العلام، فإن الشيخ رحمه الله لم ينه عن ذلك ولم يبطله، إلا الفعل الذي يفعل في كثير من البلدان، وقد أبطله جماعة قبله من الأعيان، وأنكره جماعة من نقاد هذا الشأن، وقالوا لا يتقرب إلى الله تعالى [به] ولا يدان، لأنه بدعة محضة أظهرها في مقام العبادة الشيطان. اه

وقال أيضاً فيه وليعلم القارئ لهذا الكتاب، والواقف على هذا الخطاب، أن البيان عن ذلك في الجواب، أن الذي أنكره من غير شك ولا ارتياب، هو ما يفعل في غالب الأمصار، ويعمل في كثير من الأقطار، لا سيما الحرمين كما صح بالمشاهدة والأخبار، وذلك أنه يصعد ثلاثة أو أكثر على رؤوس المنار، ويقرءون آيات من القرآن، ويصلون على النبي بأرفع صوت وإعلان، ويأتون بقبيح الألحان وأصوات تحاكي غناء القيان، ويمططون آيات الله الكريمة، ويغيرون حرمة أسمائه العظيمة، وينقلونها من معناها إلى معنى[1] وكفى به إثماً ووهنا، وتغييراً لما أراده الله بأسمائه وصفاته[2]، لقد خسر والله من ضل سعيه وهو يحسب أنه يحسن صنعا. اه

---

(1) كذا في نقل الأصل ولعله: إلى ما ليس له معنى، أو إلى ما لا يصح له معنى.

(2) لعله في أصله زيادة "الحسنى". وكتبه محمد رشيد رضا.

وقال الشيخ في الرسالة التي كتبها إلى عبدالرحمن بن عبدالله: والحاصل أن ما ذكر عنا من الأسباب غير دعوة الناس إلى التوحيد والنهي عن الشرك فكله من البهتان اهـ. وللسيد العلامة إمام العصر محمد بن إسماعيل الأمير اليمني نظم في مدح الحديث مشتمل على فصول حكم في فضل منها على دلائل الخيرات بالتحريق فقال:

وحرق عمداً أصاب ففيها ما
للدلائل دفترا يجل عن العد
علوُ نهي عنه بلا مرية فاتركه إن
الرسول وفرية كنت تستهدى
أحاديث لا تعزى إلى تساوى فلساً إن
عالم ولا رجعت إلى النقد
وصيرها الجهال يرى درسها أزكى
للدرس ضرة لديه من الحمد

ولما اطلع الشيخ الفاضل العلامة ناصر بن خسين المحبش الصنعاني على هذه الأبيات أرسل إليه نظماً سأل فيه عن وجه هذا الحكم، فأجاب السيد العلامة أولاً [على] النظم بالنظم، ثم حرر أدلة على دعواه في النثر على وجه الإتقان، وهذا السؤال والجواب كلاهما يتيسران في بلاد اليمن ونواحيه، ذكره السيد العلامة مولانا السيد صديق حسن سلمه الله تعالى في كتابه (إتحاف النبلاء).

ما كان عليه الوهابية من الاتباع والاجتهاد
في الأصول والفروع

قـوله: وكـان يمنـع أتبـاعه مـن مطالعـة كتـب الفقـه والتفسـير والحديث، وأحرق كثيراً منها، وأذن لكـل مـن اتبعـه أن يفسـر القـرآن بحسب فهمه حتى همج الهمج من أتباعه.

أقول: قد فرغ الشيخ من جوابه بما قال في الرسالة التي كتبهـا إلى عبدالله بن سحيم في المسائل التي شنع بها، منها ما هو البهتان الظـاهر وهـي قـوله إنـي مبطـل كتـب المـذاهب، وقـوله إنـي ادعـي الاجتهاد، وقوله إني خارج عن التقليد. اه ملخصاً.

وقـال فـي الرسـالة الـتي كتبهـا إلـى عبـدالرحمن بـن عبـدالله: وأخبرك أني ولله الحمد متبـع ولسـت بمبتـدع، عقيـدتي ودينـي الـذي أدين الله به مذهب أهل السنة والجماعة الـذي عليـه أئمـة المسـلمين مثل الأئمة الأربعـة وأتبـاعهم إلـى يـوم القيامـة، لكنـي بينـت للنـاس إخلاص الدين، ونهيتهـم عـن دعـوة الأحيـاء والأمـوات مـن الصـالحين وغيرهم. اه

قال عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب فـي رسـالة اختصـرت مـن الرسائل المؤلفة للشيخ محمد بن عبدالوهاب: إن مـذهبنا فـي اصـول الدين مذهب أهل السنة والجماعة، وطريقتنا طريقـة السـلف، ونحـن أيضاً في الفروع على مذهب الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله، ولا ننكر علـى مـن قلـد أحـد الأربعـة دون غيرهـم لعـدم ضـبط مـذاهب الغيـر كالرافضة والزيديـة والإماميـة ونحـوهم، فلا نقرهـم علـى شـيء مـن مذاهبهم الفاسدة، بـل نجـبرهم علـى تقليـد أحـد الأئمـة، ولا نسـتحق مرتبة الاجتهاد المطلق ولا أحد لدينا يدعيها، إلا أننا في بعض المسائل إذا صح لنا نص جلـي مـن كتـاب أو سـنة غيـر منسـوخ ولا مخصـص ولا معـارض بـأقوى منـه وقـال بـه أحـد الأئمـة الأربعـة أخـذنا بـه وتركنـا المذهب، كإرث الجد والأخوة، فإنا نقدم الجد بالإرث وإن خالف مذهب

الحنابلة، ولا نفتش على أحد في مذهبه ولا نعترض عليه، إلا إذا اطلعنا على نص جلي كذلك مخالف لمذهب بعض الأئمة وكانت المسألة مما يحصل بها شعار ظاهر كإمام الصلاة، فنأمر الحنفي والمالكي مثلاً بالمحافظة على نحو الطمأنينة في الاعتدال والجلوس بين الجلستين لوضوح دليل ذلك[1]، بخلاف جهر الإمام الشافعي بالبسملة وشتان بين المسألتين، فإذا قوي الدليل أشرناهم للنص[2]، وإن خالف المذهب، وذلك إنما يكون نادراً جداً، ولا مانع من الاجتهاد في بعض المسائل دون بعض فلا مناقضة لعدم دعوى الاجتهاد المطلق، وقد سبق جمع من المذاهب الأربعة إلى اختيارات لهم في بعض المسائل مخالفين للمذهب الملتزمين تقليد صاحبه، ثم إنا نستعين على فهم كتاب الله بالتفاسير المتداولة المعتبرة ومن أجلها لدنيا تفسير ابن جرير ومختصره لابن كثير الشافعي، وكذلك البيضاوي والبغوي والخازن والهاد[3] والجلالين وغيرهم، وعلى فهم الحديث بشروحه كالقسطلاني والعسقلاني على البخاري، والنووي على مسلم والمناوي على الجامع الصغير، ونحوهم على كتب الحديث خصوصاً الأمهات الست وشروحها، ونعتني بسائر الكتب في سائر الفنون أصولاً وفروعاً، وقواعد وسيراً وصرفاً ونحواً، وجميع علم الأمة، ولا نأمر بإتلاف شيء من المؤلفات أصلاً، إلا ما توقع الناس في الكفر[4]، كروض الرياحين، أو يحصل بسببه خلل في العقائد كعلوم المنطق فإنه قد حرمه كثير من العلماء على أنا لا نفحص على مثل ذلك، وكالدلائل إلا أن تظاهر به صاحبه معانداً أتلف عليه، وما اتفق لبعض

---

[1] **يزاد عليه أن من لم يقل بفرضية الطمأنينة يقول بأنها هي السنة العملية، بل صلح الحنفية بوجوبها.**

[2] **لعله: أرشدناهم للنص.**

[3] **في نسخة: الحداد.**

[4] **في نسخة: الشرك.**

البدوان في إتلاف كتب أهل الطائف إنما صدر لجهلة وقد زجر هو وغيره عن مثل ذلك.

ولا نرى قتل النساء والأطفال، وأما ما يكذب علينا ستراً للحق، وتلبيساً على الخلق، بأنا نقرأ القرآن[5] لرأينا، ونأخذ من الحديث ما وافق فهمنا، من دون مراجعة شروح ولا نعول على شيخ، وأنا نضع من رتبة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بقولنا النبي رمة في قبره وعصا أحدنا أنفع منه، وليس له شفاعة، وإن زيارته غير مندوبة، وأنه كان لا يعرف معنى لا إله إلا الله حتى أنزل عليه: ﴿ فاعلم أنه لا إله إلا الله ﴾ مع كون الآية مدنية، وأنا لا نعتمد أقوال العلماء، ونتلف مؤلفات أهل المذاهب لكون فيها الحق والباطل، وأنا مجسمة وأنا نكفر الناس على الإطلاق، ومن بعد الست المائة إلا من هو على ما نحن عليه، ومن فروع ذلك أن لا نقبل بيعة أحد حتى نقرر عليه بأنه كان مشركاً، وأن أبويه ماتا على الإشراك بالله، وأنا ننهى عن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ونحرم زيارة القبور المشروعة مطلقاً، وأن من دان بما نحن عليه سقط عنه جميع التبعات حتى الديون، وأنا لا نرى حقاً لأهل البيت رضوان الله عليهم، وأنا نجبر على تزويج غير الكفء لهم، وأنا نجبر عض الشيوخ على فراق زوجته الشابة لتنكح شاباً على مرافعة لدينا ولا وجه لذلك – فجميع هذه الخرافات وأشباهها لما استفهمنا عنها من ذكر أولاً ما كان جوابنا عليه في كل مسألة من ذلك إلا ﴿سبحانك هذا بهتان عظيم ﴾. فمن روى عنا شيئاً من ذلك أو نسبه إلينا فقد كذب علينا وافترى، ومن شاهد حالنا ورأى مجلسنا وتحقق ما عندنا، علم قطعاً أن جميع ذلك وضعه علينا وافتراه جماهير أعداء الدين، وإخوان الشياطين، تنفيراً للناس عن الإذعان لإخلاص

---

(5) **لعل أصله: تفسير القرآن برأينا.**

التوحيد لله بالعبادة، فإنا نعتقد أن من فعل أنواعاً من الكبائر كالقتل للمسلم بغير حق والزنا والربا وشرب الخمر، وتكرر ذلك منه، لا يخرج بفعل ذلك عن دائرة الإسلام ولا يخلد به في دار الانتقام، إذا مات موحداً لله في جميع أنواع العبادة.

والذي نعتقده في مرتبة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أنها أعلى مراتب المخلوقات على الإطلاق، وأنه حي في قبره حياة مستقرة أبلغ من حياة الشهداء المنصوص عليها في التنزيل، إذ هو أفضل منهم بلا ريب، وأنه يسمع سلام من يسلم عليه، وتسن زيارته إلا أنه لا يشد الرحل إلا لزيارة المسجد والصلاة فيه، وإذا قصد مع ذلك الزيارة فلا بأس، ومن أنفق نفيس أوقاته في الاشتغال بالصلاة عليه الواردة عنه فقد فاز بسعادة الدارين وكفى همه كما جاء في الحديث.

قوله: وتارة يقول إن الشريعة واحدة، فما لهؤلاء جعلوها مذاهب أربعة ؟

أقول: قال عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب في ديباجة الرسالة المذكورة ما نصه:

ونودي بالمواظبة على الصلوات في الجماعات وعدم التفرق في ذلك بأن يجتمعوا في كل صلاة مع إمام واحد يكون ذلك الإمام من أحد المقلدين للأربعة رضوان الله عليهم، اهـ. وقد تقدم أيضاً قوله: بل نجبرهم على تقليد أحد الأئمة الأربعة، فعلم بذلك أن هذا افتراء بحت.

قوله: وكان الشيخان المذكوران يعني الشيخ محمد بن سليمان الكردي، والشيخ محمد حياة السندي الحنفي وغيرهما من أشياخه يتفرسون فيه الإلحاد والضلال، ويقولون سيضل هذا ويضل به من أبعده وأشقاه، فكان الأمر كذلك، وما أخطأت فراستهم فيه.

أقول: هذا النقل مما لا اعتماد عليه.

قوله: وكان والده عبدالوهاب من العلماء الصالحين، فكان أيضاً يتفرس في ولده المذكور الإلحاد ويذمه كثيراً ويحذر الناس منه.

أقول: هذا كذب صريح، فإن والده قد أثنى عليه ثناء بليغاً كما يظهر من عبارة (روضة الأفكار) وقد نقلت فيما تقدم.

قوله: وكذا أخوه سليمان بن عبدالوهاب فكان ينكر ما أحدثه من البدع والضلال والعقائد الزائفة، وتقدم أنه ألف كتاباً في الرد عليه.

أقول: نعم قد كان أخوه سليمان في أول الأمر كما قال هذا القائل، ثم رجع عن مذهبه الأول وندم على ما فرط من الضلال والطغيان، كما يلوح من كتابه الذي كتب إلى أحمد بن محمد التويجري وأحمد ومحمد ابني عثمان بن شبانة، وقد نقل فيما سبق فتذكر.

قوله: وكانت ولادة محمد بن عبدالوهاب سنة ألف ومائة وأحد عشر.

أقول: هذا غلط، والصحيح ما في (الروضة) من أنه رحمه الله ولد سنة خمس عشرة بعد المائة والألف كما تقدم.

قوله: ولما أراد إظهار ما زينه له الشيطان من البدعة والضلالة.

أقول: هذا بهتان عظيم، فإن الشيخ رحمه الله سعى سعياً عظيماً في إزالة البدعة والضلالة، وإنما دعا الناس إلى التوحيد الخالص واتباع السنة وترك الشرك والبدعة.

قوله: ويفهمهم أن ما عليه الناس كله شرك وضلال.

أقول: هذا بعمومه افتراء بحت.

قوله: وكان يقول لهم: إني أدعوكم إلى الدين، وجميع ما هو تحت السبع الطباق مشرك على الإطلاق، ومن قتل مشركاً فله الجنة.

أقول: هذا كله افتراء بلا ريب على الشيخ يعرفه من له رائحة من الإيمان والعلم والعقل.

قوله: وكانوا ملكوا الطائف في ذي القعدة سنة 1217 قتلوا الكبير والصغير والمأمور والآمر، ولم ينج إلا من طال عمره، وكانوا يذبحون الصغير على صدر أمه، ونهبوا الأموال وسبوا النساء – إلى قوله – فإنهم كانوا يحكمون على الناس بالكفر من منذ ستمائة، وغفلوا أيضاً عن استباحتهم أموال الناس ودمائهم وانتهاكهم حرمة النبي صلى الله عليه وسلم بارتكابهم أنواع التحقير له ولمن أحبه وغير ذلك من مقابحهم التي ابتدعوها وكفروا الأمة بها، وكانوا إذا أراد أحد أن يتبعهم على دينهم طوعاً أو كرهاً يأمرونه بالإتيان بالشهادتين أولاً ثم يقولون له اشهد على نفسك أنك كنت كافراً، أو اشهد على والديك أنهما ماتا كافرين، واشهد على فلان وفلان أنه كان كافراً، ويسمون له جماعة من أكابر العلماء الماضين، فإن شهدوا بذلك قبلوهم وإلا أمروا بقتلهم، وكانوا يصرحون بتكفير الأمة من منذ ستمائة سنة، وأول من صرح بذلك محمد بن عبدالوهاب فتبعوه على ذلك، وإذا دخل إنسان في دينهم وكان قد حج حجة الإسلام قبل ذلك يقولون له حج ثانياً فإن حجتك الأولى فعلتها وأنت مشرك، فلا يسقط عنك الحج، ويسمون من اتبعهم من الخارج المهاجرين، ومن كان من أهل بلدتهم يسمونهم الأنصار، والظاهر من حال محمد بن عبدالوهاب أنه يدعي النبوة إلا أنه ما قدر على إظهار التصريح بذلك، وكان في أول أمره مولعاً بمطالعة أخبار من ادعى النبوة كاذباً كمسلمة الكذاب، وسجاح، والأسود العنسي، وطليحة الأسدي، وأضرابهم، فكأنه يضمر في نفسه دعوة النبوة، ولو أمكنه إظهار هذه الدعوة لأظهرها، وكان يقول لأتباعه: إني أتيتكم بدين جديد، ويظهر

ذلك من أقواله وأفعاله، ولهذا كان يطعن في مـذاهب الأئمـة وأقـوال العلماء، ولم يقبل مـن ديـن نبينـا صـلى اللـه عليـه وسـلم إلا القـرآن ويؤوله على حسب مراده، مـع أنـه إنمـا قبلـه ظـاهراً فقـط لئلا يعلـم الناس حقيقة أمره، فيكشفوا عنه، بدليل أنه هو وأتباعه إنما يؤولـونه على حسب ما يوافق أهواءهم لا بحسب ما فسره به النبي صـلى اللـه عليه وسلم وأصحابه والسـلف الصـالح وأئمـة التفسـير، فـإنه كـان لا يقول بذلك ولا يقول بما عدا القرآن من أحاديث النبي صلى الله عليـه وسـلم وأقاويـل الصـحابة والتـابعين، والأئمـة المجتهـدين ولا بمـا استنبطه الأئمة من القرآن والحديث، ولا يأخذ بالإجماع ، ولا بالقيـاس الصحيح، وكان يدعي الانتسـاب إلـى مـذهب الإمـام أحمـد رحمـه اللـه كذباً، وتستراً وزوراً، والإمام أحمد بريء منه.

أقول: الجواب على هذه الأقوال كلها أنها علـى طولهـا وكثرتهـا كاذبة خبيثة، فلا تعجبك كثرة الخبيث.

قوله: حتى أخوه سليمان بن عبـدالوهاب ألـف رسـالة فـي الـرد عليه كما تقدم.

أقول: قد عرفت فيما تقدم أن الشيخ سليمان قد رجع عن قـوله الأول، فالاستناد بالقول المرجوع عنه عجيب.

قوله: وتمسك في تكفير المسلمين بآيات نزلت فـي المشـركين فحملها على الموحدين.

أقول: إنما تمسك الشيخ في تكفير الذين يسمون أنفسهم وهـم يرتكبون أمور مكفرة بعموم آيات نزلت في المشركين، وقد ثبت فـي علم الأصول أن العبرة لعموم اللفظ، لا لخصوص السبب، وهذا ممـا لا مجال لاختلاف فيه أحد.

قوله: وقد روى البخاري عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما في وصف الخوارج أنهم انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها في المؤمنين.

أقول: قد وصله الطبري في مسند علي من تهذيب الآثار من طريق بكير بن عبدالله بن الأشج أنه سأل نافعاً: كيف كان رأي ابن عمر في الحرورية ؟ قال: كان يراهم شرار الخلق انطلقوا إلى آيات الكفار فجعلوها في المؤمنين، قلت: وسنده صحيح قاله الحافظ في الفتح، والشيخ رحمه الله تعالى بريء من هذا الصنيع بحمد الله، والدليل عليه أنه ذكر في كتاب التوحيد باب إثم من فجر بالقرآن حديث أبي سعيد الخدري المروي في الخوارج وذكر هذا الأثر، فكيف يرتبك ما يشنع به على الخوارج ؟ نعم قد استدل الشيخ رحمه الله على كفر عباد القبور بعموم آيات نزلت في الكفار، وهذا مما لا محذور فيه، إذ عباد القبور ليسوا بمؤمنين عند أحد من المسلمين[1].

قوله: وفي رواية أخرى عن ابن عمر عند غير البخاري أنه صلى الله عليه وسلم قال: أخوف ما أخاف على أمتي رجل متؤول للقرآن يضعه في غير موضعه".

أقول: في هذا الكلام خطأ من وجوه.

(الأول) أن هذا الحديث من رواية عمر بن الخطاب، لا من رواية ابن عمر كما ستعرفه عن قريب.

---

[1] إن المؤلف يختصر في دحض هذه المفتريات لما سبق له من التفصيل فيما يفندها من بطلان النقل وأدلة الشرع، ومن عجائب جهل دحلان وأمثاله أنهم يظنون أن ما بينه القرآن من بطلان شرك المشركين خاص بهم لذواتهم وليس حجة على من يفعل مثل فعلهم كأن من ولد مسلماً يباح له الشرك لجنسيته الإسلامية وإن أشرك بالله في كل ما عده كتاب الله شركاً، وعلى هذا لا يتصور وقوع الردة في الإسلام لأن من سمى مسلماً يجب أن يسمى كفره وشركه إسلاماً، أو يعد مباحاً له أو حراماً على الأقل، وقد يعدونه مشروعاً بالتأويل. وكتبه محمد رشيد رضا.

و(الثاني) أن المتبادر من قوله عند غير البخاري أن غير البخاري من الأئمة الستة قد أخرجوه، مع أنه ليس له أثر في شيء من الكتب الستة، فهذا تدليل واضح، وإن كان المراد بغير البخاري الطبراني فقط فكان التصريح بالطبراني أولى بالديانة من هذا الإبهام والتلبيس.

و(الثالث) لفظ الحديث هكذا عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أكثر ما أتخوف على أمتي من بعدي رجل يتأول القرآن يضعه في غير مواضعه، ورجل يرى أنه أحق بهذا الأمر من غيره" رواه الطبراني في الأوسط، كذا في مجمع الزوائد، والمؤلف قد أخطأ في نقل هذه الرواية في غير ما موضع كما لا يخفى.

و(الرابع) في سنده إسماعيل بن قيس الأنصاري، وهو متروك الحديث كذا في مجمع الزوائد، قال الذهبي في الميزان: إسماعيل بن قيس بن سعد بن زيد بن ثابت الأنصاري أبو مصعب عن أبي حازم ويحيى بن سعد الأنصاري، قال البخاري والدراقطني: منكر الحديث، وقال النسائي وغيره: ضعيف، وقال ابن عدي: وعامة ما يرويه منكر. اه ملخصاً.

و(الخامس) أن صدقه على الشيخ محمد بن عبدالوهاب غير مسلم، ومن يدعي فعليه البيان.

وقد ورد في هذا المعنى أحاديث أخر:

منها حديث حذيفة، قال الحافظ أبو يعلى: حدثنا أبو موسى حدثنا أبو عمر بن عاصم حدثنا المعتمر عن أبيه عن قتادة عن الحسن بن جندب عن عبدالله أنه بلغه عن حذيفة – أو سمعه منه – يحدث عن رسو لالله صلى الله عليه وسلم أنه ذكر "إن في أمتي قوماً يقرءون

القرآن ينثرونه نثر الدقل، يتأولونه على غير تأويله، لم يخرجـوه، كـذا في تفسير الحافظ ابن كثير.

ومنها حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم: "إنـي لا أخـوف علـى أمـتي مؤمنـاً ولا مشركاً، فأما المؤمن فيحجزه إيمـانه، وأمـا المشـرك فيقمعـه كفـره، ولكن أتخوف عليكم منافقاً عليم اللسان يقول ما تعرفون ويعمـل مـا تنكرون". رواه الطبراني في الصغير والأوسط من رواية الحـارث بـن الأعور، وقد وثقه ابن حبان وغيره.

ومنها حديث عمران بن حصين رضي الله عنه قـال: قـال رسـول الله صلى الله عليه وسلم "إن أخوف ما أخاف عليكم بعدي كل منـافق عليم اللسان". رواه الطبراني في الكبير والـبزار ورواتـه محتـج بهـم فـي الصـحيح، ورواه أحمـد مـن حـديث عمـر بـن الخطـاب، كـذا فـي الترغيب والـترهيب للمنـذري، وقـال فـي مجمـع الزوائـد: روا الـبزار وأحمد وأبو يعلى ورجاله موثقون.

ومنها حديث معاذ بن جبل قال: قال رسول الله صلى اللـه عليـه وسلم "إني أخاف عليكم ثلاثاً، وهن كائنات: زلة عالم، وجـدال منـافق بـالقرآن، ودنيـا تفتـح عليكـم". رواه الطـبراني فـي الثلاثـة، وفيـه عبدالحكيم بن منصور وهو متروك الحديث.

ومنها حديث معاذ بن جبل ايض عن رسول اللـه صـلى اللـه عليـه وسلم "إياكم وثلاثة: زلة عالم، وجدال منـافق بـالقرآن، ودنيـا تقطـع أعناقكم، فأما زلة عالم فإن اهتـدى فلا تقلـدوه دينكـم، وإن يـزل فلا تقطعوا عنه أعمالكم، وأما جدال منافق بـالقرآن فـإن للقـرآن منـاراً كمنار الطريق، فما عرفتم فخذوه، ومـا أنكرتـم فـردوه علـى عـالمه، وأما دنيا تقطع أعناقكم فمن جعل اللـه فـي قلبـه غنـي فهـو عنـي".

رواه الطبراني في الأوسط، وعمرو بن مرة لم يسمع من معاذ، وعبدالله بن صالح كاتب الليث وثقه عبدالملك بن شعيب بن الليث، ويحيى في رواية منه، وضعفه أحمد وجماعة.

ومنها حديث عمرو بن عوف قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إ،ي أخف على أمتي من ثلاث: من زلة عالم، ومن هوى متبع، ومن حكم جائر". رواه البزار وفيه كثير بن عبدالله بن عوف وهو متروك، وقد حسن له الترمذي.

ومنها حديث عقبة بن عامر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إني أخاف على أمتي اثنتين: القرآن واللبن، فأما اللبن فيتبعون الريف ويتبعون الشهوات ويتركون الصلاة، وأما القرآن فيتعلمه المنافقون فيجادلون به الذين آمنوا". رواه أحمد والطبراني في الكبير وفيه دراج أبو السمح، وهو ثقة مختلف في الاحتجاج به، كذا في مجمع الزوائد.

وعن زياد بن حدير قال: قال لي عمر: هل تعرف ما يهدم الإسلام ؟ قال قلت لا، قال: يهدمه زلة العالم، وجدال المنافق بالكتاب، وحكم الأئمة المضلين. رواه الدارمي.

وعن عمرو بن الأشجع أن عمر بن الخطاب قال: إنه سيأتي ناس يجادلونكم بشبهات القرآن فخذوهم بالسنن، فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله. رواه الدارمي.

و(السادس) أن المراد في الحديث – على تقدير ثبوته – رجل يبتغي تأويل ما تشابه من القرآن، يدل عليه ما أخرجه أبو القاسم في المعجم الكبير عن أبي مالك الأشعري أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "لا أخاف على أمتي إلا ثلاث خصال: أن يكثر لهم المال فيتحاسدوا فيقتتلوا، وأن يفتح لهم الكتاب فيأخذه المؤمن

يبتغي تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلـم يقولـون آمنا به . الآية. وأن يروا علمهم فيضيعون ولا يبالون عليه". كـذا فـي تفسير ابن كثير.

وقبحُ تأويل ما تشابه من القرآن ثابت بالكتـاب، أي قـوله تعـالى: فأما الذين فـي قلـوبهم زيـغ فيتبعـون مـا تشـابه منـه ابتغـاء الفتنـة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله . الآية. وبالسنة الصـحيحة وهـو ما روي عن عائشة رضي الله عنها قـالت: تلا رسـول اللـه صـلى اللـه عليه وسلم هو الذي أنزل عليك الكتاب منـه آيـات محكمـات . وق رأ إلى وما يذكر إلا أولو الألباب قالت: قال رسول الله صلى الله عليـه وسلم "فإذا رأيت – وعند مسلم رأيتم – الـذين يتبعـون مـا تشـابه منـه فأولئك الذين سماهم الله فاحذروهم" متفق عليه. والخوارج داخلون فيهم دخولاً أولياً، بل إن قيل إنهم هم المراد في الحديث الـذي ذكـره صاحب الرسالة في الآية لـم يكـن بعيـداً، فـإن أول بدعـة وقعـت فـي الإسلام هـي فتنـة الخـوارج ثـم تشـعبت منهـم شـعوب وقبائـل وآراء وأهـواء ومقـالات ونحـل كـثيرة منتشـرة، ثـم انبعثـت القدريـة، ثـم المعتزلة، ثم الجهمية، وغير ذلك من أهل البدع، فهـم أصـل كـل أهـل البدعة ورأسـهم[1]، ويهـديك إليـه مـا أخرجـه الحـافظ أبـو يعيـى عـن الحسن بن جندب بن عبدالله أنه بلغه عن حذيفة أو سـمعه منـه يحـدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه ذكـر: "إن فـي أمـتي قومـاً" الحديث وقد ورد آنفاً.

وما أخرجه أحمد عن أبي غالب قال: سمعت أبا أمامة يحـدث عـن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه . قال: ه م الخـوارج. وفـي قـوله تعـالى:

---

[1] نسى المؤلف هنا غلاة الشيعة كالسبأيين، فهم قبل الخوارج وشر منهم.

﴿يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ﴾. وقد رواه ابن مردويه من غير وجه عن أبي غالب عن أبي أمامة فذكره، كذا في تفسير ابن كثير، فالفرد الكامل للحديث والآية هو الخوارج، ولكل أهل بدعة كفل منها على قدر بدعته، حتى الخلف من الذين يسمون أنفسهم أهل السنة، ومنهم صاحب الرسالة، فإنهم يؤولون آيات الصفات وأحاديثها.

وإذا عرفت هذا فاعلم أن الشيخ ليس مصداق هذا الحديث بيقين، فإنه يشنع تشنيعاً بليغاً على من يتبغي تأويل المتشابهات، فكيف يكون مصداقه؟ وقد عقد في كتاب التوحيد باباً لما جاء في اتباع المتشابه، وقد ذكر فيه حديث عائشة المذكور، وأثر عمر رضي الله عنه: هل تعرف ما يهدم الإسلام؟ الحديث، وقال: ولما سمع صبيغ يسأل عن الذاريات واشباهها فعل به عمر ما فعل، والقصة مشهورة، وقال في الرسالة التي اختصرت لأهل مكة: فأخبرناه بأن مذهبنا في أصول الدين مذهب أهل السنة والجماعة وطريقنا طريقة السلف التي هي الطريق الأسلم والأعلم والأحكم، خلافاً لمن قال طريقة الخلف أعلم، وهي أنا نقر آيات الصفات والأحاديث على ظاهرها ونكل معناها إلى الله تعالى، فإن مالكاً وهو من أجل علماء السلف لما سئل عن الاستواء قال: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة.

قوله: وأعجب من ذلك كله أنه كان يكتب إلى عماله الذين هم من أجهل الجاهلين: اجتهدوا بحسب فهمكم، وانظروا حكماً بما ترونه مناسباً لهذا الدين.

أقول: هذا كذب بحت، فإن الشيخ قال في الرسالة التي اختصرت لأهل مكة: ونحن أيضاً في الفروع على مذهب الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله، ولا ننكر على من قلد أحد الأربعة، دون غيرهم

لعجم ضبط مذاهب الغير كالرافضة والزيدية والإمامية ونحوهم، فلا نقرهم على شيء من مذاهبهم الفاسدة بل نجبرهم على تقليد أحد الأئمة الأربعة[1]، ولا نستخف بمرتبة الاجتهاد المطلق ولا أحد لدينا يدعيها، إلا أننا في بعض المسائل إذا صح لنا نص جلي من كتاب أو سنة غير منسوخ ولا مخصص ولا معارض بأقوى منه وقال به أحد الأئمة الأربعة أخذنا به وتركنا الحديث كإرث الجدة والأخوة، فإنا نقدم الجد وإن خالف مذهب الحنابلة، ولا نفتش على أحد في مذهبه ولا نعترض إلا إذا اطلعنا على نص جلي كذلك مخالف لمذهب بعض الأئمة، وكانت المسالة مما يحصل به شعار ظاهر كإمام الصلاة فنأمر الحنفي والمالكي مثلاً بالمحافظة على نحو الطمأنينة في الاعتدال والجلوس بين السجدتين لوضوح دليل ذلك، بخلاف جهر الإمام الشافعي بالبسملة وشتان بين المسألتين، فإذا قوي الدليل أرشدناهم بالنص وإن خالف المذهب، وذلك إنما يكون نادراً جداً، ولا مانع من الاجتهاد في بعض المسائل دون بعض فلا مناقضة لعدم دعوى الاجتهاد المطلق، وقد سبق جمع من أئمة المذاهب إلى اختيارات لهم في بعض المسائل مخالفة للمذهب الملتزمين تقليد صاحبه. اهـ.

قوله: وقد اعتنى كثير من العلماء من أهل المذاهب الأربعة للرد عليه.

أقول: قد اعتنى كثير من العلماء من أهل التحقيق بالجواب على ذلك الرد.

قوله: وسألوه عن مسائل يعرفه أقل طلبة العلم فلم يقدر على الجواب عنها، لأنه لم يكن له تمكن في العلوم.

---

[1] تقدم أن مذاهبهم مدونة، وقوله ولا نستخف كانت ولا نستحق ولعله تصحيف.

أقول: تمكنه في العلوم الدينية مما لا مجال للكلام فيه، فإن الشيخ إمام الموحدين ورأس العلماء العاملين، وغرة الأئمة المحققين، كان حفظ القرآن عن ظهر قبل بلوغه العشر، وكان حاد الفهم، سريع الحفظ، اشتغل في العلم عن أبيه، وأخذ في القراءة على والده في الفقه، ورحل في العلم وسار، وجد في الطلب فزاحم فيه العلماء الكبار، وأخذ العلم عن جماعة منهم الشيخ عبدالله بن إبراهيم النجدي ثم المدني، وقد سمع رحمه الله الحديث والفقه من جماعة بالبصرة كثيرة وقرأ بها النحو وأتقن تحريره، وكتب الكثير من اللغة والحديث، فلله دره من جهبذ عالم، وداع إلى توحيد الله قائم، وناصح لله ملازم، ومجدد لتلك المشاهد السنية والمعالم، كذا في الروضة للشيخ حسين بن غنام الأحسائي، وقال عالم صنعاء وشيخها:

قفي واسألي عن به يهتدي من ضل
عالم حل سوحها عن منهج الرشد
محمد الهادي لسنة فيا حبذا الهادي ويا
أحمد حبذا المهدي
لقد سرني ما جاءني وكنت أرى هذى
من طريقه الطريقة لي وحدي

وقال عالم الأحساء وشيخها:

لقد رفع بوقت به يعلو
المولى به رتبة الضلال ويرفع
الهدى وحق لها بالألمعي
وجرت به نجد ذيول ترفع
افتخارها

وقد عرف طلب الشيخ ورحلته في تحصيله كما ذكره صاحب التاريخ الشيخ حسين بن غنام الأحسائي، وقد اجتمع بأشياخ الحرمين في وقته ومحدثيها وأجازه بعضهم ورحل إلى البصرة، وسمع وناظر، وإلى الأحساء وهي إذ ذاك آهلة بالعلماء فسمع من أشياخها، وباحث في أصول الدين ومقالات الناس في الإيمان وغيره، وسمع من والده ومن فقهاء نجد في وقته، واشتهر عندهم بالعلم والذكاء، كذا قاله بعض المحققين في تأليف رد على (جلاء الغمة في تكفير هذه الأمة).

وللشيخ رسائل وتأليفات تدل على سعة علمه، منها (كتاب التوحيد) وكتاب (أصول الإيمان واستنباط الأحكام من بعض السور وغيرها). وحكاية السؤال عن المسائل وعدم القدرة على الجواب عنها حكاية رجل خائن لا يعتمد على حكايته.

قوله: فمن جملة ما سأله عنه قوله أسألك عن قوله تعالى: ﴿والعاديات ضبحاً﴾. إلى آخر السورة التي هي من قصار المفصل كما فيها من حقيقة شرعية وحقيقة لغوية وحقيقة عرفية – إلى قوله – وما فيها من احتراس وتتميم، وبين لنا موضع كل ما ذكر، فلم يقدر محمد بن عبدالوهاب على الجواب عن شيء مما سأله عنه.

أقول: الكلام فيه من وجوه: (الأول) عدم الاعتماد على هذه الحكاية، و(الثاني) عدم القدرة على جواب مثل هذا السؤال لا يدل على عدم تمكنه في العلوم الدينية من الحديث والتفسير والفقه. و(الثالث) أن هذا السؤال من جنس محارات العلماء وهي غير جائزة، بل من جنس الأغلوطات وهو منهي عنه، لما روى أبو داود عن معاوية قال: إن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الأغلوطات. وعن تميم الداري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "كل مشكل حرام،

وليس في الدين إشكال". رواه الطبراني في الكبير، وفيه الحسين بن عبدالله بن ضميرة وهو مجمع على ضعفه.

وعن ثوبان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: سيكون أقوام من أمتي يتعاطون فقهاءهم عضل المسائل، أولئك شرار أمتي". رواه الطبراني، وفيه يزيد بن ربيعة وهو متروك، كذا في مجمع الزوائد. قال الذهبي في ترجمة الحسين بن عبدالله بن ضميرة كذبه مالك، وقال أبو حاتم متروك الحديث، وقال أحمد لا يساوي شيئاً، وقال ابن معين ليس بثقة ولا مأمون، وقال البخاري: منكر الحديث ضعيف، وقال أبو زرعة ليس بشيء أضرب على حديثه اه.

وقال في ترجمة يزيد بن ربيعة الرحبي الدمشقي: قال البخاري أحاديث مناكير، وقال أبو داود وغيره ضعيف، وقال النسائي متروك، قال أبو مسهر: كان يزيد بن ربيعة فقيهاً غير متهم ما ننكر عليه أنه أدرك أبا الأشعث، ولكن أخشى عليه سوء الحفظ والوهم، وقال الجوزجاني أخاف أن تكون أحاديثه موضوعة، وأما ابن عدي فقال أرجو أنه لا بأس به. اه

وحديث تميم الد اري وثوبان وإن كانا ضعيفين ولكن يكفيان للاستئناس والتقوية، لا يقال إن حديث ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وإنما مثل المسلم فحدثوني ما هي" ؟ الحديث رواه البخاري يدل على خلاف ما رواه أبو داود عن معاوية، قلت: دلالته على الخلاف غير مسلمة، فإن حديث ابن عمر يدل على أن امتحان العالم أذهان الطلبة بما يخفى مع بيانه لهم إن لم يفهموه جائز، وأما حديث معاوية فمحمول على صعاب المسائل مما لا نفع فيه أو ما خرج عن سبيل تعنيت المسئول أو تعجيزه، كذا قال الحافظ في الفتح، ولا ريب أن

السـؤال الـذي ذكـره المؤلـف خـرج علـى سـبيل تعنيـت المسـئول وتعجيزه.

و(الرابع) أن رسول الله صلى الله عليـه وسـلم وأصـحابه رضـي الله عنهم وأهل بيته رضـوان اللـه عليهـم أجمعيـن، وأهـل العلـم مـن التابعين وتبع التابعين، ولا سيما الأئمة الأربعـة مـن الفقهـاء والأئمـة الستة من أهل الحديث لو سئلوا عن أمثال تلك المسائل فهل يقدرون على الجواب عن شيء منهـا أم لا ؟ علـى الثـاني فللشـيخ رحمـه اللـه تعالى أسوة حسنة في هؤلاء السادة الكبار، والأول مستبعد جداً، فـإن رسول الله صلى اللـه عليـه وسـلم مـا كـان يعـرف شـيئاً مـن حقيقـة شرعية وحقيقـة لغويـة وحقيقـة عرفيـة ومجـاز مرسـل وغيرهـا مـن الأمور المذكورة في هذا السؤال، وكذا أصحابه وأهل بيته رضـي اللـه عنهم، وكذلك أهل العلم من التابعين وتبع التابعين، وكـذلك الفقهـاء الأربعة الأئمة الستة.

قوله: وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عـن هـؤلاء الخـوارج في أحاديث كثيرة فكانت تلك الأحاديث من أعلام نوبـة النبسـي صـلى الله عليه وسلم لأنها من الإخبار بالغيب، وتلك الأحاديث كلهـا صـحيحة بعضها في صحيحي البخاري ومسلم وبعضها في غيرهما.

أقول: كون الشيخ محمـد بـن عبـدالوهاب وأتبـاعه مصـداق تلـك الأحاديث وكـذلك كـون تلـك الأحـاديث كلهـا صـحيحة محـل نظـر، كمـا ستقف عليه إن شاء الله تعالى.

قوله: فمنها قـوله صـلى اللـه عليـه وسـلم: "الفتنـة مـن ههنـا، الفتنة من ههنا". وأشار إلى المشرق.

أقول: رواه البخاري في كتاب الفتن من حديث ابن عمر ولفظـه هكذا: عن سالم عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قـام إلـى

جنب المنبر فقال: "الفتنة ههنا، الفتنة ههنا، من حديث يطلع قرن الشيطان" أو قال: "قرن الشمس". وفي رواية عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مستقبل المشرق يقول: "ألا إن الفتنة ههنا من حيث يطلع قرن الشيطان". وفي رواية عنه قال ذكر النبي صلى الله عليه وسلم "اللهم بارك لنا في شامنا، اللهم بارك لنا في يمننا". قالوا: وفي نجدنا ؟ قال: "اللهم بارك لنا في شامنا، اللهم بارك لنا في يمننا". قالوا: يا رسول الله وفي نجدنا ؟ فأظنه قال في الثالثة "هناك الزلازل والفتن، وبها يطلع قرن الشيطان"[1]. انتهى.

قال الحافظ في الفتح قوله: "الفتنة ههنا، الفتنة ههنا" كذا فيه مرتين، وفي رواية يونس "ها إن الفتنة ههنا". أعادها ثلاث مرات، قوله: "من حيث يطلع قرن الشيطان". أو قال "قرن الشمس". كذا هنا بالشك، وفي رواية عبدالرزاق "ههنا أرض الفتن". وأشار إلى المشرق يعني حيث يطلع قرن الشيطان، وفي رواية يونس مثل معمر لكن لم يقل: أو قال "قرن الشيطان" بل قال: يعني المشرق.

ولمسلم من رواية عكرمة بن عمار عن سالم سمعت ابن عمر يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يشير بيده نحو المشرق ويقول: ها إن الفتنة ههنا" ثلاثاً "حيث يطلع قرن الشيطان". وله من طريق حنظلة عن سالم مثله، لكن قال "إن الفتنة ههنا" ثلاثاً، وله من طريق فضيل بن غزوان سمعت سالم بن عبدالله

---

[1] قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري: وقال الخطابي "نجد من جهة المشرق، ومن كان بالمدينة كان نجده بادية العراق نواجيها، وهي مشرق أهل المدينة، واصل (النجد) ما ارتفع من الأرض، وهي خلاف (الغور) فإنه ما انخفض من منها، وتهامة كلها من الغور، ومكة من تهامة، انتها. ثم قال ابن حجر: وعرف بهذا وهاء ما قاله الداودي إن نجداً من ناحية العراق، كأنه توهم أن نجداً موضع مخصوص، وليس كذلك، بل كل شيء ارتفع بالنسبة إلى ما يليه يسمى نجداً، والمنخفض غوراً. وانظر كتاب (مع الرعيل الأول) فصل "هل أخطأ الأحنف". ص 192-195.

بن عمر يقول: يا أهل العراق، ما أسألكم عن الصغيرة وأركبكم للكبيرة، سمعت أبي يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن الفتنة تجيء من ههنا" وأومأ بيده نحو المشرق "من حيث يطلع قرنا الشيطان" كذا فيه بالتثنية، وله في صفة إبليس من طريق مالك عن عبدالله بن دينار عن ابن عمر مثل سياق حنظلة سواء، وله نحوه من رواية سفيان الثوري عن عبدالله ابن دينار أخرجه في الطلاق ثم ساق هنا من رواية الليث عن نافع عن ابن عمر مثل رواية يونس إلا أنه قال: "ألا أن الفتنة ههنا" ولم يكرر، وكذا لمسلم، وأورده الإسماعيلي من رواية أحمد بن يونس عن الليث فكررها مرتين.اهـ.

قلت: قد عرفت من هنا أن زيادة لفظ "من" لا تعرف في شيء من طرق الحديث ولعلها من أغلاط المؤلف، ولا يستبعد ذلك منه، فإنه كثيراً ما يغلط في نقل الروايات لأنه ليس من أهل هذا الشأن، وهذا الحديث لا شك في صحته، وقد وردت في هذا المعنى أحاديث صحيحة أخر:

منها ما روى البخاري في المناقب عن أبي مسعود يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من ههنا جاءت الفتن – نحو المشرق – والجفاء وغلظ القلوب في الفدادين أهل الوبر عند أصول أذناب الإبل والبقر، في ربيعة ومضر". ولفظ مسلم هكذا عن أبي مسعود قال: أشار النبي صلى الله عليه وسلم بيده نحو اليمن فقال: "ألا إن الإيمان ههنا وإن القسوة، وغلظ القلوب في الفدادين عند أصول أذناب الإبل حيث يطلع قرنا الشيطان في ربيعة ومضر".

ولمسلم عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "رأس الكفر نحو المشرق" والفخر والخيلاء في أهل الخيل والإبل الفدادين أهل الوبر، والسكينة في أهل الغنم".

وله في رواية عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "الإيمان يمان، والكفر قبل المشرق والسكينة في أهل الغنم والفخر والرياء في الفدادين أهل الخير والوبر".

وله في رواية عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "جاء أهل اليمن، هم أرق أفئدة وأضعف قلوباً، الإيمان يمان والحكمة يمانية، والسكينة في أهل الغنم، والفخر والخيلاء في الفدادين أهل الوبر قبل مطلع الشمس".

وله في رواية عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "أتاكم أهل اليمن هم ألين قلوباً وأرق أفئدة، الإيمان يمان والحكمة يمانية، رأس الكفر قبل المشرق".

وله عن جابر بن عبدالله يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "غلظ القلوب والجفاء في المشرق، والإيمان في أهل الحجاز".

قال الحافظ في الفتح: وقال غيره – أي غير الخطابي – كان أهل المشرق يومئذ أهل كفر، فأخبر صلى الله عليه وسلم أن الفتنة تكون من تلك الناحية فكان كما أخبر، وأول الفتن كان من قبل المشرق فكان ذلك سبباً للفرقة بين المسلمين، وذلك ما يحبه الشيطان ويفرح به، وكذلك البدع نشأت من تلك الجهة. اه

وقال القسطلاني: إنما أشار عليه الصلاة والسلام إلى المشرق لأن أهله يومئذ أهل كفر فأخبر أن الفتنة تكون من تلك الناحية، وكذا وقع فكان وقعة الجمل ووقعة صفين ثم ظهور الخوارج في أرض نجد

والعراق وما وراءها من المشرق، وكان أصل ذلك كله وسببه قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه، وهذا علم من أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم. اه

وقال أيضاً: يبدأ من المشرق ومن ناحيتها يخرج يأجوج ومأجوج والدجال، وبها الداء العضال، وهي الهلاك في الدين".

وقال النووي: والمراد بذلك اختصاص المشرق بمزيد من تسلط الشيطان ومن الكفر كما قال في حديث آخر "رأس الكفر نحو المشرق". وكان ذلك في عهده صلى الله عليه وسلم حين قال ذلك، ويكون حين يخرج الدجال من المشرق وهو فيما بين ذلك منشأ الفتن العظيمة، ومثار لكثرة الترك الفاسقة العاتية الشديدة البأس. اه.

وقال صاحب مجمع البحار: ومنه حديث "قرنا الشيطان قبل المشرق" أي جمعاه المعنويان أو شيعتاه من الكفار، يريد مزيد تسلطه في المشرق وكان ذلك في عهده صلى الله عليه وسلم ويكون حين يخرج الدجال من المشرق، وهو فيما بين ذلك منشأ الفتن العظيمة ومثار الترك العاتية. اه

ولا يخفى عليك أن لفظاً من ألفاظ هذا الحديث لا يقتضي أن كل من يولد في المشرق أو يسكن فيه يكون مصداقاً لهذا الحديث حتى يثبت ما ادعاه المؤلف من كون الشيخ مصداقاً له، والمؤلف لم يبين وجه الاستدلال به حتى يتكلم فيه ويجاب عليه، ومجرد وقوع الفتنة في موضع لا يستلزم ذم كل من يسكنه.

ألا ترى إلى ما روى الشيخان عن أسامة بن زيد قال: أشرف النبي صلى الله عليه وسلم على أطم من آطام المدينة فقال: "هل ترون ما أرى" ؟ قالوا: لا . قال: "فإني لأرى الفتن تقع في خلال بيوتكم كوقع المطر".

وإلى ما روى أبو داود عن أبي ذر قال: كنت رديفاً خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً على حمار، فلما جاورنا بيوت المدينة، قال: "كيف بك يا أبا ذر إذا كان بالمدينة جوع تقوم عن فراشك ولا تبلغ مسجدك حتى يجهدك الجوع؟ قال قلت: الله ورسوله أعلم. قال: تعفف يا أبا ذر.قال: كيف بك يا أبا ذر إذا كان بالمدينة موت يبلغ البيت العبد حتى أنه يباع القبر بالعبد"؟ قال قتل: الله ورسوله أعلم. قال "تصبر يا أبا ذر" قال: "كيف بك يا أبا ذر إذا كان بالمدينة قتل تغمر الدماء أحجار الزيت"؟ قال: قلت: الله ورسوله أعلم. قال: "تأتي من أنت منه" قال قلت وألبس السلاح؟ قال: "شاركت القوم إذاً". قلت فكيف أصنع يا رسول الله ؟ قال: "إن يبهرك شعاع السيف فالق ناحية ثوبك على وجهك ليبوء بإثمك وإثمه"[1].

وإلى ما روى البخاري عن ابن المسيب قال: وقعت الفتنة الأولى – يعني مقتل عثمان – فلم يبق من أصحاب بدر أحد، ثم وقعت الفتنة الثانية – يعني الحرة – فلم يبق من أصحاب الحديبية أحد، ثم وقعت الفتنة الثالثة فلم ترفع وبالناس طباخ.

وهذه الأحاديث وغيرها مما ورد في هذا الباب دلالة على وقوع الفتن في المدينة النبوية، فلو كان وقوع الفتنة في موضع مستلزماً لذم ساكنيه لزم ذم سكان المدينة كلهم أجمعين، وهذا لا يقول به أحد، على أن مكة والمدينة كانتا في زمان موضع الشرك والكفر، وأي فتنة أكبر منهما ؟ بل وما من بلدة أو قرية إلا وقد كانت في زمن أو

---

[1] هذا الحديث أخرجه البغوي في المصابيح وعزاه مخرجوه وصاحب المشكاة إلى أبي داود، وهو غير موجود في نسخ أبي داود التي في الأيدي بهذا اللفظ، ولكنه جاء فيه بلفظ آخر يشير إلى أنه سبقه غيره، وأحجار الزيت مكان في المدينة معروف، قال بعضهم: هو لموضع الذي وقعت فيه الوقعة في زمن يزيد بن معاوية حين استباح المدينة وهو من جهتها الغربية، وقوله: "تأتي من أنت منه". وعند أبي داود "عليك بمن أنت منه". معناه: الزم أهلك وعشيرتك ولا تنغمس في الفتنة، وقيل الزم إمامك الذي بايعته. كتبه محمد رشيد رضا.

ستصير في زمان موضع الفتنة، فيكف يجترئ مؤمن على ذم جميع مسلمي الدنيا ؟ وإنما مناط ذم شخص معين كونه مصدراً للفتن من الكفر والشرك والبدع والظلم، وأما مجرد تولده في موضع الفتنة أو سكناه فيه مع كونه ماحياً للفتن، ومحيياً للسنن، فليس سبباً للذم والعيب، بل موجب للثناء والوصف الجميل، كيف لا وهو كالمقاتل خلف الفارين، وكغصن أخضر في شجر يابس، ومثل مصباح في بيت مظلم ؟ كما ورد في الحديث.

وملاك الأمر في كون الرجل أولى الناس بالرسول هو تقواه من كان وحيث كان يدل عليه ما روى الإمام أحمد بن محمد بن حنبل عن معاذ بن جبل قال: لما بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن خرج معه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوصيه ومعاذ راكب ورسول الله صلى الله عليه وسلم يمشي تحت راحلته، فلما فرغ قال: "يا معاذ إنك عسى أن لا تلقاني بعد عامي هذا، ولعلك أن تمر بمسجدي هذا وقبري". فبكى معاذ جشعاً[1] لفراق رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم التفت فأقبل بوجهه نحو المدينة فقال: "إن أولى الناس بي المتقون، من كانوا وحيث كانوا".

قوله: وقوله صلى الله عليه وسلم: "يخرج ناس من قبل المشرق ويقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ولا يعودون فيه حتى يعود السهم إلى فوقه، سيماهم التحليق" والفوق بضم الفاء موضع الوتر.

أقول: الحديث أخرجه البخاري في كتاب التوحيد عن معبد بن سيرين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يخرج ناس من قبل المشرق ويقرءون القرآن لا يجاوز

---

[1] الجشع بالتحريك: الجزع لفراق الإلف، وهو المراد هنا كما في اللسان وغيره. قال: والجشع أسوأ الحرص وقيل أشده على الطعام وغيره. وكتبه محمد رشيد رضا.

تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ثم لا يعودون فيه حتى يعود السهم إلى فوقه". قيل ما سيماهم ؟ قال: "سيماهم التحليق، أو قال: التسديد". اهـ. وليس فيما نقله المؤلف لفظة "ثم" ولا لفظ "قيل سيماهم".

وأخرج مسلم عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر قوماً يكونون في أمته يخرجون في فرقة من الناس سيماهم التحالق، قال "هم شر الخلق أو من أشر الخلق، يقتلهم أدنى الطائفتين إلى الحق". قال: فضرب النبي صلى الله عليه وسلم لهم مثلاً أو قال قولاً "الرجل يرمي الرمية – أو قال: الغرض – فينظر في النصل فلا يرى بصيرة، وينظر في النضّي فلا يرى بصيرة[1]، وينظر في الفوق فلا يرى بصيرة، قال: قال أبو سعيد: وأنتم قتلتموهم يا أهل العراق". اه

وفي رواية له عن سهل بن حنيف قال: يتيه قوم قبل المشرق محلقة رءوسهم".

وأخرج أبو داود عن أبي سعيد الخدري وأنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "سيكون في أمتي اختلاف وفرقة، قوم يحسنون القيل، ويسيئون الفعل، يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية، لا يرجعون حتى يرتد على فوقه، هم شر الخلق والخليقة، طوبى لمن قتلهم وقتلوه، يدعون إلى كتاب الله وليسوا منه في شيء، من قاتلهم كان أولى بالله تعالى منهم، قالوا: يا رسول الله ما سيماهم ؟ قال: "التحليق". وله عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم ... نحوه، قال: "سيماهم التحليق والتسبيد[2] فإذا رأيتموهم فأنيموهم".

وأخرج النسائي عن شريك بن شهاب قال: كنت أتمنى أن ألقى رجلاً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أسأله عن الخوارج، فلقيت أبا برزة في يوم عيد في نفر من أصحابه، فقلت له: هل

---

[1] النضي كغني: قدح السهم، أو ما جاوز الريش منه إلى النصل، والبصيرة: أثر الدم.

[2] التحليق المبالغة في حلق الشعر، والتبيد بالباء استئصاله، فهو بمعناه، وقيل: هو التشعيث بترك الغسل والدهن، وفي نسخة والتمسيد بالميم وهو بمعناه. وكتبه محمد رشيد رضا.

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الخوارج ؟ فقال: نعم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم بأذني ورأيته بعيني: أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمال فقسمه، فأعطى من عن يمينه ومن عن شماله ولم يعط من وراءه شيئاً، فقام رجل من ورائه فقال: يا محمد ما عدلت في القسمة، رجل أسود مطموم الشعر[3] عليه ثوبان أبيضان، فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم غضباً شديداً، وقال: "والله لا تجدون بعدي رجلاً هو أعدل مني" ثم قال: "يخرج في آخر الزمان قوم كأن هذا منهم، يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، سيماهم التحليق، لا يزالون يخرجون حتى يخرج آخرهم مع المسيح الدجال، فإذا لقيتموهم فاقتلوهم، هم شر الخلق والخليقة". قال أبو عبدالرحمن: شريك بن شهاب ليس بذلك المشهور". اه

وأخرج ابن ماجه عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يخرج في آخر الزمان – أو في هذه الأمة – قوم يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم أو حلوقهم، إذا رأيتموهم – أو إذا لقيتموهم – فاقتلوهم". اه.

قال الحافظ في الفتح: وقد ذكر صلى الله عليه وسلم للخوارج علامة أخرى، ففي رواية معبد ابن سيرين عن أبي سعيد قال: ما سيماهم؟ قال: "سيماهم التحليق" وفي رواية عاصم بن سمح عن أبي سعيد: فقام رجل فقال: يا نبي الله هل في هؤلاء القوم علامة ؟ قال: "يحلقون رءوسهم، فيهم ذو ثدية" وفي حديث أنس عن أبي سعيد "هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتا". قيل: يا رسول الله ما

---

[3] **أي محلوقة.**

سيماهم ؟ قـال: "التحليـق". هكـذا أخرجـه الطـبري، وعنـد أبـي داود بعضه. اهـ.

هذا ما اطلعت عليه من الأحاديث التي فيهـا ذكـر الحلـق، وليـس فيها اللفظ الذي نقله المؤلف، ولعل هذا من أوهامه وأغلاطه.

قوله: وقوله صلى الله عليه وسـلم "سـيكون مـن أمـتي اختلاف وفرقة، قوم يحسنون القيل ويسيئون الفعل". الحديث.

أقول: قد عرفت فيما سبق أن الحديث أخرجه أبو داود من حديث أبي سعيد الخدري وأنس بن مالك، ولكن أخطأ المؤلف في نقلـه فـي مواضع: (الأول) أنه زاد لفظة "إيمانهم". حيث قال لا يجـاوز إيمـانهم تراقيهم. و(الثاني) أنه قال لفظة "يعود" موضع يرتد. و(الثـالث) أنـه زاد لفظة "السهم" . و(الرابع) أنه قـال لفظـة "إلـى" موضـع علـى . و(السادس) أنه قال: "لمن قتلهم أو قتلوه" بأو والموجود فـي سـنن أبي داود "لمن قتلهم وقتلوه". بالواو.

قوله: وقوله صلى الله عليه وسـلم: "سـيخرج فـي آخـر الزمـان قـوم أحـداث الأسـنان، سـفهاء الأحلام يقولـون قـول خيـر البريـة، الحديث.

أقول: هذا حديث علي قد أخرجه البخـاري عـن سـويد بـن غفلـة قال علي رضي الله عنه: إذا حدثتكم عن رسول اللـه صـلى اللـه عليـه وسلم حديثاً فوالله لأن أخر من السماء أحب إليّ مـن أن أكـذب عليـه، وإذا حدثتكم فيما بيني وبينكم فإن الحرب خدعة. وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "سيخرج قوم في آخر الزمان حـداث الأسنان سفهاء الأحلام، يقولون م خير قول البرية، لا يجاوز إيمـانهم حناجرهم، يمرقون من الدين كمـا يمـرق السـهم مـن الرميـة، فأينمـا لقيتموهم فاقتلوهم فإن في قتلهم أجراً لمـن قتلهـم يـوم القيامـة،

وفي لفظ له "يأتي في آخر الزمان قوم حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام، يقولون من خير قول البرية، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإن قلتهم أجر لمن قتلهم يوم القيامة". أخرجه مسلم ولفظه هكذا: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "سيخرج في آخر الزمان قوم أحداث الأسنان سفهاء الأحلام، يقولون من خير قول البرية، يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، فإذا لقيتموهم فاقتلوهم فإن في قتلهم أجراً لمن قتلهم عند الله يوم القيامة". اهـ. وأخرجه أبو داود ولفظه هكذا: "يأتي في آخر الزمان قوم حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام، يقولون من خير قول البرية، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم فإن قتلهم أجر لمن قتلهم يوم القيامة". وأخرجه النسائي ولفظه: قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "يخرج قوم في آخر الزمان أحداث الأسنان سفهاء الأحلام، يقولون من خير قول البرية لا يجاوز إيمانهم حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، فإذا لقيتموهم فاقتلوهم، فإن قتلهم أجر لمن قتلهم يوم القيامة". وأخرجه الترمذي وابن ماجه من حديث عبدالله بن مسعود.

أما لفظ الترمذي فهكذا: قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "يخرج في آخر الزمان قوم أحداث الأسنان سفهاء الأحلام، يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يقولون من قول خير البرية، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية".

وأما لفظ ابن ماجه فهكذا: قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "يخرج في آخر الزمان قوم أحداث الأسنان سفهاء الأحلام، يقولون من خير قول الناس، يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، فمن لقيهم فليقتلهم فإن قتلهم أجر عند الله لمن قتلهم". اه

واللفظ الذي نقله المؤلف لا يوافق شيئاً مما ذكر من الروايات، أما ا لرواية الأولى للبخاري فلأن لفظ البخاري "سيرخ قوم في آمر الزمان" ونقل المؤلف "سيخرج في آخر الزمان قوم". ولفظ البخاري "حداث الأسنان" والمؤلف قال: "أحداث الأسنان" ولفظ البخاري "يقولون من خير قول البرية". والمؤلف قال: "يقولون قول خير البرية". وزاد لفظة "يقرءون القرآن" وهذه اللفظة ليست في تلك الرواية وحذف لفظة "إيمانهم" وإنما لفظ هذه الرواية هكذا "لا يجاوز حناجرهم" ولفظة الرواية "فأينما لقيتموهم" وقال المؤلف "فإذا لقيتموهم" والمؤلف زاد لفظة "عند الله" من عند نفسه، ولفظة الرواية هكذا "لمن قتلهم يوم القيامة".

وأما الرواية الثانية له فأيضاً تخالف ما ذكره المؤلف من وجوه، وهي أن لفظة هذه الرواية "يأتي في آخر الزمان قوم" وقال المؤلف "سيخرج في آخر الزمان قوم" وفي الرواية "حدثاء الأسنان" وقال المؤلف "أحداث الأسنان" ولفظ الرواية "يقولون من خير قول البرية" وقال المؤلف "يقولون قول خير البرية" وزاد المؤلف لفظ "يقرءون القرآن" وليس هذا اللفظ في تلك الرواية أصلاً، ولفظ الرواية "لا يجاوز إيمانهم حناجرهم" وليس لفظ إيمانهم فيما نقله المؤلف، وجملة "يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية" قبل قوله صلى الله عليه وسلم "لا يجاوز إيمانهم حناجرهم" في

الرواية، وفيما ذكره المؤلف عكس القضية، ولفظ الرواية "يمرقون من الإسلام" وفيما نقله المؤلف "يمرقون من الدين" ولفظ الراوية "فأينما لقيتموهم" وفيما نقله المؤلف" فإذا لقيتموه" ولفظ الرواية "فإن قتلهم أجر" وفيما نقله المؤلف "فإن قتلهم أجراً" وزاد المؤلف لفظ "عند الله" من عند نفسه وهذا اللفظ ليس في الرواية.

وأما رواية مسلم فهي وإن كانت أقرب الروايات إلى ما ذكره المؤلف ولكنها ليست عينه، فإن لفظ الرواية "يقولون من خير قول البرية" وقال المؤلف "يقولون قول خير البرية".

وأما رواية أبي داود فعين الرواية الثانية للبخاري فحالها حالها.

وأما رواية النسائي فأيضاً مخالفة لما ذكره المؤلف، فإن لفظ الراوية "يخرج قوم في آخر الزمان" والمؤلف قال "سيخرج في آخر الزمان" والرواية "يقولون من خير قول البرية" ونقل المؤلف "يقولون قول خير البرية" وزاد لفظ "يقرءون القرآن" وحذف لفظ "إيمانهم" والراوية "فإن قتلهم أجر" وقال المؤلف "قال في قتلهم أجراً" وزاد "عند الله" من عند نفسه.

وأما رواية الترمذي فأيضاً مخالفة لما ذكره المؤلف، فإن الرواية "يخرج في آخر الزمان" وقال المؤلف "سيخرج" وفي الرواية جملة "يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم" قبل قوله صلى الله عليه وسلم "يقولون من قول خير البرية" وفيما ذكره المؤلف عكس القضية ولفظ الراوية "تراقيهم" وفيما ذكره المؤلف "حناجرهم" وفي الرواية "يقولون من قول خير البرية" والمؤلف نقل "يقولون قول خير البرية" وقوله "فإذا لقيتموهم" الحديث ليس في رواية الترمذي.

وأما رواية ابن ماجه فأيضاً تخالف ما ذكره المؤلف، فإن الرواية "يخرج" والمؤلف زاد السين والرواية "يقولون من خير قول الناس"

والمؤلف ذكر "يقولون قول خير البرية" والراوية "تراقيهم" وذكر المؤلف "حناجرهم" والراوية "يمرقون من الإسلام" والمؤلف قال "يمرقون من الدين" والراوية "فمن لقيهم فليقتلهم" والمؤلف قال "فإذا لقيتموهم فاقتلوهم" والراوية "فإن قتلهم أجر عند الله لمن قتلهم" والمؤلف قال "فإن في قتلهم أجراً لمن قتلهم عند الله يوم القيامة".

قوله: وقوله صلى الله عليه وسلم: "أناس من أمتي سيماهم التحليق يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم، ويمرقون من الدين، كما يمرق السهم من الرمية، هم شر الخلق والخليقة.

أقول: قد راجعت الأمهات الست وسنن الدارمي والموطأ وزوائد مسند البزار فما وجدت الحديث بهذا اللفظ، فعلى مدعي صحته بيان تخريجه وإثبات دعواه.

قوله:وقوله صلى الله عليه وسلم: "يخرج ناس من المشرق يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، لا يعودون فيه حتى يعود السهم إلى فوقهن سيماهم التحليق".

أقول لفظه قريب مما رواه البخاري في آخر كتاب التوحيد من طريق معبد ابن سيرين عن أبي سعيد الخدري، وقد تقدم، ولكن ليس عينه، فإن الرواية "من قبل المشرق" والمصنف هنا أسقط لفظ "قبل" والراوية "يقرءون القرآن" بإثبات الواو والمؤلف قد حذفها هنا، والراوية "ثم لا يعودون فيه" والمؤلف لم يذكر لفظ "ثم" والراوية قيل ما سيماهم؟ قال" والمؤلف لم يذكر هذا، وهذا الحديث قريب من ثاني الأحاديث التي ذكرها المؤلف بيد أنه ليس في هذا اللفظ "قيل" والواو على رأس يقرءون.

وبالجملة واجب على المؤلف تخريج هـذين الحـديثين –أي الثـاني والسادس- وإثبات الفرق بينهما وتبين صحتهما، ودونه خرط القتاد.

قوله: وقوله صلى الله عليه وسـلم "رأس الكفـر نحـو المشـرق، والفخر والخيلاء في أهل الخيل والإبل".

أقول: الحدي أخرجـه البخـاري ومسـلم مـن حـديث أبـي هريـرة، وتمام الحديث هكذا" الفدّادين أهل الوبر، والسكينة في أهل الغنم"

قوله: وقوله صـلى اللـه عليـه وسـلم "مـن ههنـا جـاءت الفتـن" وأشار نحو المشرق".

أقول: أخرجه البخاري في المناقب من حديث أبي مسـعود، لكـن فيه "وأشار نحو المشرق" وقد تقدم.

قـوله: وقـوله صـلى اللـه عليـه وسـلم "غلـظ القلـوب والجفـاء بالمشرق، والإيمان في أهل الحجاز".

أقول: أخرجه مسلم من حديث جابر بن عبد الله كما تقدم، ولكن المؤلف قال "بالمشرق" وفـي صـحيح مسـلم "فـي المشـرق" وفـي زوائد مسند البزار للهيثمي: حدثنا محمد بن إسماعيل حدثنا إسماعيل بن أبي إدريس حدثنا ابن أبي الزنـاد عـن موسـى بـن عقبـة عـن أبـي الزبير عن جابر قال: قال رسول الله صـلى اللـه عليـه وسـلم :"غلـظ القلوب والجفاء في أهل المشرق، والإيمان يمان، والسكينة في أهل الحجاز".

قلت: رواه مسلم، خلا قوله: "والسكينة في أهـل الحجـاز" قـال البزار: قد روى عن جابر من غير وجـه اهـ. وقـال فـي مجمـع الزوائـد: رواه البزار، وفيـه ابـن أبـي الزنـاد وفيـه خلاف، وبقيـة رجـاله رجـال الصحيح. اهـ.

قوله: وقوله صلى الله عليه وسلم "اللهم بارك لنا في شامنا، اللهم بارك لنا في يمننا" قالوا يا رسول الله وفي نجدنا"[1] الحديث.

أقول: أخرجه البخاري في أبواب الاستسقاء (باب ما قيل في الزلازل والآيات) ولفظه هكذا: حدثني محمد بن المثني قال حدثنا حسين بن الحسن قال حدثنا ابن عون عن نافع عن ابن عمر قال: قال:"اللهم بارك لنا في شامنا وفي يمننا" قال قالوا: وفي نجدنا؟ قال فقال:"اللهم بارك لنا في شامنا وفي يمننا" قال قالوا وفي نجدنا؟ قال قال "هنالك الزلازل والفتن، وبها يطلع قرن الشيطان. اهـ.

قال الحافظ في الفتح: حديث ابن عمر: "اللهم بارك لنا في شامنا" الحديث وفيه قالوا: وفي نجدنا؟ قال "هناك الزلازل والفتن" هكذا وقع في هذه الروايات التي اتصلت لنا بصورة الموقوف عن ابن عمر "قال اللهم بارك" لم يذكر النبي صلى الله عليه وسلم وقال القابس: سقط ذكر النبي صلى الله عليه وسلم من النسخ ولابد منه، لان مثله لا يقال بالرأي. اهـ. وهو من رواية الحسين بن الحسن النصري من آل مالك بن يسار عن عبد الله بن عون عن نافع، ورواه أزهر السمان عن ابن عون مصرحاً فيه بذكر النبي صلى الله عليه وسلم كما سيأتي في كتاب الفتن، ويأتي الكلام عليه أيضاً هناك، ونذكر فيه من وافق أزهر على التصريح برفعه إن شاء الله تعالى.

---

[1] انظر الهامش في ص 488، وسيأتي قريباً في ص 503.

وأخرجه في كتاب الفتن ولفظه هكذا: حدثنا علي بن عبد الله حدثنا أزهر بن سعد عن ابن عون عن نافع عن ابن عمر قال: ذكر النبي صلى الله عليه وسلم :"اللهم بارك لنا في شامنا، اللهم بارك لنا في يمننا" قالوا: يا رسول الله وفي نجدنا؟ قال " اللهم بارك لنا في شامنا اللهم بارك لنا في يمننا" قالوا: يا رسول الله وفي نجدنا؟ قال "اللهم بارك لنا في شامنا اللهم بارك لنا في يمننا" قالوا: يا رسول الله وفي نجدنا، فأظنه قال في الثالثة "هناك الزلازل والفتن وبها يطلع قرن الشيطان" .اه.

قال الحافظ في الفتح: كذا أورده عن علي بن عبد الله عن أزهر السمان، وأخرجه الترمذي عن بشر بن آدم ابن بنت أزهر حدثني جدي أزهر بهذا السند أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال. مثله للإسماعلي من رواية أحمد بن إبراهيم الدورقي عن أزهر. وأخرجه من طريق عبيد الله بن عبد الله بن عون عن أبيه كذلك، وقد تقدم من وجه آخر عن ابن عون في الاستسقاء. موقوفاً، وذكرت هناك الاختلاف فيه. اه.

وقال في مجمع الزوائد:وعن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "اللهم بارك لنا في شامنا وفي يمننا" فقال رجل: وفي شرقنا يا رسول الله؟ فقال: "اللهم بارك لنا في شامنا وفي يمننا" فقال رجل: وفي شرقنا يا رسول الله؟ فقال: "اللهم بارك لنا في شامنا وفي يمننا"[1] إن من هناك يطلع قرن الشيطان وبه تسعة أعشار الكفر وبه الداء العضال" رواه الطبراني في الأوسط واللفظ له، وأحمد ولفظه: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: اللهم بارك لنا في شامنا وفي يمننا" مرتين فقال رجل في مشرقنا يا

[1] كذا في طبعة المنار، ولعله سقط منها أو من الطبعة الهندية قبلها: فقال رجل وفي شرقنا يا رسول الله؟ فقال.

رسول الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من هناك يطلع قرن الشيطان وبه تسعة أعشار الشرك" ورجال أحمد رجال الصحيح، غير عبد الرحمن بن عطاء وهو ثقة وفيه خلاف لا يضر. اهـ.

وفي موطأ مالك أنه بلغه أن عمر بن الخطاب أراد الخروج إلى العراق فقال له كعب الأحبار: لا تخرج إليها يا أمير المؤمنين فإن بها تسعة أعشار السحر، وبها فسقة الجن، وبها الداء العضال. اهـ.

قوله: وقوله صلى الله عليه وسلم :يخرج ناس من المشرق يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم، لكلما قطع قرن نشأ قرن آخر حتى يكون أخرهم مع المسيح الدجال.

أقول: لم أقف على اللفظ، ولكن أخرج معناه النسائي من حديث أبي برزة وقد ذكرناه فيما سلف، وأخرج ابن ماجة أيضاً معناه من حديث ابن عمر ولفظه: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ينشأ نشء يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم، كلما خرج قرن قطع، قال ابن عمر: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "كلما خرج قرن قطع أكثر من عشرين مرة حتى يخرج في عراضهم الدجال". اهـ.

وفي مجمع الزوائد عن عبد الله بن عمرو قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "يخرج ناس من قبل المشرق يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم، كلما قطع قرن نشأ قرن حتى يكون مع بقيتهم لدجال" رواه الطبراني وإسناده حسن. اهـ.

وكل من تيك الأحاديث لم تصل إلى درجة الصحة، أما حديث أبي برزة فلأن راويه شريك بن شهاب مجهول، قال النسائي: شريك بن شهاب ليس بذلك المشهور، قال الذهبي في الميزان: شريك بن

شهاب عن أبي برزة لا يعرف إلا براوية الأزرق بن قيس عنه. اهـ. وأما قول الحافظ ابن حجر في التقريب: مقبول. فلا يقتضي الصحة.

وأما حديث ابن عمران فلأن راويه هشام بن عمار بن نصير قد كبر فصار يتلقن، قال الذهبي في الميزان: صدوق مكثر له ما ينكر، قال أبو حاتم: صدوق قد تغير فكان كل ما لقنه تلقن. وقال أبو داود: حدث بأربعمائة حديث لا أصل لها. اهـ ملخصاً وهو وإن وثقه جماعة، لكن لا نسلم وصول ما تفرد به إلى درجة الصحة.

وأما حديث عبد الله بن عمرو فإسناده وإن سلم كونه حسناً كما قال الهيثمي، ولكن حسن الإسناد لا يقتضي حسن الحديث فضلاً عن صحته.

هذا الكلام منا كله متعلقاً بتخريج الأحاديث وصحتها، والآن ننظر في ما ادعاه المؤلف من كون الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأتباعه ممن يصدق عليهم تلك الأحاديث فنقول بحول الله وقوته:

إن جهة المشرق منشأ الفتن ومبدؤها، قال الحافظ في الفتح تحت قوله صلى الله عليه وسلم "رأس الكفر نحو الشرق" الواقع في كتاب بدء الخلق: وفي ذلك إشارة إلى شدة الكفر المجوس، لأنه مملكة الفرس ومن أطاعهم من العرب كانت من جهة المشرق بالنسبة إلى المدينة، وكانوا في غاية القوة والتكبر والتجبر حتى مزق ملكهم كتاب النبي صلى الله عليه وسلم كما سيأتي في موضعه، واستمرت الفتن من قبل المشرق كما سيأتي واضحاً في الفتن.

وقال الحافظ في الفتح تحت قوله صلى الله عليه وسلم" هل ترون ما أرى"؟ قالوا لا. قال: "فإني لأرى الفتن تقع خلال بيوتكم كموقع القطر" الواقع في كتاب الفتن: وإنما اختصت المدينة بذلك لأن قتل عثمان رضي الله عنه كان بها، ثم انتشرت الفتن في البلاد

بعد ذلك، فالقتال بالجمل وصفين كان بسبب قتل عثمان، والقتال بالنهروان كان بسبب التحكيم بصفين، وكل قتال وقع في ذلك العصر إنما تولد عن شيء من ذلك أو عن شيء تولد عنه.

ثم إن قتل عثمان كان أشد أسبابه الطعن على أمرائه ثم عليه بتوليته لهم، وأول ما نشأ ذلك في العراق وهي من جهة المشرق، فلا منافاة بين حديث الباب وبين الحديث الآتي: "إن الفتنة من قبل المشرق". اهـ.

قال الحافظ في الفتح تحت قوله صلى الله عليه وسلم" اللهم بارك لنا في شامنا" الحديث"

وقال الخطابي: نجد من جهة المشرق، ومن كان بالمدينة كان نجده بادية العراق ونواحيها وهي مشرق أهل المدينة، وأصل النجد ما ارتفع من الأرض وهو خلاف الغور فإنه ما انخفض منها، وتهامة كلها من الغور ومكة من تهامة. اهـ. وعرف بهذا وهاء ما قاله الداودي: إن نجداً موضع مخصوص، وليس كذلك بل كل شيء ارتفع بالنسبة إلى ما يليه يسمى المرتفع نجداً والمنخفض غوراً. اهـ.

قال الحافظ في الفتح: (باب قتل الخوارج) وأصل ذلك أن بعض أهل العراق أنكروا سيرة بعض أقارب عثمان، فطعنوا على عثمان بذلك، وكان يقال لهم القراء لشدة اجتهادهم في التلاوة والعبادة، إلا أنهم كانوا يتأولون القرآن على غير المراد منه، ويستبدون برأيهم ويتنطعون في الزهد والخشوع وغير ذلك، فلما قتل عثمان قاتلوا مع علي واعتقدوا كفر عثمان ومن تابعه واعتقدوا إمامة علي وكفر من قاتله من أهل الجمل الذين كان رئيسهم طلحة والزبير فإنهما خرجا من مكة بعد أن بايعا علياً فلقيا عائشة وكانت حجة تلك السنة فاتفقوا على طلب قتلة عثمان وخرجوا إلى البصرة يدعون الناس إلى ذلك،

فبلغ علياً فخرج إليهم فوقعت بينهم وقعة الجمل المشهورة[1]، وانتصر علي وقتل طلحة في المعركة، وقتل الزبير بعد أن انصرف من الوقعة، فهذه الطائفة هي التي كانت تطلب بدم عثمان بالاتفاق، ثم قام معاوية بالشام في مثل ذلك، وكان أمير الشام إذا ذاك[2]، وكان علي أرسل إليه لأن يبايع له أهل الشام، فاعتل بأن عثمان قتل مظلوماً، وتجب المبادرة إلى الاقتصاص من قتلته، وأنه أقوى الناس على الطب بذلك ويلتمس من علي أن يمكنه منهم، ثم يبايع له بعد ذلك، وعلي يقول ادخل فيما دخل فيه الناس وحاكمهم إلى أحكم فيهم بالحق، فلما طال الأمر خرج في أهل العراق طالباً قتال أهل الشام، فخرج معاوية في أهل الشام قاصداً إلى قتاله[3]، فالتقيا بصفين فدامت الحرب بينهما شهراً، وكاد أهل الشام أن ينكسروا، فرفعوا المصاحف على الرماح ونادوا: ندعوكم إلى كتاب الله، وكان ذلك بإشارة عمرو بن العاص وهو مع معاوية، فترك جمع كثير ممن كان مع علي –وخصوصاً القراء- القتال بسبب ذلك تديناً، واحتجوا بقول تعالى: ﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم﴾ الآية، فراسلوا أهل الشام في ذلك، فقالوا ابعثوا حكماً منهم وحكماً منا، ويحضر معهما من لم يباشر القتال، فمن رأوا الحق معه أطاعوه، فأجاب علي ومن معه إلى ذلك، وأنكرت ذلك تلك الطائفة التي صاروا خوارج.

---

(1) وفي الليلة التي تقدمت الوقعة حصل التفاهم بين الفريقين على يد القعقاع رضي الله عنه، وبات أبناء هؤلاء عند هؤلاء وأبناء هؤلاء عند أولئك، فلما أيقن قتلة عثمان أن الصلح سيكون على رقابهم ودمائهم بيتوا الفتنة والشر، وفي الفجر فاجأوا الفريقين بإنشاب القتال، فهب كل فريق يدافع عن نفسه ويحسب أن الغدر وقع عليه من الفريق الآخر، ولم يعلموا أن قتلة عثمان هم الذين أنشبوا الحرب في الجانبين. محب الدين.

(2) وهو كبير بني أمية والولي عنهم بطلب إقامة الحد على قتلة أمير المؤمنين عثمان بن عفان.

(3) أي أن خروج جند الشام إلى صفين كان بعد خروج جند علي إلى النخيلة متجهين نحو الشام، وهذه حقيقة تاريخية لا يختلف عليها أحد.

وكتب علي بينه وبين معاوية كتاب الحكومة بين أهل العراق والشام: هذا ما قضى عليه أمير المؤمنين علي ومعاوية فامتنع أهل الشام من ذلك وقالوا اكتبوا اسمه واسم أبيه، فأجاب علي إلى ذلك، فأنكره عليه الخوارج أيضاً، ثم انفصل الفريقان على أن يحضر الحكمان ومن معهما بعد مدة عينوها في مكان وسط بين الشام والعراق ويرجع العسكران إلى بلادهم إلى أن يقع الحكم، فرجع معاوية إلى الشام ورجع علي إلى الكوفة، ففارقه الخوارج وهم ثمانية آلاف، وقيل كانوا أكثر من عشرة آلاف، وقيل ستة آلاف، ونزلوا مكاناً يقال له (حروراء) بفتح المهملة وراءين الأولى مضمومة ومن ثم قيل لهم الحروية، وكان كبيرهم عبد الله بن الكواء بفتح الكاف وتشديد الواو مع المد اليشكري وشبث بفتح المعجمة والموحدة بعدها مثلثة التميمي فأرسل عليهم علي ابن عباس فناظرهم فرجع كثير منهم معه ثم خرج إليهم علي فأطاعوه ودخلوا معه الكوفة معهم رئيساهم المذكوران، ثم أشاعوا أن علياً تاب من الحكومة ولذلك رجعوا معه، فبلغ ذلك علياً فخطب وأنكر ذلك، فتنادوا من جوانب المسجد: لا حكم إلا لله، فقال: كلمة حق يراد بها باطل، فقال لهم: لكم علينا ثلاثة أن لا نمنعكم من المساجد،ولا من رزقكم من الفيء، ولا نبدأكم بقتال ما لم تحدثوا فساداً، وخرجوا شيئاً بعد شيء إلى أن اجتمعوا بالمدائن فراسلهم في الرجوع فأصروا على المتناع حتى يشهد على نفسه بالكفر لرضاه بالتحكيم ويتوب، ثم راسلهم أيضاً فأرادوا قتل رسوله، ثم اجتمعوا على أن من يعتقد معتقدهم يكفر ويباح دمه وماله وأهله، وانتقلوا إلى الفعل فاستعرضوا الناس، فقتلوا من اجتاز بهم من المسلمين، ومر بهم عبد الله بن خباب بن الأرت وكان والياً لعلي على بعض تلك البلاد

ومعه سرية وهي حامل فقتلوه وبقروا بطن سريته عن ولد، فبلغ علياً فخرج إليهم في الجيش الذي كان هيأه للخروج إلى الشام فأوقع بهم بالنهروان، ولم ينج منه إلا دون العشرة، ولا قتل ممن معه إلا نحو العشرة، فهذا ملخص أول أمرهم. اهـ.

وقال الحافظ في الفتح آخر كتاب التوحيد تحت قوله صلى الله عليه وسلم: "يخرج ناس من قبل المشرق": تقدم في كتاب الفتن أنهم الخوارج وبيان مبدأ أمرهم وما ورد فيهم، وكان ابتداء خروجهم من العراق وهي من جهة الشرق بالنسبة إلى مكة المشرفة. اهـ.

وأخرج البخاري عن بشير بن عمر، وقال: قلت لسهل بن حنيف: هل سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول في الخوارج شيئاً؟ قال سمعته يقول وأهوى بيده قبل العراق "يخرج منه قوم يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الإسلام مروق السهم من الرمية". وفي رواية لمسلم وأشار بيده نحو الشرق، وفي رواية قال: "يتيه قوم قبل المشرق محلقة رءوسهم".

قال الحافظ في الفتح: أخرج الطبراني في الأوسط بسند جيد من طريق الفرزدق الشاعر أنه سمع أبا هريرة وأبا سعيد وسألهما فقال: إني رجل من أهل الشرق وأن قوماً يخرجون علينا يقتلون من قال لا إله إلا الله ويؤمنون من سواهم، فقالا: سمعنا النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "من قتلهم له أجر شهيد، ومن قتلوه فله أجر شهيد" اهـ. وفي رواية لمسلم عن أبي سعيد قال وأنتم قتلتموهم يا أهل العراق.

فعلم من تلك الرويات أن الخوارج يخرجون من المشرق والعراق، وأن أهل العراق والشرق هم الذين يقتلونهم، وهذا يدل دلالة واضحة على أن جميع أهل العراق والمشرق ليس ممن تصدق

عليهم هذه الأحاديث التي فيها ذكر الخوارج بل منهم من يقتلونهم،وكذلك المراد بنجد في حديث ابن عمر "هناك الزلازل والفتن" نجد العراق، قال بعض المحققين: وأما قوله صلى الله عليه وسلم لما قيل له وفي نجدنا "تلك موضع الزلازل والفتن وهنا يطلع قرن الشيطان" فالمقصود بها نجد العراق وشرق المدينة، وقد ورد ذلك صريحاً في حديث ابن عمر ونص عليه الخطابي وغيره، وقد ترك الدعاء للعراق جملة بل وذمها.

وقد روى الطبراني من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل إبليس العراق فقضى فيها حاجته، ثم دخل الشام فطردوه، ثم دخل مصر فباض فيها وفرخ وبسط عليها عبقريه" ولا يقول مسلم بذم علماء العراق لما ورد فيها وأكابر أهل الحديث وفقهاء الأمة وأهل الجرح والتعديل أكثرهم أهل العراق، وإمام السنة أحمد بن حنبل وشيخ الطريقة الجنيد بن محمد وعلم الزهاد الحسن وابن سيرين وأبو حنيفة وأصحابه وسفيان الثوري وأصحابه وإسحاق ابن إبراهيم بن راهويه ومحمد بن إسماعيل[1] ومسلم بن الحجاج وأبو داود وأصحاب السنن وأصحاب الدواوين الإسلامية كلهم عراقي الدار مولداً أو سكنى، والليث بن سعد ومحمد بن إدريس وأشهب ومن قبل هؤلاء كلهم سكن العراق ومصر،وجملة من أكابر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن التابعين بعدهم، ومن عاب الساكن بالسكنى والإقامة في مثل تلك البلاد فقد عاب جمهور الأمة وسبهم وآذاهم بغير ما اكتسبوا، وقد داول الله تعالى الأيام بين البقاع والبلاد، كما داولها بين الناس والعباد، قال تعالى: ﴿وتلك الأيام نداولها بين الناس﴾.

---

[1] أي البخاري.

وكم من بلد قد فتحت وصارت من خير بلاد المسلمين بعد أن كانت في أيدي الفراعنة والمشركين والفلاسفة والصابئين والكفرة من المجوس وأهل الكتابين، بل الخربة التي كانت بها قبور المشركين صارت مسجداً هو أفضل مساجد المسلمين بعد المسجد الحرم، ودفن بها أفضل المرسلين وسادات المؤمنين.

ولا يعيب شيخنا بدار مسيلمة إلا من عاب أئمة الهدى ومصابيح الدجى في بلادهم من الشرك والكفر المبين، وطرح هذا القول جرأة على النبيين وأكابر المؤمنين، وهذا المعترض كعنز السوء يبحث عن حتفه بظلفه ولا يدري، وقد قال بعض الأزهريين: مسيلمة الكذاب من خير نجدكم، فقلت: وفرعون اللعين رأس مصركم فبهت. وأين كفر فرعون من كفر مسيلمة ولو كانوا يعلمون. اهـ.

وأيضاً قال وقد تقدم أن طرد هذا الكلام يوجب ذم كل من سكن بلدة من بلاد المسلمين التي سكنها قبله أعيان المشركين ورؤوس الكافرين، فأي أحد يبقى لو طرد هذا؟ وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: "لو كان الإيمان معلقاً بالثريا لناله رجال من فارس" مع أن بلادهم من شر البلاد، فيها الأوثان والنيران، وكفر فيها بالله الذي لا إله إلا هو الرحمن. اهـ.

وأيضاً قال: وسكنى الدار لا يؤثر، فإن الصحابة سكنوا مصر وبلاد الفرس، وفضلهم لا يزال في مزيد، وإيمانهم قهر أهل الكفر والشرك والتنديد، وعادت تلك البقاع والأماكن أفضل مساكن أهل التوحيد. اهـ.

وجملة القول أن الأحاديث التي ذكرها المؤلف في هذا المقام منها ما هو خاص بإجماع المسلمين بالحرورية الخارجين على علي رضي الله تعالى عنه وهو ماعدا حديث ابن عمر "الفتنة ههنا الفتنة

ههنا" وحديث أبي هريـرة "رأس الكفـر نحـو المشـرق" وحـديث أبـي مسعود "من ههنا جاءت الفتن" وحديث جابر "غلـظ القلـوب والجفـاء في المشرق" وحديث ابن عمر "اللهم بارك لنا في شامنا وفي يمننا" الحديث.

قال بعض المحققين: والجواب أن يقال هـذا كـذب علـى رسـول الله صلى الله عليه وسلم، لم يصف أهل نجد وأهـل اليمامـة بهـذا، ولا دخل في وصفه من يـؤمن بـالله ورسـوله منهـم ولا مـن غيرهـم، بـل الموصوف بإجماع المسلمين الحروريـة الخـارجون علـى علـي الـذين قاتلهم علي من أهل الكوفة والبصرة وما يليها، وفيهم من بني يشكر ومن طي وتميم وغيرهم من قبائل العرب ودارهم ومسكنهم بالعراق ولا يختلف في هذا، ودولتهم وشوكتهم كانت هناك دون النهر، ولـذلك نسبوا إليه وقيل أهل النهروان، وحروراء بلدة هناك نسبوا إليها فقيل الحرورية، اه ملخصاً. وبعض الألفـاظ الحـديث فـي بعـض الطـرق دال على تلك الخصوصية كمـا وقـع فـي روايـة البخـاري عـن أبـي سـعيد: "يخرجون على حين فرقة من الناس" قال أبـو سـعيد: أشـهد سـمعت من النبي صلى الله عليه وسلم وأشهد أن علياً قتلهم وأنـا معـه، جـئ بالرجل على النعت الذي نعته النبي صلى الله عليه وسلم وفي روايــة لمسلم عن أبي سعيد "تمرق مارقة عند فرقة مـن المسـلمين يقتلهـا أولى الطائفتين بالحق". اه.

ولا شك أن هذا لا يمكن صدقه على الشيخ محمد بن عبـد الوهـاب وأتباعه، لا يقال وقع في رواية النسـائي عـن أبـي بـرزة: "لا يزالـون يخرجون حتى يخرج آخرهم مع المسيح الدجال" وفي رواية ابـن عمـر وابن ماجه "كلما خرج قرن قطع أكثر من عشرين مرة حتى يخرج فـي عراضهم الدجال" اه، لأن كل مـن يـأتي بعـد قـوم خرجـوا علـى علـي

رضي الله عنه ممن يصلي يتخشع ويقرأ كتاب اللـه إلـى يـوم القيامـة ويجتهد في التلاوة والعبادة لا يكون من الخـوارج بالضـرورة وإلا لـزم أن يكون معظم الأمة من أهل الفقه والحديث مـن الخـوارج، بـل إنمـا يكون من الخوارج من يستن بسنة هؤلاء الذين خرجوا على علي رضي الله عنه ويسلك مسلكهم، ومن قتل أهل الإسلام، وودع أهل الأوثـان، وتكفير من لا يعتقد معتقدهم، وإباحة دمـه ومـاله وأهلـه، وأن عثمـان وعلياً وأصحاب الجمل وصفين، وكل مـن رضـى بـالتحكيم كفـار، وأن كل من أتى كبيرة فهو كافر مخلد فـي النـار أبـداً، وأن مـن لـم يخـرج ويحارب المسـلمين فهـو كـافر ولـو اعتقـد معتقـدهم، وإبطـال رجـم المحصن وقطع يد السارق من الإبط، وإيجـاب المنكـر إن كـان قـادراً، وإن لم يكن قادراً فقد ارتكب كـبيرة، وحكـم مرتكـب الكـبيرة عنـدهم حكم الكافر، وسائر معتقداتهم الفاسدة، وأعمالهم الزائغة ولا يتحقق شيء من عقائدهم وأعمالهم فـي الشـيخ وأتبـاعه، بـل مـذهبهم فـي أصول الدين مذهب أهل السنة والجماعة، وطريقتهم طريقة السـلف التي هي الطريق الأسلم، بل والأعلم والأحكم، وهم في الفروع على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، ومن روى عنهم شيئاً مـن تلـك أو نسـبة إليهم فقد كذب عليهم وافترى، وهذا ظاهر لمـن طـالع كتـابه (كتـاب التوحيد) وسائر الرسائل المؤلفة للشيخ.

ومن ثم عرفت فساد ما قال السيد محمـد أميـن المعـروف بـابن عابدين الحنفي في (رد المحتار على الـدر المختـار) فـي بـاب البغـاة تحت قول الماتن (ويكفـرون أصـحاب نبينـا صـلى اللـه عليـه وسـلم): علمت أن هذا غير شرط في مسمى الخوارج، بل هو بيان لمن خرجـوا على سيدنا علي رضي الله عنه، وإلا فيكفي فيهم اعتقادهم كفر مـن خرجوا عليهم كما وقع في زمننا في أتباع عبد الوهـاب الـذين خرجـوا

من نجد وتغلبوا على الحرمين، وكانوا ينتحلون مذهب الحنابلة لكنهم اعتقدوا أنهم هم المسلمون، وأن من خالف اعتقادهم مشركون، واستباحوا بذلك قتل أهل الشر وقتل علمائهم حتى كسر الله تعالى شوكتهم وخرب بلادهم، وظفر بهم عساكر المسلمين عام ثلاث وثلاثين ومائتين وألف. اهـ.

وكذا فساد ما على هامش سنن النسائي المطبوع في الهند في المطبع النظامي سنة ستة وتسعين بعد الألف ومائتين في ص 412: ثم ليعلم أن الذين يدينون دين عبد الوهاب النجدي ويسلكون مسالكه في الأصول والفروع ويدعون في بلادنا باسم الوهابيين وغير المقلدين، ويزعمون أن تقليد أحد الأئمة الأربعة رضوان الله عليهم شرك، وأن من خالفهم هم المشركون، ويستبيحون قتلنا أهل السنة، وسبي نسائنا وغير ذلك من العقائد الشنيعة التي وصلت إلينا منهم بواسطة الثقات وسمعنا بعضاً منهم أيضاً، هم فرقة من الخوارج،وقد صرح به العلامة الشامي في كتابه (رد المختار). اهـ.

وكذا فساد ما في هامش سنن النسائي المذكور في 634 حيث قال: وقد وقع خروجهم مراراً أفاده العيني. وقال الشامي: كما وقع في زمننا خروج أتباع عبد الوهاب. اهـ.

وجه الفساد أن الشيخ وأتباعه لم يكفروا أحداً من المسلمين ولم يعتقدوا أنهم هم المسلمون وأن من خالفهم هم مشركون، ولم يستبيحوا قتل أهل السنة وسبي نسائهم، ولم يقولوا إن تقليد أحد الأئمة الأربعة شرك، ولقد لقيت غير واحد من أهل العلم من أتباع الشيخ، وطالعت كثيراً من كتبهم فما وجدت لهذه الأمور أصلاً وأثراً

بل كان هذا بهتان وافتراء[1]، وليعلم أن ابن عابدين وصاحب الهامش قد خطأ في قولهما (عبد الوهاب) والصواب محمد بن عبد الوهاب.

وأما بقية الأحاديث التي ذكرها المؤلف في هذا المقام فأولاها بأن يشنع به على الشيخ وأتباعه حديث ابن عمر: "اللهم بارك لنا في شامنا وفي يمننا" الحديث فإنه ذكر فيه نجداً وقال صلى الله عليه وسلم في شأنه "هناك الزلازل والفتن وبها يطلع قرن الشيطان" والشيخ من أهل نجد.

(والجواب): أن المراد بنجد نجد العراق كما عرفت فيما تقدم، ومما يؤيد هذا حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: دعا نبي الله صلى الله عليه وسلم فقال: "اللهم بارك لنا في صاعنا ومدنا، وبارك لنا في شامنا ويمننا، فقال رجل من القوم يا نبي الله وعراقنا؟ قال "إن بها قرن الشيطان وتهيج الفتن، وإن الجفاء بالمشرق" وراه الطبراني في الكبير ورواته ثقات كذا في (الترغيب والترهيب) للمنذري، وان عمر ابن الخطاب أراد الخروج إلى العراق فقال له كعب الأحبار: لا تخرج إليها يا أمير المؤمنين، فإن بها تسعة أعشار السحر، وبها فسقة الجن، وبها الداء العضال، وقد تقدم تخريجه، وحديث سفيان بن أبي زهير رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "تفتح اليمن، فيأتي قوم يبسون، فيتحملون

---

[1] بل في هذه الكتب خلاف ما ذكر وضده: ففيها أنهم لا يكفرون إلا من أتى بما هو كفر بإجماع المسلمين، وأنهم في الأصول على مذهب جمهور السلف الصالح وفي الفروع على مذهب الإمام أحمد، وأنهم يحترمون مذاهب الأئمة الأربعة ولا يفرقون بين أحد من مقلديهم، وإنما قال ابن عابدين ومن تبعه ما قاله تصديقاً لأكاذيب الشيخ أحمد دحلان ومفترياته مع عدم وجود شيء من كتب الشيخ وكتب أولاده وأحفاده في الأيدي، ونحن كنا نصدق هذه الإشاعات التي أشاعتها السياسة التركية عنهم تصديقاً لابن عابدين وأمثاله، وقد طبعت كتبهم وكتب أنصارهم في عصرنا فلا عذر لأحد في تصديق الحشوية والمبتدعة وأهل الأهواء فيهم.
وقد ذكرت هذه الإشاعات مرة بمجلس الأستاذ الكبير الشيخ أبي الفضل الجيزاوي شيخ الأزهر في إدارة المعاهد الدينية فاستحضرت لهم نسخاً من كتبا الهدية السنية فراجعها الشيخ الأكبر وعنده طائفة من أشهر علماء الأزهر فاعترفوا بأن ما فيها هو عين مذهب جمهور أهل السنة والجماعة. وكتبه محمد رشيد رضا.

بأهليهم ومن أطاعهم والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، وتفتح الشام، فيأتي قوم يبسون، فيتحملون

من عباده، فأما أن أبيتم فعليكم بيمنكم واسقوا من غدركم فإن الله توكل –وفي رواية تكفل- لي بالشام وأهله" رواه أبو داود وابن حبان في صحيحه والحاكم، وقال صحيح الإسناد كذا في (الترغيب والترهيب) للمنذري، وحديث العرباض بن سارية رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قام يوماً في الناس فقال: "أيها الناس توشكون أن تكونوا أجناداً مجندة، جند بالشام، وجند بالعراق، وجند باليمن" الحديث كذا في (الترغيب والترهيب) للمنذري: وحديث أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إنكم ستجندون أجناداً جنداً بالشام ومصر والعراق واليمن" الحديث كذا في زوائد مسند البزار، ويكفي لذم العراق حديث سهل بن حنيف الذي أخرجه البخاري وفيه قال: سمعته يقولى وأهوى بيده قبل العراق "يخرج منه قوم" الحديث وقد تقدم.

---

(1) خر بكسر الخاء أمر من خار له يخير (ككال يكيل) إذا اختار له ما هو خير هذه الأماكن. وكتبه محمد رشيد رضا.

وقد ورد الأمر باللحوق بنجد في حديث رأيته في زوائد مسند البزار، ولفظه: حدثنا محمد بن عبد الله بن المفضل الحراني حدثنا عثمان بن عبد الرحمن الحراني حدثنا عبد الرحمن بن ثابت عن أبي العوام عن عبد الملك بن مساحق عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إنكم ستجندون أجناداً" فقال رجل: يا رسول الله خر لي فقال: "عليك بالشام فإنها صفوة الله في بلاده فيها خيرة الله من عباده فمن رغب عن ذلك فليلحق بنجده فإن الله تكفل لي بالشام وأهله" قال البزار: لا نعلمه يروى عن ابن عمر إلا بهذا الإسناد. اهـ.

ولا يغرنك أن نجداً موضع مخصوص من العرب فكيف يراد به العراق؟ لأن أصل النجد ما ارتفع من الأرض، وهو خلاف الغور فإنه ما انخفض منها كما ظهر من كلام الحافظ في الفتح. وهذا يصدق على العراق، ومع أنه قد ورد ذم العراق في غير واحد من الأحاديث لا يقول مسلم بذم علماء العراق لأن أكابر أهل الحديث وفقهاء الأمة وأهل الجرح والتعديل أكثرهم من أهل العراق وجملة من أكابر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن التابعين بعدهم قد سكنوا العراق، ألا ترى إلى ما أخرج البخاري عن إبراهيم قال: ذهب علقمة إلى الشام فأتى المسجد فصلى ركعتين فقال: اللهم ارزقني جليساً فقعد إلى أبي الدراداء فقال: ممن أنت؟ قال: من أهل الكوفة، قال: أليس فيكم صاحب السر الذي كان لا يعلمه غيره؟ يعني حذيفة. أليس فيكم –أو كان فيكم- الذي أجاره الله على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم من الشيطان؟ يعني عماراً، أو ليس فيكم صاحب السواك والوسادة؟ يعني ابن مسعود، كيف كان عبد الله يقرأ ﴿والليل إذا

يغشى قال (والذكر والأنثى) فقال مازال هؤلاء حتى كادوا يشككوني، وقد سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم. اهـ.

وهذا ظاهر لمن تتبع أحوال الصحابة والتابعين، وقد ذكرت فيما تقدم رواية مسلم عن أبي سعيد وفيها: "وأنتم قتلتموهم يا أهل العراق" فعلم أن أهل العراق هم الذين قتلوا الخوارج، فكيف يجوز ذم جميع أهل العراق؟ وأن سلم أن المراد بنجد نجد العرب، فالجواب أنه كما لا يجوز ذم جميع أهل العراق لورود أحاديث في ذمه، كذلك لا يجوز ذم جميع أهل نجد بعد تسليم ورود ذمه في حديث.

وقد ورد في الأحاديث الصحيحة[1] أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا قبل نجد وبعث سرية قبل نجد، وبعث خيلاً قبل نجد فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له ثمامة بن أثال فربطوه بسارية من سواري المسجد فخرج إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "ما عندك يا ثمامة؟ فقال: عندي خير يا محمد، إن تقتلني تقتل ذا دم[2]، وإن تنعم، تنعم على شاكر، إن كنت تريد المال، فسل منه ما شئت، فترك حتى كان الغد، ثم قال له "ما عندك يا ثمامة"؟ فقال: ما قلت لك، إن تنعم تنعم على شاكر، فتركه حتى كان بعد الغد فقال: "ماعندك يا ثمامة"؟ قال عندي ما قلت لك فقال: "أطلقوا ثمامة" فانطلق إلى نخل قريب من المسجد فاغتسل ثم دخل المسجد فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، يا محمد والله ما كان على الأرض وجه أبغض إلي من وجهك، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إلي، والله ما كان من دين أبغض إلي من دينك، فأصبح دينك أحب الدين إلي، والله ما كان من بلد أبغض إلي من بلدك، فأصبح بلدك

---

(1) أخرجه الشيخان وأبو داود والنسائي من حديث أبي هريرة ولم يتذكر المؤلف منها إلا البخاري.

(2) يعني بذي الدم المستحق للقتل. وكتبه وما قبل محمد رشيد رضا.

أحب البلاد إلي، وإن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة فماذا ترى؟ فبشره الرسول صلى الله عليه وسلم وأمره أن يعتمر، فلما قدم مكة قال له قائل: صبوت؟ قال: لا والله ولكن أسلمت مع محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا والله لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها النبي صلى الله عليه وسلم، أخرج البخاري تلك الأحاديث في صحيحه.

قوله "فبشره" قال الحافظ في الفتح: أي بخيري الدنيا والآخرة،أو بشره بالجنة أو بمحو ذنوبه وتبعاته السابقة. اهـ.

فلو لم يكن في أهل نجد خير ما غزا قبل نجد، فإن العزو المقصود منه بالذات إسلام أهله، وما قبل الإسلام ثمامة بن أثال ولم يبشره بخيري الدنيا والآخرة أو بالجنة أو بمحو ذنبوه وتبعاته السابقة.

وأخرج البخاري ومسلم عن طلحة بن عبيد الله يقول: جاء رجل إلى رسو لالله صلى الله عليه وسلم من أهل نجد ثائر الرأس نس مع دوي صوته ولا نفقه ما يقول، حتى دنا، فإذا هو يسأل عن الإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "خمس صلوات في اليوم والليلة" فقال هل علي غيرها؟ قال: "لا إلا أن تطوع" قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "وصيام رمضان" قال هل علي غيره؟ قال: "لا إلا أن تطوع" قال وذكر له رسول الله صلى الله عليه وسلم الزكاة، قال: هل علي غيرها؟ قال: "لا إلا أن تطوع" قال فأدبر الرجل وهو يقول والله لا أزيد على هذا ولا أنقص. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أفلح إن صدق". اهـ.

فهذا الرجل من أهل نجد بشره صلى الله عليه وسلم بالفلاح – وقد وقت رسول الله صلى الله عليه وسلم لأهل نجد قرن المنازل كما وقت لأهل المدينة ذا الحليفة، ولأهل الشام الجحفة ولأهل اليمن

يلملم، فلو لـم يكـن فـي نجـد خيـر فـأي حاجـة إلـى تعييـن الميقـات لأهلها؟ فقد علم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أهل نجد يــأتون للحج كما أن أهل المدينة وأهل الشام وأهل اليمن يأتون له، وقــد ورد فضل بني تميم في الحديث، والشيخ عبد الوهاب منهم وهم مـن أهـل نجد.

أخرج البخاري عن أبي هريرة قال: مـازلت أحـب بنـي تميـم منـذ ثلاث سـمعت مـن رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم يقـول فيهـم، سمعته يقول: "هم أشد أمتي علـى الـدجال: قـال وجـاءت صـدقاتهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "هذه صدقات قومنا"، وكــانت سبية منهم عند عائشة فقال: "اعتقيها فإنها من ولد إسماعيل" اهـ.

وفي زوائد مسند البزار عن أبي هريـرة قـال: قـال رسـول اللـه صلى الله عليه وسلم وذكر بني تميم فقال: "هـم ضـخام الهـام، ثبـت الإقدام، نصار الحق في آخر الزمـان، أشـد قومـاً علـى الـدجال، قـال البزار سلام هذا أحسبه سلام المدائني وهو لين الحديث.

وأيضاً فيه عن أبي هريرة قال: ربما ضرب النبي صلى الله عليــه وسلم على كتفي وقال: أحبوا بني تميم" قال الـبزار لا نعلمـه يـروي عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا من هذا الوجه.

فإن قلت: قد جاء في حديث عمران بن حصين رضي الله عنه مــا يشينهم" قال جاء نفر من بني تميم إلى النبي صلى الله عليـه وسـلم فقال يا نبي تميم "أبشروا" قال بشرتنا فأعطنا، فتغير وجهه، فجاءه أهل اليمن فقال: "يـا أهـل اليمـن اقبلـوا البشـرى إذ لـم يقبلهـا بنـو تميم" قالوا قبلنا، الحديث أخرجه البخاري.

قلت هذا مقولة الجفاة منهم، منهم الأقرع بن حابس، ذكره ابــن الجوزي كذا في الفتح.

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره قوله تعالى: ﴿إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعلمون * ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيراً لهم والله غفور رحيم﴾ وقد ذكر أنها نزلت في الأقرع بن حابس التميمي رضي الله عنه فيما أورده غير واحد، قال الإمام أحمد حثنا عفان حدثنا وهيب حدثنا موسى بن عقبة عن أبي سلمة ابن عبد الرحمن عن الأقرع بن حابس نه نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد، يا محمد، وفي رواية يا رسول لله، فلم يجبه، فقال: يا رسول إن حمدي لزين وإن ذم ي لشين، فقال: ذاك الله عز وجل: وقال ابن جرير حدثنا أبو عامر الحسين بن حريث المروزي حدثنا الفضل بن موسى عن الحسين بن واقد عن أبي إسحاق عن البراء في قوله تبارك وتعالى: ﴿إن الذين ينادونك من وراء الحجرات﴾ قال جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد، إن حمدي زين وذمي شين، فقال صلى الله عليه وسلم: ذاك الله عز وجل" وهكذا ذكره الحسن البصري وقتادة مرسلاً، قال الحافظ في تفسير سورة الحجرات تحت حديث ابن أبي مليكة قال: كاد الخيران أن يهلكا أبا بكر وعمر رضي الله عنهما، رفعا أصواتهما عند النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم ركب بني تميم فأشار أحدهما بالأقرع بن حابس أخي بني مجاشع وأشار الآخر برجل آخر قال نافع لا أحفظ اسمه، فقال أبو بكر لعمر: ما أردت إلا خلافي، قال ما أردت خلافك، فارتفعت أصواتهما في ذلك، فأنزل الله: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم﴾ الآية.

قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم﴾ الآية. زاد وكيع كما سيأتي في الاعتصام إلى قوله: ﴿عظيم﴾، وفي رواية ابن جريج فنزلت: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله﴾ إلى قوله

تعالى: ﴿ولو أنهم صبروا﴾ وقد استشكل ذلك، قال ابن عطية: الصحيح أن سبب نزول هذه الآية كلام جفاة العرب.

قلت: لا يعارض ذلك هذا الحديث فإن الذي يتعلق بقصة الشيخين في تخالفهما في التأمير هو أول السورة: ﴿لا تقدموا﴾ ولكن لما اتصل بها قوله: ﴿لا ترفعوا﴾ تمسك عمر منها بخفض صوته، وجفاة الأعراب الذين نزلت فيهم هم بني تميم والذي يختص بهم قوله: ﴿إن الذين ينادونك من وراء الحجرات﴾ قال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة إن رجلاً جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم من وراء الحجرات فقال: يا محمد، إن مدحي زين، وإن شتمي شي، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "ذاك الله عز وجل" ونزلت.

قلت: ولا مانع أن تنزل الآية لأسباب تتقدمها فلا يعدل للترجيح مع ظهور الجمع وصحة الطرق. اهـ.

وقال الحافظ تحت قوله: ﴿باب إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون﴾: وروى الطبراني من طريق مجاهد قال: هم أعراب بني تميم، ومن طريق أبي إسحاق عن البراء قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد إن حمدي زين، وإن ذمي شين، فقال: "ذاك الله تبارك وتعالى" وروي من طريق معمر عن قتادة مثله مرسلاً، وزاد فأنزل الله: ﴿إن الذين ينادونك من وراء الحجرات﴾ الآية. ومن طريق الحسن نحوه. اهـ.

وقال الحافظ تحت قوله: (باب قوله: ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيراً لهم). هكذا في جميع الروايات الترجمة بغير حديث، وقد أخرج الطبري والبغوي وابن أبي عاصم في كتبهم في الصحابة من طريق موسى بن عقبة عن أبي سلمة قال: حدثن يالأقرع بن حابس التميمي أنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال:

يـا محمـد أخـرج إلينـا فنزلـت ﴿إن الـذين ينـادون مـن وراء الحجـرات﴾ الحديث، وسياقه لابن جرير، قال ابن منده صـحيح عـن أبـي سـلمة أن الأقرع –مرسل، وكذا أخرجه أحمد على الوجهين.

وقد ساق محمد بن إسحاق قصة وفد بني تميم في ذلـك مطولـة بانقطاع، وأخرجها ابن منده في ترجمة ثـابت بـن قيـس ف يالمعرفـة من طريق أخرى موصلة. اهـ.

وقال الترمذي في جامعه: حـدثنا أبـو عمـار الحسـين بـن حريـث أخبرنا الفضل بن موسى عن الحسين بن واقعد عن ابـن إسـحاق عـن البراء بن عازب في قوله تعالى: ﴿إن الذين ينادونك من وراء الحجرات ﴾ قال: قام رجل فقال: يا رسول الله إن حمدي زين، وإن ذمي شـين، فقال النبي صلى الله عليه وسـلم: "ذاك اللـه عـز وجـل" هـذا حـديث حسن غريب.

وقد جاء في الأحاديث "فضل العرب عموماً" أخرج البخـاري عـن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "بعثت مـن خيـر قرون بني آدم قرناً فقرنا حتى كنت من القرن الذي كنت فيه". اهـ.

وأخرج الترمذي عن العباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله خلق الخلق فجعلني في خيرهم، ثم جعلهم فرقتين فجعلنـي في خيرهم فرقة، ثم جعلهم قبائـل فجعلنـي فـي خيرهـم قبيلـة، ثـم جعلهم بيوتاً فجعلني فـي خيرهـم بيتـاً وخيرهـم نفسـاً" وقـال: هـذا حديث حسن.

وأخرج الترمذي عن سلمان قال: قال لي رسول الله صـلى اللـه عليه وسلم: "يا سلمان لا تبغضني فتفارق دينك" قلت: يا رسول الله كيف أبغضك وبك هداني الله؟ قال: "تبغض العرب فتبغضـني" وقـال: هذا حديث حسن غريب.

وأخرج عن عثمان بن عفان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من غش العرب لم يدخل في شفاعتي ولم تنله مودتي" وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث حصين ابن عمر الأحمسي عن مخارق، وليس حصين عند أهل الحديث بذاك القوي.

وأخرج الترمذي عن محمد بن أبي رزين عن أمه قالت: كانت أم الحرير إذا مات أحد من العرب اشتد عليها، فقيل لها: إنا نراك إذا مات رجل من العرب اشتد عليك، قالت: سمعت مولاي يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من اقتراب الساعة هلاك العرب" قال محمد بن أبي رزين: ومولاها طلحة بن مالك، هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث سليمان بن حرب[1].

وأخرج مسلم عن أم شريك أنها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "ليفرن الناس من الدجال في الجبال" قالت أم شريك يا رسول الله فأين العرب يومئذ ؟ قال "هم قليل" وأخرجه الترمذي أيضاً وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب.

وأخرج مسلم عن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إن الشيطان قد يئس من أن يعبده المصلون في جزيرة العرب، ولكن في التحريش بينهم، كذا في (مشكاة المصابيح) وأخرجه الترمذي بغير لفظ (في جزيرة العرب) وقال: وفي الباب عن أنس وسليمان بن عمرو بن الأحوص عن أبيه: هذا حديث حسن. اه

وفي زوائد مسند البزار للهيثمي عن علي رضي الله عنه يقول: أسندت النبي صلى الله عليه وسلم إلى صدري فقال: "يا علي أوصيك بالعرب خيراً". قال البزار لا نعلمه يروى عن علي إذا بهذا

---

[1] سليمان بن حرب الأزدي الواشجي البصري القاضي بمكة إمام حافظ، روى عنه الجماعة كلهم كما في التقريب. وكتبه محمد رشيد رضا.

الإسناد، وأبو المقدام هو ثابت الحداد روى عنه منصور بن المعتمر وسفيان الثوري وهو أبو عمرو بن ثابت.

وأيضاً فيه عن أبي موسى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إني دعوت العرب فقلت: اللهم من لقيك منهم مصدقاً بك موقناً فاغفر له". قال البزار لا نعلم رواه عن ثابت إلا مروان، ولا عنه إلا الحسن بن بشر. اه

وفي زوائد مسند البزار في فضل جزيرة العرب حدثنا محمد بن العلاء حدثنا الحسن بن عطية حدثنا قيس عن يونس يعني ابن عبيد عن الحسن بن الأحنف بن قيس عن العباس بن عبدالمطلب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "لقد برأ الله هذه الجزيرة من الشرك ما لم يضلهم النجوم" حدثنا احمد بن محمد بن الوليد حدثنا موسى بن داود حدثنا قيس عن يونس عن الحسن عن الأحنف عن العباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال بنحوه، قال البزار لا نعلم رواه إلا العباس، ولا له عنه إلا هذا الإسناد، حدثنا إبراهيم بن زياد حدثنا إبراهيم بن أبي العباس حدثنا عبدالحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إن الشيطان قد يئس أن يعبد في جزيرة العرب و لكن قد رضي بمحقرات".

قال البزار قد روي من غير طريق عن أبي الدرداء حدثنا الفضل بن سهل حدثنا معاوية بن عمرو حدثنا أبو إسحاق الفزاري عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إن الشيطان قد يئس أن يعبد بارضكم هذه، ولكن قد رضي منكم بالمحقرات" قال البزار قد رواه أبو إسحاق هكذا ورواه غيره عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة أو أبي سعيد. اه

وأخرج الترمذي عن سليمان بن عمرو بن الأحوص عن أبيه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في حجة الوداع "أي يوم هذا" ؟ الحديث وفيه "وإن الشيطان قد يئس أن يعبد في بلادكم هذه أبداً، ولكن ستكون له طاعة فيما تحقرون من أعمالكم فيرضى به". قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. اه

فقد علم من هذه الأحاديث فضل العرب على غير العرب، وقد ورد في الصحيح عن أبي هريرة "لو كان الإيمان عند الثريا لناله رجال من هؤلاء"[1] وقد وقع هكذا، فإن كثيراً من أهل الحديث من أبناء فارس، وإذا أمكن نيل جماعة من أهل فارس – الذين هم في الخيرية أدون من أهل نجد التي هي من العرب وشرهم أزيد من شر أهل نجد – الإيمانَ، فما ظنك بأهل نجد ؟

وجملة القول أن ورود مدح قبيلة أو موضع في الحديث لا يقتضي خيرية أفراده وجميع سكانه، وكذلك ورود ذم قبيلة أو موضع في الحديث لا يقتضي شرية جميع أفراده وجميع سكانه، ألا ترى أن خيرية قريش والأنصار وجهينة ومزينة وأسلم وأشجع وغفار والأسد والأشعرين والأزد وحمير وذم عصية وبني تميم وبني أسد وبني عبدالله بن غطفان وبني عامر بن صعصعة وربيعة ومضر وثقيف وبني حنيفة وبني أمية، قد ورد في الأحاديث مع أن الأول قد جاءت منها أشرار أيضاً، والآخر قد جاءت منها خيار أيضاً.

وكذلك قد ورد مدح اليمن وأهله وذم المشرق والعراق وأهلها مع أن الأسود العنسي قد نشأ في اليمن وكثير من أهل الحديث من المشرق والعراق، وهذا لا يخفى على من له أدنى إلمام بفن التاريخ

---

[1] الإشارة إلى الفرس لأنه صلى الله عليه وسلم قال هذا ويده على سلمان الفارسي رضي الله عنه كما في الصحيحين.

والرجال، وحسبك من خيرية مضر كون النبي صلى الله عليه وسلم من مضر.

أخرج البخاري عن ربيبة النبي صلى الله عليه وسلم زينب ابنة أبي سلمة قال قلت لها: أرأيت النبي صلى الله عليه وسلم أكان من مضر ؟ قالت فممن كان إلا من مضر من بني النضر بن كنانة اه. وحسبك من خيرية ربيعة قول النبي صلى الله عليه وسلم لوفد عبد القيس لما أتوا النبي صلى الله عليه وسلم "من القوم – أو من الوفد ؟ - قالوا ربيعة، قال "مرحباً بالقوم – أو بالوفد – غير خزايا ولا ندامى" فقالوا يا رسول الله إنا لا نستطيع أن نأتيك إلا في الشهر الحرام وبيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر فمرنا بأمر نخبر به من وراءنا وندخل به الجنة، الحديث أخرجه البخاري من حديث ابن عباس.

وفي زوائد مسند البزار عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "خير أهل المشرق عبد القيس". قال البزار لا نعلم أحداً رواه بهذا اللفظ إلا ابن عباس ولا عنه إلا أبو حمزة ولا عنه إلا شبيل، وشبيل بصري مشهور، ولا رواه عن إلا ابن سواء اه.

والمقصود أن ربيعة ومضر مع أن ذمهما قد ورد في الحديث ومن الأخيرة سيد المرسلين ومن الأولى وفد عبد القيس وقد أثنى النبي صلى الله عليه وسلم عليهم، وأما ما عدا ذلك من الأحاديث التي ذكرها المؤلف مما ذكر فيه "أن الفتنة من المشرق ورأس الكفر نحو المشرق وغلظ القلوب والجفاء بالمشرق" فالتشنيع بها على الشيخ وأتباعه تشنيع على معظم هذه الأمة من الفقهاء والمحدثين، فإن كثيراً منهم قد جاءوا من المشرق، وهذا مما لا مجال لإنكاره لأحد من أهل العلم، بل هذا التشنيع من جنس تشنيع الرافضة على عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها بأن البخاري أخرج عن عبدالله رضي الله

عنه قال: قام النبي صلى الله عليه وسلم خطيباً فأشار نحـن مسـكن عائشة فقال: "هنا الفتنة – ثلاثاً – من حيث يطلع قرن الشيطان" بـل هذا أخف منه على ما لا يخفى، وإذ لم يكن التشنيع الذي هو أشد سبباً للذم عند أهل السنة فما ظنك بالأخف ؟

قوله: لأنهم كانوا يأمرون من اتبعهم أن يحلق راسه ولا يـتركونه يفارق مجلسهم إذا تبعهم حتى يحلقوا رأسه.

أقول: هذا كذب صريح وبهتان قبيح[1].

قوله: ولم يقع مثل ذلك قط من أحد الفرق الضـالة الـتي مضـت قبلهم، إلى قوله فإنه لم يفعله أحد من المبتدعة غيرهم.

أقول: هذا غلـط صـريح وخطـأ شـنيع، قـال الحـافظ فـي كتـاب المغازي من الفتح تحت قوله "محلوق" سيأتي في أواخر التوحيد مـن وجـه آخـر أن الخـوارج سـيماهم التحليـق، وكـان السـلف يـوفرون شعورهم ولا يحلقونها، وكانت طريقة الخوارج حلق جميـع رؤوسـهم. انتهى.

وقال في أواخر (كتاب التوحيد) تحت قوله "التحليـق" ثـم أجـاب بـأن السـلف كـانوا لا يحلقـون رءوسـهم إلا للنسـك وفـي الحاجـة، والخوارج اتخذوه ديناً فصار شعاراً لهم وعرفوا به. اه

فالسلب الكلي غلط قطعاً.

وقوله: وكـان ابـن عبـدالوهاب يـأمر أيضـاً بحلـق رءوس النسـاء اللاتي يتبعنه. اه

أقول: هذا البهتان الصريح.

---

[1] إن غرض دحلان من مبالغته في هذا الكذب هو الاحتراز من اعتراض أحد عليه بأن جميع علماء المسلمين في الحجاز ومصر والشام يحلقون رءوسهم ليقول إن ضلال الوهابية هو المبالغة في الحلق بما افتراه عليهم هنا.

قوله: جاء في رواية "قرنا الشيطان" بصيغة التثنية، قال بعض العلماء: المراد من قرني الشيطان مسيلمة الكذاب وابن عبدالوهاب.

أقول: هذه رواية مسلم من حديث سالم بن عبدالله بن عمر يقول: يا أهل العراق ما أسألكم عن الصغيرة، وأركبكم للكبيرة، سمعت أبي عبدالله بن عمر يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن الفتنة تجيء من ههنا – وأومأ بيده نحو المشرق – من حيث يطلع قرنا الشيطان". الحديث.

قال النووي: وأما قرنا الشيطان فجانبا رأسه، وقيل هما جمعاه اللذان يغريهما يا ضلال الناس، وقيل شيعتاه من الكفار، والمراد بذلك اختصاص المشرق بمزيد من تسلط الشيطان ومن الكفر. اه

قلت: لعل المراد بقرني الشيطان ربيعة ومضر، والدليل عليه حديث أبي مسعود قال أشار النبي صلى الله عليه وسلم بيده نحو اليمن فقال "ألا إن الإيمان ههنا، وإن القسوة وغلظ القلوب في الفدادين، عند أصول أذناب الإبل، حيث يطلع قرن الشيطان في ربيعة ومضر". أخرجه مسلم.

قوله: وجاء في بعض الروايات وبيها – يعني نجد – الداء العضال.

أقول: هذه اللفظة قد وقت في روايتين على ما أعلم:

(الأولى) رواية الطبراني عن ابن عمر كما نقلتها عن مجمع الزوائد، و(الثانية) رواية مالك في الموطأ وقد ذكرت فيما تقدم، وليس في واحد منهما لفظ "نجد" بل في الأولى "وفي شرقنا" وفي الثانية لفظ "العراق" فإرجاع الضمير إلى نجد جهل[1].

قوله: وفي بعض التواريخ بعد ذكر قتال بني حنيفة قال: ويخرج في آخر الزمان في بلد مسيلمة رجل يغير دين الإسلام.

---

[1] بل هو من تعمد الكذب الذي ليس له عند دحلان حد.

أقول: هذه رواية بلا سند فلا اعتداد بها، على أن كون الشيخ مصداقاً لها محل نظر[2].

قوله: وجاء في بعض الأحاديث التي فيها ذكر الفتن قوله صلى الله عليه وسلم منها فتنة عظيمة تكون في أمتي لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته، تصل إلى جميع العرب، قتلاها في النار". واللسان فيها أشد من وقع السيف.

أقول: ما وجدته بهذا اللفظ، وقد أخرج أبو داود عن عبدالله بن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إنها ستكون فتنة تستنظف العرب، قتلاها في النار، اللسان فيها أشد من وقوع السيف". ورواه الترمذي وابن ماجه.

قوله: وفي رواية ستكون فتنة صماء بكماء عمياء.

أقول: الحديث أخرجه أبو داود من حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ستكون فتنة صماء بكماء عمياء، من أشرف لها استشرفت له، وإشراف اللسان فيها كوقوع السيف".

أقول: هذان الحديثان ليس فيهما لفظ يدل على تعيين الشيخ وأتباعه، وجمهور العلماء حملوهما على الفتنة التي وقعت بين علي ومعاوية، يدل عليه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال "اللسان فيها أشد من وقوع السيف يعني أن الطعن في إحدى الطائفتين ومدح الأخرى مما يثير الفتنة فالكف واجب.

قوله: وفي رواية سيظهر من نجدشيطان تتزلزل جزيرة العرب من فتنته.

---

(2) يالله العجب من التزام المصنف لهذه الاصطلاحات العملية ووضعها في غير موضعها، فمن المعلوم بالتواتر أن الشيخ رحمه الله تعالى جدد الإسلام في نجد وغير نجد، فهل يصح أن يكتفى بقوله إن دعوى تغييره للإسلام محل نظر ؟ وصاحب الدعوى كذاب مشهور ينقل عن تاريخ مجهول. وكتبه محمد رشيد رضا.

أقول: هذه الرواية لم أقف عليها، ولم يذكر المؤلف سندها فلا يعتد بها.

قوله: منها حديث مروي عن العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه عم النبي صلى الله عليه وسلم أسنده إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال فيه :"سيخرج في ثاني عشر قرنا في وادي بني حنيفة رجل كهيئة الثور لا يزال يلعق براطمه، يكثر في زمانه الهرج والمرج، يستحلون أموال المسلمين ويتخذونها بينهم متجراً، ويستحلون دماء المسلمين ويتخذونها بينهم مفخراً، وهي فتنة يغتر فيها الأرذول والسفل، تتجارى بينهم الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه، قال ولهذا الحديث شواهد تقوي معناه، وإن لم يعرف من خرجه.

أقول: إذا لم يعرف من خرجه فكيف يصح الاستدلال به ؟

قوله: واصرح من ذلك أن هذا المغرور محمد بن عبدالوهاب من تميم، فيحتمل أنه من عقربب ذي الخويصرة التميمي الذي جاء فيه حديث البخاري عن أبي سعيد الخدري.

أقول: لا شك أن الشيخ من رأس تميم وأعيانهم كما صرح به بعض المحققين في الرد على (جلاء الغمة) ولكن ليس في حديث البخاري ولا في غيره ما يدل على أن كل من هو من تميم أو من ضئضئ ذي الخويصرة مصداق لهذا الحديث بل في الحديث لفظة "من" دالة على التبعيض المنافي لهذه الكلية، واحتمال أنه من عقب ذي الخويصرة لا يقتضي كونه من عقب ذي الخويصرة جزماً فضلاً عن كونه مصداقاً لهذا الحديث.

وتفريد دليل المؤلف على طريقة الميزانيين هكذا: محمد بن عبدالوهاب من تميم وبعض من هو من تميم من عقب ذي الخويصرة فينتج أن محمد بن عبدالوهاب من عقب ذي الخويصرة، ثم يجعل هذه

النتيجة صغرى لقياس آخر فيقال: إن محمد بن عبدالوهاب من عقب ذي الخويصرة، وبعض من هو من عقب ذي الخويصرة مصداق لحديث البخاري الوارد في شأن الخوارج، فمحمد بن عبدالوهاب مصداق لحديث البخاري الوارد في شأن الخوارج.

ولا يخفى جهل هذا المستدل على من له أدنى إلمام بعلم الميزان، إذ كلية الكبرى التي هي شرط لإنتاج الشكل الأول مفقودة في القياسين، وإن ادعى كلية كبرى القياس فيقال إن كلية كبرى القياس الأول بديهية البطلان، إذ ليس كل من هو من تميم من عقب ذي الخويصرة، وكلية كبرى القياس الثاني أيضاً باطلة، لأن الثابت بالحديث إنما هو الجزئية التي يدل عليه لفظ "من" التبعيضية الواقعة في صدر الحديث.

قوله: ولما قتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه الخوارج قال رجل: الحمد لله الذي أبادهم وأرحنا منهم، فقال رضي الله عنه: كلا والذي نفسي بيده إن منهم لمن هو في أصلاب الرجل لم تحمله النساء، وليكونن آخرهم مع المسيح الدجال.

أقول: فيه كلام من وجهين:

(الأول) أن المؤلف لم يذكر سنده فلا يصلح هذا لأن يحتج به.

و(الثاني) على تقدير ثبوته ليس في الحديث لفظ يقتضي أن المراد به الشيخ وأتباعه.

قوله: وجاء في حديث عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه ذكر فيه بني حنيفة قوم مسيلمة الكذاب، وقال فيه إن واديهم لا يزال وادي فتن إلى آخر الدهر، ولا يزال في فتنة من كذابهم إلى يوم القيامة، وفي رواية ويل لليمامة ويل لا فراق له.

أقول: جوابه من وجهين:

(الأول) أنه لابد على من يحتج به ذكر سنده وتوثيق رواته وإثبات اتصاله.

و(الثاني) أنه ليس فيه لفظ يقتضي أن الشيخ وأتباعه مصداق هذا الحديث، فإن الشيخ ليس من بني حنيفة بل هو من تميم، قال بعض المحققين في الرد على (جلاء الغمة): والجواب أن يقال لهذا المعنى إن شيخنا رحمه الله تعالى من رءوس تميم وأعيانهم وليس من بني حنيفة، وتميم قبل الإسلام وبعده رءوس نجد وساداتهم، وهم ممن قاتل بني حنيفة مع خالد وأبلوا بلاء حسناً، اه ملخصاً.

ثم قال بعد ذلك قال تعالى: ﴿ الأعراب أشد كفراً ونفاقاً وأجدر أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله والله عليم حكيم ﴾. وم ع هذا فقد أثنى تعالى على من آمن بالله واليوم الآخر ﴿ ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول) الآية، فمن آمن بالله ورسوله وكذب مسيلمة ولم يؤمن به فهو من المؤمنين، وقد ﴿ و عد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر، ذلك هو الفوز العظيم ﴾. وأما قول الصديق فالمراد به من آمن بمسيلمة وأدركه منهم كما وقع من ابن النواحة، وأما من بعدهم من نسلهم وذراريهم المؤمنين فلا يتوجه إليهم ذم ولا عيب، والصديق أجل من أن يعيب من لم يؤمن بمسيلمة ولم يشهد عصره، وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسلافهم كانوا على جاهلية وشرك وعبادة للأصنام والأحجار وغيرها، ولا يتوجه عيب على أحد منهم بأسلافهم: وقد يخرج الله من أصلاب المشركين والكفار من هو من خواص أوليائه وأصفيائه، ولما استأذن ملك الجبال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يطبق عليهم الأخشبين لما رجمه أهل الطائف ودعا بدعائه

المشهور وهو قوله: "اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، أنت رب المستضعفين، وأنت ربي إلى من تكلني ؟ إلى بعيد يتجهمني أو إلى عدو ملكته أمري ؟ إن لم يكن بك غضب عليّ فلا أبالي، غير أن عافيتك هي أوسع لي، لك العتبى حتى ترضى، أعوذ بنور وجهك أن ينزل بي سخطك أو يحل بي غضبك، فاستأذنه الملك عند ذلك فقال: بل أتاني بهم لعل الله أن يخرج من أصلابهم من يعبده ولا يشرك به شيئاً.

إذا عرفت هذا فشيخنا ليس من بني حنيفة أصلاً، والقصد بيان كلام الصديق وما أريد به. اه

ثم قال: ثم لو فرض أن من بني حنيفة عالماً يدعو إلى الله تعالى، فما وجه عيبه وذمه بقومه، وقد خالفهم في الإيمان والدين ؟ وسلمان الفارسي وصهيب الرومي وبلال ابن أبي رباح من أفضل الناس، وأسلافهم من شر الناس، بل والرسل أفضل الخلق واكرمهم على الله تعالى والمكذبون لهم من قومهم أكثر من المستجيبين، وابن نوح على أبيه السلام لم ينتفع بإيمان أبيه ورسالته، ولم ينل بذلك ما يوجب سعادته وفلاحه، وهذا المعترض جاهلي الدين والمعرفة والمذهب اه.

وقال في موضع آخر: وهل عاب الله ورسوله أحداً من المسلمين أو غيرهم ببلده ووطنه وكونه فارسياً أو زنجياً أو مصرياً من بلاد فرعون ومحل كفره وسلطته، وعكرمة بن أبي جهل من أفاضل الصحابة وأبوه فرعون هذه الأمة، ومن العجب أن يقول في المؤمنين فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا . وهو كما ترى من أ كثف الناس حجاباً وأغلظهم ذهناً يعيب من زكاهم الله ورسوله بالإيمان به، ومتابعة رسوله ببلاد قد كفر فيها بالله وعبد معه غيره،

وهو يعلم أن بلاد الخليل إبراهيم حـران دار الصـائبة المشـركين عبـاد النجوم، ودار يوسف دار فرعون الكافر اللعين، وسكنها موسـى بعـده وأكابر بني إسرائيل، وكذلك مكة المشرفة سكنها المشركون وعلقـوا الأصنام على الكعبـة المشـرفة، وأخرجـوا نـبيهم وقـاتلوه المـرة بعـد المرة، أفيستحل مؤمن أو عاقل أو جاهل أن يلمز أحداً من المهاجرين أو من مسلمة الفتح أو من بعدهم من المؤمنين بما سلف في مكة من الشرك بالله رب العالمين. اه

قوله: وفي حديث ذكره في (مشكاة المصابيح) سيكون في آخـر الزمان قوم يحدثونكم بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم فإياكم وإياهم لا يضلونكم ولا يفتنونكم.

أقول: لفظ المشكاة هكذا: وعن أبي هريـرة قـال: قـال رسـول الله صلى اللـه عليـه وسـلم "يكـون فـي آخـر الزمـان دالـون كـذابون يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم فإياكم وإيـاهم لا يضـلونكم ولا يفتنـونكم" رواه مسـلم. ولفـظ المصـابيح هكـذا وقـال "يكون في آخر الزمان دجالون كذابون يأتونكم مـن الأحـاديث بمـا لـم تسمعوا أنتـم ولا آبـاؤكم فإيـاكم وإيـاهم، لا يضـلونكم ولا يفتنـونكم" رواه أبو هريرة.

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هانئ عن أبي عثمان مسلم بن يسار عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليـه وسـلم أنـه قـال: "سيكون في آخر أمتي أناس يحدثونكم بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم فإياكم وإياهم".

ومن حديث شراحيل بن يزيد يقول: أخبرني مسلم بن يسـار أنـه سمع أبا هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليـه وسـلم: "يكـون

في آخر الزمان دجالون كذابون يأنونكم من الأحاديث بما لـم تسـمعوا أنتم ولا آباؤكم، فإياكم وإياهم، لا يضلونكم ولا يفتنونكم" اهـ

والمقصـود مـن نقـل هـذه العبـارات أن مـا نقلـه المؤلـف مـن المشكاة لا يوافق المشكاة ولا المصابيح ولا ما أخرجه مسلم، على أن الشيخ وأتباعه لا يتصور كونهم مصاديق هذه الأحاديث، فإن المراد في الحـديث قـوم يتحـدثون بالأحـاديث الكاذبـة ويبتـدعون أحكامـاً باطلـة واعتقـادات فاسـدة، والشـيخ وأتبـاعه بـرآء مـن التحـديث بالأحـاديث الكاذبة وابتداع الأحكام الباطلة والاعتقادات الفاسـدة، بـل هـم علـى طريقة السلف الصالح كما تشهد له رسائل الشيخ وأتباعه[1].

قوله: وأنزل الله في بني تميم ﴿ إن الذين ينادونك ﴾.

أقول: نزل هذا في جفاة بني تميم، وهذا لا يقتضي ذم بني تميم كلهم، وقد ورد في ثنائهم ما ورد وقد ذكر فيما تقدم.

قوله: وأنزل الله فيهم ﴿ لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ﴾.

أقول: هذه الآية لم تنزل في بني تميم بل في أفضل الأمـة أبـي بكر وعمر، أخرج البخاري عـن ابـن أبـي مليكـة قـال: كـاد الخيـران أن يهلكا أبا بكر وعمر رضي الله عنهما، رفعا أصواتهما عنـد النـبي صـلى الله عليه وسلم حين قدم عليه ركب بني تميم فأشار أحدهما بـالأقرع ابن حابس أخي بنـي مجاشـع، وأشـار الآخـر برجـل آخـر قـال نـافع لا أحفظ اسمه، فقال أبو بكر لعمر: مـا أردت إلا خلافـي، قـال مـا أردت خلافك، فارتفعت أصواتهما في ذلك، فأنزل الله تعالى ﴿يا أيهـا الـذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم ﴾. الآية، قال ابن الزبير: فما كان عمر يُسـمع

---

[1] **ولكن كتاب الشيخ دحلان هذا يشهد عليه بأنه من هؤلاء الدجالين الذين يحدثون الناس بما لم يسمعوا هم ولا آباؤهم الذين دونوا لهم كتب السنة، وهو نفسه يعترف ببعضه أنه لم يعرف له راو. وكتبه محمد رشيد رضا.**

رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية حتى يستفهمه، ولم يذكر ذلك عن أبيه، يعني أبا بكر. اهـ.

فإن كان نزول هذه الآية موجباً لذم من نزلت فيه كان زعم المؤلف لزم ذم أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، أعاذنا الله منه[2].

قوله: قال السيد العلوي الحداد المذكور آنفاً: إن الذي ورد في بني حنيفة وفي ذم تميم ووائل شيء كثير.

أقول: قد تقدم ما ورد في ذم بني تميم والجواب عليه وما ورد في مدحهم، وأما بنو حنيفة فقد ورد فيهم حديث عمران بن حصين قال: مات النبي صلى الله عليه وسلم وهو يكره ثلاثة أحياء: ثقيفاً، وبني حنيفة، وبني أمية، رواه الترمذي وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وهذا لا يقتضي ذم جميع بني حنيفة، ألا ترى إلى ثمامة بن أثال الذي مر حديثه فيما تقدم بشره رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيري الدنيا والآخرة أو الجنة أو بمحو ذنوبه وهو رجل من بني حنيفة، وأما وائل فلم يذكر المؤلف في ذمهم شيئاً ولم أقف عليه.

قوله: وجاء عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: "كنت في مبدأ الرسالة أعرض نفسي على القبائل في كل موسم ولم يجبني أحد جواباً أقبح وأخبث من رد بني حنيفة".

أقول: فيه كلام من وجوه:

(الأول) المطالبة بسند هذا الخبر.

و(الثاني) أن الشيخ ليس من بني حنيفة بل من رءوس تميم.

و(الثالث) على تقدير ثبوته لا يقتضي هذا الخبر ذم جميع بني حنيفة.

---

[2] بل الآية تدل على فضل من نزلت فيهم، إذ شرفتهم بخطاب الله لهم وشهادته لهم بالإيمان، وتأديب الله لهم شرف عظيم. وكتبه محمد رشد رضا.

قوله: وأما ما نقل عن بعض العلماء أنه استصوب من فعل النجدي جميع البدو على الصلاة، وترك الفواحش الظاهرة وقطع الطريق، والدعوة إلى التوحيد فهو غلط، حيث حسن الناس فعله، ولم يطلع على ما ذكرناه من منكراته وتكفيره الأمة من ستمائة سنة، وحرق الكتب الكثيرة، وقتله كثيراً من العلماء وخواص الناس وعوامهم، واستباحة دمائهم وأموالهم، وإظهار التجسيم المادي للباري تبارك وتعالى، وعقده الدروس لذلك وتنقيصه النبي صلى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء والمرسلين والأولياء ونبش قبورهم، وأمر في الأحساء أن تجعل بعض قبور الأولياء محلاً لقضاء الحاجة، ومنع الناس من قراءة دلائل الخيرات، ومن الرواتب والأذكار، ومن قراءة مولد النبي صلى الله عليه وسلم ومن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في المنائر بعد الأذان، وقتل من فعل ذلك، وكان يعرض لبعض الغوغاء الطغام بدعواه النبوة ويفهمهم ذلك من فحوى كلامه ومنع الدعاء بعد الصلاة، وكان يقسم الزكاة على هواه، وكان يعتقد أن الإسلام منحصر فيه وفيمن تبعه، وأن الخلق كلهم مشركون، وكان يصرح في مجالسه وخطبه بتكفير المتوسل بالأنبياء والملائكة والأولياء ويزعم أن من قال لأحد يا مولانا أو سيدنا فهو كافر، ولا يلتفت إلى قول الله تعالى في سيدنا يحيى عليه السلام وسيداً ولا إلى قول النبي صلى الله عليه وسلم للأنصار "قوموا لسيدكم ". يعني سعد بن معاذ رضي الله عنه ويمنع من زيارة النبي صلى الله عليه وسلم ويجعله كغيره من الأموات وينكر علم النحو واللغة والفقه والتدريس، بهذه العلوم ويقول إن ذلك بدعة.

أقول: قوله "غلط" عجيب فإن جمع البدو على الصلاة وترك الفواحش الظاهرة وترك قطع الطريق، والدعوة إلى التوحيد مما لا

يرتاب أحد من المسلمين في كونها صواباً، وأما ما ذكره من مطاعن الشيخ فالجواب عنها أن منها ما هو البهتان الظاهر، وهي تكفير الأمة من ستمائة سنة، وحرق الكتب الكثيرة، وقلته كثيراً من العلماء وخواص الناس وعوامهم، واستباحة دمائهم وأموالهم، وإظهار التجشيم للباري تعالى وعقده الدروس لذلك، وتنقيصه النبي صلى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء والمرسلين والأولياء ونبش قبورهم، وأمره أن يجعل قبول الأولياء محلاً لقضاء الحاجة، ومنع الناس من الرواتب والأذكار، وقتل من قرأ دلائل الخيرات، ومن قرأ مولد النبي صلى الله عليه وسلم، ومن صلى الله عليه وسلم على النبي صلى الله عليه وسلم على المنائر بعد الأذان، وادعاء النبوة وقسمه الزكاة على هواه، واعتقاد أن الإسلام منحصر فيه وفيمن تبعه، وأن الخلق كلهم مشركون، وتكفير المتوسل بالأنبياء والملائكة والأولياء، وتكفير من قال لأحدنا: مولانا وسيدنا، والمنع من زيارة النبي صلى الله عليه وسلم كغيره من الأموات وإنكار علم النحو واللغة والفقه والتدريس بهذه العلوم، فالجواب في هذه المطاعن كلها: سبحانك هذا بهتان عظيم.

أما مسألة منع الناس من قراءة (دلائل الخيرات) فأجاب عنها الشيخ في الرسالة التي كتبها إلى عبدالرحمن بن عبدالله حيث قال: وأما دلائل الخيرات فله سبب، وذلك أني أشرت على من قبل نصيحتي من إخواني أن لا يصير في قلبه أجلّ من كتاب الله ويظن أن القراءة فيه أجل من قراءة القرآن، وأما إحراقه والنهي عن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بأي لفظ كان، فهذا من البهتان. اه

وأما قراءة مولد النبي صلى الله عليه وسلم فلا شك في كونها بدعة محدثة، فأي محذور في المنع منها، وكذلك الصلاة على النبي

صلى الله عليه وسلم على المنائر بعد الأذان بدعة، وإزالة المنكر والبدعة وتغييرهما واجب بدلائل الأحاديث الصحيحة.

وأما الدعاء بعد الصلاة فإن كان بالألفاظ الواردة في الأحاديث الصحيحة من غير رفع اليدين كما ورد في الصحيحين عن المغيرة بن شعبة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول في دبر كل صلاة مكتوبة "لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، اللهم لا مانع لم أعطيت ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد". وكما ورد عن سعد بن أبي وقاص أنه كان يعلم بنيه بهؤلاء الكلمات كما يعلم المعلم الغلمان الكتابة، ويقول: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ بهن دبر الصلاة "اللهم إني أعوذ بك من البخل وأعوذ بك من الجبن، وأعوذ بك أن أرد إلى أرذل العمر، وأعوذ بك من فتنة الدنيا، وأعوذ بك من عذاب القبر". رواه البخاري.

وكما ورد عن أم سلمة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول إذا صلى الصبح حين يسلم "اللهم إني أسألك علماً نافعاً ورزقاً طيباً، وعملاً متقبلاً". رواه أحمد وابن ماجه، وكما ورد عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له "أوصيك يا معاذ لا تدعن دبر كل صلاة أن تقول: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك". رواه أحمد وأبو داود والنسائي بسند قوي.

وكل هذه الأحاديث نقلتها عن (المنتقى) و (بلوغ المرام) فالشيخ لا يمنع منه ولا أحد من أتباعه بل ولا أحد من أهل الحديث، وإن كان الدعاء بالألفاظ غير المأثورة وبرفع اليدين، فللعلماء فيه

قولان: (إحداهما) الجواز والاستحباب (والثاني) الكراهة، فإن اختيار الشيخ أحد القولين فما وجه الطعن عليه[1].

وأما مسألة قولنا لأحدنا مولانا وسيدنا فنذكر ما ورد في الباب: (منها) ما أخرجه مسلم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يقولن أحدكم عبدي فكلكم عبيد الله، ولكن ليقل فتاي، ولا يقول العبد ربي ولكن ليقل سيدي – وفي رواية له – ولا يقل العبد لسيده مولاي" وزاد في حديث أبي معاوية "فإن مولاكم الله عز وجل". وفي رواية له "ولا يقل أحدكم ربي وليقل سيدي ومولاي، ولا يقل أحدكم عبدي أمتي وليقل فتاي فتاتي غلامي". وأخرج هذا الحديث أبو داود عن مطرف قال: قال أبي: انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا أنت سيدنا فقال: "السيد الله" قلنا وأفضلنا فضلاً، وأعظمنا طولاً فقال: "قولوا بقولكم أو بعض قولكم، ولا يستجرينكم الشيطان" وأخرج أبو داود عن عبدالله بن بريدة عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "لا تقولوا للمنافق سيد فإنه إن يك سيداً فقد اسخطتم ربكم عز وجل". اه

فقد علم من تيك الأحاديث أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن إطلاق لفظ السيد والمولى على أحدنا، ورخص فيهما أيضاً، ووجه التوفيق أن للسيد والمولى معاني، فالنهي باعتبار بعض المعاني، والرخصة باعتبار البعض الآخر.

---

[1] الصحيح من القولين في الأذكار والأدعية المأثورة بعد الصلاة أنها مستحبة من غير تقييد لها بالاجتماع أو رفع الصوت الذي يجعلها من الشعائر وهي ليست منها إذ لم يأمر النبي صلى الله عليه وسلم بهذا التقييد ولا فعله أصحابه ولا غيرهم من السلف، وهذا التقييد لما أطلقه الشارع يطلق عليه العلامة الشاطبي اسم "البدع الإضافية" كما حققه في كتابه "الاعتصام". وكتبه محمد رشيد رضا.

قال في النهاية في مادة (السود) السيد يطلق على الرب والمالك والشريف والفاضل والكريم ولحليم، ومتحمل أذى قومه والزوج والرئيس والمقدم.

وقال في مادة (الولي) وهو اسم على جماعة كثيرة فهو الرب والمالك والسيد والمنعم و المعتق والناصر والمحب والتابع والجار وابن العم والحليف والعقيد والصهر والعبد والمعتق والمنعم عليه اهـ. فالنهي عن إطلاق لفظ السيد والمولى على غير الله محمول على السيد والمولى بمعنى الرب، والرخصة محمولة عليهما بمعنى آخر من سائر المعاني، فإن ثبت أن الشيخ قد منع من إطلاق لفظ السيد والمولى على غير الله فمراده السيد والمولى بمعنى الرب، وأما بالمعنى الآخر فكيف يتصور أن يمنع الشيخ منه ؟ فإنه عقد باباً في كتاب الوحيد بهذا العنوان (باب لا يقول عبدي وأمتي) وأورد فيه حديث أبي هريرة المروي في مسلم الذي تقدم ذكره آنفاً وفيه هذا اللفظ "وليقل سيدي ومولاي" فهذا اللفظ صريح في جواز إطلاق لفظ السيد والمولى على غير الله بالمعنى الآخر[1].

وأما قول المؤلف: ولا يلتفت إلى قول الله تعالى في سيدنا يحيى عليه السلام وسيداً ولا إلى قول النبي صلى الله عليه وسلم للأنصار "قوموا لسيدكم" يعني سعد بن معاذ رضي الله عنه ففيه كلام من وجهين:

(الأول) أن لفظ الحديث "قوموا إلى سيدكم" لا "لسيدكم" فالمؤلف أخطأ في نقل الحديث، وهذا ليس بأول خطأ من المؤلف بل مثله كثير، ووجهه أن المؤلف ليس من أهل هذا الشأن.

---

[1] وفيه وجه ثالث وهو أن يكون فيه مبالغة في الذل من قائله ومبالغة في الكبرياء من المقول له.

و(الثاني) أن لفظ السيد في قول الله تعالى في يحيى عليه السلام وسيداً وقوله صلى الله عليه وسلم "قوموا إلى سيدكم" ليس بمعنى الرب، فالشيخ إن ثبت منعه من إطلاق لفظ السيد على غير الله فإنما هو من السيد بمعنى الرب – فالآية والحديث لا ينافيان قول الشيخ ولا يصلحان رداً عليه.

وليعلم أن لفظ السيد قد جاء في سورة يوسف في قوله تعالى: وألفيا سيدها لدى الباب . وفي غير واحد من الأحاديث: (منها) حديث ابن عمر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "كلكم راع ومسئول عن رعتيه". وفيه "والخادم راع في مال سيده راع ومسئول عن رعيته". أخرجه البخاري.

(ومنها) حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "أنا سيد ولد آدم يوم القيامة". رواه مسلم. وحديث أبي هريرة في الحساب وفيه "أيُ فلُ ألم أكرمك وأسودك وأزوجك" رواه مسلم، وحديث أبي سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر". رواه الترمذي، وحديث عمر قال: أبو بكر سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رواه الترمذي. وحديث أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "أبو بكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين، إلا النبيين والمرسلين" رواه الترمذي، وحديث أبي بكر قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر والحسن بن علي إلى جنبه وهو يقبل على الناس مرة وعليه أخرى ويقول: "إن ابني هذا سيد". رواه البخاري، وحديث أبي سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة". رواه الترمذي وحديث عائشة قالت: كنا أزواج النبي صلى الله

عليه وسلم عنده فأقبلت فاطمة، وفيه قال "يا فاطمة أترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة". متفق عليه.

وحديث عبدالله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن العبد إذا نصح لسيده وأحسن عبادة الله فله أجره مرتين". متفق عليه، وحديث أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "نعما للمملوك أن يتوفاه الله يحسن عبادة ربه وطاعة سيده، نعما له". متفق عليه.

وكذلك لفظ المولى جاء في غير واحد من الأحاديث: (منها) حديث البراء ابن عازب قال: صالح النبي صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية على ثلاثة أشياء، وفيه وقال ليزيد "أنت أخونا ومولانا" متفق عليه. وحديث زيد بن أرقم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من كنت مولاه فعلى مولاه" رواه أحمد والترمذي، وحديث البراء بن عازب وزيد بن أرقم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل بغدير خم الحديث وفيه "اللهم من كنت مولاه فعلى مولاه، الهم وال من والاه وعاد من عاداه" فلقيه عمر بعد ذلك فقال: هنيئاً يا ابن أبي طالب أصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة، رواه أحمد.

فعلم من ههنا أن إطلاق السيد والمولى بمعنى غير الرب على الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين جائز لا وجه للمنع منه، نعم زيادة لفظ سيدنا وكذا لفظ مولانا في تشهد الصلاة كما يفعله أهل الحرمين في زماننا، وكذلك زيادتهما في تشهد الأذان كما يفعله أهل القدس، وكذلك زيادتهما في التصلية على النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة بدعة لابد من تغييرها، فإن ألفاظ التشهد والأذان والتصلية في الصلاة توقيفية منقولة من الشارع لا يجوز الزيادة عليها ولا النقصان منها، ويؤيده حديث البراء بن عازب رضي الله

عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ثم اضطجع على شقك الأيمن وقل: اللهم أسلمت نفسي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، رهبة إليك، لا ملجأ ولا منجى منك إلى إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت، ونبيك الذي أرسلت، فإن مت مت على الفطرة، واجعلهن آخر ما تقول" فقتل استذكرهن: وبرسولك الذي أرسلت ؟ قال: لا، ونبيك الذي أرسلت" اه أخرجه البخاري.

قوله: ثم قال السيد العلوي الحداد في كتابه المتقدم ذكره: والحاصل أن المحقق عندنا من أقواله وأفعاله ما يوجب خروجه عن القواعد الإسلامية لاستحلاله أموالاً مجمعاً على تحريمها معلومة من الدين بالضرورة بلا تأويل سائغ مع تنقيصه الأنبياء والمرسلين، والأولياء والصالحين، وتنقيصهم تعمداً كفر بإجماع الأئمة الأربعة.

أقول: الجواب عنه أن هذا كله بهتان صريح.

قوله: كان رجل صالح من علماء البلدة التي تسمى بالزبير اسمه الشيخ عبدالجبار يصلي إماماً في مسجد تلك البلدة، فاتفق أن اثنين تجادلا في شأن هذه الطائفة بعد أن جاء إبراهيم باشا إلى الدرعية ودمرها ودمر من فيها، فقال أحد الرجلين المتجادلين: لابد أن يرجع أمر هذا الدين كما كان وترجع هذه الدولة كما كانت، وقال الآخر: لا يرجع أمرهم أبداً كما كان ولا ما كانوا عليه من البدعة، ثم اتفقا على أنهما يذهبان في غد ويصليان صلاة الصبح خلف الشيخ عبدالجبار وينظران ماذا يقرأ بعد الفاتحة في الركعة الأولى ويجعلان ذلك فألا يحكمان به فيما اختلفا فيه، فذهبا وصليا خلفه فقرأ بعد الفاتحة في

الركعة الأولى وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعـون . فتعجبـ ا من ذلك ورضيا بذلك الفأل حكماً[1].

أقول من شرط الفـأل أن لا يقصـد إليـه، يـدل عليـه حـديث أبـي هريرة: سمعت رسول الله صلى اللـه عليـه وسـلم يقـول: "لا طيـرة، وخيرهـا الفـأل. قـالوا: ومـا الفـأل ؟ قـال الكلمـة الصـالحة يسـمعها أحدكم، متفق عليه، وحديث أنس "أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعجبه إذا خرج لحاجة أن يسمع: "يا راشد يا نجيح" روه الترمذي.

قال الحافظ في الفتح: وأما الشـرع فخـص الطيـرة بمـا يسـوء، والفأل بما يسر، ومن شرطه أن لا يقصد إليه فيصير من الطيـرة" اه، وهذا الفأل كان بالقصد فلا يكون فـألا بـل طيـرة فلا يجـوز، ومـن ثـم يعلم مسألة الفأل من القرآن ومن كتب الصـالحين، فـإنه ليـس بفـأل بل طيرة فيكون جبتاً وشركاً وحراماً.

وهذا آخر ما أردناه من الرد على كتاب (الدرر السنية) لأحمـد بـن زيني دحلان.

---

[1] لقد كذب الله فألهم، ودعوة الشيخ عادت على أبرك ما يكون وأقواه، والحمد لله رب العالمين، الذي بنعمته تتم الصالحات. اه محمد بن عبدالرزاق حمزة.